المهدي

تأليف
محمد بن أحمد إسماعيل المقدم

العالمية
ALAMIA
للنشر والتوزيع

المهدي

تأليف

محمد إسماعيل المقدم
عفا الله عنه

الدار العالمية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المهدي

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع
٢٠٠٢/١٤٢٨٥

الطبعة الحادية عشرة
١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م

الدار العالمية للنشر والتوزيع

ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١ - ٣١ ش الصالحي - محطة مصر - الإسكندرية
محمول: ٠١٠٦٥٥٢١١٨ ٢+/ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٣ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٣ ٢٠٣+
E-mail: alamia_misr@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ الطَّبعَةِ العاشرة

الحمد للَّه، أحمده على نعماه، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمدٍ الذي اختاره واجتباه، وأحبه وارتضاه، وعظَّمه وكرَّمه، ورفعه على مَن سواه، صلى اللَّه وسلَّم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومَن اتبع هداه.

أمَّا بعدُ

فقد كانت قضية « المهدية » - ولا تزال - قضيةً مثيرةً للجدل، ولعل مصدر رسوخها في الوجدان الإسلامي، واستقرارها في العقول، وتكرارها في دورة التاريخ؛ يرجع - بعد نص رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - عليها - إلى كونها تمثل الأملَ والطموحَ والاستبشارَ والتطلعَ إلى عهدٍ جديد تُملأ الأرض فيه عدلًا ورخاءً بعد أن مُلئت ظلمًا وجورًا، ومِن ثَمَّ أضافوا إلى لقب « المهدي » وصفَ « المُنتظر ».

وكلما ساءت الأحوال في جهة من جهات العالم الإسلامي، أو تعرضت لغزو خارجي، قامت حركة إسلامية تسعى إلى الإصلاح والمقاومة، لكن - إزاء الشعور بالعجز، والانبهار بقوة الأعداء - كانت بعض هذه الحركات تتطور أو تتحور إلى حركة ثورية يتقمص زعيمها دور « المهدي »، وكم مِن مُدَّعٍ للمهدية كان الناس سينفضون مِن حوله، ويصبح نَسْيًا مَنسيًّا لولا ادعاؤه المهديةَ الذي ضمن له التفافَ الأتباع وازدحامَهم مِن حوله، كيف لا؟ والمهدي عندهم منصور غالب قاهر، مؤيد بالخوارق والكرامات، ولذا فهو « المنقذ » الذي يستطيع أن يصمد أمام الأعداء، وينجز مهام المهدية في نشر العدل والرخاء.

وفي بعض المراحل التاريخية نجح « المتمهدون » في تجسيد فكرتهم كواقع

سياسي في صورة دولة لها كيانها ومؤسساتها وجيوشها، فضلًا عن مُنَظِّريها ودعاتِها وأدبياتِها، وأوضح مثالين لذلك « ابن تومرت » في المغرب الإسلامي، و« محمد أحمد » في السودان.

ولا شك أن ظروف المسلمين وأحوالهم في عصرنا توفر المُناخَ الصالح لادِّعاء المهدية، ولهذا مست الحاجة إلى تزويد الناس بما يُكسبهم الحصانة والمناعة ضد ظاهرة ادِّعاء المهدية التي جرَّت على الأُمة محنًا وبلايا.

وقد فصَّلتُ الكلامَ في كتاب « فقه أشراط الساعة » لدحض شعار « المهدي هو الحل »، ونقد فكرة أن « أي محاولة للمقاومة والإصلاح والتمرد على الأمر الواقع قبل ظهور المهدي ستبوء حتمًا بالفشل ».

لكننا نرفع في مقابلة ذلك شعار « الدعوة هي الحل »؛ لأن الدعوة البصيرة الحكيمة القائمة على « منهاج النبوة » مثمرة ولودٌ، وليست عقيمة، وبركاتها في آفاق الدنيا لا ينكرها إلا جاحد.

لقد كتب الشيخ أبو الحسن الندوي - رحمه اللَّه - منذ نحو أربعة عقود كتابه « ردة .. ولا أبا بكرٍ لها »؛ يصف فيه غربة الإسلام آنذاك، ولو قُدر له أن يعيش ويرى الفرق الهائل في أحوال شباب الأُمة اليوم، لقرت عينه بأن « الرقدة » صارت « صحوة »، وأن « الردة » أصبحت « عودة » إلى الإسلام تبشر حقًّا بأن المستقبل لدين الحق، وما ذاك إلا ثمرة الإصلاح على بصيرة بعيدًا عن ادِّعاءِ المهدية، وبعيدًا عن تأجيل الإصلاح انتظارًا للمهدي، وليأت المهدي متى قدَّر اللَّه - عز وجل - له أن يأتي، فإن مهدينا ليس منتظرًا، والمهدي - اليومَ - ليس هو الحل، لكنَّ الدعوةَ هي الحل.

محمد بن أحمد إسماعيل المقدَّم

ثغر الإسكندرية في

الجمعة الثامن عشر من جمادى الأولىٰ ١٤٢٩هـ

الموافق ٢٣ من مايو ٢٠٠٨م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ الطَّبعَةِ الثامنة

الحمد للَّه أحمده على سُبُوغ نعمته، وأشكره على توفيقه وهدايته، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده، لا شريك له في ربوبيته، ولا نديد له في ألوهيته، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلى جميع بريته، بشيرًا بجنته، ونذيرًا بنقمته، صلى اللَّه - تعالى - وسلَّم عليه وعلى آله وقرابته، الذين اختصهم اللَّه بتطهيره وكرامته، وأصحابه الذين فضلهم على سائر أمته.

أمَّا بعدُ

فما أشد حاجتنا إلى دراسة «فقه التاريخ» بعين البصيرة لا بعين التقليد؛ فالتاريخ فيه عبرة لأولي الألباب؛ إذ يكشف لنا كيف تعمل سنن اللَّه - تعالى -، ومصيرَ الذين يحترمون هذه السنن، ومصيرَ الذين يخدعون أنفسهم بالقفز فوق هذه السنن التي لا تحابي أحدًا، حتى لو كان من الصالحين أصحاب النوايا الحسنة، والعاطفة الجياشة.

* وقضية «**ادِّعاء المهدية**» كانت مجالًا رحبًا لبعض الصالحين ممن يريدون الخير، وتمكين الدين، «وكم مريدٍ للخير لا يبلغه»؛ فقد التبست عليهم الأمور، وانساقوا وراء العواطف التي أَعْمَتْهُمْ عن المعايير العلمية الدقيقة التي لا يرعاها حق رعايتها إلا الراسخون في العلم، قال الحسن البصري - رحمه اللَّه -: «إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل»[1].

وعلى الطرف الآخر، كانت دعوى المهدية مجالًا رحبًا صال فيه وجال

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧/١٢٠- ١٢١).

طُلَّاب الدنيا ، وأصحاب الهوى ، وعشاق الرياسة ، الذين يصدق فيهم وفي أتباعهم قول شوقي :

سُخِّر الناسُ - وإن لم يعلموا - لِغَوِيٍّ أو قويٍّ أو مبين[1]

والجماعات مطايا المُرْتَقي للمعالي وجسورُ العابرين

تمتاز هذه الطبعة من « المهدي » ببيان وصفي وتحليلي لأحوال بعض مدعي المهدية ، واستنباط العبر حتى لا تتكرر أخطاء الماضي ، وكي لا نُلْدَغَ من نفس الجحر فوق ما لُدِغنا ، وكي لا يصدقَ علينا قولُ القائل : « إن ما تعلمناه من التاريخ هو أننا لم نتعلم » .

اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا ، أو أن نُفْتَنَ ، اللهم ارزقنا هديًا قاصدًا ، وجَنِّبْنَا منكراتِ الأخلاق والأهواء والأدواء ، إن ربي لسميع الدعاء ، ولله الحمد والمنة ، على نعمة الإسلام والسنة ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

الإسكندرية في

الاثنين ١٣ من ذي القَعدة ١٤٢٤هـ

الموافق ٦ من يناير ٢٠٠٤م

(١) المبين : ذو البيان والفصاحة ، الذي يخلب ألباب الناس بزخرف القول .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ الطَّبعَةِ الثَّانِيَةِ

(المهدي حقيقة لا خرافة)

إن الحمد للَّه، والاستعانة به، والرهبة منه، والرغبة إليه، لا يُهزم جُنْدُهُ، ولا يُخْلَفُ وَعْدُهُ، ولا ينفع ذا الجَدِّ منه الجَدُّ، سبحانه وبحمده.

وصلاة اللَّه وسلامه وبركاته على عبده ورسوله؛ محمدٍ الذي بَيَّنَ للناس غاية البيان، وحذَّرهم من سبيل الشيطان، أرسله - تَعَالَى - بالهدى ودين الحق، بين يدي الساعة، بشيرًا ونذيرًا، وعلَّمه من علم الغيب ما أثبت به نُبُوَّتَهُ، وقرَّر به رسالته، فقامت له بذلك الحُجَّة، وظهرت به للناس المَحَجَّة؛ فمن سلكها اهتدى، ومن تنكبها ضل وغوى، والمهتدي لا يضره من ضل، والضالُّ لا ينفعه من اهتدى، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان.

وبعد: فما أحسن ما قال أستاذُ البلغاء القاضي الفاضل عبدُ الرحيم البيساني: «**إني رأيت أنه لا يكتب إنسانٌ كتابًا في يومِه إلا قال في غدِهِ: (لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زِيدَ كذا لكان يُسْتحْسَن، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل)، وهذا من أعظم العِبَر، وهذا دليل على استيلاء النقص على البشر**»(*).

وهذه هي الطبعة الثانية لكتاب «المَهْدِيُّ حَقِيقَةٌ لَا خُرَافَةٌ»، مهذبة ومنقحة عما كانت عليه الطبعة الأولى، التي صدرت على عَجَلٍ عقب أحداث الحرم المكي الشريف.

(*) كتب البيساني ذلك في رسالة اعتذار إلى العماد الكاتب الأصبهاني، كما ذكره الزَّبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١/٣).

ومنذ ذلك الحين تفجرت قضية «المهدية في الإسلام»، وصارت حديثَ الخاصَّة والعامَّة:

أما الخاصة، فقد خرج كثير منهم عن الاعتدال في هذه المسألة؛ فبالغ طائفة في الإنكار، حتى رَدُّوا جملة من الأحاديث الصحيحة، وقابلهم آخرون؛ فبالغوا في الإثبات، حتى قبلوا الموضوعات، والحكاياتِ المكذوبةَ؛ وأما العامة، فصاروا في حيرة وتذبذب، ما بين مُصَدِّقٍ ومُكَذِّبٍ، ولا يكاد الخلاف ينقضي عبر صفحات الجرائد والكتب التي صُنِّفَتْ، وتحقق بها صِدْقُ قولِ القائل: «لو سكت من لا يعلم قَلَّ الخلاف».

وكما أن من مقتضيات الشهادة بأن محمدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - رسولُ اللَّه - طاعته فيما أمر، واجتنابَ ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعْبَدَ اللَّهُ إلا بما شرع، كذلك من مقتضياتها الأوليَّة تصديقه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - بكل ما أخبر.

وقد أخبر - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - عن رجال من الماضين بقصص كثيرة:

- مثل حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار؛ فتوسلوا إلى اللَّه - تعَالَى - بصالح أعمالهم، ففرج عنهم.

- وحديث الأبرص، والأقرع، والأعمى.

- وحديث الرجل الذي اشترى من رجل عقارًا، فوجد في العقار جرة فيها ذهب.

- وحديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، ثم سأل: هل له من توبة؟

- وحديث الرجل الذي ركب البقرة، فكلمته البقرة، والرجل الذي كلَّمه الذئب.

وهذه الأحاديث كلها في الصحيحين.

- وحديث الرجل الذي استسلف من رجل ألف دينار، وهو في صحيح

البخاري ، ومسند الإمام أحمد .

وكذا أخبر - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - بأمور كثيرة تقع في المستقبل .

وباب الإخبار بالمستقبل باب عظيم من أعلام نُبُوَّةِ الأنبياء - عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام - ، وإذا أخبر الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - بشيءٍ من الأخبار ، فلا مجال للشك في وقوعها كما أخبر ؛ قال - تَعَالَى - : ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن : ٢٦- ٢٧] الآية ، ورسول اللَّه محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - الذي لا ينطق عن الهوى ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم : ٤] ، كان له من أخبار المستقبل الحظُّ الوافر الذي أيَّد اللَّه به رسالته[(١)] .

عن عمرو بن أخطب الأنصاري - رضي اللَّه عنه - قال : « صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - يَوْمًا الْفَجْرَ ، وصَعِدَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ ، فنزل ، فصلى ، ثم صَعِدَ المنبر ، فخَطَبنا حَتَّى حَضَرَتِ العَصْرُ ، ثُمَّ نَزَلَ ، فَصَلَّى ، ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ ، حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، فَأَخْبَرَنا بِما كَانَ ، وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ، قَالَ : « فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا »[(٢)] .

وعن حذيفة - رضي اللَّه عنه - قال : « قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - مَقَامًا ، فَمَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ مِنْ مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَهُ ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ ، وإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ ، فَأَرَاهُ ؛ فَأَذْكُرُ ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ »[(٣)] .

---

(١) انظرها مفصلة في « الصحيح المسند من دلائل النبوة » ، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي - رحمه اللَّه - ، ص(٣٠٩- ٤٢٤) ، و« أخبار الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - » للشيخ محمد ولي اللَّه النَّدْوِي .

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٩٢) في الفتن ، باب إخبار النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - فيما يكون إلى قيام الساعة .

(٣) رواه البخاري (٦٦٠٤) ، (١١/٤٩٤) ، « فتح » في القدر ، باب : ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ ؛ =

وعن عمر – رضي اللَّه عنه – قال : «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ – مَقَامًا ، فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الخَلْقِ ، حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ»(١) .

ومن هنا روى الصحابة – رضي اللَّه عنهم – عنه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ – إخباره بكثير من الأشياء الغيبية التي أظهره اللَّه عليها تأييدًا لنبوته ؛ فقد أخبر – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ – بخروج الدجّال ، وذكر صفته على التفصيل ، وأخبر أن عيسى – عليه السلام – ينزل من السماء ، ويقتل الدجال ، في أحاديث بلغت حد التواتر .

وعن أبي هريرة – رضي اللَّه عنه – قال : «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ – : «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ مِنَ المُسْلِمِينَ ، فَيَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ»(٢) .

وعنه – رضي اللَّه عنه – : قَالَ رسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ – : «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ كَذَّابُونَ دَجَّالُونَ ، قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ»(٣) .

وعن أسماء بنت أبي بكر – رضي اللَّه عنها – أنها قالت للحجاج بن يوسف : «سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ : «إِنَّ في ثَقِيفٍ كَذَّابًا

= ومسلم (٢٨٩١) في «الفتن» ، باب إخبار النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ – فيما يكون إلى قيام الساعة ؛ وأبو داود (٤٢٤٠) في «الفتن» ، باب ذكر الفتن ودلائلها .

(١) رواه البخاري (٢٨٦/٦) في بدء الخلق ، باب ما جاء في قوله – تَعَالَى – : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ ، تعليقًا مجزومًا به ، ووصله الطبراني ، وأبو نُعَيم .

(٢) رواه البخاري (٦١٦/٦) (٣٦٠٨ ، ٣٦٠٩) ، (٣٠٣/١٢) (٦٩٣٥) ، (٨١/١٣) (٧١٢١) ، ومسلم (٢٢١٤/٤) ، (٢٨٨٨) ، وغيرهما .

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (٣٦٠٩) ، (٧١٢١) ، واللفظ له ؛ ومسلم في «صحيحه» (٢٢٤٠/٤) ؛ وأبو داود في «سننه» (٤٣٣ ، ٤٣٣٤) ؛ والترمذي في «سننه» (٢٢١٨) ، وقال : «حسن صحيح» ، والإمام أحمد في «المسند» (٢٣٧/٢) . =

وَمُبِيرًا » ، فأَمَّا الكَذَّابُ فَقَدْ رَأَيْنَاهُ ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ »[١] .

هذا في جانب الإخبار عن الأشرار، أما الإخبار عن الأخيار:

فقد قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : « إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا »[٢] .

وعن يُسَيْر بن جابر : « أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إِلَى عُمَرَ - رضي اللَّه عنه - ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ ، فَقَالَ عُمَرُ : « هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنَ القَرَنِيِّينَ ؟ » ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قَدْ قَالَ : « إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَنِ ، يُقَالُ لَهُ : أُوَيْسٌ ، لَا يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ ، فَدَعَا اللَّهَ ، فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ ، إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهَمِ ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لكُمْ » ، وفي رواية : « إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : أُوَيْسٌ ، لَهُ وَالِدَةٌ ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ ، فَمُرُوهُ ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ » ، وفي رواية : « كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ - رضي اللَّه عنه - إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ[٣] أَهْلِ اليَمَنِ سَأَلَهُمْ : « أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بنُ عَامِرٍ ؟ » حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ ، فقَالَ : « أَنْتَ أُوَيْسُ ابنُ عامِرٍ ؟ » قَالَ : « نَعَمْ » ، قَالَ : « مِنْ مُرَادٍ ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ ؟ » قَالَ : « نَعَمْ » ، قَالَ : « فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ ، فَبَرَأْتَ منهُ ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ؟ » قَالَ : « نَعَمْ » ، قَالَ : « لَكَ وَالِدَةٌ ؟ » قَالَ : « نَعَمْ » ، قَالَ : « سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : (يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بنُ عامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ اليَمَنِ ، مِنْ مُرَادٍ ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ ،

= واعلم أنه ليس المراد بالبعث في هذا الحديث الإرسال المقارن للنبوة ، بل هو كقوله - تعالى - : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ . . . الآية (مريم : ٨٣) .

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٥) في « فضائل الصحابة » ، باب ذكر كذّاب ثقيف ومبيرها .

(٢) رواه أبو داود (٤٢٩١) في الملاحم ، باب ما يُذْكَرُ في قرن المئة ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٥٢٢) ، وسكت عليه هو والذهبي ، وقوّاه ابن حجر ، وقال السيوطي : « اتفق الحُفَّاظ على أنه حديث صحيح » ، وصححه الزين العراقي ، والسخاوي ، والمناوي ، وغيرهم .

(٣) الأمداد : جمع مدد ؛ وهم الأعوان الذين كانوا يجيئون لنصر الإسلام .

وَكَانَ بِهِ بَرَصٌ ، فَبَرَأَ منهُ ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ » ، فَاسْتَغْفِرْ لِي ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ)[١] . . . الحديث ، فهنا ترى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قد أخبر عن رجلٍ صالحٍ ، يظهر بعد زمانه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وذكر اسمه ، ونسبه ، وبعض تفاصيل أحواله ، وقد وقع كما أخبر الصادق المصدوق - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - بخروج رجل صالح من أمته ، خليفةٍ عادلٍ من أهل بيته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - يملأ الأرض قسطًا وعدلًا ، كما مُلئت ظلمًا وجَوْرًا ؟ !

أي شيء يُسَوِّغُ إنكار مثل هذا الخبر ، وقد ثبت بالنقل الصحيح ، ولم يعارضه عقل صريح ؟ ولو تَوهَّمَ عقل قاصر معارضته ، لقُدِّم النقل عليه ، ولا شك :

فَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا سَلِيمًا وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

إنَّ المهديَّ المُبَشَّرَ به لا يدعي نُبُوَّةً ، بل هو من أتباع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وما هو إلا خليفة راشد مهدي ، من جملة الخلفاء الذين قال فيهم رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ» الحديث[٢] .

وهو عند أهل السنة والجماعة بشر من البشر ، ليس بنبي ولا معصوم ، وما هو إلا رجل من أهل بيت رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وحاكم عادل يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جَوْرًا ، يخرج في وقت تكون الأمة أحوج ما تكون إليه ، فَيُحْيِي السنة ، ويُزِيلُ الجور ، ويبسط العدل ؛ كيف إذن يورد بعض الناس إشكالًا على أحاديث المهدي ، ويزعمون - جهلًا

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (٢٥٤٢) ، في فضائل الصحابة ، باب من فضائل «أويس القرني» - رضي اللَّه عنه - .

(٢) انظر تخريجه ص(٣٠) .

منهم وضلالًا - أنها تنافي عقيدة إسلامية راسخة؛ ألا وهي: ختم النبوة برسول اللَّه محمدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -؟![1]

فَيُشَبِّهون على ضَعَفَةِ الأفهام، ويطلقون الكلام جِزافًا بغير خِطامٍ ولا زمام! وإذا كان نبي اللَّه عيسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - الذي هو أحد أولي العزم من الرسل، إذا نزل في آخر الزمان، إنما يحكم بالكتاب والسنة، ولا يأتي بكتاب جديد، ولا بشرع جديد، فغيره من الناس أولى، وأولى أن لا يأتي بكتاب جديد، ولا بشرع جديد، بعد أن أنزل - تَعَالَى - قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]... الآية.

ألا فليتق اللَّهَ هؤلاء الذين يَهْرِفُون بما لا يعرفون، وليخلصوا النية للَّه في البحث عن الحق؛ فإن الحق متاحٌ لمن أراد أن يظفر به، ولن يذهب عن الحق بعيدًا من سعى بصدقِ نيةٍ في طلبه؛ قال - تَعَالَى -: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ولابد أن يأتي اليوم الذي يتحقق فيه ما أخبر به الصادق المصدوق - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - تمامًا كما أخبر؛ ليقول المؤمنون عندئذٍ: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٢]... الآية، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨]، والحمد للَّه رب العالمين.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية»، للأستاذ أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، طبع دار طيبة، الرياض، ١٤٠٥هـ.

مُقَدِّمَةُ الطَّبعَـةِ الأُولَـى

«المهدي حقيقة لا خرافة»

الحمد للَّه رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده ، لا شريك له ، شهادةً أتخلص بها من عذاب يوم الدين ، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء : ٨٨، ٨٩] ، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الدخان : ٤١، ٤٢] ، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان : ٢٧- ٢٩] .

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي بلَّغ البلاغ المبين ، وبيَّن للناس ما نُزِّل إليهم ، ولعلهم يتفكرون ، وترك أمته على محجةٍ بيضاءَ نقيةٍ ، ليلُها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك مفتون ، صلى اللَّه وسلم وبارك عليه وَعَلَى آلِهِ وصحبه وحزبه ، الذين قضَوْا بالحق ، وبه كانوا يعدلون .

أما بعد : فإلى اللَّه - عَزَّ وَجَلَّ - وحده المشتكى من غربة الإسلام ، واشتعال نار المُلِمَّاتِ ، وعموم الفتن والبليات ، وتواتر النوازل والآفات ، في كل قطر من أقطار الأرض ، وظهور البدع والمنكرات ، وغلبة الشهوات والشبهات ، واستحلال المحرمات .

لقد عاد الحليم في هذا الزمان حيرانَ ، يقلب وجهه في السماء باحثًا عن نجم يضيء له الطريق ، ويُعيِّنُ له الهدف ، ويُحدِّد له الاتجاه ، وقد تلبَّد الجو بغيوم الأوهام ، التي أمطرت وابلها على الأرض المجدبة ، فأنبتت لفيفًا من الأقوام المتصارعةِ آراؤُهُم ، المتدابرة قلوبُهُم ، وقد جعل اللَّه بأسَهم بينهم .

لقد أرخى الليلُ سُدولَه بأنواع المصائب والفتن ؛ ليميز اللَّه الخبيث من الطيب ، ونبغ في هذا الزمان أقوام أعرضوا عن المحجة البيضاء ، وزاغوا عنها فهلكوا مع الهالكين ، وراحوا يخوضون مع الخائضين ، «فمنذ مطلع هذا القرن ، أو قبله ، وُجدت فئة تدعو إلى ما يسمى بـ(التحرر الفكريِّ) ، وتتصدر ما يُسَمَّى بـ(حركة الإصلاح الديني)(١) ، وتعمل لإحياء المفاهيم الإسلامية في

---

(١) ينبغي التَّحَفُّظ من مثل هذه الإطلاقات ؛ لما قد تنطوي عليه من أفكار خبيثة ؛ فالدين كما عرَّفه العلماء «وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة لما فيه صلاح دنياهم ، وسعادة آخرتهم» ، وهذا التعريف مأخوذ من قوله - تَعَالَى - : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] ، وحيث كان الأمر كذلك ، فلا يمكن لبشر أن يتناول الدين بإصلاح أو تهذيب ؛ لأن ما وضَّحه اللَّه وأكمله لا يُتصور أن يُتناول بإصلاح ، إلا أن يُقْصَدَ بذلك الإصلاح تجديدُ الدين بإحياء السنن والشرائع ، وإماتة البدع والحوادث ، والاجتهاد الصادر من أهله المحصلين شروطَه ، واللَّه - تَعَالَى - أعلم ، يقول الشيخ علي بن بخيت الزهراني في كتابه «الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين» ما مختصره :

«إن كلمة الإصلاح كلمة مَطَّاطَةٌ اسْتُخْدِمَتْ بكثرة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين من قِبَلِ فئات كثيرة ؛ لذا كان لا بُدَّ من تحديد معالم هذا الإصلاح ، ولا يكفي أن تكون الغاية هي الإصلاح ؛ بمعنى أن كل من نادى بإصلاح الأوضاع يكون مصلحًا ؛ فكل فئة ، وكل أصحاب فكر وعقيدة - يدَّعون الإصلاح ، حتى المنافقون : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة : ١١ ، ١٢] .

والتغريبيون ؛ من أمثال السلطان «محمود الثاني» ، و«محمد علي باشا» ، هَدَفُوا من إجراء سياساتهم وتنظيماتهم إلى الإصلاح ، ولكن أي إصلاح ؟ إصلاح على الطريقة الغربية يرمي في غايته إلى استبدال القوانين الغربية بالشريعة الإسلامية .

والقوميون العرب ، من نصارى وغيرهم ، كانوا يسعون إلى الإصلاح حسب منهجهم ، وقاوموا الترك ، وحاربوهم لأجل ذلك .

فلابد من تحديد مفهوم الإصلاح الذي هدفت إليه جميع الحركات الإصلاحية ، واعتبرته غاية لها ، فالإصلاح مصطلح قرآني ؛ قال - تَعَالَى - على لسان نبيه شعيب - عليه الصلاة والسلام - : ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود : ٨٨] ، ومعناه : الإصلاح العام للحياة والمجتمع ، الذي يعود صلاحه بالخير على كل فرد وكل جماعة فيه ، وهو إصلاح على منهج الأنبياء ، يُعْرَفُ أن نجاحه متوقف على توفيق اللَّه - عزَّ وجلَّ - ، والتوكل عليه ، وفوق ذلك الرجوع =

نفوس المسلمين ، ولكنهم في سبيل ذلك عمدوا إلى إنكار كثير من المُغَيَّبات التي وردت بها النصوص الصريحة المتواترة ، الأمر الذي يجعل ثبوتها ليس محل جدال أو ريبة ، ولا سند لهم في الإنكار سوى الجموح الفكري ، والغرور العقلي ، وقد راجت بتأثيرهم تلك النزعة الفلسفية الاعتزالية التي تقوم على تحكيم العقل في أخبار الكتاب والسنة ، وعمَّت فتنتُها حتى تأثر بها بعضُ الأغرار ممن تستهويهم زخارف القول ، وتغرهم لوامع الأسماء والألقاب والمناصب ، وَمِن هنا لزم أن يُوضَعَ الحقُّ في نِصابه ؛ تنبيهًا لأولئك الشاردين عن منهج الرشد أنَّ تلك الأمور التي يمارون فيها ثابتة ثبوتًا قطعيًا ، بأدلةٍ لا تقبل الجدل ولا المكابرة ، وأنَّ من يحاولُ ردَّها ، أو يُسوِّغ الطعن فيها ، فهو مُخَاطر بدينه ، وهو - في الوقت نفسه - قد فتح بابًا للطعن فيما هو أقلُّ منها ثبوتًا من قضايا الدين الأخرى ، وبذلك نكون أمام مَوْجَةٍ من الإنكار والتكذيب لا أول لها ولا آخر ، وتصبح قضايا العقيدة كلها عرضة لتلاعب الأهواء وتنازع الآراء »[(١)] .

وهذه محاولة لبيان صحة الاعتقاد في ظهور المهدي المنتظر ، الذي أخبر بظهوره نبيُّ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، نقدمُها لتكون تبصرة لإخواننا ،

= إلى اللَّه عند السير في خطواته ، والعمل من أجل تحقيقه .

فلا بد إذن أن يكون الإصلاح على منهج الأنبياء ، وبالتحديد على منهج الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - ، الذي قام بأعظم إصلاح عَرَفَتْهُ البشرية في تاريخها الطويل ، وجنى ثماره المسلمون رَدَحًا من الزمن تقدمًا وقوة وحضارة ، وما واجب أي حركة إصلاحية ، أو مصلح ديني إلا الرجوع إلى ذلك الإصلاح العظيم ، ومحاولة إحيائه من جديد .

ومن هنا نقول : إن الإصلاح : ما استهدف الرجوع بالأمة إلى ما كان عليه الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - والقرون المفضلة ، في العقيدة ، والعبادة والسلوك والمعاملة بالوسائل المشروعة ، وباختصار شديد : ما كان على المنهج السلفي ، وأي عدول عن ذلك المنهج ، فلا يؤدي إلى إصلاح حقيقي يُرضي اللَّهَ - عزَّ وجلَّ - ، وتتحقق من خلاله مصالح البلاد والعباد » . اهـ . (١/ ٢٧٣، ٢٧٤) .

(١) انظر « فصل المقال في رفع عيسى - عليه السلام - حيًا ، وفي نزوله وقتله الدَّجال » ، للدكتور محمد خليل هرَّاس - رحمه اللَّه - ، ص(٣، ٤) .

ومعذرة إلى اللَّه - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال : ٤٢] .

أسأل اللَّه - عَزَّ وَجَلَّ - أن ينفع بها حِزب الحق والإيمان ، وأن يقمع بها أهل الزيغ والبهتان ، إنه كريم منَّان ، وقد قدَّمتُ بين يديها هذه التنبيهات ؛ لمسيس الحاجة إليها في دين المسلم عامة ، وفيما نحن بصدده خاصة ، والحمد للَّه رب العالمين .

محمد بن أحمد إسماعيل المقدَّم

الإسكندرية في الاثنين

الحادي والعشرين من شهر اللَّه المحرم ١٤٠٠هـ

الموافق العاشر من ديسمبر ١٩٧٩م

تنبيهات عامة

الأول :

اعلم - رحمك اللَّه - أن الملة المحمدية تنقسم إلى اعتقاديات وعمليات .

فالاعتقاديات : هي علم التوحيد ، والصفات ، وأصول الدين ، وعمل القلب فيها التصديق .

أما العمليات : فهي ما تعلَّق بكيفية العمل من الشرائع والأحكام[1] .

وعلم التوحيد هو : «العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية» ؛ وعليه ، فمسائل الاعتقاد هي صلب الإسلام وأصله الأصيل ، وبها يمتاز المؤمن من الكافر ، وأصحاب الجنة من أصحاب الجحيم ؛ إذا علمتَ هذا ، فلا تغتر بقول من خالف أهل السنة والجماعة في عقائدهم ، وشذ عن إجماعهم ، مدَّعيًا أن هذه مسائل نظرية لا يترتبُ عليها عمل ، ولا تهم المسلمَ في قليل أو كثير[2] .

الثـاني :

إن المسائل العلمية الخبرية ممَّا ابتلى اللَّه - تبارك وتعالى - به عبادَهُ ؛ ليمتحن إيمانَهم ، ويَميز الخبيث من الطيب ، والمصدِّق من المكذِّب ، فإن قيل «بل لا تدخلوا هذه المداخل ؛ فإن صحابة رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ

---

(١) وكثيرًا ما يُطلِق البعض على «الاعتقاديات» وصف «أصْلية» ، وعلى العمليات «فرعية» ، وهذا التفريق بين الأصول والفروع ليس له أصل لا عن الصحابة - رضي اللَّه عنهم - ، ولا عن التابعين لهم بإحسان ، ولا أئمة الإسلام ، وإنما هو مأخوذ من المعتزلة ، وأمثالهم من أهل البدع ، وعنهم تلقاه بعض الفقهاء ، وهو تفريق متناقض ، ولا يمكن وضع حَدٍّ بينهما ينضبط به .
وانظر بيان هذا مفصَّلًا في «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه تعالى - (٤/ ٥٦ ، ٥٧) ، (٦/ ٥٦ ، ٥٧) ، (١٣/ ١٢٥) ، (٢٣/ ٣٤٦ ، ٣٤٧) ، و«منهاج السنة النبوية» (٥/ ٨٧ ، ٨٨) ، و«المسائل الماردينية» ص(٦٥- ٧٠) ، و«الصواعق المرسلة» لابن القيم (٢/ ٥٠٩- ٥١٥) ، و«العَلَم الشامخ» للمقبلي ص(٥٢٩) .

(٢) انظر الرد على هذه الدعوى ص(١٦٩) ، وما بعدها .

وَسَلَّمَ- لم يدخلوا في شيء من هذه الأمور، وقد يسعُكم ما وسعهم».

فالجواب: نعم، كان يسعنا ما وسعهم - رضي اللَّه عنهم -، ما لم نُبْتَلَ بمن يثير الشبهات، ويُشكِّك العوامَّ في دينهم، ومَثَلُنا معكم كمثلِ رجل في نهر عظيم كثير الماء، كاد أن يغرق مِن قِبَلِ جهلِهِ بالمخاضة[1]، فيقول له آخرُ: «اثبت مكانك، ولا تطلبن المخاضة»، وَيَسَعُنا ما وسعهم - رضي اللَّه عنهم -، لكن ليس بحضرتنا مثل الذي كان بحضرتهم، وقد ابْتُلِينَا بمن يطعن علينا، فلا يسعنا أن لا نعلمَ مَن المخطئ منا والمصيبُ، مع أن الرجل إذا كفَّ لسانه عن الكلام فيما اختلف الناس فيه - وقد سمع ذلك - لم يُطِقْ أن يكف قلبه؛ لأنه لا بد للقلب من أن يكره أحد الأمرين، أو الأمرين جميعًا، أما أن يحبهما جميعًا - وهما مختلفان -، فهذا ما لا يكون، وإذا مال القلب إلى الجَوْر أحبَّ أهله، وإذا أحبَّ القوم كان منهم؛ وإذا مال القلب إلى الحق وأهله، كان لهم وليًّا؛ وذلك لأن تحقيق الأعمال لا يكون إلا مِن قِبَل القلب[2].

الثالث:

تنازع السلفُ في كثير من مسائل الأحكام، ولم يتنازعوا - بحمد اللَّه - في أصول التوحيد؛ بل أثبتوها، وصدَّقوا بها، بغير تأويل ولا تبديل، ولا تكذيب، فسُمُّوا أهلَ السنةِ والجماعة؛ خلافًا لأهل البدع والافتراق؛ ذلك أن الخلاف في الفروع دائر بين الخطأ والصواب، وصاحبه المجتهد دائر بين الأجر مع العذر، وبين الأجرين مع الشكر؛ أما الخلاف في أصول الدين فدائر بين الحق والضلال، وصاحبُه دائر بين الكفر والإيمان، وبين الهلاك والنجاة، ولا سبيل إليها إلا باتباع مذهب السلف؛ والمراد بمذهب السلف في العقائد ما كان عليه الصحابة الكرام - رضوان اللَّه عليهم -، وأعيانُ التابعين لهم بإحسان، وأئمة

---

(١) المَخَاضة من النهر الكبير: المَخاض، وهو الموضع القليل الماء الذي يعبر فيه الناسُ النهر مشاةً ورُكبانًا. «المعجم الوسيط» (١/٢٧١).

(٢) انظر: «العالم والمتعلم»، المنسوب إلى أبي حنيفة النعمان، ص(٣٤، ٣٥).

الدين ممن شهدت لهم الأمة الوسط بالإمامة، وعُرف عِظم شأنهم في الدين، وتلقى الناس كلامهم خَلَفٌ عن سلف، دون من رُمِي ببدعة، أو اشْتُهِرَ بقلب غير مَرْضِيٍّ ؛ مثل الخوارج، والشيعة، والقدرية، والمرجئة.

الرابـع :

ومنشأ فساد الأمم والأديان إنما هو تقديم الرأي على الوحي، والهوى على الشرع، والعقل على النقل، وما استحكمت في أمة إلا تم خرابها، وأصل ضلال الفرق أنهم يبتدعون أصولًا توافق أهواءهم، ثم يقدمونها على النصوص الصريحة، فيتحكمون بها في الأدلة النقلية، وقد أُمِرُوا أن يتحاكموا إليها ؛ أما الأحاديث فيكذِّبونها، وأما الآيات فيؤوِّلونها، ويحرفونها عن مواضعها.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» في شرحه لحديث حذيفة - رضي اللَّه عنه - : «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمينَ وإمامَهُمْ» : «ويؤخذ منه ذم مَن جعل للدين أصلًا خلاف الكتاب والسنة، وجعلهما فرعًا لذلك الأصل الذي ابتدعوه، وفيه وجوبُ رَدِّ الباطل، وكُلِّ ما خالف الهَدْيَ النبوي، ولو قاله مَن قاله، مِن رفيع أو وضيع»[1]. اهـ.

الخامس :

من لم يُسَلِّمْ للمنقول، وقابله بالرد المعقول، فهو ضالٌّ مخبول، قال الطحاوي - رحمه اللَّه - : «ما سَلِم في دينه إلا من سَلَّمَ للَّه - عزَّ وجلَّ - ، ولرسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ورَدَّ عِلمَ ما اشتبه عليه إلى عالمِهِ»، وهذا هو ما سلكه السلف الصالح - رضي اللَّه عنهم - ، ومن لا يسلكْ سبيلهم فإنما يتكلم برأيه، ومن يتكلمْ برأيه، وما يظنُّه دينَ اللَّه - عزَّ وجلَّ - ، ولم يتلَقَّ ذلك من الكتاب والسنة، فهو مأثوم، وإن أصاب الحق ؛ ومن أخذ من الكتاب والسنة فهو مأجور، وإن أخطأ، لكن إن أصاب يضاعف أجره، وقال الطحاوي -

---

(١) «فتح الباري» (٣٧/١٣).

أيضًا - : «ولا تثبت قَدَمُ الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علمَ ما حُظِر عنه عِلْمُه، ولم يقنع بالتسليم فهمُه، حجبه مَرامُه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان»(١). اهـ.

وقال العلَّامةُ محمد حبيب اللَّه الشنقيطي - رحمه اللَّه - :

«هذه السمعيات التي صحت الأحاديث فيها، ليس للمسلم السليم العقيدة إلا تصديقها، دون تزلزل في العقيدة؛ إذ لا مجال للعقل، عند أهل السنة، إلا بقدر ما ثبت من النقل، كما أشار إليه ابن عاصم في «مرتقى الوصول إلى علم الأصول» بقوله:

إِذْ لَيْسَ لِلْعَقْلِ مَجَالٌ في النَّظَـرْ   إِلَّا بِقَـدْرِ مَـا مِنَ النَّقْلِ ظَهَـرْ»(٢) اهـ.

السادس:

والفرقة الناجية هي التي تتبعُ مذهب السلف، وهي باقية إلى قيام الساعة؛ لقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وقد سُئِل عنها، فقال: «هِيَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(٣)، وقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(٤)، وعن ابن مسعود - رضي اللَّه عنه -

---

(١) «شرح الطحاوية» ص(١٤٠، ١٥٥).

(٢) «فتح المنعم» (٢/١٧٤).

(٣) شَطْر حديث، رواه الترمذي (٢٦٤١) وقال: «هذا حديث مُفَسَّر غريب لا نعرفه مثلَ هذا إلا من هذا الوجه»؛ والحاكم (١/١٢٨، ١٢٩)، والآجُرِّي في «الشريعة» ص(١٥)، وفي سنده «عبد الرحمن ابن زياد»، وهو ضعيف، لكن له شاهد تام من حديث أنس - رضي اللَّه عنه - بلفظ: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/٢٥٦)، و«الأوسط» (٢٦٢- مجمع البحرين)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/٢٦٢)، وفيه عبد اللَّه بن سفيان، قال العقيلي: «لا يُتابع على حديثه»، وذكره ابن حبان في «الثقات»، ولمفردات الحديث شواهد كثيرة، انظر كتاب: «درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب» للشيخ سليم الهلالي - حفظه اللَّه -.

(٤) حديث صحيح مستفيض عن جماعة من الصحابة - رضي اللَّه عنهم - ، رواه الإمام أحمد، والشيخان من طريق معاوية، والمغيرة بن شعبة، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وأبو داود، والحاكم من طريق ثوبان، ومسلم من طريق عقبة بن نافع، وعن أبي أمامة في =

قال: «الجَمَاعَةُ مَا وافَقَ الحَقَّ، وإنْ كُنْتَ وَحْدَكَ»، قال نُعَيْمُ بن حَمَّاد: «يعني إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك؛ فإنك أنت الجماعة حينئذ»[(١)]، وعن سفيان الثوري قال: «لو أن فقيهًا على رأس جبل، لكان هو الجماعة»[(٢)].

والفرقة الناجية في هذه الأزمان ليست هي «السواد الأعظم»؛ لأن كثرة العدد لا تأثير لها في ميزان الحق؛ قال - تَعَالَى -: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال - تَعَالَى -: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً: اثْنَتَانِ وسَبْعُونَ في النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ في الجَنَّةِ»[(٣)].

ولا تقتصر الفرقة الناجية على الصحابة - رضي اللّه عنهم -، وإن كانوا خير أمة أخرجت للناس، وهم الأسوة لمن بعدهم، وهم أفضل القرون، وهم الفرقة الناجية في عصرهم، أما بعدهم، فهي موجودة في طائفة غيرهم؛ لقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[(٤)].

وقد رَجَّحَ كثير من الأئمة تعريف الفرقة الناجية بأنهم «أهل الحديث، وأصحاب الأثر»؛ وما ذاك إلا لأنهم أقرب الناس إلى تحقيق ما كان عليه

= «المسند»، وفيه وفي أبي داود والحاكم من طريق عمران بن حُصَيْن، وفي المستدرك - أيضًا - من طريق عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه -.

(١) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» لأبي شامة ص(٢٢)، وعزاه إلى البيهقي في «المدخل»، وانظر: «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (١/١٠٩).

(٢) «شرح السنة» (١/٢٧٩).

(٣) رواه بنحوه: ابن ماجه (٣٩٩٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/٣٢)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٢٠٣) (١٤٩٢).

(٤) تقدم آنفًا.

السلف، وأَتْبَعُهُمْ لهم - رضي اللَّه عنهم -.

«قال عبد اللَّه بن المبارك في حديث: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ»: «هم عندي أصحاب الحديث»، وقال علي بن المديني: «هم أصحاب الحديث»، وقال أحمد بن حنبل: «إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث، فلا أدري من هم»، وقال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في نفس الحديث: «يعني أصحاب الحديث»، وقال أحمد بن سنان: «هم أهل العلم، وأصحاب الأثر»[(١)].

وقال الإمام أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني - رحمه اللَّه -:

«لما سُئِلَ النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - عن الفرقة الناجية، قال: (مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي)[(٢)]، فلا بد من تَعَرُّفِ ما كان عليه رسولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - وأصحابُه، وليس طريقُ معرفته إلا النقل، فيجب الرجوع إلى ذلك، وقد قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -: (لَا تُنَازِعُوا الأَمْرَ أَهْلَهُ)[(٣)].

فكما يُرْجَعُ في مذاهب الفقهاء الذين صاروا قدوةً في هذه الأمة إلى أهل الفقه، ويُرْجَعُ في معرفة اللغة إلى أهل اللغة، وفي النحو إلى أهل النحو، وكذا يرجع في معرفة ما كان عليه رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - وأصحابهُ إلى أهل الرواية والنقل؛ لأنهم عُنُوا بهذا الشأن، واشتغلوا بحفظه، والفحص عنه ونقله، ولولاهم لاندرس علم سنة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، ولم يقف أحد على هَدْيِه وطريقته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -.

فإن قيل: (فقد كثرت الآثار في أيدي الناس، واختلطت عليهم)،

---

(١) انظر: «شرف أصحاب الحديث»، للخطيب البغدادي، ص(٢٥- ٢٧).

(٢) تقدم ص(٢٣).

(٣) أصل الحديث رواه البخاري (١٦٧/١٣) في الأحكام، باب كيف يُبايعُ الإمامَ الناسُ؛ ومسلم (١٧٠٩) في الإمارة، والموطأ (٤٤٥/٢)، والنسائي (١٣٧/٧، ١٣٨)، وابن ماجه (٢٨٦٦) من حديث عبادة بن الصامت - رضي اللَّه عنه - قال: «بَايَعْنَا رسولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ في العُسْرِ واليُسْرِ، والمَنْشَطِ والمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَينا، وَعَلَى أن لا نُنَازِعَ الأمرَ أَهْلَهُ»... الحديث.

فالجواب أن نقول : ما اختلطت إلا على الجاهلين بها ، فأما العلماء بها فإنهم ينتقدونها انتقادَ الجهابذةِ الدراهمَ والدنانيرَ ، فيميزون زيوفَها ، ويأخذون خيارها ، ولئن دخل في أغمار الرواة من وُسِم بالغلط في الأحاديث ، فلا يروج ذلك على جهابذة أصحاب الحديث ، وورثة العلماء ، حتى أنهم عدوا أغاليط من غَلِطَ في الإسناد والمتون ، بل تراهم يعدون على كل واحد منهم في كم حديث غلِط ؟ وفي كم حرفٍ حَرَّف ؟ وماذا صحَّف ؟ »[1] . اهـ بتصرف يسير .

وقال الإمام الحميدي صاحب « الجمع بين الصحيحين » من قصيدة له وافرة :

وَلَوْلا رُوَاةُ الدِّينِ ضَاعَتْ وَأَصْبَحَتْ ... مَعَالِمُهُ فِي الآخِرِينَ تَبِيدُ
هُمُو حَفِظُوا الآثَارَ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ ... وغَيْرُهُمُو عَمَّا اقْتَنَوْهُ رُقُودُ
وهُمْ هَاجَرُوا فِي جَمْعِهَا وَتَبَادَرُوا ... إِلَى كُلِّ أُفْقٍ وَالمَرَامُ كَئُودُ
وقَامُوا بِتَعْدِيلِ الرُّوَاةِ وَجَرْحِهِمْ ... قِيَامَ صَحِيحِ النَّقْلِ وهْوَ حَدِيدُ
بِتَبْلِيغِهِمْ صَحَّتْ شَرَائِعُ دِينِنَا ... حُدُودٌ تَحَرَّوا حِفْظَهَا وعُهُودُ
وَصَحَّ لِأَهْلِ النَّقْلِ مِنهَا احْتِجَاجُهُمْ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَانِدٌ وَحَقُودُ[2]

وقال الإمام أبو بكر الخطيب البغدادي - رحمه اللَّه - في « شرف أصحاب الحديث » : « وقد جعل اللَّه - تَعَالى - أهلَهُ - أي الحديث - أركانَ الشريعة ، وهَدَمَ بهم كل بدعة شنيعة ؛ فهم أمناء اللَّه من خليقته ، والواسطة بين النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - وأمته ، والمجتهدون في حفظ ملته ، أنوارهم زاهرة ، وفضائلهم سائرة ، وآياتهم باهرة ، ومذاهبهم ظاهرة ، وحججهم قاهرة ، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه ، أو تستحسن رأيًا تعكُفُ عليه ، سوى أصحاب الحديث ؛ فإن الكتاب عُدَّتُهم ، والسنةَ حجتهم ، والرسولَ فئتهم ، وإليه نسِبتُهم ، لا يُعرِّجون على الأهواء ، ولا يلتفتون إلى الآراء ، يُقْبَلُ منهم ما روَوْا عن الرسول ، وهم المأمونون عليه والعُدول ، حَفَظَةُ الدين وخَزَنَتُه ، وأوعية

---

(١) نقله عنه الإمام المحقق ابن القيم - رحمه اللَّه - ، فانظره في : « مختصر الصواعق المرسلة » (٢/٤١٠) .
(٢) نقله القاسمي في « قواعد التحديث » ص(٤٠٣) .

العلم وحَمَلَتُه ، إذا اخْتُلِفَ في حديث ، كان إليهم الرجوع ، فما حكموا به ، فهو المقبول المسموع ، ومنهم كل عالم فقيه ، وإمام رفيع نَبِيه ، وزاهد في قبيلة ، ومخصوص بفضيلة ، وقارئ متقن ، وخطيب محسن ، وهم الجمهور العظيم ، وسبيلهم السبيل المستقيم ، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر ، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا يتجاسر ، مَنْ كادهم قصمه اللَّه ، ومن عاندهم خذلهم اللَّه ، لا يضرهم من خذله ، ولا يفلح من اعتزلهم ، المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير ، وبصر الناظر إليهم بالسوء حسير ، وإن اللَّه على نصرهم لقدير »(١) .

وقال - أيضًا - رحمه اللَّه - : « فقد جعل رب العالمين الطائفة المنصورة حُرَّاسَ الدين ، وصرف عنهم كيد المعاندين ؛ لتمسكهم بالشرع المتين ، واقتفائهم آثار الصحابة والتابعين ، فشأنهم حفظ الآثار ، وقطع المفاوز والقفار ، وركوب البراريِّ والبحار ، في اقتباس ما شرع الرسول المصطفى ، لا يُعَرِّجُونَ عنه إلى رأي ولا هوى ، قبلوا شريعته قولًا وفعلًا ، وحَرَسوا سنته حفظًا ونقلًا ، حتى ثَبَّتُوا بذلك أصلها ، وكانوا أَحَقَّ بها وأهلَها ، وكم من مُلْحدٍ يروم أن يَخْلِط بالشريعة ما ليس منها ، واللَّه - تَعَالَى - يَذُبُّ بأصحاب الحديث عنها ، فهم الحُفَّاظُ لأركانها ، والقوامون بأمرها ، وشأنها ، إذا صُدِفَ عن الدفاع عنها ، فهم دونها يناضلون ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ »(٢) . اهـ .

السابع :

كل حديث صح إسناده إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - فالإيمان به واجب على كل مسلم ، وذلك من تحقيق الشهادة بأن محمدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - رسول اللَّه ، وقد قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : « أُمِرْتُ

---

(١) « شرف أصحاب الحديث » ص(٨- ١٠) .

(٢) « نفس المرجع » .

أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ ، إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[١] .

قال الإمام الشافعي - رحمه اللَّه - تَعَالَى - :

«إذا حدَّث الثقة عن الثقة إلى أن ينتهي إلى رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - فهو ثابت ، ولا يُتْرَكُ لرسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - حديثٌ أبدًا ، إلا حديثٌ وُجِد عن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - آخَرُ يُخَالِفُهُ»[٢] . اهـ .

وقال الإمام أحمد - رحمه اللَّه - تَعَالَى - :

«كل ما جاء عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - بإسناد جيد أقررنا به ، وإذا لم نقر بما جاء به الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، ودفعناه ، ورددناه ؛ رددنا على اللَّه أَمْرَهُ ، قال اللَّه - تَعَالَى - : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٣] [الحشر : ٧] .

وروى القاضي أبو الحسين في «طبقات الحنابلة» من طريق أبي بكر الآدمي المقري : حدثنا الفضل بن زياد القطَّان قال : سمعت أبا عبد اللَّه - يعني أحمد بن حنبل - يقول : «من رَدَّ حديثَ رسولِ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - فهو على شَفَا هَلَكَةٍ»[٤] .

وقال الإمام الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البربهاري - وهو من أعيان العلماء في آخر القرن الثالث وأول القرن الرابع من الهجرة - في كتابه «شرح

---

(١) البخاري (٣/٢١١) ، في أول الزكاة (١٢/٢٣٣) ، في استتابة المرتدين ، ومسلم (٢١١) في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللَّه ، والترمذي (٢٦١٠) في الإيمان ، الباب الأول ، والنسائي (٥/١٤) في الزكاة ، باب مانع الزكاة ، وأبو داود (٢٦٤٠) في الجهاد ، باب عَلَامَ يُقَاتَلُ المشركونَ ، من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - .

(٢) نقله في «الرد القويم على المجرم الأثيم» ص(٢ ، ٣) .

(٣) «نفس المصدر»

(٤) «مناقب الإمام أحمد» لأبي الفرج بن الجوزي ص(١٨٢) .

السنة» : «إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ، ولا يقبلها ، أو ينكر شيئًا من أخبار رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - فاتَّهِمْهُ على الإسلام ؛ فإنه رجل رديء القول والمذهب ، وإنما يطعن على رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وعلى أصحابه ؛ لأنا إنما عَرَفْنَا اللَّه ، وعَرَفْنَا رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وعَرَفْنَا القرآن ، وعَرَفْنَا الخير والشر ، والدنيا والآخرة : بالآثار»(١) . اهـ .

وقال البربهاري - أيضًا - : «وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ، أو يرد الآثار ، أو يريد غير الآثار ، فاتَّهِمْهُ على الإسلام ، ولا تشكَّ أنه صاحب هوًى مُبْتَدِع»(٢) . اهـ .

وذكر القاضي أبو الحسين في ترجمة إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا أنه قال : «ومن خالف الأخبار التي نقلها العدل عن العدل موصولة ، بلا قطع في سندها ، ولا جرح في ناقليها ، وتجرأ على ردها : فقد تهجم على رد الإسلام ؛ لأن الإسلام وأحكامه منقولة إلينا بمثل ما ذكرت»(٣) . اهـ .

وقال الموفَّق أبو محمد المقدسي في «لُمعة الاعتقاد» :

«ويجب الإيمان بكل ما أخبر به رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وصح به النقل عنه فيما شهدناه ، أو غاب عنا ، نعلم أنه حقٌّ وصدقٌ ، وسواء في ذلك ما عقلناه ، وجهلناه ، ولم نطلع على حقيقة معناه ؛ مثل حديث الإسراء والمعراج ، ومن ذلك أشراط الساعة ؛ مثل خروج الدجال ، ونزول عيسى ابن مريم - عليه السلام - ، فيقتله ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وأشباه ذلك مما صح به النقل»(٤) . اهـ .

---

(١) «شرح السنة» ص(٨٧) ، ط . دار السلف - الرياض - ١٤١٨هـ .

(٢) «نفسه» ص(١١٣) .

(٣) «طبقات الحنابلة» (٢/١٣٥) .

(٤) «لمعة الاعتقاد» ص(٢٠ ، ٢١) .

وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه اللَّه - تَعَالَى - : «والتحقيق أن كلام رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - حق، وليس أحد أعلمَ باللَّه من رسوله، ولا أنصحَ لأمته منه، ولا أفصحَ، ولا أحسنَ بيانًا منه، فإذا كان كذلك، كان المتحذلق، والمنكِر عليه، من أضل الناس، وأجهلهم، وأسوئهم أدبًا، بل يجب تأديبه وتعزيره، ويجب أن يُصانَ كلامُ رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - عن الظنون الباطلة، والاعتقادات الفاسدة»[١]. اهـ.

الثامن:

حول استعمال وصف «المهدي» بالمعنى اللغوي العام:

المهدي لغة اسم مفعول من «هُدِيَ» والهُدَى هو الرشاد، والدلالة كما في «الصِّحَاح»[٢]، وفي «لسان العرب»: «الهدى: ضد الضلال، وهو الرشاد، وفي الحديث: «سُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ»، المهدي: الذي قد هداه اللَّه إلى الحق، قد استُعْمِلَ في الأسماء، حتى صار كالأسماء الغالبة»[٣].

وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه -: قَالَ رسولُ اللَّه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -: «يُوشِكُ مَنْ عَاشَ مِنكُمْ أَنْ يَلْقَى عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ إِمَامًا مَهْدِيًّا، وَحَكَمًا عَدْلًا»[٤] الحديث.

وعن العرباض بن ساريةَ - رضي اللَّه عنه -: قال رسول اللَّه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ» الحديث[٥].

---

(١) نقله عنه الشيخ زكريا علي يوسف - رحمه اللَّه - في «مشكلات الأحاديث» ص(١٥٩، ١٦٠).

(٢) «الصَّحَاح»، للجوهري (٦/٢٥٣٣).

(٣) «لسان العرب» (١٥/٣٥٣، ٣٥٤).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» ط. وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، (١٥/١٨٧، ١٨٨) رقم (٩٣٢٣)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٤/١٢٦)، وأبو داود (٤/٢٠٠)، (٤٦٠٧)، والترمذي (٥/٤٤)، (٢٦٧٦)، وابن ماجه (١/١٦)، (٤٢: ٤٤)، والدارمي (١/٤٥)، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وصححه الضياء المقدسي، وغيره.

قال ابن الأثير : «المهديُّ : الذي قد هداه اللَّه إلى الحق ، ويريد بـ«الخلفاء المهديين» أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليًّا - رضي اللَّه عنهم - ، وإن كان عامًّا في كل من سار سيرتهم»[(١)] . اهـ .

وكان من دعاء النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - : «اللَّهُمَّ ، زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ ، واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»[(٢)] .

ودعا - صلى اللَّه عليه وسلم - لمعاوية - رضي اللَّه عنه - فقال : «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا ، وَاهْدِ بِهِ»[(٣)] ، وكذلك دعا - صلى اللَّه عليه وسلم - لجرير بن عبد اللَّه البجلي - رضي اللَّه عنه - : «اللَّهُمَّ ، ثَبِّتْهُ[(٤)] ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا»[(٥)] ، ودعا - صلى اللَّه عليه وسلم - لأبي سلمة - رضي اللَّه عنه - فقال : «اللَّهُمَّ ، اغْفِرْ لأَبي سَلَمَةَ ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ في المَهْدِيِّينَ ، وَاخْلُفْهُ في عَقِبِهِ في الغَابِرِينَ»[(٦)] الحديث .

وَمِن استعمالاته اللغوية قول حسان بن ثابت - رضي اللَّه عنه - يرثي رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - :

مَا بَالُ عَيْنِي لَا تَنامُ كَأَنَّمَا   كُحِلَتْ مَآقِيهَا بِكُحْلِ الأَرْمَدِ

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/٢٥٤) ، وقد كثر إطلاق وصف (المهدي) - عند المتأخرين - بمعناه اللغوي على من يدخل الإسلام من أهل الديانات الأخرى ، ومن أمثلة ذلك : محمد المهدي الحنفي الذي كان قبطيًّا اسمه هبة اللَّه ، وأسلم ، وقد أصبح من مشاهير العلماء بمصر ، وتولى مشيخة الأزهر من ١٨١٢ إلى ١٨١٥ ، ومحمد العباسي المهدي ، وقد أصبح شيخًا للأزهر ومفتيًا للديار المصرية قبيل الثورة العرابية ثم بعدها ، كما في : «المهدية في الإسلام» ص(٤٧) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/٢٦٤) ، والنسائي (٣/ ٥٤ ، ٥٥) ، وقال الألباني في «تحقيق المشكاة» (٢/ ٧٧٠) ، (٢٤٩٧) : «إسناده جيد» .

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤/٢١٦) ، والترمذي (٥/٦٨٧) ، وصحح إسناده الألباني في «تحقيق المشكاة» (٣/٢٨١) ، (٦٢٣٥) .

(٤) كان جرير - رضي اللَّه عنه - لا يثبت على الخيل ، فضرب رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - صدره ، ودعا له بهذا الدعاء .

(٥) أخرجه البخاري في الجهاد (٦/١٨٩) ، والمغازي (٨/٧٠) ، وابن ماجه (١/٥٦) ، والإمام أحمد (٤/٣٦٢، ٣٦٥) .

(٦) أخرجه مسلم (٢/٦٣٤) ، وأبو داود (٣/١٩١) ، والإمام أحمد (٦/٢٩٧) .

جَزَعًا عَلَى المَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِيًا . يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الحَصَى لا تَبْعَدِ[(١)]

وقال زهير بن القين يخاطب الحسين بن علي - رضي اللَّه عنهما - :

أَقْـدِمْ هُـدِيـتَ هَـادِيًـا مَـهْـدِيًّـا فَـالـيَـوْمَ تَـلْـقَـى جَـدَّكَ الـنَّـبِـيَّـا[(٢)]

التاسع :

مجمل عامٌّ لصفات المهدي ، كما جاءت في الأحاديث :

اسمه محمد بن عبداللَّه ، من أهل بيت النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، من ولد فاطمة - رضي اللَّه عنها - ، أجلى الجبهة ، أقنى الأنف ، يُصْلِحُهُ اللَّه في ليلة ، تُملأ الأرض قبل خلافته ظُلْمًا وجَوْرًا ، فيملؤها بعد خلافته قسطًا وعدلًا ، وذلك في آخر الزمان .

يملك سبع سنين ، يَسقيه اللَّه الغيثَ ، وتُخْرِجُ الأرضُ نباتها ، وتكثر الماشية ، وتعظم الأمة ، وتنعم في عهده نعمة لم تَنْعَمْها قطُّ ، يُعْطِي المالَ صَحاحًا ، ويَحثيه حَثْيًا ، لا يعده عدًّا .

ينزل عيسى ابن مريم فيصلي وراءه ؛ مما يستلزم أن يكون المهديُّ معاصرًا خروجَ الدجَّال ؛ لأن عيسى - عليه السلام - يقتله بعد نزوله من السماء .

قال العلامة يوسف بن يحيى المقدسي الشافعي السُّلَمِيُّ - رحمه اللَّه - في مدح «المهدي المنتظر» :

بِهِ لِـمَحَاسِـنِ الـشَّرْعِ انْـتِظَامُ بِـهِ لِـمَفاسِـدِ الـشِّرْكِ انْـصِرَامُ
وَمِـنْـهُ لِـمَـنْ يُـحَـالِـفُـهُ احْـتِـرَامُ وَمِـنْـهُ لِـمَـنْ يُـخَـالِـفُـهُ اخْـتِـرَامُ
تُـحَـلَّـى مِـنْ أَيَـادِيـهِ الـنَّـوَادِي وَيُـجْـلَى مِـنْ مَـحَاسِـنِـهِ الـظَّلَامُ
عَـلَـيْـهِ مُـجَـدَّدًا فـي كُـلِّ يَـوْمٍ مِـنَ الـلَّـهِ الـتَّـحِـيَّـةُ والـسَّـلَامُ[(٣)]

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/٦٦٩) .

(٢) «البداية والنهاية» (٨/١٨٤) ، وانظر مزيدًا من الشواهد اللغوية ص(١٥٦ ، ١٥٧ ، ٢٠٨) .

(٣) «عِقْدُ الدُّرر في أخبار المنتظر» ص(٦) .

البَابُ الأَوَّلُ

الْفَصْلُ الأَوَّلُ: بَعْضُ الأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي شَأْنِ المَهْدِيِّ

الْفَصْلُ الثَّانِي: اهْتِمَامُ العُلَمَاءِ بِأَحَادِيثِ المَهْدِيِّ

الْفَصْلُ الثَّالِثُ: نُصُوصُ أَهْلِ العِلْمِ فِي إِثْبَاتِ حَقِيقَةِ المَهْدِيِّ

الفَصْلُ الأَوَّلُ

بَعضُ الأَحَادِيثِ الوَارِدَةِ في شَأنِ المَهدِيِّ

- الْمَطْلَبُ الأَوَّلُ: جُمْلَةُ أَحَادِيثَ فِيهَا التَّصْرِيحُ بِلَقَبِ المَهْدِيِّ
- الْمَطْلَبُ الثَّانِي: ذِكْرُ أَحَادِيثَ فِيهَا صِفَةُ المَهْدِيِّ، وَبَعْضُ أَحْوَالِهِ
- الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: ذِكْرُ أَحَادِيثَ يُحْتَمَلُ كَوْنُهَا في شَأْنِ المَهْدِيِّ

المَطلَبُ الأَوَّلُ

جُملَةُ أَحَادِيثَ فِيهَا التَّصريحُ بِلَقَبِ المَهدِيِّ

الحَـدِيثُ الأَوَّلُ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ - رضي اللَّه عنه - : قَالَ رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «يَخرُجُ في آخِرِ أُمَّتِي المَهْدِيُّ، يَسْقِيهِ اللَّهُ الغَيْثَ، وتُخرِجُ الأَرْضُ نبَاتَهَا، ويُعْطِي المَالَ صَحَاحًا(١)، وتَكْثُرُ المَاشِيَةُ، وَتَعْظُمُ الأُمَّةُ، وَيَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا»(٢)؛ يعني حججًا.

الحَـدِيثُ الثَّانِـي:

قَالَ الإِمَامُ أَحمَدُ في مُسْنَدِهِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرٍ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ أَبي الصِّدِّيقِ النَّاجِي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ - رضي اللَّه عنه - : قَالَ رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «لَا تقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِئَ الأَرْضُ ظُلْمًا وعُدْوَانًا، قَالَ: ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي - أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي - ، يَمْلَؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا»(٣).

---

(١) صَحَاحًا - بالفتح - : بمعنى الصحيح، ويجوز أن يكون بالضَّمِ - أيضًا - ؛ كطُوال وطويل، كما في «النهاية» لابن الأثير (١٢/٣).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٥٥٧/٤، ٥٥٨) قال: «أخبرني أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي بمَرْوٍ: ثنا سعيد بن مسعود- والصواب: سعد بن مسعود المروزي- : ثنا النضر بن شميل، ثنا سليمان بن عبيد، وهو السلمي، ثنا أبو الصِّدِّيق الناجي، وهو بكر بن عمرو، عن أبي سعيد الخدري - رضي اللَّه عنه - به، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي»، وقال الألباني- رحمه اللَّه- : «وهذا سند صحيح، رجاله ثقات». اهـ. من «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٧١١).

(٣) رواه الإمام أحمد (٣٦/٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦١ب)، وابن حبان (١٨٨٠- موارد)، والحاكم (٥٥٧/٤)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه =

الحَدِيثُ الثَّالِثُ :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ - رضي اللَّه عنه - : قَالَ رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «المَهْدِيُّ مِنِّي[(١)] ، أَجْلَى الجَبْهَةِ[(٢)] ، أَقْنَى الأَنْفِ[(٣)] ، يَمْلَأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا ، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا ، وَيَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ»[(٤)] .

= الذهبي ، وأبو نُعيم في «الحلية» (١٠١/٣) ، ومحمد بن جعفر هو المعروف بغُنْدَر ، وهو ثقة ثبت ، روى له الجماعة كلهم ، ووثقه ابن معين ، وابن سعد ، والعجلي ، وابن حبان ، وغيرهم ، وقال الذهبي : «أحد الأثبات المتقنين ، لا سيما في شعبة» ؛ انظر : «التهذيب» (٩/٩٦- ٩٨) ، وأما عوف : فهو ابن أبي جميلة الأعرابي ، وهو ثقة ثبت ، روى له الجماعة كلهم ، ووثقه ابن معين ، وأحمد ، والنسائي ، وابن سعد ، وابن حبان ، وغيرهم ، وقال النسائي : «ثقة ثبت» ، وقال الذهبي : «ثقة مشهور» ، وانظر «التهذيب» (١٦٦/٨) ، وأما أبو الصِّدِّيق الناجي ، واسمه بكر بن عمرو ، وقيل : بكر بن قيس ، فهو ثقة روى له الجماعة كلهم ، ووثقه ابن معين ، وأبو زرعة ، والنسائي ، وابن حبان . وانظر : «التهذيب» (٤٨٦/١) .

وحكم الألباني بتواتره عن أبي الصِّدِّيق عن أبي سعيد الخدري في «السلسلة الصحيحة» (١٥٢٩) ص(٣٩) ، وحكى عن أبي نعيم قوله عَقِبَهُ : «مشهور من حديث أبي الصديق عن أبي سعيد» ، ثم قال : «فإنه بقوله : (مشهور) يشير إلى كثرة الطرق عن أبي الصِّدِّيق ، كما تقدم ، وأبو الصديق اسمه بكر بن عمرو ، وهو ثقة اتفاقًا ، مُحتَجٌّ به عند الشيخين ، وجميع المحدثين ، فمن ضَعَّفَ حديثَه هذا من المتأخرين ، فقد خالف سَبيل المؤمنين ، ولذلك لم يتمكن ابن خلدون من تضعيفه ، مع شَطَطِهِ في تضعيف أكثر أحاديث المهدي ، بل أقر الحاكم على تصحيحه لهذه الطريق ، والطريق الآتية ، فمن نسب إليه أنه ضعَّف كل أحاديث المهدي، فقد كذب عليه سهوًا أو عمدًا» . اهـ «من السلسلة الصحيحة» (١٥٢٩) ص(٤٠) ، وقد استبعد من غلظ حجابهم معنى هذا الحديث ، وقالوا : كيف يملأ الأرض عدلًا في سبع سنين ؟ وظنوا أن ذلك يقتضي تفضيله على النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وسيأتي - إن شاء اللَّه - جواب هذا الوهم ، فانظر ص(١٧٣- ١٧٥) .

(١) أي : من نسلي وذريتي .

(٢) جلاء الجبهة : هو انحسار مقدم الرأس من الشعر ، أو نصف الرأس ، أو هو دون الصَّلَع ، فمعنى «أجلى الجبهة» منحسر الشعر من مقدم رأسه ، أو واسع الجبهة .

(٣) أقنى الأنف : قال في «النهاية» (١١٦/٤) : «القنا في الأنف طوله ، ودقة أرنَبَتِهِ ، مع حَدَبٍ في وسطه يقال : رجل أقنى ، وامرأة قنواء» . اهـ .

قال القاري : «والمراد أنه لم يكن أفطس ؛ فإنه مكروه الهيئة» . اهـ . من «المرقاة» (١٨٠/٥) .

(٤) رواه أبو داود (١٠٧/٤) ، (٤٤٨٥) ، والحاكم في «المستدرك» (٥٥٧/٧) بنحوه ، ونُعَيْم بن حمَّاد من طرق في «كتاب الفتن» ، وقال في «تخريج السنن» : «وفيه عِمْران القَطَّان البصري ، استشهد به =

الحَدِيثُ الرَّابِعُ :

وعَنْهُ – رضي اللَّه عنه – قَالَ : خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ نَبِيِّنَا حَدَثٌ ؛ فَسَأَلْنَا نَبِيَّ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ – : فَقَالَ : «إنَّ في أُمَّتِي المَهْدِيَّ يَخْرُجُ ، يَعِيشُ خَمْسًا ، أوْ سَبْعًا ، أوْ تِسْعًا» – زَيْدٌ العَمِّيُّ الشَّاكُّ – قَالَ : قُلْنا : ومَا ذَاكَ ؟ قَالَ : «سِنينَ» ، قَالَ : «فَيَجِيءُ إِلَيْهِ الرَّجُلُ ، فَيَقُولُ : يَا مَهْدِيُّ ، أَعْطِنِي ، أَعْطِنِي» ، قَالَ : «فَيَحْثِي لَهُ في ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ»[١] .

الحَدِيثُ الخَامِسُ:

عَنْ عَلِيٍّ – رضي اللَّه عنه – : قَالَ رسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ – : «المَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ ، يُصْلِحُهُ اللَّهُ في لَيْلَةٍ»[٢] .

= البخاري ، ووثَّقه عفَّان بن مسلم ، وأحسن الثناء عليه يحيى القطان ، وضَعَّفَه ابن معين ، والنسائي» . اهـ (١٦١/٦) ، وفي «الخلاصة» : وقال أحمد : «أرجو أن يكون صالح الحديث» . اهـ . انظر : «عون المعبود» (٣٧٥/١١) .

وقال ابن القيِّم في «المنار المنيف» : «إسناده جيد» ص(٧٤) ، وأورده البغوي في «مصابيح السنة» في فصل الحِسان ، ورَمَزَ السيوطي في «الجامع الصغير» لصحته ، وقال الألباني في «تخريج المشكاة» : «إسناده حسن» (١٥٠١/٣) ، وكذا قال في «صحيح الجامع الصغير» (٢٢/٦) ، (٦٦١٢) .

وقوله : «يَمْلأُ الأَرْضَ» ؛ أي يملأ وجه الأرض جميعًا ، أو أرض العرب ، وما يتبعها ، والمراد أهلها» . اهـ . من «المرقاة» (١٧٩/٥) .

(١) رواه الترمذي (٢٢٣٣) في «الفتن» ، باب (٥٣) ، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢١ ، ٢٢) ، وابن ماجه (٥١٨/٢) ، وفي سنده زيد بن الحواري العمي ، وهو ضعيف ، وقال الترمذي : «هذا حديث حسن ، وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد الخدري – رضي اللَّه عنه –» ، وحسَّنَهُ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٨٢٠) بترقيمه ، وكذا في «صحيح ابن ماجه» (٤٠٨٣) ، وانظر : «المسند» ، للإمام أحمد (٣/ ٥ ، ٣٨ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٦٠ ، ٩٦ ، ٩٨) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٥١٩/٢) ، (٤١٥١) ، والإمام أحمد في «المسند» (٨٤/١) ، وابن أبي شيبة في «مصنفه» ؛ ونُعَيْم بن حماد في «الفتن» ، والبخاري في «التاريخ الكبير» ، وقال : «وفي إسناده نظر» ، وفيه ياسين العجلي ، ولم يورده في «الضعفاء الصغير» ، انظر «الفيض» (٢٧٨/٦) ، وذكره ابن أبي حاتم عن ابن معين وأبي زرعة أنهما قالا : «ليس به بأس» ، وعن ابن معين أنه قال : =

«وقوله : (يُصْلِحُهُ اللَّهُ في لَيْلَةٍ) يحتمل معنيين :

أحدهما : أن يكون المراد بذلك أن اللَّه يصلحه للخلافة ؛ أي يهيؤه لها .

والثاني : أن يكون متلبسًا ببعض النقائص ، فيصلحه اللَّه ، ويتوب عليه»[(١)] . اهـ .

وهذا المعنى هو الذي قرره الحافظ ابن كثير - رحمه اللَّه - ؛ حيث قال : «ومعنى قوله : (يُصْلِحُهُ اللَّهُ في لَيْلَةٍ) ؛ أي : يتوب عليه ، ويُوَفِّقُهُ ، ويلهمه رشده ، بعد أن لم يكن كذلك»[(٢)] . اهـ .

* وقال القاري في «المرقاة» :

«يُصْلِحُهُ اللَّهُ في لَيْلَةٍ» : أي يصلح أمره ، ويرفع قدره ، في ليلة واحدة ، أو في ساعة واحدة من الليل ؛ حيث يتفق على خلافته أهل الحل العقد فيها»[(٣)] . اهـ .

تَنبِيهٌ :

قدح بعض العصريين في هذا الحديث ؛ لاستبعاد معناه ، «وأي غرابة في معناه ، واللَّه على كل شيء قدير ، وهو الفَعَّال لما يريد ، ومن يَهْدِهِ اللَّه فهو المهتدِ ، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا ؟ !

ومن أوضح الأمثلة في ذلك ما حصل لمن هو أفضل من المهدي ، ومن سائر

= «صالح» ، ووثقه العجلي ، وابن حبان ، وبقية رجاله ثقات ، وانظر : «تهذيب التهذيب» (١١/ ١٧٢ ، ١٧٣) ، وقال في «التقريب» : «لا بأس به» (٢/٣٤١) ، وزاد الألباني في تخريجه : العقيلي ، وابن عدي ، وأبا نُعَيْم ، وأحال على «الروض النضير» (٢/٥٣) ، ورمز السيوطي لحسنه «فيض القدير» (٦/٢٧٨) ، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» (٦٤٥) ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦١١) ، و«السلسلة الصحيحة» (٢٣٧١) .

(١) «الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر» ص(٢٦٣) ، ط . ثانية .

(٢) «نهاية البداية والنهاية» (١/٤٣) .

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٥/١٨٠) .

الأمة سوى أبي بكر - رضي اللَّه عنه - ؛ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - ؛ فقد كان من أشد الناس على المسلمين ، ثم تحول بقدر اللَّه وتوفيقه ، فصارت شدته على أعداء الإسلام والمسلمين ، وأصبح ذلك الرجلَ العظيمَ الذي إذا سلك فجًّا سلك الشيطان فجًّا غيره ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - »(١) . اهـ .

الحَدِيثُ السَّادسُ:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رضي اللَّه عنها - قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - يقُولُ :

«المَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي(٢) ، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ - رضي اللَّه عنها - »(٣) .

---

(١) «الرد على من كَذَّب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي» ، لفضيلة الشيخ عبد المحسن العبَّاد ، ص(٧٩) .

(٢) قال الخطابي : «العترة : ولد الرجل لصلبه ، وقد يكون العترة الأقرباء ، وبني العمومة ، ومنه قول أبي بكر الصديق - رضي اللَّه عنه - يوم السقيفة : «نَحْنُ عِتْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ» . اهـ . من «معالم السنن» (٣١٧/٤) ، وقال في «النهاية» : «عترة الرجل أخص أقاربه ، وعترة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- بنو عبد المطلب ، وقيل : قريش ، والمشهور المعروف أنهم الذين حُرِّمت عليهم الزكاة» . اهـ . باختصار (١٧٧/٣) .

(٣) رواه أبو داود (١٠٧/٤) في كتاب المهدي (٤٢٨٤) ، وسكت عليه ، (وفيه زياد بن بيان ، قال ابن عدي : «زياد سمع علي بن نُفَيْلٍ جد النفيلي ، وفي إسناده نظر ، سمعت ابن حماد يذكره عن البخاري» ، وساق الحديث ، وقال : «والبخاري إنما أنكر من حديث زياد بن بيان هذا الحديث ، وهو معروف به» ، وقال غيره : «وهو كلام معروف من كلام سعيد بن المسيب ، والظاهر أن زياد بن بيان وهم في رفعه» ، كذا في «تخريج السنن» (١٦٠/٦)) . اهـ . من «أعذب الموارد في تخريج جمع الفوائد» (٧٣٣/٢) .

وقال الحافظ في زياد بن بيان : «صدوق عابد» . اهـ . من «التقريب» (٢٦٥/١) ، والحديث أورده البغوي في «مصابيح السنة» ، في فصل الحسان ، ورمز له السيوطي في «الجامع الصغير» بالصحة ، وقال العزيزي في «السراج المنير شرح الجامع الصغير» (٥٣٠/٤) : «إسناده حسن» ، وهو عند ابن ماجه بلفظ «المَهْدِيُّ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ» كتاب الفتن ، باب خروج المهدي (٥١٩/٢) ، (٤١٥٢) .

وكذا أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٥٥٧/٤) ، وسكت عليه هو والذهبي . =

الحَدِيثُ السَّابعُ :

قال الحافظ ابن قيم الجوزية - رحمه اللَّه - تعالَى - [١] :

(وقَالَ الحَارِثُ بنُ أَبي أُسَامَةَ[٢] في مُسْنَدِهِ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بنُ عَبْدِ الكَرِيمِ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بنُ عَقِيلٍ عَنْ أَبيهِ ، عَنْ وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ ، عَنْ جَابرٍ - رضي اللَّه عنه - قَالَ : قَالَ رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «يَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ ، فيَقُولُ أَمِيرُهُمُ المَهْدِيُّ : «تَعَالَ ، صَلِّ بِنَا» ، فيَقُولُ : «لَا ؛ إِنَّ بَعْضَهُمْ أَمِيرُ بَعْضٍ ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ»[٣] ، وهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ)[٤] .

= وأخرجه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٩٩ ، ١٠٠) ، وكذا العقيلي (١٣٠ ، ٣٠٠) ، ذكره الألباني ، ثم قال : «وهذا سند جيد ، رجاله كلهم ثقات ، وله شواهد كثيرة» . اهـ . «من سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١٠٨/١) ، وانظر : «نقد المنقول» ص(٧٦) ، و«كتاب المجروحين» لابن حبان (٣٠٧/١) ، و«فيض القدير» (٢٧٧/٦ ، ٢٧٨) ، و«مشكاة المصابيح» (٣/ ٢) ، و«صحيح الجامع الصغير» (٢٢/٦) ، (٦٦١٠) .

(١) «المنار المنيف» ص(١٤٧ ، ١٤٨) بتحقيق أبي غدة .

(٢) انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (٦١٩/٢) .

(٣) وأخرجه أبو نُعَيم في «أخبار المهدي» ، ذكره السيوطي في «العرف الوري» ، «الحاوي» (٢/ ١٣٤) .

(٤) بالرجوع إلى ما قاله أهل هذا الفن في سند الحديث ، نجد أن هذا السند متصل من أوله إلى آخره ، لا انقطاع فيه ، ورواته ثقات :

فإسماعيل بن عبد الكريم قال عنه الحافظ في «التقريب» : «صدوق من التاسعة» (٧٢/١) ، وذكر في «التهذيب» أنه روى عن عمه إبراهيم بن عقيل كما هو الحال في هذا الحديث (٣١٥/١) ، وذكر أنه روى عن إسماعيل المذكور جماعة ؛ منهم أحمد بن حنبل ، والحارث بن أبي أسامة ، وقال الحافظ في «التهذيب» - أيضًا - : (قال النسائي : «ليس به بأس» ، وذكره ابن حبان في «الثقات» ، وقال ابن معين : «ثقة رجل صدق») ، وقال الحافظ : وأما قول ابن القَطَّان الفاسي : «لا يُعْرَف» فمردود عليه ، وقال مسلمة بن قاسم : «جائز الحديث» ، ولم يزد في «خلاصة تذهيب الكمال» ، عن قول ابن معين فيه : «ثقة صدوق» ، وقال : قال ابن سعد : «توفي سنة عشر ومئتين» ، وهو من رجال أبي داود في «سننه» ، وابن ماجه في «التفسير» ، كما رمز الحافظ لذلك في «تقريب التهذيب» .

وأما إبراهيم بن عَقِيل بن مَعْقِل الصنعاني ، فهو ابن عم إسماعيل المتقدم ذكره ، قال الحافظ في «التقريب» (٤٠/١) : «صدوق من الثامنة» ، ورمز لكونه من رجال أبي داود ، وقال في «تهذيب =

....

= التهذيب» (١٤٦/١) : (روى عن أبيه ، وعن أحمد بن حنبل ، وابن عمه إسماعيل بن عبد الكريم وغيرهم ، قال ابن معين : «لم يكن به بأس» ، وقال العجلي : «ثقة») ، وقال الحافظ : «قلت : وأخرج له ابن خزيمة ، في «صحيحه» ، وكذا ابن حبان ، والحاكم ، وذكر ابن أبي خيثمة عن يحيى بن معين قال : «إبراهيم ثقة ، وأبوه ثقة» ، وقال ابن حبان في «الثقات» : «إنه يروي عن عم أبيه وهب بن منبه»» . اهـ (١٤٦/١) .

وأما عقيل بن معقل بن منبه ، فقال الحافظ في «التقريب» : «هو ابن أخي وهب» ، وقال : «صدوق من السابعة» (٢٩/٢) ، ورمز لكونه من رجال أبي داود ، وذكر في «تهذيب التهذيب» أنه روى عن عميه : همام ، ووهب ، وعنه ابنه إبراهيم ، وأناس آخرون سَمَّاهُم ، وذكر أنه وَثَّقَهُ أحمد بن حنبل ، وابن معين ، وقال : (وذكره ابن حبان في «الثقات» ، وعَلَّقَ له البخاري عن جابر في تفسير سورة النساء أثرًا في الكُهَّان ، وقد جاء موصولًا من رواية عقيل هذا عن وهب بن منبه عن جابر) . اهـ (٧/ ٢٥٥) ، ولم يَزِدْ في «الخلاصة» عن قوله : (عقيل بن معقل بن مُنَبِّه اليماني عن عميه : همام ، ووهب ، وعنه ابنه إبراهيم ، وعبد الرزاق ، قال أحمد : «ثِقَةٌ ، قرأ التوراة والإنجيل») . اهـ .

وأما وهب بن مُنَبِّه بن كامل اليماني : فقال عنه في «التقريب» : «ثقة من الثالثة» ، ورمز لكونه من رجال الصحيحين ، وأبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه في «التفسير» (٣٣٩/٢) .

وقال في «تهذيب التهذيب» : «روى عن أبي هريرة ، وأبي سعيد ، وابن عَبَّاس ، وابن عمر ، وابن عمرو ابن العاص ، وجابر ، وأنس ، وعمرو بن شعيب ، وأبي خليفة البصري ، وأخيه هَمَّام بن مُنَبِّه وغيرهم» ، وذكر أنه روى عنه ابناه عبد اللَّه وعبد الرحمن وأبناء أخيه عبد الصمد ، وعقيل بن معقل بن منبه» ، وقال : «قال عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه : كان من أبناء فارس ، وقال العجلي : تابعي ثقة ، وكان على قضاء صنعاء ، وقال أبو زرعة ، والنسائي : «ثقة» ، وذكره ابن حبان في «الثقات»» . اهـ . (١٦٧/١١) .

وقال الحافظ - أيضًا - في «التهذيب» : «روى له البخاري حديثًا واحدًا من روايته عن أخيه عن أبي هريرة : «لَيْسَ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا مِنِّي ، إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ ، وَلَا أَكْتُبُ» ، وقال : قلت : وقال عمرو بن علي الفلاس : «كان ضعيفًا» . اهـ . (١٦٨/١١) .

وقد قال ابن معين : «لم يسمع وهب عن جابر شيئًا» كما في «تهذيب التهذيب» (٣١٦/١) ، لكن قال المزي : «وقد روى ابن خزيمة في صحيحه عن إسماعيل بن عبد الكريم عن إبراهيم بن عقيل ، عن وهب قال : هذا ما سألت جابر بن عبد اللَّه» ، فذكر حديثًا ، قال : فهذا إسناد صحيح ، وفيه رد على من قال : إنه لم يَسْمَعْ من جابر» . اهـ . من «تهذيب التهذيب» (٣١٦/١) ، وانظر : «فتح الباري» (٢٥٢/٨) ، وأما الحارث بن أبي أسامة صاحب المسند ، فقد ترجم له الذهبي في «الميزان» ، وقال فيه : (وكان حافظًا عارفًا بالحديث ، عالي الإسناد بالمرة ، تُكُلِّم فيه بلا حجة ، قال الدارقطني : «قد اختُلِفَ فيه ، وهو عندي صدوق» ، وقال ابن حزم : «ضعيف ، ولَيَّنه بعض البغاددة لكونه يأخذ =

وعَنْ مُحَمَّدِ بنِ سِيرِينَ قَالَ : «المَهْدِيُّ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ ، وهُوَ الذِي يَؤُمُّ عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ»(١) .

❁ ❁ ❁

= على الرواية») . اهـ (٤٢٢/١) ، وترجم له الذهبي - أيضًا - في «تذكرة الحفاظ» ، وسمى جماعة روى عنهم ، وجماعة رووا عنه ، ثم قال : (وَثَّقَهُ إبراهيم الحربي مع علمه بأنه يأخذ الدراهم ، وأبو حاتم ، وابن حبان ، وقال الدارقطني : «صدوق ، وأما أخذ الدارهم على الرواية ، فقد كان فقيرًا كثير البنات» ، وقال أبو الفتح الأزدي وابن حزم : «ضعيف») . اهـ .

وقال ابن العماد في «شذرات الذهب» : «وفيها - أي في سنة ٢٨٢هـ - الحافظ أبو محمد الحرث بن محمد بن أبي أسامة التميمي البغدادي صاحب المسند يوم عرفة ، وله ست وتسعون سنة ، سمع عليَّ ابن عاصم ، وعبد الوهاب بن عطاء ، وطبقتهما ، قال الدارقطني : «صدوق» ، وقيل : فيه لين ، كان لفقره يأخذ على الحديث أجرًا» . اهـ . (١٧٨/٢) .

(١) عزاه د . عبد العليم البستوي إلى ابن أبي شيبة في «مصنفه» ، ونعيم بن حماد في «الفتن» ، وقال : «إسناده صحيح ، رجاله كلهم ثقات» . اهـ . من «المهدي المنتظر» ص(٢٢٠) .

المَطلَبُ الثَّانِي

ذِكرُ أَحَادِيثَ فِيهَا صِفَةُ المَهدِيِّ ، وَبَعضُ أَحوَالِهِ

الحَدِيثُ الثَّامِن:

عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ ، لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ اليَومَ حتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي - أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي ، واسْمُ أَبيهِ اسمَ أَبِي»[1] ، زاد في حديث فِطْر :

«يَمْلَأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا ، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا» . وفي رواية للترمذي : «لَا تَذْهَبُ - أَوْ : لَا تَنْقَضِي - الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ العَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»[2] .

---

(١) فيكون اسمه «محمد بن عبد الله» ، وفيه رد على الشيعة الذين يقولون : إنه محمد بن الحسن العسكري ، ومعنى «يَبعث» : يُظهِر .

(٢) رواه أبو داود (٤٢٨٢) في المهدي ، والترمذي (٢٢٣١) ، (٢٢٣٢) في الفتن ، باب ما جاء في المهدي ، وقال الترمذي : «هذا حديث حسن صحيح» . والحديث سكت عنه أبو داود ، والمنذري ، وكذا ابن القيم في «تهذيب السنن» ، وأشار إلى صحته في «المنار المنيف» ص(٨٤) ، وصَحَّحَهُ شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة النبوية» (٢٥٤/٨) ، وأورده البغوي في «مصابيح السنة» في فصل الحسان ، وحَسَّن إسناده الألباني في «تخريج أحاديث المشكاة» (٢٤/٣) (٥٤٥٢) ، وانظر : «عون المعبود» (٣٧٢/١١) ، و«تحفة الأحوذي» (٤٨٦/٦) ، و«فيض القدير» (٣٣٢/٥) .

ومدار الحديث على عاصم بن أبي النجود ، وحاصل الكلام فيه أنه ثقة على رأي أحمد ، وأبي زرعة ، وحَسَنُ الحديث صالحٌ للاحتجاج على رأي غيرهما ، ولم يكن فيه إلا سوء الحفظ ، وقال الحاكم في «المستدرك» (٥٥٧/٤) : «وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة ؛ إذ عاصم من أئمة المسلمين» . اهـ . وهو أحد القُرَّاء السبعة ، قال فيه الحافظ ابن حجر : «صدوق من السادسة ؛ أي ليس له من الحديث إلا القليل ، ولم يثبت فيه ما يُتْرَكُ حديثه لأجله» . اهـ . من «التقريب» (١/ ٤) ، قال في «عون المعبود» : «فرد الحديث بعاصم ليس من دأب المنصفين ، على أن الحديث قد جاء من غير طريق عاصم - أيضًا - ، فارتفعت عن عاصم مظنة الوهم ، والله أعلم» . اهـ . =

الحَدِيثُ التَّاسِــعُ:

قَالَ الإمامُ أَحْمَدُ : حدَّثَنَا سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ : حدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ زِرٍّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رضي اللَّه عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَلِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»(١) .

الحَدِيثُ العَاشِرُ:

والحديث رواه الإمام أحمد عن علي - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا بلفظ :

= (٣٧٢/١١) . وأفاد نحوه العلامة أحمد شاكر - رحمه اللَّه - في تعليقه على «المسند» (١٩٦/٥ ، ١٩٨) ، ورد على كلام ابن خلدون في حديث عبد اللَّه لأجل عاصم بن أبي النجود ، فَرَاجِعْهُ ، وقال المباركفوري : «لا شك أن حديث عبد اللَّه بن مسعود الذي رواه الترمذي في هذا الباب لا ينحط عن درجة الحسن ، وله شواهد كثيرة من بين حِسَانٍ وضِعَافٍ ، فحديث عبد اللَّه بن مسعود هذا مع شواهده وتوابعه صالح للاحتجاج بلا مرية» . اهـ . من «تحفة الأحوذي» (٦/ ٤٨٥ ، ٤٨٦) .

وقوله - صلى اللَّه عليه وسلم - : «حتى يملك العربَ» : قال القاري : (أي ومن تبعهم من أهل الإسلام ، فإن من أسلم فهو عربي . . . وقال الطيبي - رحمه اللَّه - : «لم يذكر العجم ، وهو مراد - أيضًا - ؛ لأنه إذا ملك العرب ، واتفقت كلمتهم ، وكانوا يدًا واحدة ، قهروا سائر الأمم ، ويؤيده حديث أم سلمة . . .» . اهـ .

ويمكن أن يُقَالَ : ذكر العرب لغلبتهم في زمنه ، أو لكونهم أشرف ، أو هو من باب الاكتفاء ، ومراده : العرب والعجم ؛ كقوله - تعَالَى - : ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ ؛ أي : والبرد ، والأظهر أنه اقتصر على ذكر العرب لأنهم كلَّهم يطيعونه ، بخلاف العجم ، بمعنى ضد العرب ؛ فإنه قد يقع منهم خلاف في طاعته ، واللَّه - تعَالَى - أعلم) . اهـ . من «مرقاة المفاتيح» (١٧٩/٥) .

(١) رواه - أيضًا - عن يحيى بن سعيد بن سفيان الثوري : حدثني عاصم ، فذكره ، ورواه - أيضًا - عن عمر بن عُبَيْد الطنافسي عن عاصم ، انظر «المسند» (٣٧٦/١) ، «وهذه أسانيد صحيحة رجالها كلهم من رجال الصحيحين» ، انظر : «الاحتجاج بالأثر» ص(١٣٢ ، ١٣٣) ، وعاصم ثقة أخرج له البخاري ومسلم مقرونًا بغيره ، ولو كان غير موثوق به عندهما لما أخرجا له شيئًا ، وروى له بقية الجماعة كما قدمنا .

والحديث صحَّحه العلامة أحمد شاكر - رحمه اللَّه - في «تحقيق المسند» (١٩٦/٥) ، (٣٥٧١) ، والحديث رواه الإمام أحمد عن عبد اللَّه - أيضًا - بلفظ : «لَا تَنْقَضِي الأَيَّامُ ، وَلَا يَذْهَبُ الدَّهْرُ حَتَّى يَمْلِكَ . . .» الحديث في «المسند» (٣٧٦/١ ، ٤٤٨) .

وصححه العلَّامة أحمد شاكر في «تحقيق المسند» (١٩٩/٥) ، (٣٦٧٢) .

«لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يومٌ ، لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَؤُهَا عَدْلًا ، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا »[1] ، وفي لفظ : «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنيَا إِلَّا يَوْمٌ ، لَبَعَثَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - رجُلًا مِنَّا ، يَمْلَؤُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا » .

❁ ❁ ❁

(١) «المسند» (٩٩/١)، وأبو داود (١٠٧/٥)، (٤٢٨٣)، وسكت عنه هو والمنذري، ورمز له السيوطي بالحسن كما في «الجامع الصغير» ، وقال شمس الحق : «سنده حسن قوي» . انظر «عون المعبود» (١١/ ٣٧٢، ٣٧٣)، و«فيض القدير» (٣٣١/٥)، و«الاحتجاج بالأثر» للتويجري، ص(١٤، ١٥)، (١٣٤- ١٣٦)، وصحح إسناديه العلَّامة أحمد شاكر في «تحقيق المسند» (٢/ ١١٧، ٧٣٣)، وصحَّحه العلَّامة الألباني في «صحيح الجامع» (٧١/٥)، (٥١٨١) .

المَطلَبُ الثَّالِثُ

ذِكرُ أَحَادِيثَ يُحتَمَلُ كَونُهَا فِي شَأنِ المَهدِيِّ

الحَدِيثُ الحَادِي عَشَرَ:

عَنِ الجَرِيرِيِّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنهما - فَقَالَ: «يُوشِكُ أَهْلُ العِرَاقِ أَنْ لا يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ[1] وَلَا دِرْهَمٌ»، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: «مِنْ قِبَلِ العَجَمِ؛ يَمْنَعُونَ ذَلِكَ»، ثُمَّ قَالَ: «يُوشِكُ أَهْلُ الشَّامِ أَنْ لا يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ ولَا مُدْيٌ»[2]، قُلْتُ: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: «مِنْ قِبَلِ الرُّومِ»، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيَّةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: «يَكونُ في آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ[3] يَحْثِي المَالَ حَثْيًا، لَا يَعُدُّهُ عَدًّا»، قَالَ: قُلْتُ لأَبِي نَضْرَةَ، وأَبِي العَلَاءِ: «أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ بنُ عَبْدِالعَزِيزِ[4]؟ فَقَالا: لَا»[5].

وفي لفظ لمسلم من حديث أبي سعيد وجابر - رضي اللَّه عنهما - أن النبي -

---

(١) القَفِيز: مكيال لأهل العراق ثمانية مكاكيك، والمَكُّوك: مكيال قديم يختلف مقداره باختلاف اصطلاح الناس عليه في البلاد، قيل: يسع صاعًا ونصفًا.

(٢) المُدْي: مكيال لأهل الشام يسع خمسة وأربعين رِطلًا.

(٣) قال صاحب «التاج الجامع للأصول»: «هذا هو المهدي - رضي اللَّه عنه - بدليل الحديث الآتي - يعني حديث أبي سعيد الذي تقدم ذكره ص(٣٥) - وذلك لكثرة الغنائم والفتوحات مع سخاء نفسه، وبذله الخير لكل الناس». اهـ. من «التاج» (٣٤٢/٥).

(٤) وصح عن مطر قال: «بلغنا أن المهدي يصنع شيئًا لم يصنعه عمر بن عبد العزيز، قلنا: ما هو؟ قال: يأتيه رجل فيسأله، فيقول: «ادخل بيت المال فخذ»، فيدخل فيأخذ، فيخرج، فيرى الناس شِبَاعًا، فيندم، فيرجع إليه فيقول: «خذ ما أعطيتني»، فيأبى، ويقول: «إنا نُعْطي، ولا نأخذ» أخرجه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (١٠٦٤/٥)، (٥٨٥)، ومطر من أتباع التابعين».

(٥) أخرجه - من طرق عدة - مسلم في «صحيحه» (٢٩١٣)، في الفتن: باب لَا تَقُومُ السَّاعةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، والإمام أحمد في «المسند» (٣٨/٣، ٣١٧، ٣٣٣)، وقد حمله الهيثمي على المهدي كما في «المجمع» (٣١٦/٧)، والسيوطي كما في «الحاوي» (١٣١/٢).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قال: «يَكُونُ خَلِيفَةٌ مِنْ خُلَفَائِكُمْ في آخرِ الزَّمانِ، يَحْثُو المَالَ، ولا يَعُدُّهُ»، وفي رواية: «يُعْطِي النَّاسَ بِغَيْرِ عَدَدٍ[(١)] ».

الحديثُ الثَّاني عَشَرَ:

عن عائشة أم المؤمنين - رضي اللَّه عنها - قالت: «عَبِثَ[(٢)] رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - في مَنَامِهِ، فقُلْنَا: «يَا رسولَ اللَّهِ، صَنَعْتَ شَيْئًا في مَنَامِكَ لَمْ تكُنْ تَفْعَلُهُ»، فَقَالَ: «العَجَبُ أَنَّ نَاسًا مِن أُمَّتِي يَؤُمُّونَ[(٣)] البَيْتَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ لَجَأَ بِالبَيْتِ، حَتَّى إِذَا كانوا بِالبَيْدَاءِ[(٤)] خُسِفَ بِهِمْ»، فقُلْنَا: «يا رسولَ اللَّهِ، إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ»، قَالَ: «نَعَمْ، فِيهِمُ المُسْتَبْصِرُ[(٥)]، والمَجْبُورُ[(٦)]، وابنُ السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلِكًا وَاحِدًا، ويَصْدُرونَ مَصَادِرَ شَتَّى[(٧)]، يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»[(٨)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩١٣)، و(٢٩١٤) في السابق، قال صِدِّيق حسن خان بعد ذكر رواية أبي سعيد وجابر: «ولكن لم يقع في هذين الحديثين - أيضًا - ذكر المهدي، ولا دليل يقوم على أنه المراد منهما، واللَّه أعلم». اهـ. من «الإذاعة» ص(١٢٢).

وعلق الألباني على الحديث قائلًا: «وهو المهدي المبشر بخروجه بين يدي نزول عيسى - عليه الصلاة والسلام -، ويصلي عيسى - عليه الصلاة والسلام - خلفه». اهـ. من «صحيح الجامع» (٢١٧/٥).

(٢) عَبِث: بكسر الباء، أي تحرك جسمه الشريف، أو بعضه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، وقيلَ: حَرَّكَ أطرافه كمن يأخذ شيئًا، أو يدفعه. انظر «شرح النووي» (٦/١٨، ٧).

(٣) يؤم البيت: يقصده.

(٤) البيداء: المفازة، وهي الأرض الواسعة القفر، وفي رواية: «ببيداء المدينة»، وفي رواية أبي يَعْلَى عن أم سلمة - رضي اللَّه عنها -: «بِالْبَيْدَاءِ مِنْ ذِي الحُلَيْفَةِ»، والبيداء أرض واسعة ملساء بين مكة والمدينة، وهي معروفة بالقرب من ذي الحُلَيْفَة.

(٥) المستبصر: المستبين للأمر، القاصد له.

(٦) المجبور: المكره المقهور.

(٧) «المصادر: المراجع، ورد ثم صدر؛ أي: جاء ثم رَجَعَ، شتى: متفرقة، والمقصود أن مهلك هذا الجيش مهلك واحد يُخْسَفُ بهم جميعًا، إلا أنهم يَصْدُرون عن الهلكة مصادر متفرقة، فواحد إلى الجنة، وآخر إلى النار، على قدر أعمالهم ونياتهم». اهـ. من «جامع الأصول» (٢٧٩/٣).

وانظر: «فتح الباري» (٣٤٠/٤- ٣٤١).

(٨) رواه البخاري (٣٣٨/٤- فتح) في البيوت: باب ما ذُكِرَ في الأسواق، ومسلم، واللفظ له =

الحـدِيثُ الثَّالثَ عَشَرَ:

عن عبيد اللَّه بن القِبطية قال: (دَخَلَ الحَارِثُ بنُ أَبِي رَبيعَةَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ صَفْوانَ، وَأَنَا مَعْهُما، عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ المُؤمِنِينَ - رضي اللَّه عنها - فَسَأَلَاهَا عَنِ الجَيْشِ الذي يُخْسَفُ بِهِ - وكَانَ ذَلكَ في أَيَّامِ ابنِ الزُّبَيرِ -، فَقَالَتْ: قَالَ رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -: «يَعُوذُ عَائِذٌ[1] بِالبَيْتِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ»[2]، فَقُلْتُ: «يَا رسولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ بِمَنْ كانَ كَارِهًا»[3]، قال: «يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، ولكنَّهُ يُبْعَثُ يَومَ القيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ»[4])[5].

وفي رواية زهير عن عبدالعزيز بن رُفَيع قال: فَلَقِيتُ أَبَا جَعْفَرٍ، فَقُلْتُ: إِنَّهَا إِنَّما قَالَتْ: «بِبَيْدَاءَ مِنَ الأرضِ»، فَقَالَ أَبو جَعْفَرٍ: «كَلَّا واللَّهِ، إِنَّهَا لَبَيْدَاءُ المدينَةِ».

قال الطيبي: «وهو المهدي؛ بدليل إيراد أبي داود هذا الحديث في باب المهدي»[6]. اهـ.

= (٤/٢٢١٠)، (٢٢٨٤) في الفتن: باب الخَسْف بالجيش الذي يؤم البيت، والإمام أحمد (٦/٢٥٩).

(١) العائذ: اللاجئ إلى الشيء المحتمي به، الممتنع على من يطلبه.

(٢) أخرج نُعَيْمٌ عن عمرو بن العاص - رضي اللَّه عنه - قال: «علامة خروج المهدي إذا خُسِف بجيش في البيداء»، قال القرطبي: «هذا الجيش الذي يُخْسَفُ به هو خارج لمكة لقتال المهدي». اهـ. من «مختصر التذكرة» للقرطبي ص(١٤٢).

(٣) كارهًا: أي غير راضٍ بما قصدوا.

(٤) فيجازى على حسبها.

(٥) رواه مسلم (٢٨٨٢) في الفتن، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، والترمذي (١٢٧٢) وقال: «حسن غريب من هذا الوجه» في الفتن، باب (١٠)، وأبو داود مختصرًا في كتاب المهدي من سننه، والحاكم في «المستدرك» (٤/٤٢٩ - ٤٣٠)، وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٥/٤٤)، (١٩٠٦٦).

(٦) انظر: «عون المعبود» (١١/٣٨٠)، «تحفة الأحوذي» (٦/٤١٧)، وقال في «التاج الجامع للأصول»: «رواه الأربعة في كتاب الفتن، إلا أبا داود، فإنه رواه في كتاب المهدي جزمًا منه بأن الجيش الذي يُخْسَفُ به هو الذي يأتي لقتال المهدي». =

وذهب ابن حجر الهيتمي إلى أن «ذلك العائذ هو المهدي ، وأن تلك البيداء الحُليْفَة»[(١)] . اهـ . والحق أنه لا يمكن الجزم بذلك نفيًا ولا إثباتًا ؛ لعدم الدليل الصريح ، والعلم عند اللَّه - تَعَالَى - .

الحَدِيثُ الرَّابِعَ عَشَرَ :

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ صَفْوَانَ عنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ - رضي اللَّه عنها - أَنَّ رسولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : «سَيَعُوذُ بِهَذَا البَيْتِ - يَعْنِي الكَعْبَةَ - قَوْمٌ ، لَيْسَتْ لَهُمْ مَنْعَةٌ[(٢)] ، ولَا عَدَدٌ ، ولَا عُدَّةٌ ، يُبْعَثُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ ، حَتَّى إِذَا كانوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ»[(٣)] .

وفي رواية عنه عن أم المؤمنين حفصة - رضي اللَّه عنها - أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قال : «لَيَؤُمَّنَّ هذا البيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ ، حَتَّى إِذا كانوا بِبَيْداءَ مِنَ الأرضِ يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ ، ويُنَادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ ، ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ ، فَلا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الذي يُخْبِرُ عَنْهُمْ»[(٤)] ، فقَالَ رَجُلٌ : «أَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ

= انظر «التاج» (٣٤١/٥) ، وأخرج ابن حبَّان في صحيحه عن أم سلمة قصة الخسف بالجيش ، وترجم له بقوله : «ذكر الخبر المُصَرِّحْ بأن القوم الذين يُخسف بهم إنما هُمُ القاصدون إلى المهدي في زوال الأمر عنه» ، «الإحسان» (١٥٦/١٥) (٦٧٥٦) ، وانظر «فتح الباري» (٣٤١/٤) ، (٤٦١/٣) .

(١) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٢٠٤/١) .

(٢) مَنَعَة : فلان في عِزٍّ ومَنْعة : أي قوة تمنع من يريدهم بسوء ، وقد تُفْتَحُ النون ، وقيل : هي بالفتح جمعُ مانع ؛ مثل كافر وكفَرة ، انظر : «النهاية» (٣٦٥/٤) .

(٣) رواه مسلم برقم (٢٨٨٣) ، في الفتن : باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت ، وفي رواية أن عبد اللَّه بن صفوان قال : «أما واللَّه ما هو بهذا الجيش» ، يعني الآتي من الشام إلى مكة لقتال عبد اللَّه بن الزبير - رضي اللَّه عنهما - .

قال في «التاج» : «حقًّا ليس هو هذا الجيش ؛ لأنه لم يخسف به ، وما سمعنا بجيش خسف به للآن ، ولو وقع لاشْتُهِرَ أمره كأصحاب الفيل» . اهـ .

(٤) رواه الإمام أحمد (٢٨٦/٦) ، ومسلم (٥/١٨- نووي) ، والنسائي (٢٠٧/٥) ، في الحج : باب حرمة الحرم ؛ وابن ماجه في الفتن : باب جيش البيداء (٥٠٣/٢) ، (١٤٦٨) ، وانظر : «فيض القدير» (٣٤٨/٥) ، (٧٥٣٨) ، و«شرح النووي» (١٨/ ٥ ، ٦) .

لَمْ تَكْذِبْ عَلَى حَفْصَةَ، وأَشْهَدُ على حَفْصَةَ أَنَّها لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -».

الحَدِيثُ الخَامِسَ عَشَرَ:

عَنْ صَفِيَّةَ أُمِّ المُؤمِنِينَ - رضي اللَّه عنها - قَالَتْ: قَالَ رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -: «لَا يَنْتَهِي النَّاسُ عن غَزْوِ هذَا البيْتِ حتى يغْزُوَهُ جَيْشٌ، حَتَّى إذا كانوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأرضِ، خُسِفَ بِأَوَّلِهم وآخِرِهِمْ، ولَمْ يَنْجُ أَوْسَطُهُمْ»، قالتْ: قُلتُ: «يا رسولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ المُكْرَهَ مِنْهُم؟»، قَالَ: «يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ عَلَى مَا في أَنْفُسِهِمْ»(١).

الحديثُ السَّادسَ عَشَرَ:

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي اللَّه عنه - قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -: «يُبَايَعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ والمقَام، ولَنْ يَسْتَحِلَّ البَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلا يُسْأَلُ عَنْ هَلَكَةِ العَرَبِ، ثُمَّ يَأْتِي الحَبَشَةُ، فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لا يَعْمُرُ بَعدَهُ أَبَدًا(٢)، وَهُمُ الذينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ»(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/٣٣٧)، والترمذي في الفتن (٢١٨٤)، وقال: «حسن صحيح»، وابن أبي شيبة في «المصنف»، كتاب الفتن (١٩٠٧١)، (١٥/٤٦)، ومن طريق ابن ماجه في «الفتن»، باب جيش البيداء، (٤١٣٠)، (٢/٥٠٤).

(٢) قال الحافظ في «الفتح»: وللفاكهاني من طريق مجاهد نحوه، وزاد: «قال مجاهد: فلما هدم ابن الزبير الكعبة، جئت أنظر إليه هل أرى الصفة التي قال عبد اللَّه بن عمرو، فلم أرها». اهـ. من «فتح الباري» (٣/٤٦١)، وجاء في «صحيح البخاري»: باب هدم الكعبة «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»؛ أي رجل من الحبشة له ساقان دقيقتان.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/٢٣٨)، وأبو داود الطيالسي (٢٣٧٣)، وابن حبان في «صحيحه» كما في «الإحسان» (١٥/٢٣٩)، (٦٨٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/٤٥٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/٥٢)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، ورجاله ثقات». اهـ. من «المجمع» (٣/٢٩٨)، وسكت عليه الحافظ في «الفتح» (٣/٤٦١)، وقال أحمد شاكر في «تحقيق المسند»: «إسناده صحيح» (١٥/٢٤٥)، (٨٠٩٩)، وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة»: «وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين، غير سعيد بن سمعان، وهو ثقة». اهـ. (٢/١١٩)، (٥٧٩).

تَنبيهانِ:

الأول: قال البستوي: (والحديث ليس صريحًا في ذكر المهدي، ولكن ذكره ابن حبان في «ذكر الموضع الذي يُبَايَعُ فيه المهدي»، وذكره الهيثمي في «باب المهدي»، والساعاتي في «ترتيب الطيالسي»: باب ما جاء في بيعة المهدي، وخراب الكعبة آخرَ الزمان.

قُلْتُ: وفي هذا نظرٌ عندي؛ لأن الحديث لم يُذكَرْ فيه أيُّ صفةٍ للمهدي، بل فيه ذكرٌ لرجلٍ ما يُبَايَعُ له بين الركن والمقام، ثم يُشِيرُ الحديث إلى استحلال البيت الحرام، وفتنةٍ تقع بين المسلمين بعد ذلك، حتى تجيء الحبشة، فتخرب الكعبة، والمعروف أن عصر المهدي، ثم عصر المسيح، يتميزان بالقسط والعدل والرخاء والأمن، والله أعلم»[1]. اهـ.

الثاني: قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»:

«قد يقال: إن هذا الحديث يخالف قوله - تَعَالَى -: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾، ولأن الله حبس عن مكة الفيل، ولم يُمَكِّنْ أصحابه من تخريب الكعبة، ولم تكن إذ ذاك قِبْلَةً؛ فكيف يُسَلطُ عليها الحبشة بعد أن صارت قبلةً للمسلمين؟

أُجِيبَ: بأن ذلك محمول على أنه يقع في آخر الزمان، قرب قيام الساعة؛ حيث لا يبقى في الأرض أحد يقول: «الله، الله»، كما ثبت في صحيح مسلم: «لَا تَقومُ السَّاعةُ حَتَّى لَا يُقَالَ في الأَرْضِ: اللَّهُ، اللَّهُ»؛ ولهذا وقع في رواية سعيد بن سمعان: «لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا»، وقد وقع قبل ذلك فيه من القتال، وغزو أهل الشام له في زمن يزيد بن معاوية، ثم من بعده في وقائع كثيرة؛ من أعظمها وقعة القرامطة بعد الثلاث مئة، فقتلوا من المسلمين في المطاف من لا يُحْصَى

---

(١) «المهدي المنتظر» ص(٢٩٦).

كثرةً، وقلعوا الحجر الأسود[١]، فحولوه إلى بلادهم، ثم أعادوه بعد مدة طويلة، ثم غُزِيَ مرارًا بعد ذلك، وكل ذلك لا يعارض قوله - تعَالَى -: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾؛ لأن ذلك إنما وقع بأيدي المسلمين، فهو مطابق لقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -: «وَلَنْ يَسْتَحِلَّ هَذا البَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ»، فوقع كما أخبر به النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - وهو من علامات نُبُوَّتِهِ، وليس في الآية ما يدل على استمرار الأمن المذكور فيها، واللَّه أعلم»[٢]. اهـ.

الحَدِيثُ السَّابعَ عَشَرَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي اللَّه عنه -: قَالَ رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -: «لَا تَقومُ السَّاعةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ المَدِينَةِ[٣]، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ:

---

(١) «وقيل: إن الذي اقتلعه صاح: «يا حَمِيرُ، أنتم قلتم: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، فأين الأمن؟» قال رجل: «فاستسلمت، وقلت: (إن اللَّه أراد: ومن دخله فأمِّنوه)، فلوى فرسه، وما كلَّمني». اهـ. من «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٣٢١، ٣٢٢).
وهذا هو الراجح: أن الأمان وتحريم القتل ونحوهما ثبت في الحرم الشريف بالشرع لا بالقدر، فصورة الآية خبر، ومعناها أمر، تقديرها: ومن دخله فأمِّنوه؛ كقوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾؛ أي: لا ترفثوا، ولا تفسقوا، ولا تجادلوا، وانظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٢/ ٤٠٧)، (٤/ ١٤٠).

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٤٦١، ٤٦٢)، وقال ابن الجوزي: «وإن قيل: ما السر في حراسة الكعبة من الفيل، ولم تُحرَس في الإسلام مما صنع بها الحجاج والقرامطة، وذو السويقتين؟ فالجواب: أن حبس الفيل كان من أعلام النبوة لسيدنا رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، ودلائل رسالته لتأكُّد الحجة عليهم بالأدلة التي شُوهِدَتْ بالبصر قبل الأدلة التي بالبصائر، وكان حكم الحبس - أيضًا - دلالة على وجود الناصر». اهـ. نقله عنه محمد بن إبراهيم الشيباني في «خراب الكعبة» (٣٢، ٣٣)، ولم يعزه.

(٣) هناك جملة من الآثار الضعيفة، لو صحت لَفَسَّرت ما أُجمِلَ هنا في حديث مسلم؛ حيث بَيَّنَتْ أن المهدي يكون على رأس هذا الجيش، وعيَّنت هذه الآثار قائد الجيش، ووصفته بأنه من عِتْرَةِ رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، يواطئ اسمه إسمه، ومن هذه الآثار: =

«خلُّوا بَيْنَنَا وبيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ» ، فَيَقُولُ المُسْلِمُونَ : «لا واللَّهِ ، لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وبَيْنَ إِخْوَانِنَا» ، فَيُقَاتِلُونَهُمْ ، فَيُهْزَمُ ثُلُثٌ[١] لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أبدًا ، ويُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ - أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ[٢] - ، وَيَفْتَحُ الثُّلُثُ ، لا يُفْتَنُونَ أَبَدًا ، فَيَفْتَحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الغَنَائِمَ ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ : «إِنَّ المَسِيحَ[٣] قَدْ خَلَفَكُمْ في أَهْلِيكُمْ» ، فَيَخْرُجُونَ - وذَلِكَ بَاطِلٌ - ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلاةُ ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا السَّلامُ - ، فَأَمَّهُمْ[٤] ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ في المَاءِ ، فَلَوْ تَرَكَهُ لانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ ، وَلكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ[٥] ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ[٦] في حَرْبَتِهِ»[٧] .

= أ - عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «يَجِيسُ الرُّومُ عَلَى وَالٍ مِنْ عِتْرَتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي ، فَيَقْتَتِلُونَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ : «الْعِمَاقُ» ، فَيَقْتَتِلُونَ ، فَيُقْتَلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الثُّلُثُ ، أو نحوُ ذلك ، ثُم يَقْتَتِلُونَ اليومَ الآخَرَ ، فَيُقْتَلُ مِن المُسلمين الثُّلُثُ ، أو نحوُ ذَلِكَ ، ثُم يَقْتَتِلُونَ اليومَ الثالثَ ، فَيَكِرُّونَ عَلَى أَهْلِ الرُّوم ، فَلَا يَزَالُونَ حَتَّى يَفْتَتِحُونَ القُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ فِيهَا بِالأَتْرَاسِ ، إِذْ أَتَاهُمْ صَارِخٌ أَنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَكُمْ في ذَرَارِيكُمْ» ، وأخرجه الخطيب في «المتفق والمفترق» نقلًا عن «الحاوي» (١٣٨/٢) ، وعنه أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قال : «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ ، لَطَوَّلَهُ اللَّهُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي جَبَلَ الدَّيْلَمِ وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةَ» . رواه ابن ماجه (٩٢٨/٢) ، (٢٧٧٩) ، وإسناده ضعيف ، انظر : «السلسلة الضعيفة» (٥٠/٥) ، «فيض القدير» (٥/ ٣٣٢) ، «نقد المنقول» ص(٨٧) ، و«الموسوعة» للبستوي ص(٢٤٠) .

ب - وعن علي - رضي اللَّه عنه - قال : «لَا يَخْرُجُ المَهْدِيُّ حَتَّى يُقْتَلَ ثُلُثٌ ، ويَمُوتَ ثُلُثٌ ، وَيَبْقَى ثُلُثٌ» ، «الحاوي» (٦٨/٢) ، قال البستوي في «الموسوعة» : «إسناده ضعيف جدًّا» ص(١٤١) .

(١) أي : من المسلمين .

(٢) لصبرهم حتى استُشْهِدوا .

(٣) يعني المسيح الدجَّال .

(٤) فأمَّهم : أي قصدهم ، وتَوَجَّهَ إليهم .

(٥) أي بيد عيسى - عليه السلام - .

(٦) أي فيُظهِر عيسى - عليه السلام - للناس دمَ الدجال في حربته ؛ ليتحققوا من هلاكه .

(٧) رواه مسلم (١٨/ ٢١ ، ٢٢- نووي) ، واللفظ له ، والحاكم ، وقال : «على شرط مسلم» ، وأقره الذهبي في «المستدرك» (٤٨٢/٤) .

الحَدِيثُ الثَّامِنَ عَشَــرَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي اللَّه عنه -: قَالَ رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ[1]، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟»[2]. وفي رِوَايَةٍ: «وَأَمَّكُمْ»[3].

وفي رواية: «فَأَمَّكُمْ»، وفي أخرى: «فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ»، قال ابن أبي ذئب: تدري ما «أَمَّكُمْ مِنْكُمْ»؟ قلت: تُخْبِرُنِي، قال: فأمَّكم بكتاب ربكم - عَزَّ وَجَلَّ -، وسنة نبيكم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - »[4].

غير أن هناك رواياتٍ صحيحةً لا تُعَارِضُ تفسير ابن أبي ذئب، لكنها تفيد أن عيسى - عليه السلام - يصلي أولَ نزوله مأمومًا:

الحَـدِيثُ التَّاسِعَ عَشَـرَ:

منها: ما رواه جابر بن عبداللَّه - رضي اللَّه عنهما - قال: سَمِعْتُ

(١) قال المناوي - رحمه اللَّه - في «فيض القدير»: «وهذا - أي قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -: «كيف أنتُم» . . . إلخ، استفهام عن حال من يكونون أحياء عند نزول عيسى: كيف يكونون سرورهم بلقاء هذا النبي الكريم؟ وكيف يكون فخر هذه الأمة، وعيسى روح اللَّه يصلي وراء إمامهم؟ وذلك لا يلزم انفصال عيسى من الرسالة؛ لأن جميع الرسل بُعِثُوا بالدعاء إلى التوحيد، والأمر بالعبادة والعدل، والنهي عما خالف ذلك من جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأعصار في المصالح من حيث إن كل واحدة منها حق بالإضافة إلى زمانها، مراعًى فيه صلاح من خوطب به، فإذا نَزَلَ المتقدم في أيام المتأخر نَزَلَ على وفقه؛ ولذلك قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -: «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا لَمَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي»؛ تنبيهًا على أن اتباعه لا ينافي الإيمان به، بل يوجبه». اهـ. (٥/٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦/٤٩١- فتح)، ومسلم في «صحيحه» (٢٤٤)، (١/١٣٦)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٧٢، ٣٣٦)، وابن حبان «الإحسان» (١٥/٢١٣)، (٦٨٠٢).

(٣) رواه مسلم (٢٤٥)، (١/١٣٦).

(٤) وقال أبو ذر الهروي: حدثنا الجوزقي عن بعض المتقدمين قال: معنى «وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ»؛ يعني أنه يَحْكُمُ بالقرآن لا بالإنجيل، وقال ابن التين: معنى قوله: «وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ» أن الشريعة المحمدية متصلة إلى يوم القيامة، وأن في كل قرن طائفة من أهل العلم». اهـ. نقلًا من «الاحتجاج بالأثر» للتويجري، ص(٢١).

رسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - يقُولُ : «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ ، ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ[(١)] : «تَعَالَ ، صَلِّ لَنَا » ، فَيَقُولُ : « لا ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هذهِ الأُمَّةَ»[(٢)] .

وعند الإمام أحمد من حديث جابر - رضي اللَّه عنه - أيضًا - :

« . . . فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ ، فَتُقَامُ الصَّلاةُ ، فَيُقَالُ لَهُ : «تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللَّهِ» ، فَيَقُولُ : «لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ ، فَلْيُصَلِّ بِكُمْ»[(٣)] .

قال العلامة محمد بن حبيب اللَّه الشنقيطي - رحمه اللَّه - : «لم يُعَين الإمام هنا باسمه ، بل أطْلقَ ، وورد مُقَيَّدًا بأنه المهدي في أحاديث أُخَرَ ؛ منها :

ما أخرجه أبو نُعَيْم عن أبي سعيد ، والحارث بن أبي أسامة في مسنده ، عن جابر ، أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قال : (يَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ المَهْدِيُّ : «تَعَالَ ، صَلِّ بِنَا » ، فَيَقُولُ : « لا ؛ إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمِيرٌ ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هذهِ الأُمَّةَ »)[(٤)] .

قال ابن القَيِّم بعد ذكره حديثَ الحارث : «وهذا إسناد جيد»[(٥)] ، ومنها ما أخرجه ابن ماجه ، والروياني ، وابن خزيمة ، وأبو عوانة ، والحاكم ، وأبو نُعَيْم ،

---

(١) قال في «التاج» : «أميرهم هو المهدي حينئذاك» . اهـ (٣٤٤/٥) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٤٥، ٣٨٤) ، ومسلم في «صحيحه» (١/ ١٣٧ ، ١٥٦) ، وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٥٩/٤) ، رقم (٢٠٧٨) ، بلفظ : «لَا تَزَالُ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ ، حَتَّى يَنْزِلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، فَيَقُولُ إمامُهم : «تَقَدَّمْ» ، فيقولُ : «أَنْتَ أَحَقُّ ، بَعْضُكُمْ أُمَرَاءُ عَلَى بَعْضٍ ، أَمْرٌ أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ هَذِهِ الأُمَّةَ» .

(٣) «المسند» (٣٦٨/٣) ، وقد أورد الشيخ صِدِّيق حسن خان - رحمه اللَّه - تَعَالَى - في «الإذاعة» جملة كبيرة من أحاديث المهدي ، جعل آخرها حديث جابر المذكور عند مسلم ، ثم قال عقبه : «وليس فيه ذكر المهدي ، ولكن لا محمل له ولأمثاله من الأحاديث إلا على المهدي المنتظر ، كما دلت على ذلك الأخبار المتقدمة ، والآثار الكثيرة» . اهـ . ص(١٤٤) .

(٤) تقدم تحقيقه في الحديث السابع ص(٤٢) .

(٥) «نقد المنقول» ص(١٤٨) .

واللفظ له، عن أبي أمامة - رضي اللَّه عنه - قال: «خَطَبَنَا رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، وذكَرَ الدَّجَّالَ، وقَالَ: «فَتَنْفِي المَدِينَةُ الخَبَثَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، ويُدْعَى ذَلِكَ اليَوْمُ يَوْمَ الخَلاصِ»، قَالَتْ أُمُّ شُرَيْكٍ: «فَأَيْنَ العَرَبُ، يَا رسولَ اللَّهِ يومَئِذٍ؟» قَالَ: «هُمْ يَوْمَئِذٍ قَليلٌ، وَجُلُّهُمْ بِبَيْتِ المَقْدِسِ، وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمْ الصُّبْحَ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذلِكَ الإِمَامُ يَنْكُصُ، يَمْشِي القَهْقَرَى؛ لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ يقولُ لَهُ: «تَقَدَّمْ، فَصَلِّ؛ فإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ»، فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ»[(١)].

وقد بين لفيف من أئمة العلم والهدى أنه يجب حمل اللفظ المُطْلَقِ الوارد في الصحيحين على المُقَيَّدِ خارجهما، على حد قول ابن القيم في «الكافية الشافية»:

فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ والتَّمْيِيزِ فَالْـ ـإِطْلاقُ والإِجْمَالُ دونَ بَيَانِ
قَدْ أَفْسَدَا هَذا الوُجودَ وخَبَّطَا الـ ـأَذْهَانَ والآرَاءَ كُلَّ زَمَانِ

وهاك بعضَ نصوصهم:

قال الإمام أبو الحسن الأبدي[(٢)] في «مناقب الشافعي»: «تواترت الأخبار بأن المهديَّ من هذه الأمة، وأن عيسى يصلي خلفه»[(٣)].

وقال الحافظ في «الفتح»: «قال ابن الجوزي: لو تقدم عيسى إمامًا لوقع في النفس إشكال، ولقيل: أتراه نائبًا أو مبتدئًا شرعًا؛ فيصلي مأمومًا لئلا

---

(١) «فتح المنعم» (١/ ٣٢٩، ٣٣٠)، بنحوه، وسَكَتَ عنه الحافظ في «الفتح» (٦/ ٤٩٣- ط. السلفية)، وأورده الألباني بطوله في «ضعيف سنن ابن ماجه» ص(٣٢٩- ٣٣٣)، وقال: «ضعيف».

(٢) كذا في «فتح الباري» (٦/ ٤٩٣، ط. السلفية)، والصواب: «أبو الحسن محمد بن الحسين الآبري السِّجستاني»، كما في «طبقات الحُفَّاظ»، للذهبي، ص(٣٨٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٢٩٩).

(٣) انظر حاشية رقم (١) ص(٨٣).

يتدنَّس بغبار الشبهة»[١].

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه اللَّه -: «وأظن ظهوره يكون قبل نزول عيسى ابن مريم، كما دلت على ذلك الأحاديث»[٢]. اهـ.

وقد أشار الحافظ في «الفتح»، إلى أن خروج المهدي قبل نزول عيسى - عليه السلام -[٣].

وقال الحافظ السيوطي - رحمه اللَّه -: «إن صلاة عيسى عليه السلام - خلف المهدي ثابتة في عدة أحاديث صحيحة؛ بإخبار رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، وهو الصادق المصدوق»[٤].

وقد بين العلامة محمد أنور الكشميري - رحمه اللَّه - تَعالَى - في «فيض الباري بشرح صحيح البخاري»[٥] أن الراجح أن الإمام يكون هو المهدي.

وإليه ذهب - أيضًا - ابن حجر الهيتمي[٦]، والمناوي[٧].

وقال البرزنجي: «ومن العلامات التي يُعْرَفُ بها المهدي أن يجتمع بعيسى ابن مريم - عليه السلام -، ويصلي عيسى خلفه»[٨].

وقال صِدِّيق حسن خان: «ليس فيه ذكر المهدي، ولكن لا محل له، ولأمثاله من الأحاديث إلا المهدي المنتظر، لما دلت على ذلك الأخبار المتقدمة، والآثار الكثيرة». اهـ[٩].

---

(١) «فتح الباري» (٦/٤٩٤).
(٢) «نهاية البداية والنهاية» (١/٣٧).
(٣) «فتح الباري» (١٣/٨١).
(٤) «نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان»، للحافظ السيوطي، ص(٥٦).
(٥) «فيض الباري» (٤/٤٥- ٤٨).
(٦) «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» ص(٣٤).
(٧) «فيض القدير» (٥/٣٠١)، (٦/١٧)، (٦/٢٧٩).
(٨) «الإشاعة» ص(٩١).
(٩) «الإذاعة» ص(١٤٤).

وقال الشيخ محمد حبيب اللَّه الشنقيطي - رحمه اللَّه - : «فيُحمل المطلق ، وهو حديث الصحيحين على المقيَّد كما هو الأصل المعلوم عند الأصوليين ، قال في «مراقي السعود» :

وَحَمْلُ مُطْلَقٍ عَلَى ذَاكَ وَجَبْ   إِنْ فِيهِمَا اتَّحَدَ حُكْمٌ وَسَبَبْ

أي وجب حمل المطلق على ذلك المقيد إن اتحد الحكم والسبب فيهما»[١] . اهـ .

وقال الألباني - رحمه اللَّه - تعليقًا على حديث جابر - رضي اللَّه عنه - : «هو المهدي محمد بن عبداللَّه - عليه السلام - ، كما تظاهرت بذلك الأحاديث بأسانيد بعضها صحيح ، وبعضها حسن» . اهـ[٢] .

فائـدة : قال الحافظ ابن حجر - رحمه اللَّه - تَعَالَى :

«وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة - مع كونه في آخر الزمان ، وقرب قيام الساعة - دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم للَّه بحجة ، واللَّه أعلم»[٣] . اهـ .

رَدُّ شُبْهَةٍ، ودَفْعُ إِشْكَالٍ:

أنكر بعضهم ما ورد من أن عيسى - عليه السلام - إذا نزل يصلي خلف المهدي صلاة الصبح ، وصَنَّف في ذلك كتابًا ، وقال في توجيه ذلك :

«إن النبي - عليه السلام - أَجَلُّ مقامًا من أن يصلي خلف غَيْرِ نَبِيٍّ» .

وجواب هذا من أوجه :

(الأول) : أن صلاة عيسى خلف المهدي ثابتة في عدة أحاديث بإخبار رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق

(١) «فتح المنعم حاشية على زاد المسلم» (١/٣٣٠) .
(٢) «مختصر صحيح مسلم للمنذري» ص(٣٠٩) .
(٣) «فتح الباري» (٦/٤٩٤) .

عن الهوى ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ، وقد تقدم ذكرها .

(الثاني) : أن الحكمة من ذلك - كما نقلنا عن ابن الجوزي آنفًا - أن لا يتدنس عيسى - عليه السلام - بغبار الشبهة ؛ إذ لو تقدم عيسى إمامًا لوقع في النفس إشكال ، ولقيل : أتراه نائبًا ، أو مبتدئًا شرعًا ؟

(الثالث) : «لا شك أن عيسى أكمل من المهدي ؛ لأنه نبي اللَّه»[(١)] ، إلا أن الثابت شرعًا جواز إمامة المفضول للفاضلِ ؛ وهذا رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وهو من أجل الأنبياء مَقامًا ، وأرفعهم درجة - قد صلى في غزوة تبوك خلف عبدالرحمن ابن عوف - رضي اللَّه عنه - ؛ ففي حديث المغيرة بن شعبة - رضي اللَّه عنه - قال : «فَأَقْبَلْتُ معَهُ حتى نَجِدَ النَّاسَ قدْ قَدَّموا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ قَدْ صَلَّى لَهُمْ ، فَأَدْرَكَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ مَعَهُ ، وصَلَّى مَعَ النَّاسِ الرَّكْعَةَ الآخِرَةَ ، فَلَمَّا سَلَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَامَ رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وأَتَمَّ صَلَاتَهُ ، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ المُسْلِمينَ ، وأَكْثَرُوا التَّسْبِيحَ ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- صَلاتَهُ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قال : «أَحْسَنْتُمْ» ، أو قَالَ : «أَصَبْتُمْ» ، يَغْبِطُهُمْ أَنْ صَلَّوا الصَّلاةَ لِوَقْتِهَا»[(٢)] .

وعن أنس - رضي اللَّه عنه - قال : «آخِرُ صَلاةٍ صَلَّاها رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- مَعَ القَومِ ، صَلَّى في ثَوْبٍ واحدٍ مُتَوَشِّحًا خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ»[(٣)] .

---

(١) نقل هذه العبارة في «الإذاعة» ص(١٣٥) ، عن الشوكاني في «التوضيح» .

(٢) رواه الشافعي في «مسنده» (١/٢٨، ٢٩، ٣٢) ، ومسلم (٢٧٤) ، (١/٣١٧) في الصلاة : باب تقديم الجماعة من يُصَلِّي بهم إذا تَأَخَّر الإمام ، ولم يخافوا مفسدةً بالتقديم .

(٣) رواه النسائي (٢/٧٩) ، في الإمامة ، باب صلاة الإمام خلف رجل من رعيته ، والترمذي (٣٦٣) في الصلاة ، باب «إذا صَلَّى الإمام قاعدًا ، فَصَلُّوا قعودًا» ، وفي روايته : «صَلَّى في مرضه خلف أبي بكر قاعدًا في ثوب ، مُتَوَشِّحًا به» ؛ أي ملتحفًا به .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : «صَلَّى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ ، في مَرَضِهِ الذي مَاتَ فِيهِ ، قَاعِدًا »[١] .

وفي الباب عن جابر ، وسهل بن سعد ، وأبي موسى - رضي اللَّه عنهم - .

وجزم بعض العلماء بأن عيسى يقتدي بالمهدي أولًا ؛ لِيُظْهِرَ أنه نَزَلَ تابعًا لنبينا ، حاكمًا بشرعه ، ثم بعد ذلك يقتدي المهديُّ به[٢] ، على أصل القاعدة من اقتداء المفضول بالفاضل ؛ وممن ذهب إلى ذلك السعد التفتازاني ، والمُناوي ، والكشميري ؛ حيث قال : «المراد به - أي : حديث جابر - أنه لا يؤم في تلك الصلاة حتى لا يُتَوَهَّمَ أن الأمة المحمدية سُلِبَتِ الولاية ؛ فبعد تقرير ذلك ، في أول مرة يكون الإمام هو عيسى - عليه السلام - ؛ لكونه أفضل من المهدي ؛ فالجواب الأصلي لأمير المسلمين هو قوله : «لا ؛ فإنها لك أقيمت» ، كما عند ابن ماجه وغيره عن أبي أمامة[٣] ، وبعد أن كانت أُقِيمَتْ له لو تقدم عيسى - عليه السلام - أوهم عزل الأمير ، بخلاف ما بعد ذلك ، وهذا كإشارة نبينا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - لأبي بكر - رضي اللَّه عنه - ، بعد ما كان شرع في الصلاة ، أن لا يتأخر ؛ يعني : أي في هذه الصلاة ؛ لأنها لك أقيمت ، ثم ذكر قوله : «تَكْرِمَةَ اللَّهِ هذهِ الأُمَّةَ» ؛ لفائدة زائدة ؛ وهي أن الأمة على ولايتها ، وعيسى - عليه السلام - أيضًا - حينئذ منهم ، لا التعليل لعدم إمامته حتى يُتَوَهَّمَ استمرار عدمها»[٤] . اهـ .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٦٢) (٢/١٩٦) في الصلاة ، باب ما جاء «إذا صَلَّى الإمام قاعدًا ، فصلوا قعودًا» ، وقال الترمذي : «حديث حسن صحيح غريب» .

(٢) ويمكن أن يُسْتَدَلَّ على هذا برواية «وأَمَّكم» ؛ أي فيما بعد .

(٣) راجع ص(٥٨) .

(٤) من «عقيدة الإسلام» للشيخ محمد أنور شاه الكشميري ، كما نقله عنه الشيخ عبد المحسن العباد في «الرد على من كَذَّب بالأحاديث الواردة في المهدي» ص(٢٠٨) .

فَائِـدَةٌ: الْمَسِيحُ - عليـه السـلام - نَبِـيٌّ وَصَحَـابِـيٌّ:

(ثبت أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - اجتمع بعيسى - عليه السلام - ليلة الإسراء، وهو اجتماع حقيقي؛ لأن الإسراء كان بالجسد والروح، كما هو مذهب طوائف الفقهاء، والمتكلمين، والمفسرين، والمحدثين؛ قال الحافظ في «الفتح»: «وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة؛ فلا ينبغي العدول عن ذلك؛ إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحْتَاجَ إلى تأويل». اهـ. وعلى هذا يكون عيسى - عليه السلام - صحابيًّا؛ لانطباق تعريف الصحابي عليه؛ ولذا ذكره الذهبي في الصحابة؛ فقال في «التجريد»: «عيسى ابن مريم نبِيٌّ وصحابي؛ فإنه رأى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، فهو آخر الصحابة موتًا». اهـ.

وكذا قال الحافظ العراقي في «نكته» على ابن الصلاح، والحافظ ابن حجر في «الإصابة»، والحافظ السيوطي في «التهذيب»، وفي «الإعلام بحكم عيسى - عليه السلام -»، وألغز فيه التاج ابن السبكي بقوله:

مَنْ بِاتِّفَاقِ جَميعِ الخَلْقِ أَفْضَلُ مِنْ   خَيْرِ الصِّحَابِ أَبِي بَكْرٍ ومِنْ عُمَرِ
وَمِنْ عَلِيٍّ ومِنْ عُثْمَانَ وهْوَ فَتًى   مِنْ أُمَّةِ المُصْطَفَى المُخْتَارِ مِنْ مُضَرِ

قال العلامة أبو عبدالله محمد الطالب بن الحاج في حاشيته على «شرح المرشد المعين»:

وجوابه:

ذَاكَ ابْنُ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ حَيْثُ رَأَى   نَبِيَّنَا المُصْطَفَى في أَحْسَنِ الصُّوَرِ
فَوْقَ السَّمَاوَاتِ لَيْلًا عِنْدَمَا اجْتَمَعَا   كَذَاكَ عِنْدَ طِرَابِ البَيْتِ والحَجَرِ)[1] اهـ

❁ ❁ ❁

(١) «عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى - عليه السلام -»، للغماري، ص(٤٤).

الفَصْلُ الثَّانِي

اهتِمَامُ العُلَمَاءِ بِأَحَادِيثِ المَهدِيِّ

المَطْلَبُ الأَوَّلُ سَرْدُ أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ – رضي الله عنهم – الَّذينَ رَوَوْا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ– أَحَادِيثَ المَهْدِيِّ

المَطْلَبُ الثَّانِي أَسْمَـاءُ الأَئمَّـةِ الَّذينَ خرَّجُـوا الأَحَادِيثَ والآثَارَ الوَارِدَةَ في المَهْدِيِّ في كُتُبِهِمْ

المَطْلَبُ الثَّالِثُ ذِكْرُ العُلَمَاءِ الَّذِينَ احْتَجُّوا بِأَحَادِيثِ المَهْدِيِّ

المَطْلَبُ الرَّابعُ عُلَمَاءُ أَفْرَدُوا أَحَادِيثَ المَهْدِيِّ بِالتَّصْنِيفِ

المَطلَبُ الأَوَّلُ

سَرْدُ أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ - رضي اللَّه عنهم - الَّذينَ رَوَوْا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَادِيثَ المَهْدِيِّ[1]

١- عثمان بن عفان .
٢- علي بن أبي طالب .
٣- طلحة بن عبيد اللَّه .
٤- عبدالرحمن بن عوف .
٥- الحسين بن علي .
٦- أم سلمة .
٧- أم حبيبة .
٨- عبداللَّه بن عباس .
٩- عبداللَّه بن مسعود .
١٠- عبداللَّه بن عمر بن الخطاب .
١١- عبداللَّه بن عمرو بن العاص .
١٢- أبو سعيد الخدري .
١٣- جابر بن عبداللَّه الأنصاري .
١٤- أبو هريرة .
١٥- أنس بن مالك .
١٦- عمار بن ياسر .
١٧- عوف بن مالك .
١٨- ثوبان مولى رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- .
١٩- قرة بن إياس .
٢٠- علي الهلالي .
٢١- حُذَيْفَةُ بن اليمان .
٢٢- عبداللَّه بن الحارث بن جَزْء الزبيدي .
٢٣- عمران بن حصين .
٢٤- أبو الطفيل .
٢٥- جابر بن ماجد الصدفي .
٢٦- أبو أيوب الأنصاري .
٢٧- أبو أمامة الباهلي .
٢٨- العباس بن عبدالمطلب .
٢٩- تميم الداري .
٣٠- أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر .
٣١- عمرو بن مرة الجهني .

رضي اللَّه عنهم وعن سائر الصحابة أجمعين .

---

(١) وقد استقرأها الشيخ العباد في «رده» ، ص(١٦٦) ، والغماري في «المهدي المُنْتَظَر» ص(٧- ٨) ، وسردها بطولها من ص(٩- ٣٢) ، وفيها الصحيح ، والحسن ، والضعيف ، كما هو معلوم .

المَطلَبُ الثَّانِي

أَسمَاءُ الأَئمَّةِ الَّذينَ خرَّجُوا الأَحَادِيثَ والآثَارَ الوَارِدَةَ في المَهدِيِّ في كُتُبِهِمْ[١]

١- أبو داود في «سننه».
٢- الترمذي في «جامعه».
٣- ابن ماجه في «سننه».
٤- النسائي[٢].
٥- أحمد في «مسنده».
٦- ابن حبان في «صحيحه».
٧- الحاكم في «المستدرك».
٨- أبو بكر بن أبي شيبة في «المصنف».
٩- نعيم بن حماد في «كتاب الفتن» وكتابه هذا أوسع مرجع قديم في أحاديث المهدي[٣].
١٠- الحافظ أبو نعيم في «كتاب المهدي»، وفي «الحلية».
١١- الطبراني في «معاجمه: الكبير، والأوسط، والصغير».
١٢- الدارقطني في «الأفراد».
١٣- الباروردي في «معرفة الصحابة».
١٤- أبو يعلى الموصلي في «مسنده».
١٥- البزَّار في «مسنده».
١٦- الحارث بن أبي أسامة في «مسنده».

(١) كما استقرأها الشيخ العباد في «الرد» ص(١٦٦- ١٦٨)، عِلمًا بأن أحاديث البخاري ومسلم ليس فيها التصريح بلفظ «المهدي»، ولكن فيها صفته، وقد نصَّ على أن المرادَ بذلك المهديُّ بعضُ أهل العلم، كما تقدم ص(٤٨- ٦٠).

(٢) ذكره السفاريني في «لوامع الأنوار البهية»، والمناوي في «فيض القدير»، وقال الشيخ العباد في «ردِّه»: «وما رأيته في الصغرى، ولعله في الكبرى». اهـ. ص(١٦٧).

(٣) قال الدكتور عبد العليم البَسْتَوي: «ولقد بحثت كثيرًا في مروياته في هذا الباب فوجدت أن أغلب الأحاديث التي تفرد بها ضعيفة بمن هو فوقه، وإنما أفرط نعيم في الجمع بدون تمحيص، قال مسلمة بن قاسم: «كان صدوقًا، وهو كثير الخطإ، له أحاديث منكرة في الملاحم، انفرد بها»، ثم قال: «إلا أن في صحة نسبة الكتاب إليه نظرًا»، ثم بيَّنَ أن جميع الروايات التي تفرد بها هذا الكتاب لا تصلح لأنْ يُحْتَجَّ بها، وإنما هي تصلح للاعتبار، كما في «المهدي المُنْتَظَر» ص(١٢١- ١٢٢)»، وانظر «فقه أشراط الساعة» للمؤلف ص(١٥٧- ١٦٢).

١٧- الخطيب في «تلخيص المتشابه»، وفي «المتفق والمفترق».

١٨- ابن عساكر في «تاريخه».

١٩- ابن منده في «تاريخ أصبهان».

٢٠- أبو الحسن الحربي في «الحربيات».

٢١- تمام الرازي في «فوائده».

٢٢- ابن جرير في «تهذيب الآثار».

٢٣- أبو بكر بن المقري في «معجمه».

٢٤- أبو عمرو الداني في «سننه».

٢٥- أبو غنم الكوفي في كتاب «الفتن».

٢٦- الديلمي في «مسند الفردوس».

٢٧- أبو الحسن بن المنادي في «كتاب الملاحم».

٢٨- البيهقي في «دلائل النبوة».

٢٩- ابن الجوزي في «تاريخه».

٣٠- يحيى بن عبدالحميد الحماني في «مسنده».

٣١- الروياني في «مسنده».

٣٢- ابن سعد في «الطبقات».

٣٣- ابن خزيمة.

٣٤- الحسن بن سفيان.

٣٥- عمر بن شبة.

٣٦- أبو عوانة.

٣٧- عبدبن حميد.

٣٨- عبدالرزاق بن همام الصنعاني صاحب «المصنف».

❁ ❁ ❁

المَطلَبُ الثَّالِثُ

ذِكرُ العُلَمَاءِ الَّذِينَ احتَجُّوا بِأَحَادِيثِ المَهدِيِّ(١)

١- الإمام سفيان بن سعيد الثوري (ت ١٦١هـ).

٢- الإمام أبو داود صاحب «السنن» (ت٢٧٥ هـ).

٣- الإمام أبو عيسى الترمذي صاحب «الجامع» (ت ٢٧٩هـ).

٤- الحافظ أبو جعفر العقيلي صاحب كتاب «الضعفاء» (ت ٣٢٣هـ).

٥- الإمام الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البربهاري، صاحب شرح «السنة» (ت٣٢٩هـ).

٦- الإمام أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي (ت٣٣٦ هـ).

٧- الإمام أبو حبان البستوي صاحب الصحيح (ت٣٥٤ هـ).

٨- الحافظ أبو الحسن محمد بن حسين الآبري السجزي صاحب كتاب «مناقب الشافعي» (ت ٣٦٣هـ).

٩- الإمام أبو سليمان الخطابي صاحب «معالم السنن» وغيره، (ت ٣٨٨هـ).

١٠- الإمام البيهقي صاحب «السنن الكبري» وغيره، (ت٤٥٨ هـ).

١١- القاضي أبو بكر بن العربي صاحب «عارضة الأحوذي» (ت ٥٤٣هـ).

١٢- القاضي عياض صاحب كتاب «الشفا» (ت٥٤٤ هـ).

١٣- الإمام السهيلي صاحب «الروض الأنف» (ت٥٨١ هـ).

١٤- الإمام أبو الفرج بن الجوزي صاحب «كشف المشكل» (ت٥٩٦ هـ).

١٥- الإمام ابن الأثير صاحب «النهاية»، و«جامع الأصول» (ت ٦٠٦ هـ).

١٦- الحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري (ت٦٥٦ هـ).

---

(١) وَقَدْ قَرَنْتُ اسم العالم باسم مُصَنَّفه الذي يحتوي على تصحيحه أو تحسينه للأحاديث الواردة في المهدي ما أمكن، ولْيُلْتَمَس ما لم يُذْكَرْ هنا في مواضعه من الكتاب.

١٧- الإمام القرطبي المُفسِّرُ المشهور صاحب «التذكرة» (ت ٦٧١هـ).

١٨- العلامة محمد بن أحمد بن علي القَسْطَلَّاني (ت٦٨٦ هـ).

١٩- شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية صاحب «منهاج السنة النبوية» (ت٧٢٨ هـ).

٢٠- الإمام أبو الحجاج المزي صاحب «تهذيب الكمال» (ت٧٤٢ هـ).

٢١- الإمام الحافظ الذهبي صاحب «المنتقى من منهاج الاعتدال» (ت٧٤٨ هـ).

٢٢- الإمام المحقق ابن قيم الجوزية صاحب «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» (ت٧٥١ هـ).

٢٣- الحافظ عماد الدين بن كثير القرشي الدمشقي صاحب «نهاية البداية والنهاية» (ت٧٧٤ هـ).

٢٤- الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي صاحب «الاعتصام» (ت٧٩٠ هـ).

٢٥- الحافظ نور الدين الهيثمي صاحب «موارد الظمآن»، «ومجمع الزوائد» (ت٨٠٧ هـ).

٢٦- الإمام شهاب الدين أحمد الكناني البوصيري صاحب «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه» (ت٨٤٠ هـ).

٢٧- الحافظ الكبير ابن حجر العسقلاني صاحب «فتح الباري»، و«تهذيب التهذيب»، و«المطالب العالية»، وغيرها (ت٨٥٢ هـ).

٢٨- الحافظ السخاوي صاحب «فتح المغيث» (ت٩٠٢ هـ).

٢٩- الحافظ السيوطي صاحب المؤلفات العديدة؛ منها: «العرف الوردي في أخبار المهدي» (ت٩١١ هـ)[(١)].

٣٠- الشيخ أبو الحسن السمهودي (ت٩١١ هـ).

---

(١) انظر: ص(٧٥).

٣١- الشيخ ابن حجر الهيتمي صاحب «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» (ت٩٧٤ هـ).

٣٢- الشيخ علي المتقي الهندي صاحب «الرد على من حكم وقضى أن المهدي الموعود جاء ومضى» (ت٩٧٥ هـ).

٣٣- العلاّمة الملا علي القاري صاحب «مرقاة المفاتيح» وغيرها، (ت١٠١٤ هـ).

٣٤- العلاّمة المحدث عبدالرءوف المُناوي صاحب «فيض القدير» (ت١٠٣١ هـ).

٣٥- العلاّمة الفقيه مرعي بن يوسف الحنبلي (ت١٠٣٣ هـ).

٣٦- العلاّمة البرزنجي صاحب «الإشاعة لأشراط الساعة» (ت١١٠٣ هـ).

٣٧- العلاّمة محمد بن عبدالباقي الزُّرقاني (ت١١٢٢ هـ).

٣٨- العلاّمة أبو الحسن محمد بن عبدالهادي السندي المُحشي علي ابن ماجه (ت١١٣٨ هـ).

٣٩- العلاّمة المحدث إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، صاحب «كشف الخفاء» (ت١١٦٢ هـ).

٤٠- العلاّمة الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت١١٨٢ هـ).

٤١- العلاّمة محمد بن أحمد السفاريني صاحب «لوامع الأنوار البهية» (ت١١٨٨هـ).

٤٢- مُجَدِّدُ القرن الثاني عشر، شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، صاحب «الرد على الرافضة» (ت١٢٠٦ هـ).

٤٣- العلاّمة القاضي محمد بن علي الشوكاني صاحب «التوضيح» (ت١٢٥٠ هـ).

٤٤- العلاّمة محمد صِدِّيق حسن خان صاحب «الإذاعة» (ت١٣٠٧ هـ).

٤٥- العلاّمة محمد بشير السهسواني الهندي صاحب «صيانة الإنسان» (ت١٣٢٦هـ).

٤٦- العلاّمة شمس الحق آبادي صاحب «عون المعبود» (ت١٣٢٩ هـ).

٤٧- العلاّمة المُحَدِّثُ محمد بن جعفر الكتَّاني (ت١٣٤٥ هـ).

٤٨- العلَّامة محمد أنور شاه الكشميري (ت١٣٥٢ هـ) .

٤٩- العلامة المحدث عبدالرحمن المباركفوري (ت١٣٥٣ هـ) .

ومن المتأخرين الشيوخ :

٥٠- أبو السعود إدريس العراقي .

٥١- محمد الشهروزي .

٥٢- محمد العربي الفاسي .

٥٣- أبو زيد عبدالرحمن الفاسي .

٥٤- أبو عبدالله محمد جسوس .

٥٥- عبدالغافر الفارسي .

٥٦- عبدالقادر بن محمد سالم الشنقيطي .

٥٧- محمد حبيب الله الشنقيطي .

٥٨- منصور علي ناصف .

٥٩- محمد الخَضِر حسين .

٦٠- محمد الأمين الشنقيطي .

٦١- جلال الدين يوسف الدمشقي .

٦٢- أحمد محمد شاكر .

٦٣- محمد ناصر الدين الألباني .

٦٤- عبدالعزيز بن عبدالله بن باز .

٦٥- محمد محمد أبو شهبة .

٦٦- حمود بن عبدالله التويجري .

٦٧- عبدالمحسن بن حمد العباد .

وغيرهم كثيرون ، رحم الله أمواتهم ، وأحسن عاقبتنا وعاقبة أحيائهم .

المَطلَبُ الرَّابِعُ

عُلَمَاءُ أَفرَدُوا أَحَادِيثَ المَهدِيِّ بِالتَّصنِيفِ

لم يقتصر احتفال الأئمة بأحاديث المهدي على إيرادها في كتبهم ، وتصحيحها وتحسينها ، أو تضعيف ما لا يثبت منها ، بل منهم من أفردها بالتصنيف ؛ ليناقشها من جوانبَ متعددةٍ ؛ وهاك أسماءَ من صنَّف في ذلك من الأئمة :

١- الإمام نُعَيْمُ بن حَمَّاد شيخ البخاري (ت٢٣١ هـ) ، جَمَعَ منها فأكثر في كتاب «الفتن»[١] .

٢- أبو داود السجستاني (ت٢٧٥ هـ) ، عقد «كتاب المهدي» في سننه[٢] .

٣- أبو بكر بن أبي خيثمة (ت٢٧٩ هـ) ، قال السهيلي : «والأحاديث الواردة في أمر المهدي كثيرة ، وقد جمعها أبو بكر بن أبي خيثمة فأكثر»[٣] . اهـ .

٤- الإمام أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي (ت٣٣٦ هـ) ، جمع جزءًا في المهدي[٤] .

٥- الحافظ أبو نُعَيْم أحمد بن عبدالله الأصبهاني(ت٤٣٠ هـ) ، له جزء جمع فيه أربعين حديثًا في المهدي باسم «صفة المهدي»[٥] .

٦- الإمام جلال الدين يوسف بن يحيى بن علي المقدسي الشافعي (ت٦٨٥ هـ) وكتابه «عقد الدرر في أخبار المُنْتَظَر»[٦] .

---

(١) تُوجَدُ نسخة مخطوطة بمعهد المخطوطات العربية ، كما في فهرس مراجع تحقيق «عقود الدرر» ، ص(٤٦٠) ، وقد طُبع أكثر من طبعة .

(٢) «سنن أبي داود» (٤/١٠٦- ١٠٩) .

(٣) «الروض الأنف» (١/٢٨٠) .

(٤) «فتح الباري» (١٣/٢١٣) .

(٥) وهي التي لَخَّصَها السيوطي في «العرف الوردي» ، وزاد عليها .

(٦) وقد طُبعَ بتحقيق الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو ، ١٣٩٩هـ ، مكتبة عالم الفكر .

٧- الحافظ عماد الدين ابن كثير (ت٧٧٤ هـ)، قال في كتابه «الفتن والملاحم»: «وقد أفردت في ذكر المهدي جزءًا على حدة»[١].

٨- الحافظ ولي الدين أبو زرعة العراقي (ت ٨٢٦هـ)، جمع طرق أحاديث المهدي[٢].

٩- الحافظ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت٩٠٢ هـ)، وكتابه «ارتقاء الغرف»[٣].

١٠- العلَّامة ابن بريدة، وكتابه «العواصم عن الفتن القواصم[٤]».

١١- الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١ هـ)، وكتابه «العَرْف الوردي في أخبار المهدي[٥]»، و«الكشف في مجاوزة هذه الأمة الألف»، و«تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المئة».

١٢- الفقيه ابن حجر الهيتمي المكي (ت٩٧٤ هـ)، وكتابه «القول المُخْتَصَر في

---

(١) «نهاية البداية والنهاية» (٤٣/١).

(٢) ذكره في مؤلفاته ابن فهد في «ذيله على تذكرة الحفاظ للذهبي».

(٣) «المقاصد الحسنة» ص(٤٣٥)، و«كشف الخفا» ص(٢٨٨).

(٤) «فيض القدير» (٣٦٣/١).

(٥) مطبوع ضمن كتابه «الحاوي للفتاوى» (٥٧/٢- ٨٦)، قال الدكتور عبدالعليم البستوي- حفظه اللَّه- : «لخص فيه كتاب «أخبار المهدي» لأبي نعيم الأصبهاني، وزاد عليه كثيرًا من مصادر أخرى.

ومن مزايا هذا الكتاب أنه جمع أكبر عدد وارد في هذا الباب، مع بيان مصادرها، ولكنه جمع هذه الأحاديث والآثار محذوفة الأسانيد، ولا يبين درجتها من الصحة أو الضعف، إلا في موضع أو موضعين، والحق أن في هذا الكتاب كثيرًا من الروايات الضعيفة والواهية وحتى الموضوعة.

وهذه الطريقة للجمع- وإن كانت حسنة للعلماء والباحثين؛ لأنها تدلهم على المصادر، وبإماكنهم البحث عن أحوالها- ولكنها- في الوقت نفسه- تُلْحِقُ ضررًا كبيرًا بالعامَّة؛ لأنهم لا يجدون في أنفسهم ملكة للبحث والتحقيق، وهكذا حدث؛ فقد جرت عادة كل الذين ألَّفوا بعده- إلا من رحم اللَّه- أن ساقوا كل هذه الروايات، واستدلوا بها؛ وهكذا انتشر كثير من الأخبار والقصص الواهية، فصدقها الناس، وآمنوا بها، وكأنها لا تحتمل أي نقاش أو تردد، واللَّه أعلم». اهـ. «من المهدي المنتظر» ص(١٢٩، ١٣٠).

علامات المهدي المُنْتَظَر»[١] .

١٣- الملا علي بن حسام الدين المتقي الهندي صاحب «كنز العمال» (ت٩٧٥هـ) ، وكتبه : «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان»[٢] ، و«تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان»[٣] ، و«الرد على من حكم وقضى أن المهدي الموعود جاء ومضى» .

١٤- الملا علي بن سلطان القاري الهروي (ت١٠١٤ هـ) ، وكتابه : «المشرب الوردي في مذهب المهدي»[٤] ، «وقد ألفه ردًّا على دعوى بعض متعصبة الحنفية أن عيسى والمهدي يقلدان أبا حنيفة ، ويكونان على مذهبه»[٥] !

١٥- الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي (ت١٠٣٣ هـ) ، وكتابه : «فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر»[٦] .

١٦- محمد بن عبدالرسول (!) البرزنجي (ت١١٠٣ هـ) ، وكتابه : «الإشاعة لأشراط الساعة» .

١٧- العلَّامة محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت١١٨٢ هـ) ، جَمَعَ الأحاديث القاضية بخروج المهدي ، كما ذكر ذلك الشيخ صِدِّيق حسن خان في «الإذاعة» .

---

(١) وقد طُبِعَ حديثًا بتحقيق مصطفى عاشور ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، وأكثر رواياته مردودة .

(٢) ، (٣) ذكرها البرزنجي في «الإشاعة» ، وقبله ذكرها «ملا علي قاري» «المرقاة» (١٨٢/٥) ، والأولى مخطوطة بالمكتب الهندي بلندن ، والثانية بالمتحف البريطاني ، كما في فهرس مراجع تحقيق «عقد الدرر» ، ص(٤٥٦ ، ٤٥٧) .

(٤) «الإذاعة» ص(١٦٣) ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية (ب٢٣٢٣) ، كما في مراجع تحقيق «عقد الدرر» ص(٤٦٢) .

(٥) قال البَرزنجي في «الإشاعة» : «ومن العجائب أنه وقع للقهستاني - مع فضله وجلالته - شيء من ذلك ، فقال في شرح خطبة النقاية : (إن عيسى إذا نَزَلَ عمل بمذهب أبي حنيفة ، كما ذكره في «الفصول الستة» ، وليت شعري ما الفصول الستة؟ وما الدليل على هذا القول؟ فإنا للّه وإنا إليه راجعون» . اهـ . وانظر «خواطر دينية» (١٨/٢- ٢٢) .

(٦) «الإذاعة» ص(١٤٨) ، وهو مخطوط بالمكتب الهندي بلندن كما في مراجع تحقيق «عقد الدرر» ص(٤٦٠) ، «لوامع الأنوار البهية» (٧٣/٢) ، «الأعلام» للزركلي (٣٦٣/١) .

١٨- المُحَدِّث أبو العلاء السيد إدريس بن محمد بن إدريس العراقي الحسيني[١] (ت١١٨٣ هـ).

١٩- العلّامة محمد أحمد السفاريني (ت١١٨٩ هـ)، وكتابه: «البحور الزاخرة من علوم الآخرة»[٢].

٢٠- القاضي محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠ هـ)، وكتابه «التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المُنْتَظَر والدجَّال والمسيح»[٣].

٢١- العلَّامة محمد صديق حسن خان (ت١٣٠٧ هـ)، وكتاباه: «حجج الكرامة في آثار القيامة»[٤]، و«الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة».

٢٢- العلَّامة محمد حبيب اللَّه الشنقيطي (ت١٣٦٣ هـ)، وكتابه «الجواب المقنع المُحَرَّر في أخبار عيسى والمهدي المُنْتَظَر»[٥].

٢٣- الشيخ منصور علي ناصف (توفي بعد ١٣٧١ هـ)، عقد له في كتابه «التاج» بابًا خاصًّا به.

٢٤- أحمد بن محمد بن الصِّديق (ت١٣٨٠ هـ)، وكتابه «إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون» أو «المرشد المبدي لفساد طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي».

٢٥- الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع (ت١٣٨٥ هـ)، وكتابه «تحديق النظر في أخبار الإمام المنتظر»[٦].

٢٦- الشيخ عبدالمحسن العباد، وكتاباه: «الرد على من كذب بالأحاديث

---

(١) «المهدي المنتظر» للغماري ص(٥).
(٢) «الإذاعة» ص(١٦٣- ١١٠).
(٣) «نفسه» ص(١١٣).
(٤) «نفسه» ص(١١٤).
(٥) «زاد المسلم» (٣٣١/١).
(٦) ذكره الشيخ عبد المحسن العباد في «رده على من كَذَّبَ بأحاديث المهدي»، ص(٣٨)، وذكر أنه تُوجَدُ منها نسخة خطية بدار الكتب المصرية.

الصحيحة الواردة في المهدي»، و«عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر».

٢٧- الشيخ حمود بن عبدالله التويجري، وكتابه: «الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المُنْتَظَر».

٢٨- الشيخ عبدالعليم بن عبدالعظيم البستوي، وكتابه «الأحاديث الواردة في شأن المهدي في ميزان الجرح والتعديل»[1]، وهي رسالة ماجستير بإشراف د. محمد أبو شهبة - رحمه الله -.

١٩- الشيخ أبو الفضل عبدالله بن الصِّدِّيق (ت١٤١٣ هـ)، وكتابه «المهدي المنتظر».

٢٠- الشيخ حامد محمود ليمود، وكتابه «سيد البشر يتحدث عن المهدي المنتظر».

❁ ❁ ❁

(١) وقد طَبَعَتْهَا مؤخرًا في مجلدين، بعد حذف وإضافة من المؤلِّف - المكتبةُ المكية بمكة المكرمة؛ ودار ابن حزم ببيروت، سنة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

نُصوصُ أَهلِ العِلمِ
في إِثبَاتِ حَقِيقَةِ المَهدِيِّ

الفَصلُ الثَّالِثُ

نُصوصُ أَهلِ العِلمِ في إِثبَاتِ حَقِيقَةِ المَهدِيِّ

١- ذكر أبو داود السجستاني أن سفيان الثوري كان يتكلم في بعض من خرج مع محمد بن عبدالله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية، على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، ثم قال: وسفيان يقول: «وإن مرَّ بك المهدي وأنت في البيت فلا تخرج إليه حتى يجتمع الناس»(١)، ويُفْهَمُ منه أن أمر المهدي كان شائعًا مُسَلَّمًا عندهم.

٢- وقال الإمام الحافظ أبو جعفر العُقَيْلي (ت ٣٢٣ هـ) في كتابه: «الضعفاء» في ترجمة علي بن نفيل النهدي: «لا يُتَابَعُ على حديثه في المهدي، ولا يُعْرَفُ إلا به، وفي المهدي أحاديث جِيَادٌ من غير هذا الوجه بخلاف هذا اللفظ»(٢). اهـ.

وقال - أيضًا - في ترجمة زياد بن بيان الرقي:

«وفي المهدي أحاديث صالحة الأسانيد: أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قال: «يَخْرُجُ مِنِّي رَجُلٌ - ويُقَالُ: مِنْ أَهْلِ بَيْتِي - يُواطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، واسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي»(٣). اهـ.

٣- وقال الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البربهاري شيخ الحنابلة في وقته (ت٣٢٩ هـ)، في كتابه «شرح السُنَّة»: «والإيمان بنزول عيسى ابن مريم - عليه السلام -، ينزل فيقتل الدجَّال، ويتزوج، ويصلي خلف القائم من آل محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - »(٤). اهـ.

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٣١/٧).

(٢) «الضعفاء» ص(٣٠٠)، ونقله عنه الحافظ في «تهذيب التهذيب» (٣٩١/٧، ٣٩٢).

(٣) «الضعفاء» ص(١٣٩، ١٤٠).

(٤) «شرح السنة» ص(٧٣).

٤- وقال الإمام أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي (ت٣٣٦ هـ) في جزءٍ له جَمَعَهُ في المهدي: «يُحْتَمَلُ في معنى حديث: (يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً) أن يكون هذا بعد المهدي الذي يخرج في آخر الزمان»[١]. اهـ.

٥- وعَقَدَ الإمام أبو حاتم بن حِبَّان البستوي (ت٣٥٤ هـ) في صحيحه عدة أبواب في ذكر المهدي، واستدل بأحاديث عديدة؛ منها:

- ذكر البيان بأن خروج المهدي إنما يكون بعد ظهور الظلم والجور في الدنيا، وغلبهما على الحق والجدِّ[٢].

- ذكر الإخبار عن وصف اسم المهدي، واسم أبيه، ضد قول من زعم أن المهدي عيسى ابن مريم[٣].

- ذكر الإخبار عن وصف المدة التي تكون للمهدي في آخر الزمان[٤].

- ذكر الموضع الذي يبايع فيه المهدي[٥].

- ذكر الخبر المُصَرِّح بأن القوم الذين يُخْسَفُ بهم إنما هم القاصدون إلى المهدي في زوال الأمر عنه[٦]. اهـ.

٦- وقال الإمام أبو الحسن محمد بن الحسين الآبُرِّي في كتاب «مناقب الشافعي»: «... وقد تواترت الأخبار، واستفاضت عن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلًا، وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجَّال، وأنه يؤم

---

(١) ذكره ابن حجر نقلًا عن «كشف المُشْكِل»، لأبي الفرج بن الجوزي، انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٢١٢).

(٢) «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١٥/٢٣٦).

(٣) «نفسه».

(٤) «نفسه» (١٥/٢٣٨).

(٥) «نفسه» (١٥/٢٣٩).

(٦) «نفسه» (١٥/١٥٨).

هذه الأمة ، ويصلي عيسى خلفه»[١] . اهـ .

٧- وقال الإمام أبو سُلَيْمَان الخطَّابي (ت٣٨٨ هـ) في صدر كلامه على حديث أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - : «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، وَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ ، وَالشَّهْرُ كَالجُمُعةِ» . . . الحديث - قال : «ويكون ذلك في زمن المهدي ، أو عيسى - عليهما الصلاة والسلام - ، أو كليهما»[٢] . اهـ .

٨- وقال الإمام البيهقي (ت٤٥٨ هـ) : «والأحاديث في التنصيص على خروج المهدي أصح البتة إسنادًا ، وفيها بيان كونه من عترة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - »[٣] .

٩- وذكر القاضي عياض(ت٥٤٤ هـ) في كتابه : «الشفا» ، في الباب الرابع ، الفصل الثالث والعشرين ، جملة من الأمور المستقبلة ، التي أخبر بها مَنْ لا ينطق عن الهوى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وذكر من بينها خروج المهدي[٤] .

١٠- أما الإمام السُّهَيْلِيُّ ، فذكر في باب إسلام خديجة - رضي اللَّه عنها - ، عند كلامه على فضائل فاطمة - رضي اللَّه عنها - قوله : «ومن سؤددها - أيضًا - أن المهديَّ المُبَشَّرَ به في آخر الزمان من ذريتها ، والأحاديث الواردة في أمر المهدي كثيرة ، وقد جَمَعَها أبو بكر بن أبي خيثمة فأَكْثَرَ»[٥] . اهـ .

---

(١) وقد تناقل الأئمة هذا النص عن الآبُرِّي ، وأقروه عليه في مختلف العصور ، وممن نقله ، في سياق الاحتجاج به ، وسكت عليه :
الإمام ابن قَيِّم الجوزية في «المنار المنيف» ، والحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ، و«التهذيب» ، والحافظ أبو الحجاج المزي في «تهذيب الكمال» ، في ترجمة محمد بن خالد الجَنَدي الصنعاني ، والقرطبي في «التذكرة» ، والسخاوي في «فتح المغيث» ، والسيوطي في «أخبار المهدي» ، ومحمد بن عبد الباقي الزرقاني ، ومرعي بن يوسف الحنبلي ، وغيرهم ، وانظر ص(١٣٥ ، ١٣٦) .

(٢) نقله عنه المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٦/٦٢٥) .

(٣) ذكره المزي في «تهذيب الكمال» (٦/٥٩٧) ، ألف ؛ وابن القيم في «المنار المنيف» ص(٨٣ ، ٨٤) .

(٤) «الشفا» (١/٢٢٣) .

(٥) «الروض الأُنُف» (١/٢٨٠) .

وقال الإمام أبو السعادات بن الأثير الجزري في «النهاية»:

«المهدي الذي قد هداه اللَّه إلى الحق، وقد اسْتُعْمِلَ في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة، وبه سُمِيَّ المهدي الذي بَشَّرَ به رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - أنه يجيء في آخر الزمان»[١]. اهـ، وقد عقد في «جامع الأصول» فصلًا «في المسيح والمهدي - عليهما السلام -»، أورد فيه جملة من أخبار المهدي[٢].

١١- وقال الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي المُفَسِّر الشهير (ت٦٧١هـ) في كتابه «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، أثناء نقده لحديث «وَلَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مرْيَمَ»: «منقطع، والأحاديث عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة - ثابتة، أصح من هذا الحديث؛ فالحكم بها دونه»[٣]. اهـ.

١٢- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه - في «منهاج السنة النبوية»: «الأحاديث التي يُحْتَجُّ بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة[٤]، رواها أبو داود، والترمذي، وأحمد، وغيرهم، من حديث ابن مسعود وغيره»[٥]، ثم ذكر شيخ الإسلام روايات ابن مسعود، وأم سلمة، وأبي سعيد، وعليٍّ - رضي اللَّه عنهم - جميعًا.

ثم قال - رحمه اللَّه -: «وهذه الأحاديث غَلِطَ فيها طوائف: طائفة أنكروها، واحتجوا بحديث ابن ماجه أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قال: «لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مرْيَمَ»، وهذا الحديث ضعيف، وقد اعتمد أبو

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/٢٥٤).

(٢) «جامع الأصول في أحاديث الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ» (١٠/٣٢٧- ٣٣٢).

(٣) «التذكرة» (٢/٧٢٣).

(٤) وكذا صححها الحافظ الذهبي في «المنتقى من منهاج الاعتدال» ص(٥٣٤).

(٥) «منهاج السنة النبوية» (٨/٢٥٤).

محمد بن الوليد البغدادي وغيره عليه ، وليس مما يُعْتَمَدُ عليه ، ورواه ابن ماجه عن يونس عن الشافعي ، والشافعي رواه عن رجل من أهل اليمن ، يقال له محمد بن خالد الجَنَدي ، وهو ممن لا يُحْتَجُّ به ، وليس هذا في مسند الشافعي ، وقد قيل : إن الشافعي لم يسمعه من الجَنَدي ، وإن يونس لم يسمعه من الشافعي .

وقال - أيضًا - رحمه اللَّه - :

« **الثاني**[1] : أن الاثني عشرية الذين ادَّعوا أن هذا هو مهديُّهم ، مهديهم اسمه محمد بن الحسن ، والمهدي المنعوت الذي وصفه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - اسمه محمد بن عبداللَّه ؛ ولهذا حَذَفَتْ طائفة ذكر الأبِ من لفظ الرسول حتى لا يُنَاقِض ما كذبت ، وطائفة حَرَّفَتْهُ ، فقالت : جده الحسين ، وكنيته أبو عبداللَّه » ، إلى أن قال شيخ الإسلام ما معناه :

« **الثالث** : أن طوائف ادَّعى كل منهم أن المهدي المُبَشَّرَ به مثل مهدي القرامطة الباطنية ، وابن التومرت ، ومثل عدة آخرين ادَّعوْا ذلك - منهم من قُتِل ، ومنهم من ادَّعى ذلك فيه أصحابه ، وهؤلاء كثيرون لا يُحْصِي عدَدَهم إلا اللَّهُ ، وربما حصل بأحدهم نفع لقوم ، وإن حصل به ضرر لآخرين ؛ كما حصل بمهديِّ المغرب : انتفع به طوائف ، وتضرَّر به طوائف ، وكان فيه ما يُحْمَدُ ، وإن كان فيه ما يُذَمُّ ، وبكل حال فهو وأمثاله خير من مهدي الرافضة الذي ليس له عين ولا أثر ، ولا يُعرف له حس ولا خبر ، ولم يَنْتَفِعُ به أحد : لا في الدنيا ، ولا في الدين ، بل حصل باعتقاد وجوده من الشر والفساد ما لا يُحْصِيهِ إلا ربُّ العباد ، وأعرف في زماننا غير واحد من المشايخ الذين فيهم زهد وعبادة يظن كل منهم أنه المهدي ، وربما يُخَاطَب أَحَدُهم بذلك مرات متعددة ، ويكون المخاطِبُ له بذلك الشيطان ، وهو يظن أنه خطاب من قِبَل اللَّه ، ويكون أحدهم اسمه أحمد بن إبراهيم ، فيقال له : محمد وأحمد سواء ، وإبراهيم الخليل هو جد رسول اللَّه -

---

(١) أي الوجه الثاني .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وأبوك إبراهيم ، فقد واطأ اسمُك اسمَه ، واسمُ أبيك اسمَ أبيه ، ومع هذا ، فهؤلاء مع ما وقع لهم من الجهل والغلط ، كانوا خيرًا من مُنْتَظَرِ الرافضة ، ويحصل بهم من النفع ما لا يحصل بِمُنْتَظَرِ الرافضة ، ولم يحصل بهم من الضرر ما حصل بِمُنْتَظَرِ الرافضة ، بل ما حصل بِمُنْتَظَرِ الرافضة من الضرر أكثر منه »[1] . اهـ .

١٣- وقال الإمام المحقق ابن قَيِّم الجوزية في « المنار » بعد أن ذكر عدة أحاديث في شأن المهدي : « وهذه الأحاديث أربعة أقسام : صِحَاحٌ ، وحِسَانٌ ، وغرائب ، وموضوعة » ، وقال - أيضًا - : « وقد قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي » ، وقد ذهب الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه ، وغيره ، إلى أن عمر بن عبدالعزيز منهم ، ولا ريب أنه كان راشدًا مهديًا ، ولكن ليس بالمهدي الذي يخرج آخر الزمان ؛ فالمهدي في جانب الخير والرشد كالدجَّال في جانب الشر والضلال ، وكما أن بين يدي الدجَّال الأكبر صاحب الخوارق دجَّالين كذَّابين ، فكذلك بين يدي المهدي الأكبر مهديون راشدون »[2] . اهـ .

وقال - أيضًا - رحمه اللَّه - في « إغاثة اللَّهفان » :

« ومن تلاعبه - يعني الشيطان - بهم - يعني اليهود - أنهم ينتظرون قائمًا من وَلَدِ داود النبي ، إذا حَرَّك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم ، وأن هذا المُنْتَظَرَ -

---

(١) « منهاج السنة النبوية » (٨/٢٥٨- ٢٦٠) باختصار .

(٢) وقال - رحمه اللَّه - في « المنار » - أيضًا - : « أكثر الأحاديث تدل على أنه من ولد الحسن بن علي - رضي اللَّه عنهما - ، وفي كونه من ولد الحسن سر لطيف ، وهو أن الحسن - رضي اللَّه عنه - ترك الخلافة للَّه ، فجعل اللَّه مِن ولده مَن يقوم بالخلافة الحق المتضمن للعدل الذي يملأ الأرض ، وهذه سنة اللَّه في عباده أنه من ترك لأجله شيئًا أعطاه اللَّه ، أو أعطى ذريته أفضل منه ، وهذا بخلاف الحُسَيْن - رضي اللَّه عنه - ؛ فإنه حرص عليها ، وقاتل عليها ، فلم يظفر بها ، واللَّه أعلم » . اهـ . ص(١٥١) ، ونقل المناوي في « الفيض » (٦/٢٧٩) نحوه عن أبي الحسن السمهودي ، ت(٩١١هـ) . وانظر : « سيد البشر يتحدث عن المهدي المنتظر » ، ص(٦٠- ٦٣) .

بزعمهم - هو المسيح الذي وُعِدوا به، وهم في الحقيقة إنما ينتظرون مسيح الضلالة الدجَّال - فهم أكثر أتباعه، وإلا فمسيح الهدى عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - يقتلهم، ولا يُبقي منهم أحدًا». ثم قال: «والمسلمون ينتظرون نزول المسيح عيسى ابن مريم من السماء؛ لكسر الصليب، وقتل الخنزير، وقتل أعدائه من اليهود، وعُبَّاده من النصارى، وينتظرون خروج المهدي من أهل بيت النبوة، يملأ الأرض عدلًا، كما ملئت جَوْرًا»[1]. اهـ.

١٤- وقال الحافظ ابن كثير - رحمه اللَّه - في «نهاية البداية والنهاية»: «فصل في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان؛ وهو أحد الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وليس بالمُنْتَظِرِ الذي تزعم الروافض، وترتجي ظهوره من سرادب في سامرا؛ فإن ذاك ما لا حقيقة له، ولا عين ولا أثر، أما ما سنذكره فقد نطقت به الأحاديث المروية عن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - أنه يكون في آخر الدهر، وأظن ظهوره يكون قبل نزول عيسى ابن مريم كما دلت على ذلك الأحاديث»[2]. اهـ.

١٥- وقال الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي رحمه اللَّه - تَعَالَى -:
«وقد وَضَعَ القتلَ شرعًا معمولًا به على غير سنة اللَّه وسنة رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - المُتَسَمِّي بالمهدي المغربي، الذي زعم أنه المُبَشَّرُ به في الأحاديث»[3]. اهـ.

١٦- وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: «وقد أخرج ابن ماجه عن ثوبان رفعه، قال: (يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلاثَةٌ، كُلُّهُم ابنُ خَلِيفَةٍ)[4]، فذكر الحديث في المهدي، فهذا إن كان المراد بالكنز فيه الكنز الذي في حديث الباب دلَّ على أنه

(١) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (٢/٣٣٢).
(٢) «نهاية البداية والنهاية» (١/٣٧).
(٣) «الاعتصام» (٢/٢٥٣)، ط. المنار، ١٣٣١هـ.
(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤)، والحاكم (٤/٤٦٣)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٨٥).

إنما يقع عند ظهور المهدي ؛ وذلك قبل نزول عيسى ، وقبل خروج النار جزمًا ، والله أعلم»[١] . اهـ .

وقال الحافظ - أيضًا - في «الفتح» أثناء شرحه لحديث «تَصَدَّقُوا فَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِهِ فَلَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا » ، فذكر الحافظ احتمالات تعلق هذا الحديث بالباب الذي قبله ؛ وهو «باب خروج النار» ، فقال - رحمه الله - : «وتعلقه به من جهة الاحتمال الذي تقدم ؛ وهو أن ذلك يقع في الزمان الذي يستغني فيه الناس عن المال ، إما لاشتغال كل منهم بنفسه عند طُروق الفتنة ، فلا يلوي على الأهل فضلًا عن المال ، وذلك في زمن الدجَّال ، وإما بحصول الأمن المفرط والعدل البالغ ؛ بحيث يستغني كل أحد بما عنده عما في يد غيره ؛ وذلك في زمن المهدي ، وعيسى ابن مريم ، وإما عند ظهور النار التي تسوقهم إلى المحشر . . . »[٢] . إلى آخر كلامه رحمه الله - تَعَالَى - .

١٧- وقال الشيخ الفقيه ابن حجر المكي - رحمه الله - :

«الذي يتعين اعتقاده ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة من وجود المهدي المُنْتَظَر ، الذي يخرج الدجَّال وعيسى في زمانه ، ويُصَلِّي عيسى خلفه ، وأنه المراد حيث أُطْلِقَ المهدي»[٣] . اهـ .

١٨- وقال الشيخ علي بن سلطان محمد القاري في مصنف[٤] له في المهدي ما نصه : «وقد ثبتت أحاديث كثيرة ، وروايات شهيرة عنه - عليه الصلاة والسلام - مما هو صريح في عَلِيِّ مقامه ، وجل مرامه» ؛ يعني المهدي .

وقال - أيضًا - في شرح «الفقه الأكبر» المنسوب[٥] إلى الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - : « . . . فترتيب القضية أن المهدي - عليه السلام - يظهر أولًا في

(١) «فتح الباري» (٨١/١٣) .
(٢) «نفس المرجع» (٨٢/١٣) .
(٣) «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» ، ص(٧٤) .
(٤) وهو «رسالة في حق المهدي» مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية .
(٥) انظر ص(١٦٩) ، هامش رقم (١) .

أرض الحرمين، ثم يأتي بيت المقدس، فيأتي الدجَّال، ويحصره في ذلك الحال، فينزل عيسى - عليه الصلاة والسلام - على المنارة الشرقية في دمشق الشام، ويجيء إلى قِتَالِ الدجَّال، فيقتله بضربة في الحال»[1]. إلى آخر كلامه - رحمه اللَّه -.

١٩- وقال الشيخ محمد البرزنجي (ت ١١٠٣هـ):

«**الباب الثالث**: في الأشراط العِظَام، والأمارات القريبة التي تَعْقُبُهَا الساعة؛ وهي - أيضًا - كثيرة؛ فمنها: المهدي، وهو أولها، واعلم أن الأحاديث الواردة فيه، على اختلاف رواياتها، لا تكاد تنحصر»، إلى أن قال: «قد علمت أن أحاديث وجود المهدي، وخروجه آخر الزمان، وأنه من عترة رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، من ولد فاطمة - بلغت حد التواتر المعنوي، فلا معنى لإنكارها»[2]. اهـ.

٢٠- وقال الصبان: «قال في «الصواعق»: وقد تواترت الأخبار عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - بخروج المهدي، وأنه من أهل بيته... إلخ»[3]. اهـ.

٢١- وقال الشبلنجي بعد ردِّه على أقوال فاسدة في شأن المهدي، مما زعمته الشيعة وغيرهم: «وإنما المهدي المُنْتَظَرُ هو محمد بن عبداللَّه المهدي القائم في آخر الزمان، وقد يُولَدُ بالمدينة المنورة؛ لأنه من أهلها، كما أخبر به، وبعلاماته النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى»[4]. اهـ.

---

(١) «شرح الفقه الأكبر»، ص(١١٢)، وانظر: «شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -» له - أيضًا - (٣/٢٥٨).

(٢) «الإشاعة» (ص ٨٧، ١١٢).

(٣) «نور الأبصار» ص(١٤٠).

(٤) «نفسه» ص(١٩٦).

٢٢- وقال في «الإذاعة»: «وقد جمع السيد العلَّامة بدر الملة المنير محمد بن إسماعيل الأمير اليماني الأحاديث القاضية بخروج المهدي، وأنه من آل محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، وأنه يظهر في آخر الزمان، ثم قال: «ولم يأت تعيين زمنه، إلا أنه يخرج قبل خروج الدجَّال»[1] ». انتهى.

٢٣- وقال السفاريني في عقيدته المسماة بـ«الدرة المضية في عَقْد الفرقة المرضية»:

وَمَا أَتَى في النَّصِّ مِنْ أَشْرَاطِ فَـكُـلُّـهُ حَـقٌّ بِـلَا شَـطَـاطِ
مِنْهَا الإِمَامُ الخَاتَمُ[2] الفَصِيحُ مُـحَـمَّـدُ الـمَـهْـدِيُّ وَالـمَـسِـيـحُ[3]

وقال - أيضًا - في شرحها: «كَثُرَت الأقوال في المهدي حتى قيل: (لا مهدي إلا عيسى)، والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى - عليه السلام -، وقد كثرت بخروجه الروايات، حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عُدَّ من معتقداتهم...»، ثم ذكر بعض الأحاديث الواردة فيه من طريق جماعة من الصحابة، ثم قال: «وقد رُوِي عن مَنْ ذُكِرَ من الصحابة، وغَيْرِ مَنْ ذُكِرَ منهم، بروايات متعددة، وعن التابعين مِنْ بعدهم، مما يفيد مجموعه العلم القطعي؛ فالإيمان بخروج المهدي واجبٌ كما هو مقرر عند أهل العلم، ومُدَوَّن في عقائد أهل السنة والجماعة»[4]. اهـ.

٢٤- وقال الإمام المجدد محمد بن عبدالوهَّاب - رحمه اللَّه -:

«وقد ورد ما يدل على أن المهديَّ من ذرية الحسن - رضي اللَّه عنه -،

---

(١) «الإذاعة» ص(١١٤).

(٢) ليس على وصفه المهديَّ بالخاتَم دليل، ولعله يعني خاتم المهديين من الخلفاء الراشدين.

(٣) انظر: «مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية» ص(٣٣٤- ٣٤٤).

(٤) «نفس المرجع».

كما رواه أبو داود وغيره»[١] . اهـ .

٢٥- وقال الشوكاني في تأليف له سماه «التوضيح في تواتر ما جاء في المُنْتَظِرِ والدجَّال والمسيح» ، ما نصه : «والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثًا ، فيها الصحيح ، والحسن ، والضعيف المنجبر ، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة ، بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول ، وأما الآثار عن الصحابة المصَرِّحة بالمهدي ، فهي كثيرة - أيضًا - لها حكم الرفع ؛ إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك»[٢] . اهـ .

وقال - أيضًا - في : «الفتح الرباني» :

«الذي أمكن الوقوف عليه من الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر خمسون حديثًا ، وثمانية وعشرون أثرًا» ، ثم سردها مع الكلام عليها ، ثم قال : «وجميع ما سقناه بالغٌ حَدَّ التواتر ، كما لا يخفى على من له فضل اطِّلاع»[٣] . انتهى .

٢٦- وقال المُحَدِّثُ أبو الطيب صِدِّيق بن حسن الحسيني البخاري القنوجي مَلِكُ «بهوبال» ما نصُّه : «وَالأحاديث الواردة في المهدي - على اختلاف رواياتها - كثيرة جدًّا ، تبلغ حد التواتر ، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد»[٤] ، وقال - أيضًا - بعد كلام له ما نصه : «وأحاديث المهدي بعضها صحيح ، وبعضها حسن ، وبعضها ضعيف ، وأمره مشهور بين الكافَّة من أهل الإسلام على ممر الأعصار»[٥] . اهـ .

---

(١) «رسالة في الرد على الرافضة» ص(٢٩) .
(٢) نقله عنه في «الإذاعة» ص(١١٣ ، ١١٤) .
(٣) نقله عنه المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٦/ ٤٨٤ ، ٤٨٥) .
(٤) «الإذاعة» ص(١١٢) .
(٥) «نفسه» ص(١١٣) .

٢٧- وقال العلَّامة أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي : «اعلم أن المشهور بين الكافَّة من أهل الإسلام، على ممر الأعصار، أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين، ويُظْهِرُ العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويُسَمَّى بالمهدي، ويكون خروج الدجَّال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى - عليه السلام - ينزل من بعده، فيقتل الدجَّال، أو ينزل معه، فيساعده على قتله، ويأتم بالمهدي في صلاته»(١) . اهـ.

٢٨- وقال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني - رحمه اللَّه - (ت ١٣٤٥هـ) :

«الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، وكذا الواردة في الدجَّال، وفي نزول سيدنا عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - »(٢) . اهـ.

٢٩- وقال المُحَدِّثُ الناقد أبو العلاء السيد إدريس بن محمد بن إدريس العراقي الحسيني في تأليف له في المهدي ما نصه : «أحاديث المهدي متواترة - أو كادت - ، وجزم بالأول غير واحد من الحُفَّاظ النُّقَّاد»(٣) .

٣٠- وقال العلَّامة أبو عبداللَّه محمد جسوس في شرح رسالة ابن أبي زيد ما نصه : «ورد خبر المهدي في أحاديثَ، ذكر السخاوي أنها وصلت إلى حد التواتر»(٤) . اهـ.

٣١- وقال العلَّامة الشيخ محمد العربي الفاسي في «المراصد» :

وَمَا مِنَ الأَشْرَاطِ قَدْ صَحَّ الخَبَرْ   بِهِ عَنِ النَّبِيِّ حَقٌّ يُنْتَظَرْ

ثم ذكر جملة منها، إلى أن قال :

وَخَبَرُ المَهْدِيِّ أَيْضًا وَرَدَا   ذَا كَثْرَةٍ في نَقْلِهِ فَاعْتَضَدَا

---

(١) «عون المعبود» (١١/٣٦١، ٣٦٢) .

(٢) «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» ص(١٤٧) .

(٣) نقلًا عن «المهدي المنتظر» للغماري، ص(٥، ٦) .

(٤) «نفسه» .

قال شارحه المحقق أبو زيد عبدالرحمن بن عبدالقادر الفاسي في «منهج المقاصد» : «هذا - أيضًا - مما تكاثرت الأخبار به ؛ وهو المهدي المبعوث في آخر الزمان، ورد في أحاديثَ، ذكر السخاوي أنها وصلت إلى حد التواتر»(١) . اهـ .

٣٢- وقال العلّامة محمد حبيب اللَّه الشنقيطي - رحمه اللَّه - : «فأحاديث نزول عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - متواترة، بل تواترت أحاديث المهدي - أيضًا - كما صَرَّحَ به شيخنا الشيخ عبدالقادر بن محمد سالم الشنقيطي - إقليمًا - في نظمه «الواضح المبين» بقوله :

تَوَاتَرَتْ بِهِ الأَحادِيثُ الصِّحَاحْ فِيمَا رَوَى أَهْلُ الفَلَاحِ والنَّجَاحْ(٢)

٣٣- وصَرَّحَ العلّامة القرآني الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه اللَّه - بأن باب الاجتهاد مفتوح لأهله، وأن ذلك مستمر إلى ظهور المهدي المُنْتَظَر، خلافًا لصاحب «مراقي السعود» ؛ إذ قال :

والمُجْمَعُ اليَومَ عَلَيْهِ الأَرْبَعَهْ وَقَفْوُ غَيْرِهَا الجَمِيعُ مَنَعَهْ
حَتَّى يَجِيَ الفَاطِمُ المُجَدِّدُ دِينَ الهُدَى لِأَنَّهُ مُجْتَهِدُ(٣)

قال الشنقيطي - رحمه اللَّه - : «ومراده بالفاطمي : المهديُّ المنتظر ؛ لأنه شريف»(٤) . اهـ .

والمقصود أن الشيخ عبداللَّه بن إبراهيم العلوي الشنقيطي، والعلامة محمد الأمين الشنقيطي - رحمهما اللَّه -، من العلماء الذين صححوا أحاديث المهدي المنتظر .

٣٤- وقال العلامة محمد الخَضِر بن الحسين بن علي بن عمر بن عمر

---

(١) نقلًا عن «المهدي» للغماري، ص(٥، ٦) .
(٢) «فتح المنعم» (١/٣٣١) .
(٣) «نشر البنود على مراقي السعود» (٢/٣٤٦، ٣٤٧) .
(٤) «أضواء البيان» (٧/٥٨١، ٥٨٢) .

الحَسَنِيُّ التونسي (ت ١٣٧٧هـ)، شيخ الأزهر الأسبق - رحمه اللَّه - تعالى - :
« . . . والخلاصة أن في أحاديث المهدي ما يُعَدُّ في الحديث الصحيح، وليس من الصواب إنكار الحق من أجل ما أُلْصِق به من الباطل »[١] . اهـ .

٣٥- وقال الإمام المجدد عبدالعزيز بن باز - رحمه اللَّه - : «أما إنكار المهدي المُنْتَظَرِ بالكلية، كما زعم ذلك بعض المتأخرين، فهو قول باطل؛ لأن أحاديث خروجه في آخر الزمان، وأنه يملأ الأرض عدلًا وقسطًا، كما ملئت جورًا، قد تواترت تواترًا معنويًّا، وكثرت جدًّا، واستفاضت، كما صرَّح بذلك جماعة من العلماء، بينهم أبو الحسن الآبُرِّي السجستاني من علماء القرن الرابع، والعلَّامة السفاريني، والعلَّامة الشوكاني، وغيرهم، وهو كالإجماع من أهل العلم، ولكن لا يجوز الجزم بأن فلانًا هو المهدي، إلا بعد توافر العلامات التي بيَّنها النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - في الأحاديث الثابتة، وأعظمها وأوضحها كونه يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلِئَتْ جَوْرًا وظلمًا »[٢] . اهـ .

٣٦- وقال الشيخ حسنين محمد مخلوف، مفتي الديار المصرية الأسبق، وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر - رحمه اللَّه - : « ...وننصح المسلمين بأن يتقبلوا الأحاديث الصحيحة بقلوب مطمئنة، ويؤمنوا بظهور المهدي في آخر الزمان إيمانًا صحيحًا، ويتركوا الأقوال التي تهدم هذه الأحاديث؛ لصدورها ممن لا علم لهم بالأحاديث، بل لا تقدير لها، ولا عقيدة عندهم بوجودها »[٣] . اهـ .

وبَعْــدُ:

فهؤلاء أئمة العلم والهدى، جهابذة السنة، وصيارفة الحديث، كثَّر اللَّه

---

(١) في مقال له نُشِر بمجلة «التمدن الإسلامي»، في الجزأين (٣٥، ٣٦) من المجلد السادسَ عشرَ، كما في حاشية كتاب «مقالات الألباني» ص(١٠٥).

(٢) «جريدة عكاظ»، ١٨ محرم، ١٤٠٠هـ.

(٣) من تقديمه لكتاب «سيد البشر يتحدث عن المهدي المنتظر» ص(٣- ٤).

سوادهم، وأعلى رايتهم، قد أطبقوا على صحة الاحتجاج بالأحاديث الواردة في شأن المهدي المُنْتَظَر.

فالواجب المتعيِّنُ الرجوعُ في الحكم على الحديث صحة أو ضعفًا إلى أهل الحديث أرباب هذا الشأن، وتقليدهم في ذلك دون غيرهم ممن لم يَشَمَّ رائحة هذا العلم الشريف؛ فالصلاة خير من النوم، واليد العليا خير من اليد السفلي، قال الحافظ العراقي - رحمه اللَّه - مشيرًا إلى علم الحديث:

فَاعْنِ بِهِ، وَلَا تَخُضْ بِالظَّنِّ وَلَا تُقَلِّدْ[١] غَيْرَ أَهْلِ الفَنِّ

واعلم - رحمك اللَّه - أن الناس لا يُؤْتَوْنَ قَطُّ مِن قِبَل علمائهم الربانيين، ولكن يُؤْتَوْنَ من قبل أدعياء العلم، وفي الحديث عن عبداللَّه بن عمرو - رضي اللَّه عنهما -: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: «إنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حتَّى إذا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا، وأَضَلُّوا»[٢].

وقال الإمام الطُّرطُوشي - رحمه اللَّه -: (فتدبروا هذا الحديث؛ فإنه يدل على أنه لا يُؤْتَى الناسُ قَطُّ مِن قِبَل علمائهم، وإنما يُؤْتَوْن من قِبَل إذا مات علماؤهم أفتى من ليس بعالم، فيؤتى الناس من قِبَلهم.

وقد صَرَّف عمر - رضي اللَّه عنه - هذا المعنى تصريفًا؛ فقال: «ما خان أمين قط، ولكنه اؤْتُمِنَ غَيْرُ أمين فخان»، ونحن نقول: ما ابتدع عالم قطُّ،

---

(١) اعلم - وفقني اللَّه وإياك - أن قبول قول الأئمة في تصحيح الأحاديث ليس من التقليد المذموم المعروف في الأصول، بل هو من باب قبول رواية العدل، وقد تقرر وجوب قبول خبر الواحد، والعمل به، اللهم إلا أن تظهر علة قادحة في صحة الحديث خَفِيَتْ على من صحَّحه، أو غيرُهَا من الموانع، انظر: «توضيح الأفكار» للصنعاني (١/ ٥٩، ٦٩، ١١٤، ١٢٠).

(٢) رواه البخاري (١/ ١٧٤، ١٧٥) في العلم، باب كيف يقبض العلم، وفي الاعتصام، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، ومسلم (٢٦٧٣) في العلم، باب رفع العلم وقبضه، والترمذي، رقم (٢٦٥٤) في العلم، باب ما جاء في ذَهاب العلم.

ولكنه استُفْتِيَ من ليس بعالم ، فَضَلَّ ، وأَضَلَّ ، وكذلك فعل ربيعة :

قال مالك - رحمه اللَّه - تَعَالَى - : بكى ربيعة يومًا بكاءً شديدًا ، فقيل له : «أمصيبةٌ نزلت بك ؟» فقال : «لا ، ولكن استُفْتِيَ من لا علم عنده ، وظهر في الإسلام أمر عظيم»[١] .

وهذا ما حدث في قضية المهدي ؛ إذ تجاسرت حفنة من المتأخرين ، لا كَمَّ لها ، ولا كيف ، إذا قُورِنَتْ بأئمة أهل السنة والحديث ، في القديم والحديث ، وكَذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، وسَفِهوا أنفسهم ؛ إذ قَدَّموا آراءَهم وأهواءهم على أحاديث رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- الثابتة ، وتطاولوا على أئمة الحديث ، حتى رماهم بعضهم بالغفلة والسذاجة ، والبدعة والتخليط ، فأحسن اللَّه عزاءهم في علمهم وعقلهم .

وعلى من يرى خلاف ما أطبق عليه هؤلاء أن يضعهم في كِفَّةٍ ، ويضع نفسه في كِفَّةٍ ، ثم لينظر النتيجة بعين الرضا والتسليم ، ورحم اللَّه امْرَءًا عرف قدر نفسه .

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيْرُ المَجَامِعُ

❁ ❁ ❁

(١) «إصلاح المساجد» للقاسمي ، ص(١٩ ، ٢٠) ، نقلًا عن «الباعث» ، لأبي شامة .

البَابُ الثَّانِي

شُبَـهٌ وَجَـوَابُهَـا

الفَصـلُ الأَوَّلُ :

شُبَهٌ عِلمِيَّةٌ مُصطَنَعَةٌ

الفَصلُ الثَّانِـي :

شُبَـهٌ عَقلِيَّةٌ سَقِيمَـةٌ

الفَصْلُ الأوَّلُ

شُبَهٌ عِلمِيَّةٌ مُصطَنَعَةٌ

الشُّبهَةُ الأُولَى

*** هي شبهة الفرقة الضالة المسماة بالقرآنيين، وهم يقولون: «لم يرد في القرآن أية إشارة إلى المهدي، ولا حجة فيما سوى القرآن».**

والجواب:

أن هذه الدعوى بأن لا حجة فيما سوى القرآن الكريم لا تصدر من مؤمن باللَّه- تعالى-، ورسوله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ-، وإنما هي من شَغْب الملاحدة، وكيد الزنادقة الذين يريدون الكيد للإسلام، والعبث بعقول الضعاف من المسلمين.

فحجية السنة مما يعلم من دين الإسلام بالضرورة، فهي معلومة للخاص والعام، والعالم والجاهل، وقد كان هذا يغنينا، ويغني من في قلبه ذرة من إيمان، عن بيان أدلتها لدحض هذه الفرية.

إن سنة رسول اللَّه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- لم تعدم منذ أزمان أعداءً لها، هم- لو فقهوا- أعداء للقرآن، يُشَكِّكُونَ فيها، ويحاولون فصلها عن القرآن، وقد هيَّأ اللَّه من أهل العلم من يذب عنها، ويدحض شُبَهَ أعدائها؛ ومنهم الحافظ السيوطي- رحمه اللَّه-؛ فقد ألف رسالة لطيفة سمَّاها: «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة»، افتتحها بعد حمد اللَّه- تعالى- بقوله:

(اعلموا- يرحمكم اللَّه- أن من العلم كهيئة الدواء، ومن الآراء كهيئة الخلاء، لا تذكر إلا عند داعية الضرورة، وإن مما فاح ريحه في هذا الزمان، وكان دارسًا- بحمد اللَّه- منذ أزمان؛ وهو أن قائلًا رافضيًّا زنديقًا أكثر في كلامه أن السنة النبوية، والأحاديث المروية- زادها اللَّه علوًّا وشرفًا- لا يُحتج بها، وأن الحجة في القرآن خاصة).

إلى أن قال- رحمه اللَّه-: (فاعلموا- رحمكم اللَّه- أن من أنكر كون

حديث النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قولًا كان، أو فعلًا، بشرطه المعروف في الأصول - حجةٌ كفر، وخرج عن دائرة الإسلام، وحُشِرَ مع اليهود والنصارى، أو مع من شاء اللَّه من فرق الكَفَرَةِ؛ روى الإمام الشافعي - رضي اللَّه عنه - يومًا حديثًا، وقال: «إنه صحيح»، فقال له قائل: «أتقول به يا أبا عبداللَّه؟»، فاضطرب، وقال: «يا هذا، أرأيتني نصرانيًا؟ أرأيتني خارجًا من كنيسة؟ أرأيت في وسطي زُنَّارًا؟[1] أروي حديثًا عن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، ولا أقول به؟»)[2]. اهـ.

وهاك أدلة حجية السنة الشريفة[3]:

الدَّلِيلُ الأَوَّلُ:

• عِصْمَةُ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -:

فقد انعقد الإجماع على أن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، وسائر الأنبياء - عليهم السلام - معصومون عن أي شيء يُخِلُّ بالتبليغ[4]؛ ككتمان الرسالة، والكذب في دعواها، والجهل بأي حكم نزل عليهم، أو الشك فيه، والتقصير في تبليغه، وتصور الشيطان لهم في صورة المَلَك، وتلبيسه عليه في أول الرسالة، وفيما بعدها، وتسلطه على خواطرهم بالوساوس، وتعمد الكذب في أي خبر أخبروا به عن اللَّه - تعالى - وتعمد بيان أي حكم شرعي على خلاف ما أنزل عليهم، سواء أكان ذلك البيان بالقول أم بالفعل.

---

(١) الزُّنَّار: حِزامٌ يَشُدُّه النَّصرانيُّ على وسطه.

(٢) «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة»، ص(٣).

(٣) لخصتها - مع تصرف - من «حجية السنة»، رسالة دكتوراة، للعلامة الدكتور عبدالغني عبدالخالق - رحمه اللَّه.

(٤) وكذا معصومون من السهو والغلط فيه على الصحيح، ومن جوزوا ذلك أجمعوا على اشتراط التنبيه فورًا من اللَّه - سبحانه وتعالى - وعدم التقرير عليه، وهذا يستلزم أن كل خبر بلاغي - بعد تقرير اللَّه له عليه - صادق مطابق لما عند اللَّه إجماعًا، فيجب التمسك به.

والمعجزات التي أظهرها اللَّه على أيديهم تقوم مقام قوله - تعالى - : «صَدَقَ رُسُلِي فِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُونَ عَنِّي»، ولو جاز على الأنبياء شيء مما يخل بالتبليغ، لأدى ذلك إلى إبطال دلالة المعجزات، وهذا محال.

لقد أمر اللَّه - عز وجل - نبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - بالبلاغ؛ فقال - عز مِن قائل - : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال - سبحانه - : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤- ٤٧]، ثم شهد - سبحانه - له بالبلاغ والصدق؛ فقال - تعالى - : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]، وقال - عز وجل - : ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١- ٤].

وأوحى إليه في خاتمة حياته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

ورُوي عن ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا: «لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى الْجنَّةِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَا عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى النَّارِ إِلَّا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ»(١).

وعن أبي ذر - رضي اللَّه عنه - قال: تركَنا رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، وما طائر يقلب جناحيه في الهواء، إلا وهو يذكرنا منه علمًا، قال: فقال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ»(٢).

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/٢)؛ وانظر شرح «الرسالة للشافعي»، للشيخ أحمد شاكر - رحمه اللَّه - ص(٨٧)، (٩٣- ١٠٣)، وانظر ص(١٣٠) هامش رقم (٣)، و«أصول بلا أصول» ص(١٦٩).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٦٤٧)، وقال الألباني - عليه الرحمة - : «وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات». اهـ. من «الصحيحة» (١٨٠٣).

بهذا كله يثبت حجية قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - في القرآن الكريم : «هَذَا كَلَامُ اللَّهِ» ، وقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - فى الأحاديث القدسية : «قَالَ رَبُّ الْعِزَّةِ كَذَا» ، وقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - فى السنة : «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ» . . . الحديث(١) .

لأن هذه كلها أخبارُ معصومٍ من الكذب ، فتكون حججًا دالة على أن الوحي **قسمان** : كتاب : وهو المعجز المتعبَّد بتلاوته ، وغيره : وهو ما ليس كذلك ، وهذا الأخير قسمان : حديث قدسي ، وحديث نبوي .

فإذا كان ذلك كله من عند اللَّه كان الكل حُجَجًا قائمة على الخلق إلى يوم الدين ، وبعصمته عن الكذب فى التبليغ يثبت حجية قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّما الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»(٢) الحديث ، وقوله : «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»(٣) الحديث ، وقوله : «وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَسَلَّمَ - كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ»(٤) ، وهذا يستلزم حجية جميع أوامره ونواهيه .

ويثبت بذلك - أيضًا - حُجيةُ قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «صَلُّوا كَما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»(٥) الحديث ، وقوله : «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُم»(٦) الحديث ، وقوله : «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»(٧) الحديث ، وبذا تثبت حجية جميع أنواع السنة ؛ من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة .

---

(١) انظر تخريجه ص(١٢٧) .

(٢) رواه البخاري (١/٧، ١٥) ، ومسلم (١٩٠٧) ، وأبو داود (٢٢٠١) ، والترمذي (١٦٤٧) ، والنسائي (١/٥٨، ٦٠) ، وابن ماجه (٤٢٢٧) .

(٣) رواه البخاري (١/٤٧) ، ومسلم (١٦) .

(٤) انظر تخريجه ص(١٢٧) .

(٥) رواه البخاري (٢/١١٨) .

(٦) رواه مسلم (١٢٩٦) ، وأبو داود (١٩٧٠) ، والنسائي (٥/٢٧٠) .

(٧) تقدم تخريجه ص(٣٠) .

وقال- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- : «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ ، فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا ؛ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي»[1] ، وهذا خبرُ معصومٍ عن الكذب ، يدل على أنه لا ضلالة في التمسك بالسنة ، وإنما الضلال فى تركها ، والعمل بما يخالفها .

الدَّلِيلُ الثَّانِي:

• تَقْرِيرُ اللَّهِ- عَزَّ وَجَلَّ- تَمَسُّكَ الصَّحَابَةِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- بِالسُّنَّةِ فِي عَصْرِهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ-

ثبت أن النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- كان يحث أمته على التمسك بسنته ، ويحذرهم من مخالفتها ، وأن الصحابة- رضوان اللَّه عليهم- كانوا يمتثلون أمره فى ذلك ، ويقتدون به ، ويتبعونه في جميع أقواله ، وأفعاله ، وتقريراته ، ويعتبرون أن كل ما يصدر منه فهو حجة يلزمهم اتباعُها .

وقد كانوا أقدر منا على الاجتهاد ، واستنباط الأحكام من الكتاب ، ومع ذلك فقد كانوا لا يستقلون بالفَهم منه ، فيما ينزل بهم من الحوادث ، بل كانوا يرجعون إليه في كل ما يطرأ عليهم ، وإذا اجتهدوا في حال الغيبة عنه سألوه إذا لقوه ، فإن أقرهم ؛ وإلا رجعوا عن اجتهادهم إذا كان خلاف قوله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- .

وهذا كله من النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- ومن الصحابة- رضي اللَّه عنهم- ، قد أقرهم اللَّه عليه ، ولم يبين لهم أنهم أخطؤوا فيه ، مع أن الزمان كان زمانَ وحي .

ولو كانوا مخطئين في ذلك لما أقرهم اللَّه عليه ؛ لأن تقرير اللَّه- عز وجل- في زمان الوحي حجة بمنزلة الوحي المنزَّلِ نفسِه .

وهذا كله فضلًا عن أنه- تعالى- كان يأمرهم باتباع الرسول- صلى اللَّه عليه وسلم- وطاعته ، ويحذرهم من عصيانه ومخالفته .

---

(١) انظر تخريجه ص(١١٣) .

الدَّلِيلُ الثَّالِثُ :

• القُـرآنُ الكَـرِيمُ:

وقَد شُحن كتاب اللَّه - تعالى - بآيات كريمات تدل دلالة قاطعة على حجية السنة ؛ وهي على أقسام :

القِسـمُ الأَوَّلُ :

آيَاتٌ تَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وَاتِّبَاعِهِ ، وَالرِّضَا بِحُكْمِهِ

١- قال - تعالى - : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ﴾ [النور : ٦٢] .

قال ابن القيم - رحمه اللَّه - : (فإذا جعل من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهبًا - إذا كانوا معه - إلا باستئذانه ؛ فأولى أن يكون من لوازمه ألا يذهبوا إلى قول ، ولا مذهب علمي ، إلا بعد استئذانه ، وإذنُهُ يعرف بدلالة ما جاء به على أنه أذن فيه)(١) . اهـ .

٢- وقال - تعالى - : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

٣- وقال - عز وجل - : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء : ٦٥] .

عن عروة قال : (خَاصَمَ الزُّبَيْرُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصارِ فِي شِرَاجٍ مِنَ الْحَرَّةِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «اسْقِ يَا زُبَيْرُ ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ» ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ ؟ فَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ ، ثُمَّ قَالَ : «اسْقِ يَا زُبَيْرُ ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى

---

(١) «إعلام الموقعين» (١/٥٨) .

جَارِكَ»، واستوعى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - للزبير حقَّه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري، وكان أشار عليه بأمرٍ لهما فيه سَعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية[١] [النساء: ٦٥].

قال الشافعي - رحمه اللَّه -: «وهذا القضاء سنة من رسول اللَّه لا حكم منصوص فى القرآن»[٢].

٤- وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

قال ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - في تفسيرها: «لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة»[٣]، وقال سفيان - رحمه اللَّه -: «دعوا السنة تمضي، لا تعرضوا لها بالرأي»[٤]، وقال ابن القيم - رحمه اللَّه -: «أي: لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا حتى يفتي، ولا تقطعوا أمرًا حتى يكون هو الذي يحكم فيه، ويُمضيه»[٥].

القِسمُ الثَّانِـي:

آيَاتٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ السُّنَّةَ تُبَيِّنُ الْكِتَابَ، وتَشْرَحُهُ شَرْحًا مُعْتَبَرًا عِنْدَ اللَّهِ - تَعَالَى -، مُطَابِقًا لِمَا حَكَمَ بِهِ عَلَى الْعِبَادِ.

فمن ذلك:

١- قوله - تعالى -: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

---

(١) رواه البخاري (٥/٣٠٩)، (٢٧٠٨)، ومسلم (٢٣٥٧)، وانظر: «شرح السنة» للبغوي (٨/٢٨٤-٢٨٦).

(٢) «الرسالة» ص(٨٣).

(٣) رواه ابن جرير في «التفسير» (٢٦/١١٦).

(٤) «إعلام الموقعين» (١/٧٨).

(٥) «نفسه» (١/٥٤).

٢- وقوله- تعالى- : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة : ٢] .

٣- وقوله- عز وجل- : ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة : ٢٣١] .

٤- وقال- عز وجل- : ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الآية [النساء : ١١٣] .

٥- وقال- عز وجل- : ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب : ٣٤] .

عطف اللَّه الحِكمةَ على الكتاب، وذلك يقتضي المغايرة، وأنها ليست إياه، ولا يصح أن تكون شيئًا آخر غير الكتاب والسنة ؛ لأن اللَّه- تعالى- امتنَّ علينا بتعليمها، والمن لا يكون إلا بما هو صوابٌ، وحقٌّ مطابق لما عنده، فتكون الحكمة واجبة الاتباع كالكتاب، خصوصًا وأن اللَّه قد قرنها به، «وسنة رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- مُبيِّنةٌ عن اللَّه معنى ما أراد: دليلًا على خاصِّه وعامِّه، ثم قرن الحكمة بها بكتابه، فأتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله»[1] . اهـ .

القِسمُ الثَّالِثُ :

آيَاتٌ تَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ طَاعَتِهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- طَاعَةً مُطْلَقَةً، وَأَنَّ طَاعَتَهُ طَاعَةٌ لِلَّهِ- تَعَالَى-

فمن ذلك :

١- قوله-تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل‌عمران : ١٣٢] .

٢- وقوله- تعالى- : ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران : ٣٢] .

---

(١) انظر : «الرسالة» ص(٧٨، ٧٩) .

٣- وقوله- تعالى- : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال : ٢٠] .

٤- وقوله- تعالى- : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة : ٩٢] .

٥- وقوله- جل وعلا- : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء : ٥٩] .

قال ميمون بن مهران : «الرد إلى اللَّه : الرد إلى كتابه ، والرد إلى رسوله إن كان حيًّا ، فإن قبضه اللَّه إليه ؛ فالرد إلى السنة»[١] .

قال الحافظ في «الفتح» : «فكأن التقدير : أطيعوا اللَّه فيما نص عليكم القرآن ، وأطيعوا الرسول فيما بيَّنَ لكم ، من القرآن ، وما ينصه عليكم من السنة ، أو المعنى : أطيعوا اللَّه فيما أمركم به من الوحي المتعبدبتلاوته ، وأطيعوا الرسول فيما يأمركم به من الوحي الذي ليس بقرآن»[٢] . اهـ .

قال الطيبي : «أعاد الفعل في قوله : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ إشارةً إلى استقلال الرسول بالطاعة ، ولم يُعِدْهُ في أولى الأمر إشارة إلى أنه يوجد فيهم من لا تجب طاعته»[٣] . اهـ .

٦- وقوله : سبحانه- : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء : ٦٤] .

٧- وقوله- سبحانه- : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء : ٨٠] .

---

(١) «تفسير الطبري» (١٥١/٥) .
(٢) «فتح الباري» (١١١/١٣) .
(٣) «نفسه» (١١١/١٣، ١١٢) .

٨- وقوله- سبحانه- : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ الآية ، [الحشر : ٧] .

٩- وقوله- سبحانه- : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور : ٦٣] .

١٠- وقوله- سبحانه- : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء : ١١٥] .

القسم الرابع :

آياتٌ تَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ اتِّبَاعِهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- في جَمِيعِ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ ؛ والتَّأَسِّي فِي ذَلَك بِهِ ، وَعَلَى أَنَّ اتِّبَاعَهُ لَازِمٌ لمحبَّة اللَّهِ .

فمن ذلك :

١- قوله- تعالى- : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران : ٣١] .

٢- وقوله- تعالى- : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب : ٢١] .

٣- وقوله- تعالى- : ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧] .

القسم الخامس :

آيات تدل على أن اللَّه- سبحانه- كلَّفَ رَسُولَهُ- صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- بِاتِّبَاعِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مَتْلُوًّا أَوْ غَيرَ مَتْلُوٍّ ، وَتَبْلِيغِ جَمِيعِ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ

فمن ذلك :

١- قوله- تعالى- : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب : ١، ٢] .

٢- وقوله- سبحانه- : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية : ١٨] .

٣- وقوله- سبحانه- : ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف : ٤٣] .

٤- وقوله- سبحانه- : ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل : ٧٩] .

٥- وقوله- سبحانه- : ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون : ٧٣] .

الدَّلِيلُ الرَّابِعُ :

• السُّنَّةُ الشَّرِيفَةُ :

قد ورد في السنة ما يفوت الحصر ، ويدل بمجموعه دلالة قاطعة على حجية السنة الشريفة ؛ فمنها :

ما رواه ابن عباس- رضي اللَّه عنهما- قال : خطبنا رسولُ اللَّه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- فقال : «ياأيها النَّاسُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ» ، قَالَ : فَقَامَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ فَقَالَ : أَفي كُلِّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : «لَوْ قُلْتُهَا لَوَجَبَتْ ، وَلَوْ وَجَبَتْ لَمْ تعْمَلُوا بِهَا ، وَلَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا ، الحَجُّ مَرَّةٌ ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»[1] .

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه : قال رسول اللَّه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ :

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/٢٥٥) ، (١/٢٩١) ، (٢٣٠٤) ، وأبو داود (٢/ ٧٠، ٧١) ، وابن ماجه (٢/١٠٨) ، والنسائي (٢/٢) ، والدارقطني (٢/٢٨٠) ، وقال العلامة أحمد شاكر- رحمه اللَّه- : «وإسناده صحيح» . اهـ .

«لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»(١) .

وعن أبي رافع - رضي اللَّه عنه -: قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِه ، يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ ، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ ، فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، مَا وَجَدْنَاهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ»(٢) .

وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه -: قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، ومَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ»(٣) الحديث .

وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه -: قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» ، قَالُوا : يَا رسولَ اللَّهِ ، وَمَنْ يَأْبَى ؟ قَالَ : «مَنْ أَطَاعَنِي دخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»(٤) .

وعن عبداللَّه بن عمرو - رضي اللَّه عنهما - أن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قال : «إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً ، وَإِنَّ لِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً ، فَمَنْ كَانَتْ شِرَّتُه إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ ، ومَنْ كَانَتْ شِرَّتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، فَقَدْ هَلَكَ»(٥) .

ولما تردد عبداللَّه بن عمرو - رضي اللَّه عنهما - في كتابة الأحاديث ليحفظها ؛ قال له رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «اكْتُبْ ، فَوالَّذي نَفْسِي بِيدِهِ ما خَرَجَ مِنْهُ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إلى فَمِهِ - إِلَّا حَقٌّ»(٦) .

---

(١) رواه البخاري (٢/٣١١) في الجمعة ، باب السواك ، ومسلم (٢٥٢) ، وأبو داود (٤٦) ، والترمذي (٢٢) ، والنسائي (١/١٢) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦/٨) ، وأبو داود (٤٦٠٥) ، والترمذي (٢٦٦٥) ، وابن ماجه (١٣) ، وحسنه الترمذي ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين (١/١٠٨ ، ١٠٩) ، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٣٨٤٩) .

(٣) أخرجه البخاري (٦/٨٢) ، ومسلم (١٨٣٥) .

(٤) أخرجه البخاري (١٣/٢٤٩) ، (٧٢٨٠) ، والإمام أحمد (٢/٣٦١) .

(٥) أخرجه - بهذا اللفظ - ابن حبان في «صحيحه» (١١ - إحسان) ، وقال محققه : «إسناده صحيح على شرطهما» (١/١٨٨) ، وأخرجه بنحوه الإمام أحمد (٢/١٨٨ ، ٢١٠) ، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/٨٨) ، والشِّرَّة : هي الحرص على الشيء ، والرغبة ، والنشاط .

(٦) رواه الإمام أحمد (٢/١٦٢ ، ١٩٢) ، وأبو داود (٣٦٤٦) ، والدارمي (١/١٢٥) ، والحاكم =

وعن العرباض بن سارية - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا :

«وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلفاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عليها بِالنَّواجِذِ»[١] .

ورُوي عنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - أنه قال :

«تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُم بِهِمَا : كِتَابَ اللَّهِ ، وَسُنَّةَ رَسُولِهِ - صلى اللَّه عليه وسلم -»[٢] .

فَعَلَّقَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - العصمةَ من الضلال على التمسك بالقرآن والسنة معًا ، وما عُلِّق على شرطين لا يتم بأحدهما ، وقال - تعالى - : ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور : ٥٤] ، وقال - عز وجل - : ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب : ٣٦] ؛ فمِن ثَمَّ يجب القطعُ بضلالِ من جحد حجية السنة ، وادَّعى الاقتصار على القرآن الكريم ، كما هو شعار المبتدعة في كل عصر ومصر ، قال ابن مسعود رضي اللَّه عنه : «ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم»[٣] .

وقال أيوب السَّخْتِياني : « إذا حدثتَ الرجلَ بسنةٍ ، فقال : (دعنا من هذا ، وأنبئنا عن القرآن) ؛ فاعلم أنه ضال»[٤] .

وَكَمْ مِنْ فَقِيهٍ خَابِطٍ في ضَلَالَةٍ   وَحُجَّتُهُ فِيهَا الكِتَابُ الْمُنَزَّلُ

وعن عقبة بن عـامرٍ الجُهَنِي - رضي اللَّه عنه - قال : سمعت رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - يقول : «هَلَاكُ أُمَّتِي في الْكِتَابِ وَاللَّبَنِ» ، فَقِيلَ :

= (١/١٠٥ ، ١٠٦) ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٣٢) .

(١) تقدم تخريجه ص(٣٠) .

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» مُعضلًا بلاغًا ، ويشهد له حديث ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - عند الحاكم (١/٩٣) ، وقال : «صحيح الإسناد» ، وانظر : «السلسلة الصحيحة» برقم (٧٦١) ، ورقم (١٧٦١) ، و«مشكاة المصابيح» رقم (١٨٦) بتحقيق الألباني .

(٣) قطعة من أثر رواه مسلم (٢٥٦) ، (٦٥٤) .

(٤) عزاه في «حجية السنة» ص(٣٣٢) إلى البيهقي في «المدخل» .

يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الْكِتَابُ وَاللَّبَنُ ؟ قَالَ : «يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ- عزَّ وَجَلَّ- ، وَيُحِبُّونَ اللَّبَنَ ؟ فَيَدَعُونَ[١] الْجَمَاعَاتِ وَالْجُمَعَ وَيَبْدُونَ»[٢] .

وفي رواية عنه - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا : «إني أخافُ على أُمتي اثنتين : القرآنَ واللبَنَ ، أما اللبن فيبتغون الرِّيفَ ، ويتبعون الشهَواتِ ، ويتركون الصلواتِ ، وأما القرآنُ فيتعلَّمُه المنافقونَ ، فيُجادِلونَ به المؤمنين»[٣] .

إن فصل السنة عن القرآن يفتح المجال للمبتدعة كي يفسدوا معاني القرآن الكريم ما شاءوا أن يُفسدوا ، دون أن يُجابَهوا بما يبينها من السنة الشريفة ، وما أكثر النصوص القرآنية العامة ، أو المطلقة التي تكون طيِّعة في يد صاحب الغرض الخبيث إذا فُهمت بمعزل عن السنة التي تفسرها ، وتبينها بيانًا يتعين المصير إليه[٤] .

---

(١) وفي رواية : «فيخرجون من الجماعات» ، قال السندي : أي : لا يتيسر الإكثارُ منه - أي اللبن - إلا في البادية ، فيخرجون إليها ، فيؤدي ذلك إلى ترك الجُمع والجماعات .

(٢) أخرجه - بإسناد حسن - الإمام أحمد (١٤٦/٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦) ، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٤٦) ، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٨١٥- ٨١٨) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٦٣٦/٢٨) رقم (١٧٤٢١) طبعة وزارة الأوقاف بالسعودية ، والطبراني في «الكبير» (٨١٨/١٧) ، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٦١٥) .

(٤) مثال بيان السنة لمجمل القرآن قوله - صلى اللَّه عليه وسلم - : «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» ، وقوله : «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ» ، ومثال تخصيص عمومه : البيوع التي نَهَتْ عنها السنة ؛ فإنها تخصص قوله - تعالى - : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، وقوله - صلى اللَّه عليه وسلم - : «لَا نُورَثُ ، مَا تَرَكْنَا : صَدَقَةٌ» ، رواه الشيخان ، فهو يخصص عموم قوله - تعالى - : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء : ١١] ، ومثال تقييد المطلق : تقييده - صلى اللَّه عليه وسلم - الوصية بالثلث ، في قوله : «الثُّلُثُ ، والثُّلُثُ كَثِيرٌ - أَوْ كَبِيرٌ» . رواه البخاري ، مع مطلق قوله - تعالى - : ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء : ١١] . ومثال توضيح المشكل بيانه - صلى اللَّه عليه وسلم - أن الظلم في قوله - تعالى - : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ ، هو الشرك باللَّه - عز وجل .

وقد تبسط السنة ما أُوجِزَ في القرآن ؛ كقصة الثلاثة المخلفين ، وقصة أصحاب الأخدود . =

*** ذِكْرُ جُمْلَةٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ فيهَا أَمْرُهُ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- بِاسْتِماعِ حَدِيثِه وَحِفْظِهِ، وَتَبْلِيغِهِ إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنَ الْمَوْجُودِينَ في عَصْرِهِ، وَمِمَّنْ سَيُوجَدُونَ بَعْدَهُ، وَوَعْدُهُ عَلَى ذَلِكَ الأَجْرَ الْعَظِيمَ، وَذَلَكَ يَسْتَلْزِمُ حُجِّيَّتَهُ.**

عن أبى بكرة - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ؛ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ»(١).

وعن زيد بن ثابت - رضي اللَّه عنه -: قال رسول اللَّه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- : «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ، حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»(٢).

وعن ابن مسعود - رضي اللَّه عنه -: قال رسول اللَّه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- : «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»(٣).

وقد روى ابن عباس- رضي اللَّه عنهما- قول النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- لوفد عبدالقيس، بعد أن أمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع: «احْفَظُوهُ، وَأَخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَكُمْ»(٤).

= ويرى بعض العلماء أن السنة قد تنسخ القرآن ؛ كما في قوله - صلى اللَّه عليه وسلم -: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»، وهو حديث متواتر، نسخ قوله - تعالى -: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]. وقد أتت السنة بتشريع المئات والمئات من الأحكام الشرعية التي سكت عنها القرآن الكريم، وانظر: «إعلام الموقعين» (٢/ ٣١٤)، وما بعدها.

(١) رواه البخاري (١/ ١٥٧، ١٥٨)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٨٣)، وأبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، والدارمي (١/ ١٧٥)، وابن حبان (٦٧)، (١/ ٢٧٠- إحسان)، وهذا الحديث متواتر رواه عن رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - أربعة وعشرون صحابيًّا، وللعلامة عبد المحسن بن حمد العباد- حفظه اللَّه- دراسة وافية مستقلة لهذا الحديث، رواية ودراية.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٣٧)، والترمذي (٢٦٥٧)، وابن ماجه (٢٣٢)، وابن حبان (٦٦)، (١/ ٢٦٨- إحسان)، وحسَّنه محققه.

(٤) رواه البخاري (٨٧)، ومسلم (١٧)، (٢٤)، والإمام أحمد (١/ ٢٢٨).

وقد غلَّظ اللَّه- عز وجل- عقوبةَ من يتعمد الكذبَ على رسول اللَّه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- ، وما ذاك إلا لأنه- أي الكذب عليه- مستلْزِمٌ لتبديل الأحكام الشرعية ، واعتقاد الحرام حلالًا ، والحلال حرامًا ، وهذا فرع عن حجية السنة .

وعن سلمة - رضي اللَّه عنه - قال : سمعته- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- يقول : «مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(١) .

وعن المغيرة بن شعبة - رضي اللَّه عنه - قال : سمعت رسول اللَّه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- يقول : «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ ؛ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(٢) .

قال الإمام البغوي- رحمه اللَّه- : «اعلم أن الكذب على النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- أعظم أنواع الكذب ، بعد كذب الكافر على اللَّه»(٣) . اهـ .

وعنه- أيضًا- رضي اللَّه عنه- قال رسول اللَّه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- : «مَنْ حَدَّثَ عني بِحَدِيثٍ ، يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ»(٤) .

وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال رسول اللَّه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- :

«يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ ، يَأْتُونَكُمْ مِن الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، لَا يُضِلُّونَكُمْ ، وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ»(٥) .

فإن لم يكن الحديث حجة ، فعلام هذا التحذير من الأحاديث المكذوبة عنه؟ ولِمَ يحصل بها الضلال والفتنة ؟!

---

(١) رواه البخاري (١/١٨٠) .

(٢) رواه البخاري (٣/١٦٠) ، ومسلم (٤) في المقدمة ، والترمذي (٢٦٦٤) .

(٣) «شرح السنة» (١/٢٥٥) .

(٤) رواه مسلم (١/٩٥) بشرح النووي ، ط . دار أبي حيان ، وانظره (١/٩٩) .

(٥) رواه مسلم في المقدمة (٧) .

الدَّلِيـلُ الْخَامِسُ:

• تَعَذُّرُ العَمَلِ بِالقُرآنِ الكَرِيمِ وَحدَهُ :

١- قال اللَّه - تعالى - : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة : ٤٣] ، نفهم منه وجوب الصلاة والزكاة ، ولكن : ما ماهية تلك الصلاة الواجبة ؟ وما كيفيتها ؟ وما وقتها ؟ وكم عددها؟ وعلى من تجب؟ وكم مرة تجب في العمر ؟ وما ماهية الزكاة ؟ وعلى من تجب ؟ وفي أي مال تجب ؟ وما مقدارها ؟ وما شرط وجوبها؟

٢- وقال تعالى : ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ﴾ [المزمل : ٢٠] ، ففهمنا وجوب قراءة ما تيسر ، ولكن ما المراد من القراءة ؟ أهي في الصلاة ، أم قراءة القرآن ؟ وإذا كانت في الصلاة ففي أي ركعة؟

٣- وقال - تعالى - : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ [الحج : ٧٧] ، ففهمنا وجوب الركوع والسجود ، ولكن ما كيفيتهما ؟ وكم عددهما؟

٤- وقال - تعالى - : ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة : ٣٤] ، ففُهِمَ منه تحريمُ الكَنز ، وعدم الإنفاق ، ولكن ما المراد بهذا الإنفاق المقابل للكنز ؟ أهو إنفاق جميع المال (كما فهمه الصحابة حين نزول الآية) ؟ أو إنفاق بعضه ؟ وما مقدار هذا البعض ؟

٥- وقال - تعالى - : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

فما المراد بالظلم الذي جُعِلَ انتفاؤُهُ شرطًا للأمن والاهتداء ؟ أجميع أنواعه؛ كما فهم الصحابة ؟ أم نوع خاص منه ؟

٦- وقال - عزَّ وجلَّ - : ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة : ٣٨] .

ففهمنا وجوبَ قطعِ يدِ كلٍّ منهما ، لكن ما هذه السرقة الموجبة للقطع ، وما شروطها ؟ وما نصاب المال الذي توجب سرقتُه القطع ؟ وما كيفية هذا القطع ؟

أتقطع اليد من مفصل الكتف ؟ أم من مفصل المرفق ؟ أم من مفصل الكوع ؟ وهل يتكرر القطع عند تَكَرُّرِ السرقة ؟

وفي القرآن كثيرٌ من ذلك .

فجرد نفسك وعقلك عما ورد في السنة من بيان ما ذكرنا في هذه الآيات ونحوها ، وعما عُلِمَ من الدين بالضرورة بواسطة السنة ، وعما استنبطه الفقهاء باجتهاداتهم : بالأقيسة وغيرها ، التي استعانوا عليها بالسنة .

جرد نفسك وعقلك عن هذا كله ، ثم انظر : هل يستطيع مستطيع أن يجيب عن شيء مما ذكرنا ونحوه ؟ وإذا لم يستطع ، فهل من الممكن أن يكلفنا اللَّه بتكاليف أخفاها عنا ، وأعمانا عن مراده منها ؟

كل ذلك يدلنا على أن اللَّه لم يكلفنا بهذه التكاليف التي أجملها في كتابه ، وهو يعلم حق العلم أن عقولنا تقصر عن إدراك مراده ، إلا وقد نصب لها شارحًا مُبَيِّنًا ، وأوجد مفسرًا موضحًا ، ألا وهو رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - بواسطة وحيه ، وتأييده .

قال الإمام أبو محمد بن حزم - رحمه اللَّه - : «في أي قرآنٍ وُجِدَ أن الظهر أربع ركعات ، وأن المغرب ثلاث ركعات ، وأن الركوع على صفة كذا ، والسجود على صفة كذا ، وصفة القراءة فيها والسلام ، وبيان ما يُجْتَنَبُ في الصوم ، وبيان كيفية زكاة الذهب والفضة ، والغنم والإبل والبقر ، ومقدار الأعداد المأخوذة منها الزكاة ، ومقدار الزكاة المأخوذة ، وبيان أعمال الحج ؛ من الوقوف بعرفة ، وصفة الصلاة بها ، وبمزدلفة ، ورمي الجمار ، وصفة الإحرام ، وما يجتنب فيه ، وقطع السارق ، وصفة الرضاع المحرِّم ، وما يحرم من المآكل ، وصفتا الذبائح والضحايا ، وأحكام الحدود ، وصفة وقوع الطلاق ، وأحكام البيوع ، وبيان الربا ، والأقضية ، والتداعي ، والأيمان ، والأحباس ، والعُمْرى ، والصدقات ، وسائر أنواع الفقه ؟

وإنما في القرآن جمل لو تُركنا وإياها لم ندر كيف نعمل بها ، وإنما المرجوع إليه في كل ذلك النقلُ عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وكذلك الإجماع ؛ إنما هو على مسائل يسيرة ، فلابد من الرجوع إلى الحديث ضرورة ، ولو أن امرأ قال : (لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن) ؛ لكان كافرًا بإجماع الأمة ، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل ، وأخرى عند الفجر ؛ لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة ، ولا حَدَّ للأكثر في ذلك ، وقائل هذا كافر مشرك ، حلال الدم والمال»[(١)] . اهـ .

*** ذِكرُ جُملَةٍ مِنَ الآثَارِ السَّلَفِيَّةِ في هَذَا المعَنَى:**

عن صدقة بن أبي عبدالله أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يقول : «أصحاب الرأي أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديثُ أن يحفظوها ، وتفلتت منهم أن يعوها ، واستحيوا حين سُئِلُوا أن يقولوا : لا نعلم ، فعارضوا السنن برأيهم ، فإياكم وإياهم»[(٢)] .

وقال - رضي الله عنه - : «سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن ، فخذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله»[(٣)] .

ولما أرسل أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - ابنَ عباس - رضي الله عنهما - إلى الخوارج ، قال له : «اذهب إليهم فخاصمهم ، ولا تحاجهم بالقرآن ؛ فإنه ذو وجوه ، ولكن خاصمهم بالسنة»[(٤)] .

وأخرج ابن سعد أن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال لعلي - رضي الله عنه - : «يا أمير المؤمنين ، فأنا أعلم بكتاب الله منهم : في بيوتنا نزل ، قال : صدقت ، ولكن القرآن حَمَّالٌ ذو وجوه ، تقول ، ويقولون ، ولكن حاججهم

---

(١) «المحلي» (٢/٢٠٠) .

(٢) «إعلام الموقعين» (١/٥٨) .

(٣) «سنن الدارمي» (١/٤٩) .

(٤) انظر : «الطبقات» لابن سعد (٣/ ٣٢) ط . دار صادر ، و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص(١٥٥) .

بالسنن ؛ فإنهم لن يجدوا عنها مَحِيصًا ، فخرج إليهم ، فحاجَّهم بالسنن ، فلم يُبق بأيديهم حجة »[١] .

وعن عمران بن الحصين - رضي اللَّه عنهما - : أنهم كانوا يتذاكرون الحديث ، فقال رجل : « دعونا من هذا ، وجيئونا بكتاب اللَّه » ، فقال عمران : « إنك أحمق ؛ أتجد في كتاب اللَّه الصلاةَ مفسَّرةً؟ أتجد في كتاب اللَّه الصيام مفسَّرًا ؟ إن القرآن أحْكَمَ ذلك ، والسنةَ تُفَسِّرُه »[٢] .

وأخرج الدارمي عن ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال :

« يا أيها الناس ! عليكم بالعلم قبل أن يُرْفَعَ ، فإن مِن رفعه قبضَ أصحابه ، وإياكم والتبدعَ والتنطعَ ، وعليكم بالعتيق ؛ فإنه سيكون في آخر هذه الأمة أقوام يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب اللَّه ، وقد تركوه وراء ظهورهم »[٣] .

وأخرج ابن عبدالبر عن رجاء بن حَيْوَة عن رجل قال : كنا جلوسًا عند معاوية - رضي اللَّه عنه - فقال : « إن أغوى الضلالة لَرَجل يقرأ القرآن فلا يفقه فيه ، فيعلِّمه الصبي ، والعبد ، والمرأة ، والأمة ، فيجادلون به أهل العلم »[٤] .

وأخرج مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن أَسِيد : أنه سأل عبداللَّه بن عمر فقال : « يا أبا عبدالرحمن ، إنا نجد صلاة الخوف ، وصلاة الحضر في القرآن ، ولا نجد صلاة السفر ؟ » فقال ابن عمر : « يابن أخي ، إن اللَّه عز وجل بعث إلينا محمدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، ولا نعلم شيئًا ، فإنما نفعل كما رأيناه يفعل »[٥] .

ورُوِيَ عن حبيب بن أبي فضالة المكي ، أن عمران بن حصين - رضي اللَّه

---

(١) انظر : « حجية السنة » ص(٣٢٩) .
(٢) انظر : « جامع بيان العلم » (١١٩٢/٢) .
(٣) « سنن الدارمي » (٥٤/١) .
(٤) « جامع بيان العلم » (١٢٠٣/٢) .
(٥) « الموطأ » ص(١٠٩) ، باب قصر الصلاة في السفر .

عنهما - ذكر الشفاعة، فقال رجل من القوم: «يا أبا نجيد، إنكم تحدثوننا بأحاديث، لم نجد لها أصلًا في القرآن»، فغضب عمران، وقال للرجل: قرأتَ القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدتَ فيه صلاةَ العشاء أربعًا، ووجدتَ المغربَ ثلاثًا، والغداةَ ركعتين، والظهر أربعًا، والعصر أربعًا؟ قال: لا.

قال: فعمَّن أخذتم ذلك؟ ألستم عنا أخذتموه، وأخذناه عن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ؟

أوجدتم فيه: في كل أربعين شاةٍ شاة، وفي كل كذا بعير كذا، وفي كل كذا درهمًا كذا؟ قال: لا، قال: فعمن أخذتم ذلك؟ ألستم عنا أخذتموه، وأخذناه عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -؟

قال: في القرآن ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، أوجدتم فيه: فطوفوا سبعًا، واركعوا ركعتين خلف المقام؟ أوجدتم في القرآن: «لَا جَلَبَ وَلَا جَنَبَ، وَلَا شِغَارَ فِي الْإِسْلَامِ»[1]؟

أما سمعتم اللَّه قال في كتابه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]؟ قال عمران: «فقد أخذنا عن رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - أشياء ليس لكم بها علم»[2]).

وأخرج الدارمي عن سعيد بن جبير: أنه حدَّث يومًا بحديثٍ عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، فقال له رجل: في كتاب اللَّه ما يخالف هذا، فقال: «ألا أراني أحدثك عن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، وتُعَرِّضُ فيه بكتاب اللَّه، كان

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٨١)، والترمذي (١١٢٣)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (٦/ ١١١)، وابن ماجه (٣٩٣٧)، وصححه ابن حبان (٧٣٨).

والجلب: أن يجلب حول الفرس من خلفه في الميدان ليحرز السبق.

والجَنَب: أن يجنب إلى فرسه فرسًا عريانًا، فإذا فتر المركوبُ تحوَّل إليه.

والشِّغار: نكاح كان في الجاهلية، وهو أن يقول الرجل لآخر: «زوجني ابنتك، على أن أزوجك ابنتي، على أن صداق كل واحدة منهما بُضْعُ الأخرى».

(٢) رواه أبو داود (١٥٦١)، والطبراني في «الكبير» (١٨٢١٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨١٥).

رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - أعلمَ بكتاب اللَّه منك»[١].

وعن أيوب السختياني : أن رجلًا قال لمطرف بن عبداللَّه بن الشخير : لا تحدثونا إلَّا بما في القرآن ، فقال له مطرف : «إنا ، واللَّه ، ما نريد بالقرآن بدلًا ، ولكنا نريد من هو أعلم بالقرآن منا»[٢].

وذكر ابن عبدالبر في كتابه «جامع بيان العلم» ، عن عبدالرحمن بن يزيد : أنه رأى مُحْرِمًا يحج ، وعليه ثيابه ، فقال : ائتني بآية من كتاب اللَّه تنزع ثيابي ، قال : فقرأ عليه : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُـذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر : ٧] الآية[٣].

وثبت عن ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - أن امرأة جاءت إليه ، فقالت له : أنت الذي تقول : «لَعَنَ اللَّهُ النَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْوَاشِمَاتِ» الحديث ؟ قال : نعم ، قالت : فإني قرأت كتاب اللَّه من أوَّله إلى آخره ، فلم أجد فيه ما تقول ، فقال لها : إن كنتِ قرأتِيهِ لقد وجدتِيهِ ، أما قرأتِ : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُـذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ ؟! قالت : بلى ، قال : فقد سمعت رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - يقول : «لَعَنَ اللَّهُ النَّامِصَاتِ»[٤].

فكأن القوم قد كذبوا بالقرآن - أيضًا - ، لأن القرآن ألزمنا بطاعة رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - مطلقًا .

الـدَّلِيلُ السَّادِسُ :

• أَنَّـهُ ثَـبَتَ بِـأَدِلَّةِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ السُّنَّةَ وَحْـيٌ كَالْقُـرْآنِ الْكَرِيمِ[٥] :

أما أدلة القرآن العظيم ، فمنها :

١ - قوله - تعالى - : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم : ٣، ٤] .

(١) «سنن الدارمي» (١/١٤٥) .

(٢) انظر : «جامع بيان العلم» (٢/١١٩٣) .

(٣) «نفسه» (٢/١١٨٣) .

(٤) رواه البخاري (٤٨٨٦) ، ومسلم (٢١٢٥) ، وغيرهما .

(٥) اعلم - رحمك اللَّه - أن الوحي (بمعنى الموحَى به) ينقسم إلى متلوٍّ وغيرِ متلوٍّ : =

قال ابن القيم - رحمه اللَّه - تعالى - : (ولم يقل : «وما ينطق بالهوى» ؛ لأن نطقه[1] عن الهوى أبلغ ، فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى ، وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به ؟ فتضمن نفي الأمرين : نفي الهوي عن مصدر النطق ، ونفيه عن نفسه ، فنُطقه بالحق ، ومصدره الهدى والرشاد ، لا الغَيُّ والضلال)[2] . اهـ .

وقال في موضع آخر :

(﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ، فأعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل ؛ أي : ما نطقه إِلَّا وحي يوحى ، وهذا أحسن مِن قول مَن جعل الضمير عائدًا إلى القرآن ؛ فإنه يعم نطقه بالقرآن والسنة ، وأن كليهما وحي يوحى ، وقد احتج الشافعي لذلك بقوله - تعالى - : ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء : ١١٣] ، وحديث «لَأَقْضِينَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ» ، وكذا حديث يعلى بن أمية في جملة أحاديث أخرى)[3] .

٢- جملة من الآيات اقترن فيها القرآن بالحكمة في سياق الامتنان على الأمة

= - فمن الوحي المتلو : القرآن الكريم الذي جعله اللَّه تعالى آية باهرة ، ومعجزة قاهرة ، وحجة باقية على نبوة رسوله محمد - صلى اللَّه عليه وسلم - ، وتكفل بحفظه من التبديل والتحريف إلى قيام الساعة ، نزل به جبريل الأمين على النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - بلفظه ومعناه من غير أن يكون لواحدٍ منهما مدخل فيه بوجه من الوجوه ، وقد انعقد الإجماع على أن القرآن الكريم نزل على النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - في اليقظة بواسطة جبريل عليه السلام ، وأنه لم ينزل عليه منه شيء في النوم ، ولا بطريقة من طرق الوحي الأخرى .

ومن خصائص القرآن الكريم أنه متعبَّد بتلاوته في الصلاة وخارجها ، وأنه لا تجوز روايته بالمعنى ، وأنه معجز بلفظه ومعناه .

- ومن الوحي غير المتلو : السنة النبوية ، غير أنها تفارق القرآن الكريم بأمور كثيرة ؛ منها : أنها منزلة بالمعنى ولفظها من النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - ، وأنها ليست معجزة بألفاظها ، ولا متعبَّدًا بتلاوتها ، وأنها نزلت بطرق الوحي المتعددة : الإلهام يقظة أو منامًا ، والكلام من وراء حجاب - كما حصل عند فرض الصلاة ليلة المعراج - والإيحاء بواسطة الملَك .

(١) لعله : لأن نفي نطقه عن الهوى أبلغ .

(٢) «بدائع التفسير» (٤/٢٧٦) .

(٣) «التبيان في أقسام القرآن» ص(١٨١) .

المحمدية ؛ مثل قوله - تعالى - : ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ . . . الآية [البقرة : ١٥١] .

وقوله سبحانه : ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ . . . الآية [البقرة : ١٢٩] .

وقوله عز وجل : ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ . . . الآية [النساء : ١١٣] .

وقوله سبحانه : ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة : ٢٣١] .

وقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ، الآية [الجمعة : ٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ . . . الآية [الأحزاب : ١٣٤] .

قال الشافعي - رحمه اللَّه - : «سمعت مَن أرضى مِن أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة سنة رسول اللَّه ﷺ»(١) . اهـ .

وقال ابن القيم - رحمه اللَّه - : «والكتاب هو القرآن ، والحكمة هي السنة باتفاق السلف ، وما أخبر الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - عن اللَّه - سبحانه - فهو ، في وجوب تصديقه والإيمان به ، كما أخبر به الرب - تعالى - على لسان رسوله - صلى اللَّه عليه وسلم - ، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام ، لا ينكره إِلَّا من ليس منهم»(٢) . اهـ .

وقال الإمام ابن حزم - رحمه اللَّه - : «قال اللَّه - عز وجل - عن نبيه - صلى اللَّه عليه وسلم - : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم : ٣، ٤] .

---

(١) «الرسالة» ص(٧٨) .

(٢) «الروح» ص(١٠٥) .

وقال - تعالى - آمرًا لنبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يقول : ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [يونس : ١٥] .

وقال - تعالى - : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] .

وقال - تعالى - : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ الآية [النحل : ٤٤] .

فصح أن كلام رسول الله ﷺ كله في الدين وحي من عند الله - عز وجل - ، لا شك في ذلك ، ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله فهو ذكر منزل ، فالوحي كله محفوظ بحفظ الله - تعالى - له بيقين ، وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمون ألا يضيع منه ، وألا يحرَّفَ منه شيء أبدًا تحريفًا لا يأتي البيان ببطلانه »[1] . اهـ .

٣- قوله - تعالى - : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة : ١٦- ١٩] .

﴿بَيَانَهُۥ﴾ : إظهاره بلسانك ، فتقرؤه كما أقرأك جبريل ، وعلينا كذلك تبيين ما فيه من الأحكام ، وما يتعلق بها من الحلال والحرام ، والتفصيل والإجمال ، والتقييد والإطلاق ، وما إلى ذلك ، وهذا التفسير للآية ذهب إليه الحافظ ابن حجر - رحمه الله - تعالى[2] .

٤- وقال - تعالى - : ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [يونس : ١٥] ، وقال - عز وجل - : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى : ٥٢ ، ٥٣] . وقال - عز وجل - : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل : ٤٤] .

وقال - سبحانه - : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] .

---

(١) «الإحكام» (١/١٠٩) .

(٢) انظر : «فتح الباري» (٨/٦٨٣) .

وقد سئل الإمام عبدالله بن المبارك : هذه الأحاديث الموضوعة ؟ فقال : «تعيش لها الجهابذة ، قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ » .

وإذا كانت حجة الله على عباده لا تقوم إلَّا بحفظ رسالته وشرعه ، فإن هذا الحفظ لا يتم إلَّا بحفظ القرآن والسنة التي تبينه وتشرحه للناس ، فلزم من ذلك لزومًا حتميًّا أن يحفظ الله- سبحانه وتعالى- السنة ، ويتعهد ببقائها .

قال الإمام ابن حزم- رحمه الله- تعالى- : «والقرآن والخبر الصحيح بعضها مضاف إلى بعض ، وهما شيء واحد في أنهما من عند الله- تعالى- وحكمهما حكم واحد في باب وجوب الطاعة لهما ، قال- تعالى- : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر : ٩]، وقال- تعالى- : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ [الأنبياء : ٤٥] ، فأخبر- تعالى- : أن كلام نبيه – صلى الله عليه وسلم – كله وحي ، والوحي بلا خلافٍ ذِكْر ، والذكر محفوظ بنص القرآن»[1] . اهـ .

٥- وقال- جل وعز- : ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة : ١٤٢- ١٤٤] .

هذه الآيات نزلت عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، وهي تدلنا على أن التوجه إلى بيت المقدس كان مشروعًا من قبل ، وأن النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- مع ميله الشديد إلى التوجه إلى الكعبة ؛ لكونها قبلة آبائه ،

---

(١) «الإحكام» (١/٩٨) .

لم يتوجه إليها ، بل كان ملتزمًا التوجهَ إلى بيت المقدس هو وأصحابه .

وتدلنا - أيضًا - على أن التزامهم ذلك كان حقًّا وصوابًا واجبًا عليهم قبل التحويل ، وهي مع ذلك لم تشرع التوجه إلى بيت المقدس ؛ لأنها إنما نزلت في نهاية العمل به ، وهي إنما تشرع التوجه إلى الكعبة .

وليس هناك آية أخرى في القرآن الكريم تبين لنا حكم التوجه إلى بيت المقدس ، فدلنا هذا كله على أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه كانوا عاملين بحكمٍ لم ينزل به القرآن ، وأن عملهم هذا كان حقًّا وواجبًا عليهم .

إذن : كان التوجه إلى بيت المقدس بوحي غير القرآن .

*** أما أدلة السنة الشريفة ؛ فمنها:**

ما رواه المقدام بن معدي كرب - رضي اللَّه عنه - : قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ[1] يَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآن ، فَمَا وَجَدْتُم فِيهِ مِنْ حَلَال فَأَحِلُّوه ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَام فَحَرِّمُوهُ ، وَإِنَّ مَا حرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمُ الْحِمَارُ الأَهْلِيُّ ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّباعِ ، وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهَدٍ ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُها ، ومَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُقْرُوهُ ، فَإِنْ لَمْ يُقْرُوهُ ، فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ»[2] .

---

(١) وهذه صفة فرقة «القرآنيين» الضالة التي أخبر النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - بخروجها ، وفي قوله : «شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ» إشارة إلى أنهم عاطلون بطَّالُون مُتْرَفُونَ ، لا يتجشمون مشقة في تحصيل العلم ، ولا رحلة لطلب الحديث ، كما كان شأن أئمة هذا الشأن في القديم والحديث ، قال البغوي - رحمه اللَّه - : «والأريكة : السرير ، ويقال : لا يسمَّى أريكة حَتَّى يكون في حَجَلة ، وقال الأزهري : كل ما اتُّكِئَ عليه فهو أريكة ، وأراد بهذه الصفة أصحاب الترفُّهِ والدَّعَةِ ، الذين لزموا البيوت ، وقعدوا عن طلب العلم .

وفي الحديث دليل على أنه لا حاجة بالحديث إلى أن يُعْرَضَ على الكتاب ، وأنه مهما ثبت عن رسول اللَّه ﷺ كان حجة بنفسه . . .» . اهـ . من «شرح السنة» (٢٠١/١) .

(٢) رواه الإمام أحمد (١٣٠/٤- ١٣٢) ، وأبو داود (٤٦٠٤) ، والترمذي (٢٦٦٦) ، وحسَّنه ، =

وعن العرباض بن سارية - رضي اللَّه عنه - : قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «أَيَحْسَبُ أَحَدُكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ قَدْ يَظُنُّ أن اللَّهَ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا إِلَّا مَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ؟! أَلَا وَإِنِّي ، وَاللَّهِ ، قَدْ أَمَرْتُ ، وَوَعَظْتُ ، وَنَهَيْتُ عَنْ أَشْيَاءَ ، إِنَّهَا لَمِثْلُ هَذَا الْقُرْآنِ أَوْ أَكْثَرُ»(١) .

وعن أبي رافع أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قال : «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ ، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ ، فَيَقُولُ : مَا أَدْرِي ، مَا وَجَدْنَاهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ»(٢) .

وعن طلحة بن نُضَيلة قال : «قيل لرسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - في عام سَنَة(٣) : سَعِّر لنا يا رسول اللَّه ، قال : لَا يَسْأَلُنِي اللَّهُ عَنْ سُنَّةٍ أُحْدِثُها فِيكُمْ لَمْ يَأْمُرْنِي بِهَا ، وَلَكِن اسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ»(٤) .

وقد سن - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - سننًا ، وبَيَّنَ أحكامًا ليست في القرآن ، فدل هذا الحديث على أنها بوحي اللَّه وأمره .

وعن أبي هريرة وزيد بن خالد - رضي اللَّه عنهما - أنهما قالا : (إن رجلًا من الأعراب أتى رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، فقال : يا رسول اللَّه ، أنشدك اللَّه إِلَّا قضيت لي بكتاب اللَّه ، وقال الخصم الآخر - وهو أفقه منه - : نعم ، فاقض بيننا بكتاب اللَّه ، وائذن لي ، فقال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «قُلْ» ، قال : إن ابني كان عسيفًا(٥) على هذا ، فزنى بامرأته ، وإني

= وابن ماجه (١٢) في المقدمة ، وصححه الألباني - رحمة اللَّه عليه .

(١) قطعة من حديث أخرجه أبو داود (٣٠٥٠) ، وفي سنده أشعث بن شعبة المصيصي ، لم يوثقه غير ابن حبان ، وبقية رجاله ثقات ، وضعفه الألباني في «المشكاة» (١٦٤) .

(٢) تقدم تخريجه ص(١١٢) هامش رقم (٢) .

(٣) سَنَة : جدب ، وقحط .

(٤) قال الهيثمي في «المجمع» : «رواه الطبراني في (الكبير) ، وفيه بكر بن سهل الدمياطي ، ضعَّفَهُ النسائي ، ووثَّقه غيره ، وبقية رجاله ثقات» . اهـ (٤/١٠٠) .

(٥) أي : أجيرًا .

أُخبِرت أن على ابني الرجمَ ، وافتديت منه بمئة شاة ووليدة ، فسألت أهل العلم ، فأخبروني أن على ابني جلد مئة ، وتغريبَ عام ، وأن على امرأة هذا الرجمَ ، فقال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - :

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ ، الْغَنَمُ وَالْخَادِمُ رَدٌّ عَلَيْكَ ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِئَةٍ ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ ، وَاغْدُ يَا أُنَيْسُ - لِرَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ - عَلَى امْرَأَةِ هَذَا ، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا» ، قال : فغدا عليها ، فاعترفت ، فأمر بها رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - فرُجِمَتْ)[1] .

وعن يعلى بن أمية - رضي اللَّه عنه - أنه كان يقول لعمر - رضي اللَّه عنه - : «ليتني أرى رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - حين ينزل عليه الوحي» ، فلما كان بالجِعرانة ، سأله رجل ، فقال : «كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جُبَّته ، بعدما تضمخ بالخلَوق[2] ؟» فنظر إليه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ساعة ، ثم سكت ، فجاء الوحي ، فأشار عمر بيده إلى يعلى ، فجاء فأدخل رأسه ، فإذا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - مُحْرِم يَغِطُّ[3] ، ثم سُرِّيَ عنه ، فقال : «أين السائل آنفًا ؟» ، فجيء به ، فقال : «انْزِعْ عَنْكَ جُبَّتَكَ ، وَاغْسِلْ أَثَرَ الطِّيبِ ، وَاصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ مَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ»[4] .

وعن أم المؤمنين عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت : خرجت سَودة بعدما ضُرب الحجاب لحاجتها ، وكانت امرأة جسيمة ، تَفْرَعُ[5] النساءَ جسمًا ، لا تخفى على من يعرفها ، فرآها عمربن الخطاب - رضي اللَّه عنه - ، فقال :

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٢٤) ، ومسلم (١٦٧٩) ، وأبو داود (٤٤٤٥) ، والترمذي بعد الحديث (١٤٣٣) ، والنسائي (٨/ ٢٤٠ ، ٢٤١) ، والإمام أحمد (٤/ ١١٥ ، ١١٦) .

(٢) أي : لطخ نفسه بالطيب حتى كأنه يقطر .

(٣) غَطَّ في نومه : صات ، وردَّد النَّفَسَ في خياشيمه ، وفي «النهاية» : «الغطيط : الصوت الذي يخرج مع نَفَس النائم ، وهو ترديده حيث لا يجد مساغًا» . اهـ . (٣/ ٣٧٢) .

(٤) رواه البخاري (٣/ ٣٩٣) ، (١٥٣٦) ، ومسلم (١١٨٠) ، (٢/ ٨٣٦) ، وغيرهما .

(٥) تفرع : تطولهن ، فتكون أطول منهن .

«يا سودة ، أما واللَّه ما تخْفَينَ علينا ، فانظري كيف تخرجين ؟» قالت : فانكَفَأَتْ راجعةً ، ورسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - في بيتي ، وإنه ليتعشَّى وفي يده عَرْقٌ[1] ، فَدَخَلَتْ ، فقالت : «يا رسول اللَّه ، إني خرجتُ ، فقال لي عمرُ كذا وكذا» ، قالت : فأُوحي إليه ، ثم رُفع عنه ، وإن العَرْقَ في يده ما وضعه ، فقال : «إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ» ، قال هشام : يعني البَرَازَ[2] .

وعن عبداللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قال : «لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلَا عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى النَّارِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، لَا يَسْتَبْطِئَنَّ أَحُدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ ، إِنَّ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَلْقَى فِي رُوْعِي أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ ؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ ، وأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، فَإِنِ اسْتَبْطَأَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ ، فَلَا يَطْلُبْهُ بِمَعْصِيةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ فَضْلُهُ بِمَعْصِيَتِهِ»[3] .

وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قال : «أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ ، وَغِفَارُ غفرَ اللَّهُ لَهَا ، أَمَا إِنِّي لَمْ أَقُلْهَا ، وَلَكِنْ قَالَهَا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -»[4] .

وعن أبي سعيد الخدري - رضي اللَّه عنه - قال : خطبنا رسولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، فقال : «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا» ، فقال له رجل : «يا رسول اللَّه ، أو يأتي الخير بالشر ؟» فسكت عنه رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، فرأينا أنه يُنَزَّلُ عليه ، فقيل

---

(١) العَرْقُ : هو العظم إذا أخذ منه معظم اللحم .

(٢) رواه البخاري (١/٢١٨) ، ومسلم (٢١٧٠) .

(٣) تقدم تخريجه ص(١٠٣) هامش رقم (١) .

(٤) رواه البخاري رقم (٣٥١٣) (٦/٥٤٢) ، ومسلم (٢٥١٦) ، وهذا لفظه ، وانظر : «الدر المنثور» (٤/١١) ط . مركز هجر للبحوث .

له : «ما شأنك تُكَلِّمُ رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ولا يكلمك؟» فُسُرِّي عن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، فجعل يمسح عنه الرَّحَضاءَ ، وقال : «أَيْنَ السَّائِلُ»؟ ورأينا أنه حَمِدَه ، فقال : «إن الخير لا يأتي بالشر»[١] الحديث .

وعن أبي قتادة - رضي اللَّه عنه - أنه حَدَّثَ عن رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - أنه قام فيهم ، فذكر لهم : «أن الجهاد في سبيل اللَّه والإيمانَ باللَّه أفضلُ الأعمال» ، فقام رجل فقال : يا رسول اللَّه! أرأيتَ إن قُتِلتُ في سبيل اللَّه يُكَفَّرُ عني خطاياي؟ فقال له رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - : «نعم! إن قُتِلتَ في سبيل اللَّه ، وأنت صابر محتسب ، مقبلٌ غير مدبر ، إلا الدَّين ، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك»[٢] .

وفي رواية عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - : «نعم! إلَّا الدَّين ، سارَّني به جبريلُ آنفًا»[٣] .

وعن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - : قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «أمني جبريل عند البيت مرتين ، فصلى بي الظهر حين زالت الشمس ، والعصر حين كان ظله مثله ، والمغرب حين أفطر الصائم ، والعشاء حين غاب الشفق ، والفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم ، فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظله مثله ، والعصر حين كان ظله مثليه ، والمغرب حين أفطر الصائم ، والعشاء إلى ثلث الليل ، والفجر فأسفر ، وقال : الوقت ما بين هذين الوقتين»[٤] .

---

(١) رواه البخاري (٩٢١) ، (١٤٦٥) ، ومسلم (١٠٥٢) ، (١٢٣) ، والإمام أحمد (٣/٩١) ، والنسائي (٥/٩٠) ، وابن حبان في «صحيحه» (٨/١٩) (٣٢٢٥) .

(٢) رواه مسلم (١٨٨٥) .

(٣) رواه النسائي (٣١٥٥) .

(٤) رواه الإمام أحمد (١/٣٣٣) ، وأبو داود (٣٩٣) ، والترمذي (١٤٩) ، وقال : «حسن صحيح» ، =

وأخرج البيهقي في «المدخل» عن الأوزاعي قال:

«إذا بَلَغَكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - حَدِيثٌ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ بِغَيْرِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - كَانَ مُبَلِّغًا عَنِ اللَّهِ - تَعَالَى»[1].

وعن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: «كان الوحي ينزل على رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك»[2].

وأخرجه أبو داود والبيهقي بلفظ: «كان الوحي ينزل على رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن، ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن»[3].

وفي كتاب أبي بكر إلى أنس - رضي اللَّه عنهما - الطويل في بيان فرائض الصدقة، في أوله: «هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - على المسلمين، والتي أمر اللَّه بها رسوله»[4].

وأخرج البيهقي في «المدخل» عن طاوس: «أن عنده كتابًا من العقول - أي: الديات - نزل به الوحي، وما فرض رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - من صدقة وعقول فإنما نزل به الوحي»[5].

= وصححه الحاكم والذهبي، وابن عبد البر، وابن العربي، والنووي.

(١) «حجية السنة» ص(٣٣٧).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (١١٩٣/٢)، وانظر: «سنن الدارمي» (١٤٥/١).

(٣) «سنن الدارمي» (١٤٥/١).

(٤) رواه البخاري (١٤٥٤).

(٥) «حجية السنة» ص(٣٣٧).

الدَّلِيلُ السَّابِعُ:

• الإِجمَاعُ :

انعقد الإجماع على أنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - كان يُوحَي إليه غيرُ القرآن ، وانعقد إجماع المجتهدين من السلف والخلف على حجية السنة ، واتفقت على ذلك كلمتهم ، وتواطأت أفئدتهم(١) .

وقال الإمام الشافعي - رحمه اللَّه - : «أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنةُ رسولِ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - لم يكن له أن يَدَعَها لقولِ أحدٍ من الناس»(٢) .

وقال ابن حزم - رحمه اللَّه - : «ولو أن امْرَأً قال : (لا نأخذ إِلَّا ما وجدناه في القرآن) ؛ لكان كافرًا بإجماع الأمة ، ولكان لا يلزمه إِلَّا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل ، وأخرى عند الفجر ؛ لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسمُ صلاةٍ ، ولا حَدَّ للأكثر في ذلك ، وقائل هذا كافر مشرك حلال الدم والمال»(٣) . اهـ .

وقال ابن القيم - رحمه اللَّه - : «والكتاب هو القرآن ، والحكمة هي السنة باتفاق السلف ، وما أخبر به الرسول عن اللَّه فهو في وجوب تصديقه ، والإيمان به ، كما أخبر به الرب - تعالى - على لسان رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لا ينكره إِلَّا من ليس منهم»(٤) . اهـ .

❁ ❁ ❁

---

(١) «نفسه» ص(٣٣٨) ، (٣٤٢) .
(٢) نقله عنه ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٢/٢٨٣) .
(٣) «الإحكام» (٢/٢٠٠) .
(٤) «الروح» ص(١٠٥) .

فَصْـــلٌ
هَـل فِي القُــرآنِ إِشَـارَةٌ إِلَـى المَهـدِيِّ؟

حكى بعض المفسرين ما يفيد أن هناك إشارةً إلى المهدي ضمن حكايتهم وجوه تفسير قوله - تعالى -: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

فقد قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري - رحمه اللَّه -: «حدثنا عمرو قال: حدثنا أسباط عن السدي قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾، أما خزيهم في الدنيا: فإنهم إذا قام المهدي، وفُتِحت القسطنطينية، قتلهم، فذلك الخزي، وأما العذاب العظيم: فإنه عذاب جهنم الذي لا يُخَفَّفُ عن أهله، ولا يُقْضَى عليهم فيها فيموتوا»(١). اهـ. محل الغرض منه.

وحكى القرطبي عن قتادة والسدي: «الخزي لهم في الدنيا: قيام المهدي، وفتح عمورية، ورومية، وقسطنطينية، وغير ذلك من مدنهم، على ما ذكرناه في كتاب التذكرة»(٢). اهـ. محل الغرض منه.

وحكى ابن كثير عن السدي وعكرمة ووائل بن داود أنهم فسَّروا الخزي في الدنيا بـ«خروج المهدي»، وصحَّح أن الخزي في الدنيا أعم من ذلك كله(٣)، وقال الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»: «أما خزيهم في الدنيا، فإنه إذا قام المهدي، وفُتحت القسطنطينية، قتلهم، فذلك الخزي»(٤). اهـ.

تَنْبِيهٌ: المقصود بذكر هذه الإشارة جمع ما ورد في الباب، لا الاستدلال؛ لذا لم نذكرها في صدر الجواب عن هذه الشبهة.

---

(١) «جامع البيان» (٢/٥٢٥)، بتحقيق الشيخ أحمد شاكر - رحمه اللَّه -.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢/٧٩).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/٢٢٦)، ط. الشعب.

(٤) «فتح القدير» (١/١٣٢).

الشُّبهَةُ الثَّانِيَةُ

* قولهم : إن أحاديث المهدي - وإن صحت - فهي أحاديث آحاد ، وأحاديث الآحاد لا تفيد العلم ، ولا يصح الاعتماد عليها في شأن العقائد والمغيبات .

جَوَابُ هذهِ الشُّبْهَةِ:

إن قولهم : «إن أحاديث المهدي - وإن صحت - فهي أحاديث آحاد» ، دعوى غير صحيحة ، فقد صرح كثير من العلماء بأن الأحاديث الواردة في شأن المهدي متواترة تواترًا معنويًا ، منهم الإمام الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين الآبري السجزي (ت : ٣٦٣هـ) ، الذي قال في كتابه «مناقب الشافعي» :

« وقد تواترت الأخبار ، واستفاضت عن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- بذكر المهدي ، وأنه من أهل بيته ، وأنه يملك سبع سنين ، وأنه يملأ الأرض عدلًا ، وأن عيسى - عليه السلام - يخرج فيساعده على قتل الدجال ، وأنه يؤم هذه الأمة ، ويصلي عيسى خلفه ، في طولٍ من قصته وأمره » .اهـ .

* وهذا النص نقله عنه ، وأقره جمع من الأئمة ؛ منهم :

١- الإمام أبو عبداللَّه محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي (ت : ٦٧١هـ)[١]

٢- والإمام جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزي (ت : ٦٥٤هـ)[٢] .

٣- والإمام شمس الدين أبو عبداللَّه محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ)[٣] .

---

(١) «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (٧٢٣/٢) .

(٢) «تهذيب الكمال» (٥٩٦/٦) .

(٣) «المنار المنيف» ص(١٤٢) .

٤- والحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حَجَر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ)[١] .

٥- والحافظ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت : ٩٠٢هـ)[٢] .

٦- والحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت : ٩١١هـ)[٣] .

٧- والفقيه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي (ت : ٩٧٤هـ)[٤] .

٨- والملا نور الدين علي بن محمد سطان القاري الهروي المكي (ت : ١٠١٤هـ)[٥] .

٩- والشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي (ت : ١٠٣٣هـ)[٦] .

١٠- والشيخ محمد البرزنجي (ت : ١١٠٣هـ)[٧] .

١١- والشيخ أبو عبدالله محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني المالكي (ت : ١١٢٢هـ)[٨] .

❁ ❁ ❁

---

(١) «فتح الباري» (٦/٤٩٤) ، «تهذيب التهذيب» (٩/١٤٤) .
(٢) «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» (٤/٤١) .
(٣) «الحاوي في الفتاوى» (٢/١٦٥) .
(٤) «الصواعق المحرقة» ص(٩٩) .
(٥) «رسالة المهدي من آل الرسول» ص(٢٥) .
(٦) نقله عنه في «الإذاعة لما كان ، وما يكون بين يدي الساعة» ص(١٤٧) .
(٧) «الإشاعة في أشراط الساعة» ص(٨٧) .
(٨) نقله عنه الكتاني في «نظم المتناثر» ص(١٤٥) .

فَصــلٌ

ذِكرُ جُملَةٍ مِنَ الأَئِمَّةِ الَّذِينَ نَصُّوا عَلَى تَوَاتُرِ أَحَادِيثِ المَهدِيِّ

منهم : الشيخ محمد البرزنجي ؛ فقد قال في شأنها : «بلغت حد التواتر المعنوي[(١)] ؛ فلا معنى لإنكارها»[(٢)] .

ومنهم : الشيخ أبو العون محمد بن أحمد السفاريني (ت : ١١٨٨هـ) ، فقد قال : «وقد كثرت بخروجه - أي المهدي - الرواياتُ ، حَتَّى بلغت حد التواتر المعنوي ، وشاع ذلك بين علماء السنة ، حَتَّى عُدَّ من معتقداتهم ، بروايات متعددة ، ما يفيد مجموعه العلم القطعي ؛ فالإيمان بخروج المهدي واجب ، كما هو مقرر عند أهل العلم ، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة»[(٣)] . اهـ .

ومنهم : العلَّامة الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت : ١٢٥٠هـ) ؛ حيث قال فيها : «وهي متواترة بلا شك ولا شبهة ، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول»[(٤)] . اهـ .

ومنهم : النواب محمد صديق خان بن حسن الحسيني البخاري القنوجي (ت : ١٣٠٧هـ) ، فقد قال : «لا شك في أن المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام ؛ لما تواتر من الأخبار في الباب ، واتفق عليه جمهور الأمة سلفًا عن خلف[(٥)] ، إلَّا من لا يُعتد بخلافه»[(٦)] . اهـ .

---

(١) انظر : «أصول بلا أصول» ص(٢٥٣) هامش رقم (٣).

(٢) «الإشاعة» ص(٨٧) .

(٣) «لوامع الأنوار البهية» (٢/٨٠) .

(٤) نقله عنه في «الإذاعة» ص(١١٤) .

(٥) كذا في الأصل ، والصواب : خَلَفٌ عن سلف .

(٦) «الإذاعة» ص(١٤٥) .

وتقدم نقل تصريح الكتاني ، والصبان ، وأبي السعود الإدريسي ، ومحمد حبيب اللَّه الشنقيطي ، وغيرهم - بتواتر الأَحَاديث الواردة في شأن المهدي[(١)] .

فَائِـــدَةٌ:

إن وجود الحديث في كتب متعددة من طرق مختلفة يفيد القوة ، ويُعرف به التواتر ، وقد بان لك فيما تقدم كثرةُ من خرَّج أحاديثَ المهدي من الأئمة ، فضلًا عمن صحَّحها ، واعتقد موجبها .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني - رحمه اللَّه - : «ومِنْ أحسن ما يُقَرَّرُ به كونُ المتواتر موجودًا وجود كثرة في الأحاديث ، أن الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقًا وغربًا ، المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مُصَنِّفيها ، إذا اجتمعت على إخراج حديث ، وتعددت طرقه تعددًا تحيل العادة تواطؤهم على الكذب ، إلى آخر الشروط ، أفاد العلم اليقيني بصحته إلى قائله ، ومثل ذلك في الكتب المشهورة كثير»[(٢)] . اهـ .

وقال الشيخ عبداللَّه بن الصديق الغماري[(٣)] في سياق الرد على من شكك في تواتر أحاديث نزول عيسى وقتله الدجال : [لا شك أن العادة قاطعة باستحالة أن يتواطأ هذا الجمع من الصحابة ، والتابعين ، وتابعيهم ، وحَمَلَةِ الحديث النبوي ، على الكذب والخطأ ، أو أن يقع ذلك منهم اتفاقًا من غير تواطؤ ، بل العادة تحيل الكذب والخطأ على جمع أقل من هذا الجمع ، حَتَّى إن جماعة من العلماء ؛ منهم ابن حزم ، قرروا أن الحديث إذا اجتمع على روايته خمسة من الصحابة كان متواترًا ، ونظره في ذلك قوي سديد ؛ لأن الصحابة - رضي اللَّه عنهم - كانوا على أكمل حال من العدالة ، والضَّبط ، والإتقان ، لا يدانيهم في

---

(١) انظر : ص(٨٩- ٩٣) .

(٢) «نزهة النظر شرح نخبة الفكر» ص(٢٣) .

(٣) صوفي أشعري مُحَدِّث أصولي ، انظر ترجمته في «تتمة الأعلام» ، لمحمد خير رمضان (١/٣٤٣-٣٤٦)، وانظر : «ذم الأشاعرة والمتكلمين والفلاسفة» جمعه الدكتور صادق بن سليم صادق، من بعض كتب الشيخ أحمد بن الصديق الغماري .

ذلك أحد، هذا إلى ما ميَّزهم اللَّه به من فصَاحة اللسان، وسيلان الأذهان، وطهارة الجَنان، مع ما فُطروا عليه من حب الصدق، واستهجان الكذب، والنفرة عن سفاسف الأمور، وغير ذلك مما أهَّلهم لصحبة النبي - عليه السلام -، ونصرة دينه، وتبليغ شريعته إلى أمته، وقد أخرج أحمد في السنة، والبزار، والطبراني في الكبير، بإسناد حسن عن عبداللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال: «إنَّ اللَّهَ - عز وجل - نَظَرَ في قُلُوبِ العِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - خَيْرَ قُلُوبِ العبادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَاتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ في قُلُوبِ العِبَادِ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ العِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّه، يُقَاتِلونَ عَنْ دِينِهِ؛ فَمَا رَآهُ المُسْلِمُونَ حَسَنًا؛ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، ومَا رَآهُ المُسْلِمُونَ سَيِّئًا؛ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ»(١).

ولما أراد أبو بكر - رضي اللَّه عنه - أن يجمع القرآن، حين استحر القتل بالقراء في وقعة اليمامة، قال لعمر وزيدٍ - رضي اللَّه عنهما -: «مَنْ جَاءَكُمَا بِشَاهِدَيْنِ عَلَى شَيءٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَاكْتُبَاهُ»، قَالَ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ: «فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ(٢)، وَاللِّخَافِ(٣)، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾»... إلى آخر السورة(٤).

ومما يجدر ذكره أن معنى قوله: «لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ» أنه لم يجدها مكتوبة عند أحد إلَّا عند خزيمة، فالذي انفرد به خزيمة كتابتها لا حفظها، وإلا فقد حفظها كثير من الصحابة في صدورهم، وإن لم يكونوا كتبوها في أوراقهم.

وأبو خزيمة الأنصاري هو خزيمة بن ثابت، جعل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ

(١) انظر: «السلسلة الضعيفة» (١٧/٢) (٥٣٣)، حيث حسَّنه موقوفًا.

(٢) العُسُب: جمع العسيب، وهو هنا جريدة النخل المستقيمة يُكْشَط خُوصُها.

(٣) اللِّخاف: جمع اللَّخْفَة، وهي حجر أبيض عريض رقيق.

(٤) رواه البخاري (٩/٩- ١٣)، والترمذي (٣١٠٢).

وَسَلَّمَ- شهادته بشهادة رجلين ، فكان يسمى ذا الشهادتين - رضي اللَّه عنه - ؛ فالصديق - رضي اللَّه عنه - اكتفى بشهادة اثنين في القرآن ، الذي هو أصل الدين ، وأساس اليقين ، ومُنْكِرُ شيء منه يكفر بإجماع المسلمين ؛ لعلمه بما كان عليه الصحابة من شدة التحرز ، والتيقظ ، والتثبت ؛ بحيث إذا اجتمع اثنان منهم على رواية شيء لم يبق للوهم والخطإ فيه احتمال ، فما ظنك بحديث يرويه جمع كبير من الصحابة ، يتلقاه عنهم مثلهم من التابعين ، ثم مثلهم من تابعي التابعين ، وهلم جرًّا ؟

لا شك أنه يكون متواترًا على جميع الاصطلاحات المقررة ، ولا يمكن أن يحوم حوله قَوْلُ مَنْ نفي التواتر ، أو ادَّعى قِلَّته ؛ لأنه قول صدر عن قلة الاطلاع ، وعدم التروي ، فكان نصيبه مخالفة الواقع ومجانبة الحقيقة ، وكان حقيقًا بالإهمال ، جديرًا بعدم الاعتبار][1] .

أما قولهم : «إن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم» ، فجوابه - على فرض التسليم بأن أحاديث المهدي آحاد -: أن حديث الآحاد حجة بنفسه في العقائد والأحكام ، ويفيد العلم ، «ويُقطع بصحته إذا تلقته الأمة بالقبول ، أو عَمِلت به ، وهذا ما ذهب إليه أكثر أهل الأصول ، وعامة الفقهاء من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، إلَّا فرقة تبعت أهل الكلام»[2] .

وقد أفاد وأجاد الإمام الجِهْبِذُ المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه اللَّه - في الانتصار للقول بأن خبر الواحد يفيد العلم في كتابه الجليل «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة»[3] .

---

(١) «عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام» ص(٨، ٩) .

(٢) ذكره ابن تيمية - رحمه اللَّه - في «المسودة» ص(٢٤٠، ٢٤٤) .

(٣) انظر : «مختصر الصواعق المرسلة» للشيخ محمد بن الموصلي - رحمه اللَّه - (٢/٣٣٢- ٤٣٣) .
وراجع للتوسع في هذه المسألة :
١- «إحكام الأحكام» لابن حزم - رحمه اللَّه - (١/١٠٧) ، وما بعدها . =

الشُّبهَةُ الثَّالِثَةُ

*** قولهم : « نظرنا في أحاديث المهدي ، فلم نجد منها حديثًا واحدًا في الصحيحين ، ولا يصح الاحتجاج بحديثٍ في غير الصحيحين إلَّا إذا كان له أصل فيهما ، أو في أحدهما » .**

وقد ردد هذه المقولة ، ودندن حولها ، كثير ممن أنكروا حقيقة المهدي ؛ فمنهم الشيخ محمد رشيد رضا الذي قال : «لم يعتد الشيخان بشيء من رواياتها »(١) ، ومنهم أحمد أمين ؛ فقد قال : « ولم يرو البخاري ومسلم شيئًا عن أحاديث المهدي ؛ مما يدل على عدم صحتها عندهما »(٢) .

ومنهم سعد محمد حسن(٣) ، وعبداللَّه بن زيد بن محمود رئيس المحاكم

= ٢- « رد شبهات الإلحاد عن أحاديث الآحاد » للشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي - رحمه اللَّه - .

٣- « الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام » للعلامة الألباني - رحمه اللَّه - .

٤- « أخبار الآحاد في الحديث النبوي » للعلامة عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن جبرين - حفظه اللَّه - ، وهو من أقوى وأجمع ما كتب في هذه المسألة ، واللَّه أعلم .

٥- « خبر الواحد وحجيته » ، للدكتور أحمد بن محمود الشنقيطي .

٦- « قدوم كتائب الجهاد لغزو أهل الزندقة والإلحاد ، القائلين بعدم الأخذ بحديث الآحاد في مسائل الاعتقاد » للشيخ عبد العزيز بن فيصل الراجحي .

٧- « أصل الاعتقاد » لفضيلة الدكتور عمر بن سليمان الأشقر - حفظه اللَّه - .

٨- « د . محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة » للشيخ سليمان الخراشي ص(٥٦٦- ٥٩٠) .

٩- « الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد » للشيخ سليم الهلالي - وفقه اللَّه - .

١٠- « أخبار الآحاد حجة في العمل والاعتقاد » للدكتور الطبلاوي محمود سعد .

١١- « هذا عهد نبينا - صلى اللَّه عليه وسلم - إلينا : خبر الآحاد » تأليف مصطفى بن سلامة .

(١) « تفسير المنار » (٩/٤١٦) ، ط . الشعب .

(٢) « ضحى الإسلام » (٣/٢٣٧) .

(٣) « المهدية في الإسلام » ص(٧٠) .

القطرية[1] ، الذي قال : «وهذه الأحاديث لم يأخذها البخاري ومسلم ، ولم يدخلاها في كتبهما ، مع رواجها في زمنهما ، وما ذاك إلَّا لعدم ثبوتها عندهما»[2] . اهـ .

وَجَوَابُ هَذَا مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدِهَا : أن دعوى خلو الصحيحين من حديث واحد في شأن المهدي غير صحيحة ، بل فيهما ما يشير إلى المهدي بدون ذكر لفظة «المهدي» ، وقد وردت روايات صحيحة خارج الصحيحين تصرح بزيادة على ما فيهما ، كما سبق ذكره[3] ، وزيادة الثقة مقبولة عند علماء الحديث[4] ، كما أنه ينبغي أن لا نعزل النصوص عن شرح العلماء الراسخين ، وفهمهم لها ، وقد سبق ذِكر من حمل أحاديث الصحيحين المشار إليها آنفًا على المهديِّ نفسِهِ ؛ مثل الحافظ أبي الحسن الآبُرِّيِّ ، وحكاه عنه القرطبي ، والحافظ ابن حجر ، والسخاوي ، والسيوطي ، والزرقاني ، وغيرهم ، وأقروه عليه ، وإليه - أَيْضًا - ذهب الطيبي ، وأبو داود ، وابن كثير ، وابن القيم ، وابن حجر الهيتمي ، والكشميري ، ومحمد صديق خان ، ومحمد بن جعفر الكتاني .

الثَّاني : أن أحدًا من أهل العلم لم يَقُلْ إن عدم إيراد الحديث في الصحيحين يدل على ضعفه عندهما ، فقاعدة : «لا يصح الاحتجاج بحديث في غير

(١) «لا مهدي ينتظر ، بعد الرسول خير البشر» ص(٣١) .

(٢) «نفسه» ص(٦) .

(٣) انظر : ص(٤٨- ٦٠) .

(٤) قال الحافظ في «شرح النخبة» ص(٣٧) ، «وزيادة راويهما - أي الصحيح والحسن - مقبولة ما لم تقع منافية لرواية من هو أوثق - ممن لم يذكر تلك الزيادة ؛ لأن الزيادة إما أن تكون لا تنافي بينها ، وبين رواية من لم يذكرها ، فهذه تقبل مطلقًا ؛ لأنها في حكم الحديث المستقل ، الذي ينفرد به الثقة ، ولا يرويه عن شيخه غيره ، وإما أن تكون منافية ؛ بحيث يلزم من قبولها رد الرواية الأخرى ، فهذه هي التي يقع الترجيح بينها وبين معارضها ، فيقبل الراجح ويُرَدُّ المرجوح» . اهـ .
وانظر : «مقدمة صحيح ابن حبان» (١/ ١٢٠) ، و«جامع الأصول» (١/ ١٠٣- ١٠٥) .

الصحيحين إلَّا إذا كان له أصل فيهما ، أو في أحدهما » ، قاعدة مُحْدَثَةٌ مبتدعة ، لم يقل بها أحد من السلف ، بل صرح الأئمة - بما فيهم الشيخان البخاري ومسلم - بما ينقض دعوى الاقتصار على الصحيحين من أساسها كما سنبين - إن شاء اللَّه .

فقد قسم العلماء الصحيح إلى سبع مراتب مُرَتَّبَة حسب القوة ، على النحو التالي :

١- صحيح اتفق على إخراجه البخاري ومسلم .

٢- صحيح انفرد بإخراجه البخاري عن مسلم .

٣- صحيح انفرد بإخراجه مسلم عن البخاري .

٤- صحيح على شرطهما معًا ، ولم يخرجاه .

٥- صحيح على شرط البخاري ، ولم يخرجه .

٦- صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجه .

٧- صحيح لم يخرجاه ، ولم يكن على شرطهما معًا ، ولا على شرط واحدٍ منهما(١) .

وليس في الصحيحين من هذه المراتب إلَّا الثلاث الأُوَل ، أما الأربع الباقية ، فلا وجود لها إلَّا خارج الصحيحين ، ولم يزل مِن دَأْبِ العلماء في جميع العصور الاحتجاج بالأحاديث الصحيحة ، بل الحسنة الموجودة خارج الصحيحين(٢) ، والعمل بها مطلقًا ، واعتبار ما دَلَّت عليه دون إعراض عنها ، أو تعرض للحط من شأنها ، والتقليل من قيمتها ؛ ومن أمثلة ذلك في أمور الاعتقاد :

(١) «قواعد التحديث» ص(٨٢) .

(٢) الصحيح من الحديث كما أنه موجود في الصحيحين ، فهو موجود خارجهما في الكتب المؤلفة في الحديث النبوي كالموطأ ، وصحيح ابن خزيمة ، وصحيح ابن حبان ، ومستدرك الحاكم ، وجامع الترمذي ، وسنن أبي داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، والدارقطني ، والبيهقي ، وغيرها .

١- الحديث المشتمل على العشرة المُبَشَّرِينَ بالجنة - رضي اللَّه عنهم - ، وهو في السنن ، ومسند الإمام أحمد وغيره ، وليس في الصحيحين[(١)] ، ومع ذلك اعتقدت الأمة موجبه ، وقل أن وجد مؤلَّف في العقائد - ولو مختصرًا - إلَّا وهو متضمن التنصيص على ذكرهم ، والشهادة لهم بالجنة ؛ بناءً على الأحاديث الواردة في ذلك في غير الصحيحين .

٢- الحديث الدال على أن نَسَمَةَ المؤمن طائر يَعْلُقُ في شجر الجنة ، لم يرد في الصحيحين[(٢)] ، وقد اعتقد الناس موجبه ، واستدلوا به ، وأورده شارح «الطحاوية» وغيره ، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسير قوله - تعالى - : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ . . . الآية [آل عمران : ١٦٩] ، وقال : (وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم ، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبوعة ؛ فإن الإمام أحمد - رحمه اللَّه - رواه عن محمد بن إدريس الشافعي - رحمه اللَّه - ، عن مالك بن أنس الأصبحي - رحمه اللَّه - ، عن الزهري ، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه - رضي اللَّه عنه - ، قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «نَسَمَةُ المُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ في شَجَرِ الجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ» ، ونسأل اللَّه الذي جمعهم في سند هذا الحديث أن يجمع أرواحهم فيما يقتضيه متنه ، وإيانا بمنه وكرمه)[(٣)] اهـ .

---

(١) أخرجه من حديث سعيد بن زيد - رضي اللَّه عنه - : أبو داود (٤٦٤٩، ٤٦٥٠) ، والترمذي (٣٧٤٨، ٣٧٥٧) ، وابن ماجه (١٣٤) ، والإمام أحمد (١/١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩) ، وابن أبي عاصم (١٤٢٨ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٦) ، والحاكم (٤/٤٤٠) ، والنسائي في «الفضائل» (٨٧، ٩٠، ٩٢ ، ١٠٦) ، وأبو نُعَيْم (١/٩٥) .

وأخرج نحوه من حديث عبد الرحمن بن عوف - رضي اللَّه عنه - : الترمذي (٣٧٤٨) ، والإمام أحمد (١/١٩٣) ، والبغوي (٣٩٢٥) .

(٢) أخرجه من حديث كعب بن مالك - رضي اللَّه عنه - : النسائي (٤/١٠٨) ، وابن ماجه (٤٢٧١) ، والإمام مالك (١/٢٤٠) ، والإمام أحمد (٣/٤٤٥ ، ٤٥٦ ، ٤٦٠) ، وانظر «شرح الطحاوية» ، بتحقيق د . عبد المحسن التركي ، والشيخ شعيب الأرناءوط (٢/٥٦٧) .

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢/١٤٢) ، ط . الشعب ، ومعنى «يعلق» : يأكل .

٣- حديث البراء بن عازب - رضي اللَّه عنه - الطويل في نعيم القبر وعذابه ، الذي وصف فيه الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ما يجرى عند الموت حتَّى البعث ، وهو في مسند الإمام أحمد وغيره[١] ، ولبعضه شواهد في الصحيح ، وقد أورده شارح الطحاوية ، وقال عقب إيراده : «وذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث»[٢] . اهـ .

٤- الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره ، الدال على وزن الأعمال ، وهو حديث البطاقة والسجلات - لم يرد في الصحيحين[٣] ، واعتقد أهل السنة موجبه ، وأورده شارح الطحاوية وغيره للاستدلال به على أن ميزان الأعمال له كِفَّتانِ ، وعلى وزن صحائف الأعمال .

الثَّالثُ: أن المقبول من الحديث عند المحدثين أربعة أنواع ؛ هي : الصحيح لذاته ، والصحيح لغيره ، والحسن لذاته ، والحسن لغيره ، ومعلوم أن الحديث الصحيح موجود في الصحيحين ، وفي غيرهما ، أما الحسن فوجوده في غير الصحيحين ، وقد ذكر هذه الأنواع الأربعة العلماء ؛ ومنهم : الحافظ ابن حجر في «شرحه نخبة الفكر» ؛ حيث قال : «**وخبر الآحاد بنقل عدل تام الضبط ، متصل السند ، غير معلل ولا شاذ ، وهو الصحيح لذاته** ، وهذا أول تقسيم المقبول إلى أربعة أنواع ؛ لأنه إما أن يشتمل من صفات القبول على أعلاها أوْ لا ، الأول :

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٨٧/٤، ٢٩٥، ٢٩٦) ، وأبو داود (٤٧٥٣) ، والطيالسي (٧٥٣) ، والآجري في «الشريعة» ص(٣٦٧- ٣٧٠) ، وابن أبي شيبة (٣٨٠/٣- ٣٨٢) ، وعبد الرزاق (٦٧٣٧) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٥٦/٩) ، والطبري (١٤٦١٤) ، وصححه الحاكم (٣٧/١-٤٠) .

(٢) «شرح الطحاوية» ، بتحقيق الأرناءوط (٥٧٦/٢) .

(٣) رواه من حديث عبد اللَّه بن عمرو - رضي اللَّه عنهما - : الإمام أحمد (٢١٣/٣) ، والترمذي (٢٦٣٩) ، وحسنه ، وابن ماجه (٤٣٠٠) ، وصححه ابن حبان (٢٥٢٤) ، والحاكم (٦/١، ٥٢٩) ، ووافقه الذهبي ، وانظر : «شرح الطحاوية» (٦١٠/٢) ، و«منهاج السلامة في ميزان القيامة» لابن ناصر الدين الدمشقي - ط . دار ابن حزم - ١٤١٦هـ .

الصحيح لذاته ، والثاني : إن وجد ما يجبر ذلك القصور ؛ ككثرة الطرق ، فهو الصحيح - أَيْضًا - ، لكن لا لذاته ، وحيث لا جبران فهو الحسن لذاته ، وإن قامت قرينة ترجح جانب قبول ما يتوقف فيه ، فهو الحسن - أَيْضًا - لكن لا لذاته»[1] اهـ .

فالتشبث بقسم واحد فقط ؛ وهو الصحيح لذاته ، الموجود في الصحيحين بدعة مخالفة لما عليه أهل الحديث والأثر ، ويترتب عليها إهدار قسم عظيم من الأخبار المقبولة عند أهل العلم .

الرَّابع: تنصيص أهل الحديث على أن الشيخين لم يستوعبا الصحيح : قال الحاكم أبو عبدالله - رحمه الله - تعالى - في «المستدرك» :

«ثم قيَّض الله لكل عصر جماعة من علماء الدين ، وأئمة المسلمين ، يزكُّون رواة الأخبار ، ونقلة الآثار ؛ ليذبوا به الكذب عن وحي الملك الجبار ؛ فمن هؤلاء الأئمة :

أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي ، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري - رضي الله عنهما - ، صَنَّفا في صحيح الأخبار كتابين ، مهذبين ، انتشر ذكرهما في الأقطار ، ولم يحكما ، ولا واحد منهما ، أنه لم يصح من الحديث غير ما أخرجه .

وقد نبغ في عصرنا هذا جماعة من المبتدعة ، يشمتون برواة الآثار ، بأن جميع ما يصح عندكم من الحديث لا يبلغ عشرة آلاف حديث ، وهذه الأسانيد المجموعة المشتملة على ألف جزء ، أو أقل ، أو أكثر منه - كلها سقيمة غير صحيحة .

وقد سألني جماعة من أعيان أهل العلم بهذه المدينة وغيرها ، أن أجمع كتابًا يشتمل على الأحاديث المروية بأسانيد يحتج محمد بن إسماعيل ، ومسلم بن

---

(١) «نخبة الفكر» ص(٢٩) .

الحجاج بمثلها . . . »[١] اهـ .

قال ابن الأثير - رحمه الله - في «جامع الأصول» : قال الحاكم : [هذه وجوه الصحيح المتفقة والمختلفة ، قد ذكرناها لئلا يتوهم متوهم أنه ليس يصح من الحديث إلَّا ما أخرجه البخاري ومسلم ، فإنا نظرنا فوجدنا البخاري قد صنف كتابًا في التاريخ ، جمع أسامي من رُوِيَ عنهم الحديث ، من زمان الصحابة إلى زمن خمسين ، فبلغ عددهم قريبًا من أربعين ألف رجل وامرأة ، خرَّج في «صحيحه» عن جماعة منهم ، وخرَّج مسلم في «صحيحه» عن جماعة» .

قال الحاكم : «جمعت أنا أساميَهم ، وما اختلفا فيه ، فاحتج به أحدهما ، ولم يحتج به الآخر ، فلم يبلغوا ألفَيْ رجل وامرأة»[٢] .

قال : «ثم جمعت مَنْ ظهر جرحُه من جملة الأربعين ألفًا ، فبلغ مئتين وستة وعشرين رجلًا»[٣] ، فليعلم طالب هذا العلم أن أكثر رواة الأخبار ثقات ، وأن الدرجة العليا للذين في «صحيحي البخاري ومسلم» ، وأن الباقين أكثرهم ثقات ، وإنما سقطت أساميهم من «الصحيحين» للوجوه التي قدمنا ذكرها ، لا لجرح فيهم ، وطعن في عدالتهم ، وإنما فَعَلا ذلك في كتابيهما زيادة في الاحتياط ، وطلبًا لأشرف المنازل ، وأعلى الرتب ، وباقي الأحاديث معمول بها عند الأئمة .

---

(١) «المستدرك» (١/٢ ، ٣) .

(٢) لكن الذي أثبته الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي في «الجمع بين رجال الصحيحين» أن عدد رجال الصحيحين ألفان وأربعمائة وخمس (٢٤٠٥) .

(٣) ولو تأملت الفرق الكبير بين ما جمعه البخاري في «تاريخه الكبير» ، وبين ما ذكره من الضعفاء في كتابه «الضعفاء» ، وبين ما أخرجا عنه في كتابيهما ، سواء اتفقا على الإخراج عنه ، أو انفرد به أحدهما ، فإذا كان عدد ما جمعه البخاري - رحمه الله - في «تاريخه الكبير» نحوًا من أربعين ألفًا وزيادة ، وكتابه «الضعفاء» دون سبع مئة نفس ، وعند الحاكم مئتان وستة وعشرون ، وما أخرجا عنه متفقين أو منفردين أقل من ألفين وخمس مئة ، وما بقي فكلهم ثقات ، دل هذا على أنهما لم يلتزما الإخراج عن كل ثقة ، كما أنهما لم يلتزما إخراج كل حديث صحيح ، وإنما كان قصدهما - رحمهما الله تعالى - إخراج مختصر للحديث الصحيح .

ألا ترى أن الإمام أبا عيسى الترمذي - رحمه اللَّه - ، وهو من المشهورين بالحديث والفقه ، قال في آخر كتابه «الجامع» : (إن جميع ما في كتابنا من الحديث معمول به ، وأخذ به بعض أهل العلم ، ما خلا حديثين)[١] ، فذكرهما ، ولم تسلم له دعوى استثنائهما[٢] .

إلى أن قال الحاكم - رحمه اللَّه - : فإذا كان كتاب الترمذي ، على كثرة ما فيه من الأحاديث[٣] ، لم يسقط العمل بشيء منه إلَّا بحديثين ، فكيف يظن أنه لا صحيح إلَّا ما في كتابي البخاري ومسلم][٤] .

قال الحازمي : «البخاري لم يلتزم أن يخرج كل ما صح من الحديث . . . ، وكما أنه لم يُخرج عن كل من صح حديثه ، ولم يُنْسَبْ إلى شيء من جهات الجرح ، وهم خلق كثير ، يبلغ عددهم نيفًا وثلاثين ألفًا ؛ لأن تاريخه يشتمل على نحو من أربعين ألفًا وزيادة ، وكتابه في «الضعفاء» دون سبع مئة نفس ، ومن خرَّجهم في جامعه دون ألفين . . . » .

وذكر قول البخاري : «كنت عند إسحاق بن راهويه ، فقال لنا بعض أصحابنا : (لو جمعتم كتابًا مختصرًا لسنن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -) ، فوقع ذلك في قلبي ، فأخذت في جمع هذا الكتاب» ، قال الحازمي - رحمه اللَّه- : «فقد ظهر بهذا أن قصد البخاري كان وضع مختصر في الحديث ، وأنه لم يقصد الاستيعاب ، لا في الرجال ، ولا في الحديث . . . »[٥] .

ومما يزيد الأمر إيضاحًا أن نتأمل عنوان صحيح البخاري ؛ فإنه - رحمه اللَّه - سمَّاه : «الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ

---

(١) «سنن الترمذي» (٧٣٦/٥) .

(٢) انظر : «مكانة الصحيحين» ص(١٨٢ ، ١٨٣) .

(٣) عدة أحاديثه كما أحصاها العلامة أحمد شاكر - رحمه اللَّه - (٣٩٥٦) .

(٤) «جامع الأصول» (١/١٧٢ - ١٧٤) ، وانظره ص(١٦٧) .

(٥) «شروط الأئمة الخمسة» ص(٤٧ - ٥١) .

عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - وسننه وأيامه»، وما يعنينا في هذا المقام قوله «المختصر»؛ فإنه إشارة منه تدل على أنه - رحمه اللَّه - كان يضع مختصرًا، ولم يقصد الاستيعاب، ولم يلتزم إخراجَ كُلِّ ما صح من الحديث، ولا يعكر على هذا وصفُه بأنه «جامع»؛ فإن المراد به أنه يحتوي على أحاديث في الأبواب الثمانية المعروفة[١]، إلى جانب أن العلماء الذين شرحوا أحاديث الصحيحين قاموا بشرحها في ضوء الجمع بين أحاديث المتن والشروح، وبين الروايات الصحيحة الأخرى، التي صحت في غيرهما من الكتب، كما فعل الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»، الذي هو «قاموس السنة» حقًّا، وكذلك الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم، وغيرهما من العلماء، والمصنفين في الشروح، فأين هذا من منهج «الاقتصار» القاصر الذي يستغني تمامًا عن أحاديث ما سوى الصحيحين؟

قال الإمام الحافظ زين الدين عبدالرحيم العراقي في ألفيته:

أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ في الصَّحيحِ ... مُحَمَّدٌ وَخُصَّ بِالتَّرْجِيحِ
وَمُسْلِمٌ بَعْدُ وَبَعْضُ الغَرْبِ مَعْ ... أَبي عَلِيٍّ فَضَّلُوا ذَا لَوْ نَفَعْ
وَلَمْ يَعُمَّاهُ وَلَكِنْ قَلَّ مَا ... عِنْدَ ابْنِ الأَخْرَمِ مِنْهُ قَدْ فَاتَهُمَا
وَرُدَّ لَكِنْ قَالَ يَحْيَى البَرُّ ... لَمْ يَفُتِ الخَمْسَةَ إِلَّا النَّزْرُ[٢]

وقال في شرحه:

«ولَمْ يَعُمَّاهُ»؛ أي لم يعم البخاري ومسلم الصحيح، يريد لم يستوعباه في كتابيهما، ولم يلتزما ذلك، وإلزام الدارقطني وغيره[٣] إياهما بأحاديث ليس بلازم، قال الحاكم في خطبة «المستدرك»: «ولم يحكما، ولا واحد منهما، أنه لم يصح من الحديث غير ما خرجاه» اهـ. «ولَكِنْ قَلَّ مَا * عِنْدَ ابْنِ الأَخْرَمِ»؛

---

(١) الجامع هو المصدر الحديثي المرتب على الأبواب، والمشتمل على أحاديث في: العقائد، والأحكام، والسير، والآداب، والتفسير، والفتن، وأشراط الساعة، والمناقب.

(٢) «فتح المغيث» (١/٢٧).

(٣) هو أبو ذر الهروي، كما في «شرح صحيح مسلم». اهـ. من «توضيح الأفكار» للصنعاني (١/٥٠).

أي من الصحيح «قَدْ فَاتَهُمَا»، يريد أن الحافظ أبا عبدالله محمد بن يعقوب الأخرم شيخ الحاكم ذكر كلامًا معناه: «قل ما يفوت البخاريَّ ومسلمًا مما ثبت من الحديث»[1]، قال ابن الصلاح: «يعني في كتابيهما»، و«يحيى» هو الشيخ محيي الدين النووي قال في «التقريب والتيسير»[2]:

«والصواب أنه لم يَفُت الأصولَ الخمسةَ إلَّا اليسير[3]؛ أعني الصحيحين وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي». اهـ.

وقال النووي - رحمه الله - في مقدمة «شرح صحيح مسلم» بعد أن ذكر إلزام جماعة لهما بإخراج أحاديث على شرطيهما، ولم يخرجاها في كتابيهما:

«وهذا الإلزام ليس بلازم في الحقيقة؛ فإنهما لم يلتزما استيعاب الصحيح،

---

(١) (قال الحافظ ابن حجر: والذي يظهر من كلامه - أعني ابن الأخرم - أنه غير مريد للكتابين، وإنما أراد مدْح الرجلين بكثرة الاطلاع والمعرفة، لكن لما كان غير لائق أن يُوصَفُ أحد من الأمة بأنه جمع الحديث جميعه حفظًا واتقانًا، حَتَّى ذُكِرَ عن الشافعي أنه قال: «من قال إن السنة كلها اجتمعت عند رجل واحد؛ فسق، ومن قال إن شيئًا منها فات الأمة؛ فسق»، فحينئذ عبر عمَّا أراده من المدح بقوله: «قلما يفوتهما منه»؛ أي: قلَّ حديث يفوت البخاريَّ ومسلمًا معرفته، أو نقول: سَلَّمْنَا أن المراد الكتابان، لكن المراد من قوله: «مما ثبت من الحديث» الثبوتُ على شرطهما لا مطلقًا). اهـ. نقلًا عن «توضيح الأفكار» للصنعاني (١/٤٥- ٥٥).

(٢) ونص عبارة النووي: «ولم يستوعبا الصحيح، ولا التزماه، قيل: ولم يفتهما إلَّا القليل، وأُنكِر هذا، والصواب: أنه لم يفت الأصولَ الخمسة إلَّا اليسيرُ، أعني الصحيحين، وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وجملة ما في البخاري سبعة آلف ومئتان وخمسة وسبعون حديثًا بالمكررة، وبحذف المكررة أربعة آلاف، ومسلم بإسقاط المكرر نحْو أربعة آلاف، ثم إن الزيادة في الصحيح تُعرف من السنن المعتمدة؛ كسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن خزيمة، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي، وغيرها، منصوصًا على صحته، ولا يكفي وجوده فيها إلَّا في كتاب مَنْ شرط الاقتصار على الصحيح، واعتنى الحاكم بضبط الزائد عليهما، وهو متساهل، فما صحَّحه، ولم نجد فيه لغيره تصحيحًا ولا تضعيفًا، حكمنا بأنه حسن، إلَّا أن يظهر فيه علة توجب ضعفه». اهـ. من «تدريب الراوي» (١/٩٨).

(٣) «قال الحافظ ابن حجر: مراده - أي النووي - من أحاديث الأحكام خاصة، أما غير الاحكام فليس بقليل». اهـ. من «توضيح الأفكار» (١/٥٥).

بل صح عنهما تصريحهما بأنهما لم يستوعباه، وإنما قصدا جمع جمل من الصحيح، كما يقصد المصنف في الفقه جمع جمل من مسائله، لا أنه يحصر جميع مسائله»[١]. اهـ.

قال السيوطي - بعد أن حكى قول الحافظ أبي عبدالله بن الأخرم: «ولَمْ يَفُتْهُمَا إِلَّا القَلِيلُ»[٢]-: وأنكر هذا القول البخاري فيما نقله الحازمي والإسماعيلي: «وما تركت من الصحاح أكثر»، ونقل السيوطي في «التدريب» عن الحاكم ما يُفْهَمُ منه الجواب عن قول ابن الأخرم؛ قال: «وحينئذ يُعرف من هذا: الجوابُ عن قول ابن الأخرم، فكأنه أراد: (لم يفتهما من أصح الصحيح الذي هو الدرجة الأولى، وبهذا الشرط، إلَّا القليل)، والأمر كذلك»[٣]. اهـ.

وقال ابن الصلاح في «مقدمته»: «لم يستوعبا الصحيح في صحيحيهما، ولا التزما ذلك- أي الاستيعاب- فقد روينا عن البخاري، أنه قال: (ما أدخلت في كتاب «الجامع» إلَّا ما صَحَّ، وتركت من الصحاح لملال[٤] الطول)، وروينا عن مسلم أنه قال: (إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه)»[٥]،

---

(١) «شرح النووي لصحيح مسلم» (١/ ٢٤).

(٢) انظر: «فتح المغيث» (١/ ٣٠- ٣٣).

(٣) «تدريب الراوي» (١/ ١٠١).

(٤) لعل معناه: مخافة الطول.

(٥) ورجح النووي أن المراد بقول مسلم: «ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هنا، إنما وضعت هاهنا ما أجمعوا عليه»؛ أي: ما لم تختلف الثقات فيه في نفس الحديث متنًا، ولا إسنادًا، إلَّا ما لم يختلف في توثيق رواته.

قال ابن الصلاح: «ودليل ذلك أنه سُئِلَ عن حديث أبي هريرة: «فَإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا»: هل هو صحيح؟ فقال: «عندي هو صحيح»، فقيل: لِمَ لَمْ تضعْه هنا؟ فأجاب بذلك». اهـ. وانظر: «علوم الحديث» ص(١٥، ١٦).

وقال البقاعي: قال البلقيني: وقيل أراد مسلم بقوله: «ما أجمعوا عليه»: «ما أجمع عليه أربعة من أئمة أهل الحديث؛ وهم: أحمد بن حنبل، ويحيى بن يحيى، وعثمان بن أبي شيبة، وسعيد بن منصور الخراساني». اهـ. ولم يُرِدْ إجماع جميع الأمة، كما هو المتبادر للفَهم لكن لم يتبين برهان هذا القول. اهـ. من هامش «توضيح الأفكار» للصنعاني (١/ ٥٠، ٥١).

وقال العراقي :

[قلت : أراد - واللَّه أعلم - أنه لم يضع في كتابه إلَّا الأحاديث التي وجد عنده فيها شرائط الصحيح المُجْمَع عليه ، وإن لم يظهر اجتماعها في بعضها عند بعضهم ، ثم إن أبا عبداللَّه الأخرم الحافظ قال : (قَلَّ ما يفوت البخاري ومسلمًا مما يثبت من الحديث) ؛ يعني في كتابيهما ، ولقائل أن يقول : ليس ذلك بالقليل ؛ فإن «المستدرك على الصحيحين» ، للحاكم أبي عبداللَّه ، كتاب كبير يشتمل مما فاتهما على شيء كثير ، وإن يكن عليه في بعضه مقال ، فإنه يصفو له منه صحيح كثير ، وقد قال البخاري : (أحفظ مئة ألف حديث صحيح ، ومئتي ألف حديث غير صحيح) ، وجملة ما في كتابه الصحيح سبعة آلاف ومئتان وخمسة وسبعون حديثًا ، بالأحاديث المكررة ، وقد قيل : إنها بإسقاط المكررة أربعة آلاف حديث ، إلَّا أن هذه العبارة قد يندرج تحتها عندهم آثار الصحابة والتابعين ، وربما عُدَّ الحديث الواحد المروي بإسنادين حديثين][1] . اهـ .

وقال الصنعاني في «توضيح الأفكار» :

تنبيــه :

إن قيل : ما وجه التعرض لكون الشيخين لم يستوعبا الصحيح في كتابيهما ، ومن ادعى ذلك حتَّى يُفْتَقَر إلى نفيه ؟

[قلت : ادَّعاه الدارقطني عليهما ، وغيره ، كما عرفت ، وكأنه فَهم هو ومن تابعه من التسمية بالصحيح أنه جميع ما صحَّ ، وما عداه حَسَن أو ضعيف ، فيفيد أنهما قد حصرا الصحيح ، وهو من باب مفهوم اللقب بعد التسمية به ، وإن كان قبلها من باب مفهوم الصفة ، وفهم ذلك الحافظ أبو زرعة ؛ فإنه ذكر النووي عنه أنه قال : (طَرَّقَ - يريد مسلمًا - لأهل البدع علينا ، فيجدون السبيل بأن يقولوا إذا احتُجَّ عليهم بحديث : ليس هذا في الصحيح) ، قال سعيد بن عمرو راوي ذلك

(١) «التقييد والإيضاح» ص(٢٢) .

عن أبي زُرعة : (فلما رجعت إلى نيسابور ذكرت لمسلم إنكار أبي زرعة ، فقال مسلم : إنما قلت : «هو صحيح» ، قال سعيد : وقَدِمَ مسلم بعد ذلك الرَّيَّ ، فبلغني أنه خرج إلى عبداللَّه محمد بن مسلم بن واره ، فجاءه وعاتبه على هذا الكتاب ، وقال له نحوًا مما قال أبو زرعة : «إن هذا يُطَرِّقُ لأهل البدع» ، فاعتذر مسلم ، فقال : إنما قلت : «هو صحيح ، ولم أقل : إن ما لم أخرجه من الحديث فهو ضعيف») ، ذكر هذا النووي في شرح مقدمة مسلم مفرقًا .

قلت : قد اتفق ما حدسه أبو زرعة من ذلك الطريق ؛ فإنه ذكر الحاكم أبو عبداللَّه في خطبة «المستدرك» ما لفظه : إنه صنف الشيخان في صحيح الأخبار كتابين مهذبين ، انتشر ذكرهما في الأقطار ، ولم يحكما ولا واحد منهما ، أنه لم يصح من الحديث غير ما أخرجه ، وقد نبغ في عصرنا هذا جماعة من المبتدعة يشمتون برواة الآثار (بأن جميع ما صحَّ عندهم من الحديث لا يبلغ عشرة آلاف حديث ، وهذه الأسانيد المجموعة المشتملة على ألف جزء ، أو أكثر كلها سقيمة ، أو غير صحيحة) . اهـ .

فهذا هو الذي حدسه أبو زرعة وغيرُه قد وقع ، وفي قوله : «عشرة آلاف» إشعار بعدة أحاديث الصحيحين ، فكأن هذا هو من الحوامل لأهل الحديث على التعرض لذكر أن الشيخين لم يستوعبا الصحيح في كتابيهما ، أما البخاري فقولُه : «أحفظ مئة ألف حديث صحيح» ، وكون الذي أخرجه في كتابه لا يبلغ عُشر ما ذكره ، صريح في أنه لم يستوعب الصحيح .

إن قلت : إن قول الحاكم في مواضع من «المستدرك» في الحديث : «على شرطهما ، ولم يخرجاه» ، يُشعر بخلاف ما نقله عنه في الخطبة ، وإلا فلا فائدة لقوله : «ولم يخرجاه» .

قلت : لعله لم يَسُق قوله : «ولم يخرجاه» مساق الاعتراض عليهما ، بأنهما لم يخرجاه ، بل ذكر ذلك إخبارًا بأنهما لم يخرجا كل ما كان على شرطهما ، فهو

كالاستدلال لما قاله في خطبته من أنهما لم يستوعبا الصحيح ، ولا التزما ذلك][١] . اهـ .

فهذه أقوال أئمة الشأن - بمن فيهم الشيخان ، وكانا أولى الناس بتبني هذه القاعدة إن كانت صحيحة - تدحض هذه القاعدة المفتراة ، ولم يقل أحد قط في حد الصحيح : «إنه ما أخرجه البخاري أو مسلم» ، ولا هذا شرط في التصحيح .

❁ ❁ ❁

(١) «توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار» للصنعاني (١/ ٥١، ٥٢) .

الشُّبهَةُ الرَّابِعَةُ

*** وهي احتجاجهم على تكذيب الأحاديث الصحيحة الواردة في شأن المهدي بحديث أخرجه ابن ماجه والحاكم عن أنس - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا: «لَا يَزْدَادُ الأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِدْبَارًا، ولَا النَّاسُ إِلَّا شُحًّا، ولَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ، وَلَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»(١).**

والجواب:

أن هذا الحديث تفرد به ابن ماجه دون سائر الستة، ورواه الحاكم عن أنس(٢)، وقال عقب روايته له: «إنما ذكرت هذا الحديث تعجبًا، لا محتجًّا به في المستدرك على الشيخين - رضي اللَّه عنهما -»، وقال الذهبي في «الميزان»(٣): «منكر»، وضعَّفه البيهقي(٤)، وقال الصغاني: «موضوع»(٥)، وممن ضعَّفه - أَيْضًا - الآبُرِّيُّ، والقرطبي، وابن تيمية(٦)، وابن القيم، وغيرهم.

ولا يُتكلَّفُ الجوابُ عن الحديث حَتَّى يكون صحيحًا، والباطل يكفي في رَدِّهِ كونه باطلًا، واللَّه أعلم.

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه اللَّه - تعالى -:

[فأما حديث: «لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»، فرواه ابن ماجه في سننه عن يونس بن عبدالأعلى، عن الشافعي، عن محمد بن خالد الجَنَدِيِّ، عن أبان بن

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٢/٤٩٥).

(٢) «المستدرك» (٤/٤٤١)، وكذا رواه أبو نُعَيْم في «الحلية» (٩/١٦١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/٢٢٠).

(٣) «ميزان الاعتدال» (٣/٥٣٥).

(٤) انظر: «تهذيب الكمال» (٦/٥٩٧)، و«ميزان الاعتدال» (٣/٥٣٦).

(٥) نقله عنه الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١٢٧)، ص(٥١٠، ٥١١).

(٦) «منهاج السنة» (٤/٢١١).

صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالك، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، وهو مما تفرد به محمد بن خالد، قال أبو الحسين محمد بن الحسين الآبري في كتاب «مناقب الشافعي»: «محمد بن خالد هذا غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل، وقد تواترت الأخبار، واستفاضت عن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلًا، وأن عيسى يخرج، فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه[1].

وقال البيهقي: تفرد به محمد بن خالد هذا، وقد قال الحاكم أبو عبداللَّه: هو مجهول، وقد اختلف عليه في إسناده، فروي عنه عن أبان بن أبي عياش، عن الحسن مرسلًا، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، قال: فرجع الحديث إلى رواية محمد بن خالد، وهو مجهول، عن أبان بن أبي عياش، وهو متروك، عن الحسن، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، وهو منقطع، والأحاديث على خروج المهدي أصح[2] إسنادًا][3]. اهـ.

وقال الألباني في الحديث: «منكر»[4]، ومما يدلنا على نكارته معارضته لأحاديث صحيحة تثبت صفة المهدية لغيره - عليه السلام -:

فمنها: ما رواه العرباض بن سارية - رضي اللَّه عنه - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكوا بِهَا، وعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[5].

والمهدي الذي قد هداه اللَّه إلى الحق، قال ابن الأثير: «ويريد الخلفاء

---

(١) انظر: «تهذيب الكمال» (٥٩٧/٦)، و«تهذيب التهذيب» (١٤٤/٩).

(٢) انظر: «ميزان الاعتدال» (٥٣٦/٣)، و«تهذيب الكمال» (٥٩٧/٦).

(٣) «المنار المنيف» ص(٨٣، ٨٤)، تحقيق محمود مهدي استانبولي.

(٤) «السلسلة الضعيفة» (٨٩/١).

(٥) تقدم تخريجه ص(٣٠).

المهديين أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليًّا - رضي اللَّه عنهم -، وإن كان عامًّا في كل من سار سيرتهم»[١]. اهـ.

وقال التويجري: «أجمع العلماء قاطبة على أنه - أي عمر بن عبدالعزيز - من أئمة العدل، وأحد الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين»[٢]. اهـ.

ودعا رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - فقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وارْفَعْ دَرَجَتَهُ في المَهْدِيِّينَ»[٣] الحديث.

وأفضل مهدي بعد نبينا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - نبي اللَّه عيسى - عليه السلام -، وأفضل المهديين بعده الخلفاء الراشدون الأربعة.

وقال ابن القيم - رحمه اللَّه - (عيسى أعظم مهدي بين يدي رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - وبين الساعة، وقد دلت السنة الصحيحة عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - على نزوله على المنارة البيضاء شرقي دمشق، وحكمه بكتاب اللَّه، وقتله اليهود والنصارى، ووضعه الجزية، وإهلاك أهل الملل في زمانه، فيصح أن يقال: «لا مهدي في الحقيقة سواه»، وإن كان غيره مهديًّا، كما يقال: «لا علم إلَّا ما نفع»، و«لا مال إلَّا ما وقى وجه صاحبه»، وكما يصح أن يقال: «إِنَّمَا المَهْدِيُّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»؛ يعني المهدي الكامل المعصوم)[٤]. اهـ.

وقال القرطبي في «التذكرة»: «إسناده ضعيف، والأحاديث عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة، أصح من هذا الحديث، فاحكم بها دونه»، إلى أن قال: «ويحتمل أن يكون قوله - عليه السلام -: (وَلَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى)؛ أي: لا مهديَّ كاملًا

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/٢٥٤)، وراجع ص(٣٠ - ٣٢)، (٢٠٨).

(٢) «الاحتجاج بالأثر» ص(٢٣١).

(٣) تقدم ص(٣١) هامش رقم (٦).

(٤) «المنار المنيف»، ص(١٤٨)، تحقيق أبي غدة، ط. أولى، ١٣٩٠هـ.

معصومًا إِلَّا عيسى، قال: «وعلى هذا تجتمع الأحاديث، ويرتفع التعارض»[(١)].

وقال ابن كثير: «هذا الحديث - فيما يظهر ببادئ الرأي - مخالف للأحاديث الواردة في إثبات مهديٍّ غير عيسى ابن مريم، وعند التأمل لا ينافيها، بل يكون المراد من ذلك أن المهدي - حقَّ المهديِّ - هو عيسى، ولا ينفي ذلك أن يكون غيْره مهديًّا - أيْضًا»[(٢)]. اهـ.

هذا من جهة الأثر، أما من جهة النظر، فيُقال: إن المهدي لم يَأْتِ ذكرهُ إِلَّا من جهة المعصوم- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، فكيف يخبر عن أمرٍ أنه سيقع، وهو الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، ثم ينفيه؟ والأخبار لا يُتصور وقوعُها على خلاف ما أخبر به الصادق المصدوق - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، ونفي المهدي يلزم منه وقوعُ الخبر على خلاف ما أخبر به أوَّلًا من وجوده، واللازم باطل، وهذا ما قرَّروا به أن النسخ لا يدخل الأخبار، التي هي من هذا القبيل، وهذا متفق عليه بين أهل الأصول؛ قال الزركشي في «البحر»: «إن كان مدلول الخبر مما لا يمكن تغيره، بألا يقع إِلَّا على واحدٍ؛ كصفات اللَّه - تعالى -، وخبر ما كان من الأنبياء والأمم، وما يكون من الساعة وآياتها؛ كخروج الدجَّال، فلا يجوز نسخُه بالاتفاق، كما قال أبو إسحاق المروزي، وابن برهان في (الأوسط)؛ لأنه يفضي إلى الكذب»[(٣)]. اهـ.

❁ ❁ ❁

(١) «التذكرة» (٢/ ٧٢٢، ٧٢٣)، وانظر: «فيض القدير» (٥/ ٣٣٢)، و«عارضة الأحوذي» (٩/ ٧٩)، و«سنن ابن ماجه بحاشية السندي» (٢/ ٤٩٥).

(٢) «نهاية البداية والنهاية» (١/ ٤٥)، وقد مال ابن كثير إلى تصحيح هذا الحديث، بناءً على ما رُوِيَ عن ابن معين من توثيق الجندي، ومن ثم اضطر إلى التأويل المذكور.

(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٩٨).

الشُّبْهَةُ الخَامِسَةُ

* وهي قولهم : (إن من العلماء من ضعَّف أحاديث المهدي جميعَها ؛ وهو ابن خلدون) .

والجواب بمعونة الملك الوهَّاب:

أن هذا الإطلاق غير صحيح ؛ لأن الذي يظهر من كلام ابن خلدون - رحمه اللَّه - في مقدمة تاريخه(١) ، أنه كان مترددًا في المسألة ، ولم يكن جازمًا بإنكار المهدي ، ولا شك أن هذا التردد - فضلًا عن التكذيب الصريح - شذوذ عن الحق ، ونكوب عن الجادة المطروقة .

كما أن ابن خلدون نفسه قد اعترف بسلامة بعض أحاديث المهدي من النقد ؛ حيث قال بعد إيراد الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي : «وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إِلَّا القليل ، والأقل منه»(٢) . انتهى ، وهذا القليل الذي يسلم من النقد لا ريب أنه يكفي للاحتجاج به ، ويكون الكثير الذي لم يسلم عاضدًا له ومقويًا ، على أنه قد سلم الشيء الكثير ، علمًا بأنه قد فاته من أحاديث المهدي الشيء الكثير .

---

(١) ولابن خلدون كتاب مستقل خصَّصه للطعن في المهدية اسمه «شفاء السائل» ، لم يشتهر بين الناس ، ولا أشار إليه أحد ممن رَدُّوا على ابن خلدون كلامَه في «المقدمة» . انظر : «الخصومة في مهدية السودان» ص(٣٥) .

(٢) «مقدمة تاريخ ابن خلدون» (٥٧٤/١) ، ولعل من أوسع المراجع التي تناولت هذه الأحاديث بالدراسة النقدية العلمية رسالة ماجستير بعنوان : «الأحاديث الواردة في شأن المهدي في ميزان الجرح والتعديل» ، للشيخ عبد العليم بن عبد العظيم البستوي ، تزيد على ست مئة صفحة ، أنفق في إعدادها عدة سنوات ، وجمع فيها ما جاء في هذا الموضوع من الأحاديث والآثار ، ودرس أسانيدها ، وبيَّن ما قاله المحدِّثون عن أحوال رجالها ، وما قاله أهل العلم في صحتها أو ضعفها ، ونقل فيها الكثير من أقوال العلماء في تواترها ، وفي ثبوتها ، والاحتجاج بها ، وناقش قضية المهدي من جميع جوانبها ، وأشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة - رحمه اللَّه تعالى - ، وهي موجودة بمكتبة الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة - حرسها اللَّه - ، وقد طُبِعَتْ مؤخرًا في مجلدين ، وانظر فصل «موقف غريب لابن خلدون» ص(٢٦٥-٢٦٩) .

ودعوى ضعف جميع الأحاديث الواردة في شأن المهدي، لم تنقل عن أحد من أئمة الشأن[١]، وصِدْق وصف الضعف على بعضها لا يلزم منه سحبُه على الصحيح، والحسن منها؛ فإن الكل لا يُحكم عليه بحكم البعض، وقد اعترف ابن خلدون نفسه بسلامة بعضها من النقد كما قدمنا.

وقد تصدى عدد من العلماء لابن خلدون، وصنَّفوا في الرد عليه.

وقال الشيخ محمد صديق حسن خان في معرض رده على ابن خلدون - رحمه اللَّه - : «أقول: لا شك في أن المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام؛ لما تواتر من الأخبار في الباب، واتفق عليه جمهور الأمة سلفًا عن خلف، إلَّا من لا يُعتد بخلافه، وليس القول بظهوره بناءً على أقوال الصوفية ومكاشفاتهم، أو أهل التنجيم، أو الرأي المجرد، بل إنما قال به أهل العلم لورود الأحاديث الجمة في ذلك، فقول ابن خلدون: (إن صح ظهور هذا المهدي . . .) لا يخلو عن مسامحة، ونوع إنكار من خروجه، وتلك الأحاديث واردة عليه، وليست بدون من الأحاديث التي ثبتت بها الأحكام الكثيرة المعمول بها في الإسلام، وما ذكر من جرح الرواة وتعديلهم يجري في رجال الأسانيد الأخرى - أَيْضًا بعينه -، أو بنحوه، فلا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود المنتظر المدلول عليه بالأدلة، بل إنكار ذلك جُرْأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة إلى حد التواتر، وأما أنه لا تتم شوكة أحد إلَّا بالعصبية فنعم، ولكن اللَّه - تعالى - قادر على خرق العادة، ويؤيد دينه كيف يشاء» . اهـ، وقد قال ذلك في معرض رده على قول ابن خلدون: «فإن صح ظهور هذا المهدي، فلا وجه لظهور دعوته إلَّا بأن يكون منهم؛ يعني بقايا الفاطميين المتفرقين في الآفاق، ويؤلف اللَّه بين قلوبهم في اتباعه حتَّى تتم له شوكة وعصبية وافية بإظهار كلمته، وحمل الناس عليها، وأما على غير هذا الوجه؛ مثل أن يدعو فاطمي منهم إلى مثل هذا الأمر في أفق من الآفاق من غير

(١) انظر: «التاج» (٥/٣٤١).

عصبية ، ولا شوكة ، إلَّا مجرد نسبه في أهل البيت ، فلا يتم ذلك ، ولا يمكن ؛ لما أسلفناه من البراهين الصحيحة » . اهـ .

ثم قال الشيخ صديق حسن خان - رحمه اللَّه - : « وهذا الاحتمال - وإن كان مطابقًا لما في الخارج - فلا يصح لأن تُرَدَّ به الأحاديث النبوية ، فهذه زلة صدرت من ابن خلدون - رحمه اللَّه - تعالى - ، وليست من التحقيق في صَدْرٍ ولا وِرْد ، فلا تغتر به ، واعتقِد ما جاء عن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وفَوِّضْ حقائقه إليه - تعالى - تكن على بصيرة من أمر دينك »[1] . اهـ .

وقال في « عون المعبود » : « وقد بالغ الإمام المؤرخ عبدالرحمن بن خلدون في تاريخه في تضعيف أحاديث المهدي كلها ، فلم يصب ، بل أخطأ »[2] . اهـ .

وقال الشيخ محمد حبيب اللَّه الشنقيطي - رحمه اللَّه - : (وقد أفردت تأليفًا مستقلًّا في الأحاديث الواردة في سيدنا عيسى ، وفي المهدي المنتظر ، سمَّيْتُه : « الجواب المقنع المحرر في أخبار عيسى ، والمهدي المنتظر » ورددت فيه على ابن خلدون في تضعيفه لأحاديث المهدي في مقدمة تاريخه ، فمن شاء استيفاء الكلام على ما ورد فيهما ، فليراجعه)[3] . اهـ .

وقد صحح العلامة أحمد محمد شاكر - رحمه اللَّه - بعض الأحاديث الواردة في شأن المهدي في تحقيقه لمسند الإمام أحمد ، إلَّا أنه حمل على ابن خلدون حملة عنيفة ، وقال : « أما ابن خلدون فقد قفا ما ليس له به علم ، واقتحم قُحَمًا لم يكن من رجالها ، وغلبه ما شغله من السياسة وأمور الدولة ، وخدمة من كان يخدم من الملوك والأمراء ، فأوهم أن شأن المهدي عقيدة شيعية ، أو أوهمته نفسه ذلك » . اهـ ، بل إنه قدم بين يدي الفصل نصيحةً للقارئ ، قال فيها : « هذا الفصل من مقدمة ابن خلدون مملوء بالأغلاط الكثيرة في أسماء الرجال ،

---

(١) « الإذاعة » ص(١٤٥ ، ١٤٦) ، وراجع كلام صديق حسن خان ص(١٣٧) .

(٢) « عون المعبود » (١١/٣٦٢) .

(٣) « فتح المنعم » (١/٣٣١) .

ونقل العلل ؛ فلا يعتمدن أحد عليها في النقل ، وما أظن أن ابن خلدون كان بالمنزلة التي يغلط فيها هذه الأغلاط ، ولكنها - فيما أرى - من تخليط الناسخين ، وإهمال المصححين»[1] . اهـ .

وقال - أَيْضًا - : «إن ابن خلدون لم يحسن قول المحدثين : (الجَرح مقدم على التعديل)[2] ، ولو اطلع على أقوالهم ، وفقهها ما قال شيئًا مما قال ، وقد يكون قرأ ، وعَرَفَ ، ولكنه أراد تضعيف أحاديث المهدي ، بما غلب عليه من الرأي السياسي في عصره» . اهـ .

وقال الشيخ محمد المغربي : «ويقرب في شدة القبح من الطعن في الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول سيدنا عيسى - الطعن في الأحاديث الكثيرة الشهيرة الواردة في خروج المهدي آخر الزمان بأنها باطلة ، وأنه «خُرافة» ؛ تقليدًا لابن خلدون ، وابن خلدون لم يكن فقيهًا في مذهبه ، فضلًا عن كونه مُحَدِّثًا ، وفضلًا عن كونه مبرزًا في علم الحديث ، فيه أهلية النقد والتميز للأحاديث ، ومن الغلط الفاحش الداخل على كثير من خواص الناس ، فضلًا عن عوامهم ، الحكم على الكل بحكم البعض ؛ فابن خلدون حكم على جميع الأحاديث الواردة في خروج المهدي بأنها من خرافات الرافضة ودسائسهم ، ولا شك عند كل من له إلمام بالعلم أن هذا طعن بمجرد الرأي ، لا يمت إلى تحقيق علم الرواية بشيء ، وهو فاسد من وجهين :

الأول : يلزم منه رد كل رأي ، أو عقيدة أخذ بها طائفة من طوائف المسلمين مخالفة لنا في المذهب ، ولو كان حقًّا ، ولو جاء فيه حديث ، أو أحاديث عن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وهذا نظر سخيف ، فليست سنته - عليه الصلاة والسلام - مقصورة على طائفة مخصوصة من أمته .

---

(١) «المسند» (٥/ ٣٥٧٠، ٣٥٧١) .

(٢) انظر تحقيق هذه القاعدة في «نزهة النظر» للحافظ ص(٢٦، ٧٥) ، و«الرفع والتكميل» ص(٥٨) ، و(٢٦) ، و«قواعد التحديث» للقاسمي ، ص(١٧٠ ، ١٧١) .

الثاني : تهجمه بغير علم على جميع الأحاديث الواردة بأنها من الخرافات ، فلو كان عنده إلمام بعلم الرواية ، ووقار العلماء المتثبتين ، وحكم على بعضها بطريق الظن بأن فيه - مثلًا - راويًا كذابًا أو ضعيفًا ، أو إسناد هذا الحديث مقطوع ، أو واهٍ ، لكان قريبًا من القبول عند من يفهم العلم) .

ثم قال بعد كلام : «لقد تحقق بهذا أن كل فن من فنون العلم يُرْجَع فيه إلى أهله المبرزين فيه ، وأن المسلم اللبيب المحتاط لدينه لا ينبغي له التسرع إلى إنكار حديث واحد لرأي أي شخص إلَّا ببرهان واضح ، فكيف بأحاديث؟ وإن المتمسك برأي ابن خلدون غريق متمسك بغريق»[1] . اهـ .

دَعُوا كُلَّ قَوْلٍ عِنْدَ قَوْلِ مُحَمَّدٍ فَمَا آمِنٌ في دِينِهِ كَمُخَاطِرِ

وقال الشيخ أبو الفضل الغماري : «قد تصدى لابن خلدون شقيقنا العلامة المحدث السيد أحمد في كتاب خاص سماه : (إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون) ، نقض فيه كل ما أبداه ابن خلدون من المطاعن ، وتتبع كلامه جملة جملة ؛ بحيث لم يترك بعده لقائل مقالًا »[2] . اهـ .

وقال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني - رحمه اللَّه - بعد أن نقل الحكم بتواتر أحاديث المهدي عن جمع من الأئمة : «ولولا مخافة التطويل لأوردت هاهنا ما وقفتُ عليه من أحاديثه ؛ لأني رأيت الكثير من الناس في هذا الوقت يتشككون في أمره ، ويقولون : يا تُرى هل أحاديثه قطعية أم لا ؟ وكثير منهم يقف مع ابن خلدون ، ويعتمده ، مع أنه ليس من أهل هذا الميْدان ، والحق الرجوع في كل فن لأربابه ، والعلم عند اللَّه - تبارك وتعالى»[3] . اهـ .

---

(١) «سيد البشر يتحدث عن المهدي المنتظر» ص(٥٨، ٥٩) نقلًا عن «اعتقاد أهل القرآن في نزول المسيح ابن مريم آخر الزمان» للشيخ محمد العربي المغربي .

(٢) «المهدي المنتظر» للغماري ، ص(٧) .

(٣) «نظم المتناثر في الحديث المتواتر» ص(١٤٦) .

وقال الشيخ حمود بن عبدالله التويجري - رحمه الله - :

«إن مُنْخُلَ ابن خلدون الذي نخل به أحاديث المهدي كان واسع الخروق جدًّا ، ولم يكن مضبوطًا ومحكمًا ، فلهذا نَخَلَ به كثيرًا من الصحاح ، والحسان الواردة في المهدي ، ولم يستثن منها من النقد إلَّا القليل ، أو الأقل منه»(١) . اهـ .

وقال الشيخ عبدالمحسن العباد - حفظه الله - :

«لو حصل التردد في أمر المهدي من رجل له خبرة بالحديث لاعتُبر ذلك زللًا منه ، فكيف إذا كان من الأخباريين الذين هم ليسوا من أهل الاختصاص»(٢) . اهـ .

وقال - أَيْضًا - :

«إن ابن خلدون مؤرخ ، وليس من رجال الحديث ؛ فلا يُعْتَدُّ به في التصحيح والتضعيف ، وإنما الاعتداد بذلك بمثل البيهقي ، والعقيلي ، والخطابي ، والذهبي ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وغيرهم من أهل الرواية والدراية ، الذين قالوا بصحة الكثير من أحاديث المهدي ، فالذي يرجع في ذلك إلى ابن خلدون كالذي يقصد الساقية ، ويترك البحور الزاخرة ، وعمل ابن خلدون في نقد الأحاديث أشبه ما يكون بعمل المتطبب إذا خالف الأطباء الحذاق المهرة .

إن ابن خلدون - وإن كان في التاريخ عَلَمًا من الأعلام - ، فهو في الحديث من الأتباع المستفتين ، وليس من المتبوعين المفتين ، والقاصر في فَنٍّ ، كالعامِّيِّ فيه ، وإن كان متمكنًا من غيره .

والواجب الرجوع في كل فنٍّ إلى أهله ، ولا شك أن المرجع في الحديث لمعرفة صحيحه وسقيمه أوعِيَتُهُ ونُقَّادُهُ .

وإذا اقتصرنا على القرنين الثامن والتاسع ، اللذين عاش ابن خلدون فترة منهما ؛ إذ كانت ولادته سنة ٧٣٢هـ ، ووفاته سنة ٨٠٨هـ ، نجد أن من أبرز

---

(١) «الاحتجاج بالأثر» ص(٢٠٢) .

(٢) «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» ص(٥٦) ، طبعة مكتبة السنة ، ١٤١٦هـ .

العلماء المتمكنين في الحديث النبوي، ومعرفة صحيحه وسقيمه ممن أدركته الوفاة خلال هذين القرنين، الحفاظ الجهابذة النقاد: الذهبي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن حجر العسقلاني، وقد قالوا جميعًا بصحة خروج المهدي في آخر الزمان، استنادًا إلى ثبوت الأحاديث الصحيحة في ذلك عندهم»[1]. اهـ.

وقال مُحَدِّثُ الشام، وحسنة الأيام، العلامة محمد ناصر الدين الألباني - رحمه اللَّه، وجعل جنة الفردوس مثواه -: «وقد أخطأ ابن خلدون خطأ واضحًا؛ حيث ضعف أحاديث المهدي جُلَّها، ولا غرابة في ذلك؛ فإن الحديث ليس من صناعته.

والحق أن الأحاديث الواردة في المهدي فيها الصحيح والحسن، وفيها الضعيف والموضوع، وتمييز ذلك ليس سهلًا إلَّا على المتضلع في علم السنة، ومصطلح الحديث، فلا تعبأ بكلام من يتكلم فيما لا علم له به»[2]. اهـ.

وأخيرًا نقول: عفا اللَّه عن ابن خلدون وسامحه؛ لأن ما أتى به في هذا الباب لم يوافقه عليه أحد من جهابذة المحققين وأهل الحديث، لا قبله ولا بعده، وقد فتح - بهذا - البابَ لمحمد رشيد رضا، ومحمد فريد وجدي، وأحمد أمين، وعبداللَّه بن زيد بن محمود، وعبدالكريم الخطيب، وغيرهم ممن توكَّؤوا على كلام ابن خلدون[3]، وأوهموا الناس أن لهم سلفًا من العلماء في رد أحاديث المهدي، وأنهم لم يأتوا ببدع من القول، وقابلوا كل أحاديث المهدي بالرد والاطِّراح، دون تفريق بين الثابت منها وغير الثابت، فاللَّه المستعان.

---

(١) «الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي» ص(٢٩- ٣١) بتصرف.

(٢) «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» للربعي، ص(٤٥).

(٣) ومن العجيب أن ابن خلدون صَدَّق بمهدية الدجال السفاح الظالم الباغي ابن تومرت، بل دافع عنه بكلام هزيل متهافت كما يأتي ص(٢٦٥-٢٦٩) إن شاء اللَّه تعالى.

الفَصْلُ الثَّانِي

شُبَهٌ عَقلِيَّةٌ سَقِيمَةٌ

الشُّبهَةُ الأُولَى

* **وهي قولهم : «التصديق بخروج المهدي من القضايا النظرية في الدين التي لا يترتب عليها عمل ، وما يفيدني في ديني إذا صدقت به ؟ وماذا يضرني إن كذبت به ؟» .**

والجواب بمعونة الملك الوهاب:

أوَّلًا : إن هذه الأمور العلمية الخبرية ، والتي تسمونها «الجانب النظري من الدين» ، والتي أخبر بها الوحي يلزم تصديقها واعتقادها ؛ لأنها أصل الدين ، ولب الإسلام ، وجوهر التوحيد ؛ ولذا سميت الأوراق التي جمعها بعض أهل العلم في التوحيد «الفقه الأكبر»(١) ؛ لأنه كذلك بالنسبة لفقه الفروع العملية .

وهذه الأمور هي في الحقيقة عملية تُنَاطُ بالقلب ، وعمل القلب فيها التصديق ، المنافي للتكذيب ، واليقين الخالي من شائبة الشك والريب ؛ قال - تعالى - : ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ . . . الآية [البقرة : ٢٢٥] .

ثَانِيًا : إن الإيمان بهذه القضايا من مستلزمات الشهادة بأن محمدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - رسول اللَّه ، والتي تقتضي : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يُعْبَدَ اللَّه إلَّا بما شرع ، وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، ويُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأموالَهم ، إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»(٢) .

---

(١) وهذا الكتاب اشْتُهِرَتْ نسبته عند الحنفية إلى الإمام أبي حنيفة النعمان - رحمه اللَّه - ، وفي هذه النسبة نظر ، وإن كان عدد غير قليل من مسائله يؤيدها ما تناثر في كتب الفقه والتراجم من نقول عن الإمام - رحمه اللَّه - ، وقد نسبه الذهبي - رحمه اللَّه - إلى أبي مطيع الحكم بن عبد اللَّه البلخي ، وهو من كبار فقهاء أصحاب أبي حنيفة ، فانظر : «العلو للعلي الغفار» ص(١٠١) ؛ وسبقه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه - في «مجموع الفتاوى» (٥/٤٦) .

(٢) تقدم تخريجه ص(٢٨) .

ثَالِثًا : إن التصديق بها من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر ؛ لأن أشراط الساعة التي منها خروج المهدي من مقدمات اليوم الآخر ، وقد عَدَّ رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - التصديق بأمارات الساعة من أركان الدين ، وذلك في حديث جبريل - عليه السلام - حين أتاه فسأله عن الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، وأمارات الساعة ، وقال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - في آخره : «إِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(١) .

رَابِعًا : «إن التصديق بخروج المهدي داخل في الإيمان بالقدر ، فإن سبيل علم الخلق بما قدَّره اللَّه أمران :

أحدهما : وقوع الشيء ، فكل ما كان ووقع ، علمنا أن اللَّه قد شاءه ؛ لأنه لا يكون ولا يقع إلَّا ما شاءه اللَّه ، وما شاء اللَّه كان ، وما لم يشأ لم يكن .

الثاني : الإخبار بالشيء الماضي الذي وقع ، وبالشيء المستقبل قبل وقوعه ، من الذي لا ينطق عن الهوى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، فكل ما ثبت إخباره به من الأخبار في الماضي ، علمنا بأنه كان على وَفْق خبره - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وكل ما ثبت إخباره عنه مما يقع في المستقبل ، نعلم بأن اللَّه قد شاءه ، وأنه لابد أن يقع على وَفْق خبره ؛ كإخباره - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - بنزول عيسى - عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ - في آخر الزمان ، وإخباره بخروج المهدي ، وخروج الدجَّال ، وغير ذلك من الأخبار»(٢) .

خَامِسًا : إن الإيمان بأشراط الساعة من مقتضيات الإيمان بالغيب ، وعليه فمن الإيمان بالغيب : الإيمان بما أخبر به النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - عن المهدي الذي يخرج في آخر الزمان ، وقد قال - تعالى - : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ الآية [الحشر : ٧] ، وقد جعل اللَّه - عز وجل - أمر

---

(١) رواه مسلم في الإيمان : باب وصف جبريل - عليه السلام - للنبي - صلى اللَّه عليه وسلم - الإسلام والإيمان (٨) ، والترمذي فيه - أيضًا - (٢٨٣٧) ، وأبو داود (٤٦٩٥) ، والنسائي (٨/٩٧) .

(٢) «الرد» ، للشيخ عبد المحسن العبَّاد ص(٢٢٢) .

التصديق بالأخبار الغيبية فتنة ، ومحنة لعباده ؛ لَيميز الخبيث من الطيِّب ؛ قال - تعالى - : ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت : ١- ٣] .

و قال - عز وجل - : ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ الآية [الإسراء : ٦٠] .

وقال - عز وجل - : ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۙ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ﴾ الآية [المدثر : ٣١] .

قال ابن القيم : « ... فهذا تصوير لحال القلوب عند ورود الحق المنزل عليها : قلب يُفتتن به كفرًا وجحودًا ، وقلب يزداد به إيمانًا وتصديقًا ، وقلب يتيقنه ، فتقوم عليه به الحجة ، وقلب يوجب له حيرة وعمًى ؛ فلا يدرى ما يراد به »[١] . اهـ .

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ﴾... الآية [العنكبوت : ٦٨] ، وقال - عز وجل - : ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور : ٦٣] .

وأيُّ فتنةٍ أعظم من أن يخبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - بخبر ، فيقول من ينتسب إلى دينه : «ماذا يفيدني إن صَدَّقْتُ ، وماذا يضيرني إن كَذَّبتُ ؟» ، على أنه يضيرك أن تكذِّب بخبر المعصوم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - على الوجوه التي تقدمت ، ويفيدك في خصال كثيرة ؛ منها : زيادة إيمانك بمزيد التصديق ، وارتفاع وصف الجهالة عنك ، ومحبة أهل الحق وموالاتهم ، والحمية من الشبهات التي قد تلم بك ، كما ألمت بغيرك ، فلم يملك لها دفعًا[٢] .

---

(١) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (٢١/١) .

(٢) انظر : «العالم والمتعلم» المنسوب لأبي حنيفة النعمان ، ص(٣٦، ٣٧) .

[وليس يصح أن يُقال: «إن في الدين قضايا نظرية لا يندرج تحتها عمل أصلًا، وإنما ذلك في مسائل الكلام المذموم الذي نهى عنه السلف - رضوان اللَّه عليهم - ونصحوا بالكف عن الخوض فيه، والتعرض له، وعن كل ما ليس تحته عمل، وكل ما يُذكر في الكتاب والسنة مِن المغيبات ليس مِن هذا الصنف، كمسائل المعاد التي تسمى الأخرويات المذكورة في كُتب الأُصول: كالحوض، والميزان، والصراط، ونحو ذلك، فهل يصح أن يُقال فيها: إنه لا يترتب على التصديق بها عمل؟ بل هي تدفع المرء إلى العمل، إذ العمل فرع عن العلم والتصور.

وكذلك في إخبار النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - بصفة الأعور الدجال، وما يجري من شأن الرجل المؤمن الذي يقتله الدجال، ثم يُحييه، فيقول المؤمن: «واللَّه ما ازددت فيك إلا بصيرة، وأنت الأعور الدجال الذي حذرناه رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم -»، فهذا الرجل قد قرأ الحديث ووعاه، فلما تحقق الخبر، وتأول في الشاهد، أفاده علمُه السابقُ، وكان عاصمًا له من فتنة الدجال، وهكذا شأن تلك الأخبار، هي كالسلاح الذي يُستخدم وقت الحاجة إليه، ولكن يجب أن يتقلده المرء في كل حين]. اهـ[1].

❁ ❁ ❁

(١) وهذا التعليق من كلام الأخ الدكتور «محمد يسري سلامة» - وَفَّقه اللَّه تعالى -.

الشُّبهَةُ الثَّانِيَةُ

* وهي قولهم : «كيف يملأ المهديُّ الأرضَ عَدْلًا بعد أن ملئت جورًا في سبع سنين فقط ، وهذا رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - مكث ثلاثًا وعشرين سنة ، يجاهد ويدعو إلى اللَّه ، وما ملأ الأرض كلها عدلًا ؟» .

والجواب بمعونة الملك الوهاب :

أَوَّلًا : إن اللَّه - تعالى - قال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات : ١] ، وقال عز وجل - : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم : ٣- ٤] ، وكل ما ثبت عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - أنه أخبر به ، فالواجب تصديقه ، وأن لا يجد المسلم في نفسه حرجًا مما أخبر به رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وأن لا يعارض خبره بكيف ؟ ولِمَ ؟ وهل ؟ فإن هذا عنوان فساد العقيدة ؟ قال - تعالى - : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء : ٦٥] .

ثَانِيًا : إن اللَّه - تبارك ، وتعالى - إذا أراد أمرًا هيَّأ أسبابه ، ويسَّر الوصول إليه ، ، وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - ، قد ملأ الأرض قسطًا وعدلًا في عشر سنين ، وقد كانت قبل انتشار الإسلام في خلافته قد مُلِئَتْ ظلمًا وجورًا ، وهذا عمر بن عبدالعزيز قد ملأ الأرض قسطًا وعدلًا في سنتين وخمسة أشهر ، وأخبر النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - أن المهدي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا في سبع سنين ، وخبر الصادق المصدوق، - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - واقع لا محالة ، ولا يَستبعد وقوعَه إلَّا من يشك في عموم قدرة الرب - تبارك وتعالى - ، ونفوذ مشيئته ، أو يشك في صدق النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - فيما أخبر به عما كان في الماضي ، وعما يكون في المستقبل .

ثَالثًا : إن المهدي سيهيئه اللَّه ويُعِدُّه لتجديد الدين بأن يصلحه في ليلة ، ثم يؤيده اللَّه - تعالى - بكرامة خارقة للعادة ، وهي أن يُخْسَفَ بالجيش الذي يقصده حينما يعوذ بالبيت الحرام[١] ، فلعل هذا أحد أسباب التمكين له في الأرض ، وليجزم الناس بعدئذ بأنه المهدي الذي أخبر عنه رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - حَقًّا وصِدقًا .

رَابِعًا : ومن المعلوم أن ثمار دعوة الأنبياء وآثارها في العالمين أحد أعلام نبوتهم ، وكل ما وقع في هذه الأرض من آثار نبوة رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - من العدل ، والرحمة ، والخير ، إنما هو من أعلام نبوته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وكل ما يأتي الناسَ من خير بسبب بركة الإسلام إنما المتسبب الأول فيه من البشر هو رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، حتَّى لو وقع ذلك من خلفائه وأتباعه من بعده - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، فما وقع من الخلفاء الراشدين ، وما سيقع بإذن اللَّه من المهدي ، إنما هو أثر من آثار نبوة رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وثمرة من ثمرات بعثته المباركة ، وقبس من مشكاة نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ[٢] .

بل ما من مسلم على وجه الأرض ، منذ بُعِث رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - إلى أن يأتي أمر اللَّه ، يؤمن باللَّه ، ويعمل عملًا صالحًا ؛ إلَّا ولرسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - مثلُ أجره ؛ لأنه الذي سنَّ لنا الخير ، وحذرنا من الشر ، قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «الدَّالُّ على الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ»[٣] .

---

(١) هذا على القول بأنه المقصود بالحديث ، كما تقدم ص(٤٩- ٥٣) .

(٢) بجانب أن مجرد وقوع خبره - صلى اللَّه عليه وسلم - تمامًا كما أخبر من أعلام نبوته - صلى اللَّه عليه وسلم - ، كما سبق التنبيه على ذلك في المقدمة ص(١١) ، وانظر : «الموافقات» للشاطبي (٢/ ٤٣٨) وما بعدها .

(٣) رواه من حديث أبي مسعود - رضي اللَّه عنه - : الإمام أحمد (٥/٢٧٤) ، وابن حبان في «صحيحه» (٨٦٧، ٨٦٨) ، وغيرهما ، وانظر : «السلسلة الصحيحة» (١٦٦٠) .

وهل يقيس عاقلٌ جهادَ رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - الذي بُعث ، وقد مقت اللَّه أهل الأرض كلَّهم ، عربَهم وعجمَهم ، إلَّا بقايا من أهل الكتاب ، والذي أُوذِيَ في اللَّه ، ولم يُؤْذَ أَحَدٌ ، والذي أنقذ اللَّه ببعثته البشرية ، ورحم به العالمين ، هل يقيس عاقل هذا وأضعافه بالمهدي؟ الذي ما هو إلَّا «مجدد» ، وحاكم عادل ، وخليفة صالح ، والذي يفتقر في إثبات مهديته إلى خبر الصادق المصدوق - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، والذي يفتقر في نشر العدل ، والهداية ، والرخاء ، إلى شريعة رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، ولولا هداية رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - بعد هداية اللَّه - تعالى - لما كان له ، ولا لأحد من أمته ، حظ من هداية ، قال - تعالى - : ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وبهذا يتضح الجواب عن قول من غلظ حجابه ، فتوهَّم أن في التصديق بأن المهدي سيملأ الأرض عدلًا في سبع سنين ، تفضيلًا له على رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، فرد الحديث لذلك - :

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا   وَآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقِيمِ

فالمهدي يوافق اسمُهُ اسمَه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، ويوافق رسمُه رسمَهُ ؛ لأنه محمد المهدي ، وبِهَدْيِ رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - يَهْدِي .

❁ ❁ ❁

الشُّبهَةُ الثَّالِثَةُ

* لما ضَيَّق علماء الحديث الخناق على منكري أحاديث المهدي ، وأثبتوا صحتها ، بل تواترها ، ذهب بعض من كَبُرَ عليهم أن يصدقوا بها على حقيقتها مذهبًا عجيبًا متهافتًا ؛ إذ عجزوا عن ردها من حيث السند ، فراحوا يتخبطون في تأويلها ، ويتمحكون في صرفها عن ظاهرها ، فقالوا : «نعم ، صحت الأحاديث في إثبات حقيقة المهدي ، ولكننا نؤولها بأن المهدي : رمز للخير ، والهدى ، والصلاح »(١) .

والجواب : أن القائلين بهذا التأويل الفاسد هم في الحقيقة مُكَذِّبونَ لا مُثْبِتُونَ ، فمثل هذه الصورة من التأويل الفاسد توأم التكذيب ، وردِّ الحديث .

ناهيك عن الأضرار ، والفتن ، والمفاسد ، التي قد تنشأ عن مثل هذا التأويل ؛ حيث يكثر مُدَّعُو المهدية ؛ ممن يرى في نفسه الخير ، والهدى ، والصلاح ، أو يرى الناس فيه ذلك .

وإذا كانت أحاديث المهدي الحقيقي قد استُغلت أسوأ الاستغلال من مدعي المهدية ، مع أن محورها شخص معين ، له صفات محصورة ، فماذا نتوقع أن يحصل إذا عممنا صفة المهدي بأنه كل خَيِّرٍ ، ومهتدٍ ، ومصلح ؟

*** التَّأْوِيلُ عَدُوُّ الرِّسَالاتِ السماوية :**

فإن التأويل هو سبب البلاء الذي حل بالأمة الإسلامية على مرِّ العصور ، وطاغوت التأويل هو الذي فَرَّقَ الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، وبإخراج

(١) كما فعل الشيخ «محمد فهيم أبو عبية» - سامحه اللَّه - حين اعتدى على كتاب «نهاية البداية والنهاية» ، للحافظ ابن كثير - رحمه اللَّه - ، وتجاسر على تأويل الأحاديث الصحيحة - بل المتواترة - تأويلًا متعسِّفًا ، وذلك تحت ستار «تحقيق» الكتاب ، وما هو إلَّا مسخ للنصوص ، وتشويه للحقيقة ، فانظره (١/ ٥، ٣٧، ١٥٢، ١٥٨) .

النصوص عن ظاهرها - بدون مُسَوِّغ - ، وبتأويل كل فرقة للنصوص ، حَتَّى تشهد لها على مُدَّعاها ، انقسمت الأمة ، وتشعبت بها الأهواء ، ولم تُرَقْ دماء المسلمين في الفتن ، ولم تُسْتَحَلَّ أموالهم ، وأعراضهم ، وحرماتهم ، إِلَّا بالتأويل ؛ فالتأويل وراء كل فسوق ، ومروق ، وكفر ، وضلال ، وزندقة ، وإلحاد ، فاستعرِضْ أحوال الدعاة ؛ من متألهين ، ومتنبئين ، ومتمهِّدين ، ثم انظر أرباب الفرق ؛ من معتزلة ، ومرجئة ، وقرامطة ، وباطنية ، وبهائية ، وقاديانية ، وغيرهم ، تجد الباب الذي دخلوا منه جميعًا هو التأويل ، وإن اختلفت أهواؤهم ، ونزعاتهم ، وميولهم .

ولذا كان أهل السنة موفَّقين كل التوفيق ، حين ضيَّقوا دائرة التأويل ، وجعلوه مقصورًا على حد الضَّرورة ، لا يتعدَّاها ؛ لأنه بمثابة الرخصة ، وقرروا أن كل ما جوزه العقل ، وورد بوقوعه السمع ، وجب حمله على ظاهره ، كما نص عليه ابن المنير ، ولولا هذه القاعدة ، لما صح الإيمان بالمعجزات ، ولا بشيء من السمعيات .

وإنما يُصار إلى التأويل عند تعذر الجمع بين النصوص المتعارضة ، أو لوجود قرينةٍ تصحب الكلام ، تدل على أن قائله لا يريد ظاهره ، أو لغير ذلك من موجبات التأويل ، والتأويل الصحيح : هو الذي يوافق ما جاءت به السنة ، والفاسد : المخالف له ، فكل تأويل لم يدلَّ عليه دليل من السياق ، ولا معه قرينة تقتضيه ، فإن هذا لا يقصده المُبَيِّن الهادي بكلامه ؛ إذ لو قصده لحفَّ بالكلام قرائن تدل على المعنى المخالف لظاهره ، حتَّى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ ، فإن اللَّه - سبحانه - أنزل كلامه بيانًا وهدى ، فإذا أراد به خلاف ظاهره ، ولم يحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فَهْم كل أحد ، لم يكن بيانًا ولا هدًى[(١)] .

---

(١) انظر : «إعلام الموقعين» (٤/٣١٦- ٣١٩) .

* **التَّأوِيلُ إِخْبَارٌ بِمُرَادِ المُتَكَلِّمِ لا إِنشَاءٌ**[١] :

وفي هذا الموضع غلط كثير من الناس ؛ فإن المقصود فَهْمُ مراد المتكلم بكلامه ، فإذا قيل : «معنى اللفظ كذا وكذا» ، كان إخبارًا بالذي عَنى المتكلم ، فإن لم يكن الخبر مطابقًا ، كان كذبًا على المتكلم .

ويُعْرَفُ مرادُ المتكلم بطرقٍ متعددة ؛ منها : أن يصرح بإرادة ذلك المعنى ، ومنها : أن يستعمل اللفظ الذي له معنى ظاهر بالوضع ، ولا يبين بقرينة تصحب الكلام أنه لم يُرِدْ ذلك المعنى .

فكيف إذا حف المتكلم الذي أوتي جوامع الكلم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - بكلامه ما يدل على أنه إنما أراد حقيقته ، وما وُضِع له : من ذكره اسم المهدي ، واسم أبيه ، واسم قبيلته ، ومدة خلافته ، وملامح خِلقته ...إلى آخر ما ذكر مما يقطع السامع له بمراد المتكلم ، وأنه يقصد شخصًا مميَّزًا عن غيره ، لا مطلق المهدي؟ !!

وقد يريد المتكلم بكلامه خلافَ ظاهره ، إذا قصد التعمية على السامع ؛ حيث يسوغ ذلك - كما في رخصة التعريض - ، ولكن المنكَر أن يريد بكلامه خلاف حقيقته إذا قصد البيان ، والإيضاح ، وإفهامَ مراده ، كيف والمتكلم يؤكد كلامه بما ينفي المجاز ، ويكرره غير مرة ، ويضرب له الأمثال؟ !

وأي تلاعب بالنصوص مثل هذا التلاعب؟ وأي إقدام على الكلام فيها بمجرد التشهي مثل هذا الإقدام؟ !

والحاصل أن هذه الدعوى الخاسرة مردودة ولا كرامة ، وأن المهدي جِسم لا عَرَض ، واللَّه أعلم .

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر : «الصواعق المرسلة على الجهمية ، والمعطلة» (١/٢٠٢) ، وما بعدها .

الشُّبْهَةُ الرَّابِعَةُ

* وهي قولهم : « الاعتقاد في خروج المهدي خرافة ، تسربت إلى أهل السنة من طريق المؤانسة ، والمجالسة ، والاختلاط بالشيعة ، دون أن يكون لها أصل في عقيدتهم » .

والجواب بمعونة الملِكِ الوهَّاب:

أَوَّلًا : قد تقدم بيان صفة المهدي وأحواله في اعتقاد أهل السنة ، يبقى أن نتعرف على اعتقاد الشيعة في مهديهم المزعوم :

فهو في اعتقادهم آخر الأئمة الاثني عشر المنصوص عليهم ، وهم يعتقدون أن الإمامة منصب إلهي واجب على اللَّه - معاذ اللَّه - ، لا على العباد ، وأنها ركن من أركان الإيمان ، لا يصح إيمان عبدحَتَّى يعتقد فيه على النحو الذي يقولون به ، فهي تمام إيمانهم ، وبناء إسلامهم ، وركن أحكامهم .

ويغلون في أئمتهم غلوًّا شديدًا ، فيعتقدون أنهم معصومون عن الخطأ ، والسهو ، والنسيان منذ ولادتهم حتَّى موتهم ، بل إنهم يولدون متعلمين لا يحتاجون إلى تعليم المعلمين ، (ويعتقدون أن أمرهم أمر اللَّه - تعالى - ، ونهيهم نهيه ، وطاعتهم طاعته ، ومعصيتهم معصيته ، ووليهم وليه ، وعدوَّهم عدوه ، ولا يجوز الرد عليهم ، والراد عليهم كالراد على رسول اللَّه ، والراد على الرسول كالراد على اللَّه - تعالى - ، فيجب التسليم لهم ، والانقياد لأمرهم ، والأخذ بقولهم .

ولهذا يعتقدون أن الأحكام الشرعية الإلهية لا تُسْتَقَى إلَّا من نمير مائهم ، ولا يصح أخذها إلَّا منهم ، ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع إلى غيرهم ، ولا يطمئن بينه وبين اللَّه إلى أنه قد أدَّى ما عليه من التكاليف المفروضة إلَّا من طريقهم)[1] .

---

(١) « عقائد الإمامية » لمحمد رضا المظفر ، ص(٧٠) .

وقال إمام الضلالة الخميني : «وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه مَلَكٌ مقرب، ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث ؛ فإن الرسول الأعظم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، والأئمة (ع) - أي : عليهم السلام - كانوا قبل هذا العالم أنوارًا ، فجعلهم اللَّه بعرشه مُحْدِقين ، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلَّا اللَّه» ، إلى أن قال : «وقد ورد عنهم (ع) أن لنا مع اللَّه حالات لا يسعها مَلَكٌ مقرب ، ولا نبي مرسل»[١] . اهـ .

وقال - أَيْضًا - : «إن للإمام مقامًا محمودًا ، ودرجة سامية ، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون»[٢] .

وقال - أَيْضًا - : «والأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة»[٣] .

وقال - أَيْضًا - : «إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن، يجب تنفيذها واتباعها»[٤] .

قال الشيخ إحسان إلهي ظهير - رحمه اللَّه - تعالى - : «وأما الثاني عشر الموهوم ، فكفى فيه القول إنهم يصرحون في كتبهم أنفسهم أنه لم يولد ، ولم يُعثر عليه ، ولم يُرَ له أثر مع كل التفتيش والتنقيب ، ثم يحكون حكايات ، وينسجون الأساطير ، ويختلقون القصص والأباطيل في ولادته وأوصافه : إما موجود وُلِد ، وإما معدوم لم يولد؟ غير مولود ومولود! ومعدوم وموجود!»[٥] . اهـ .

---

(١) «الحكومة الإسلامية» ص(٥٢) ، وإذا كان الخليفة الراشد علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - قال : «لَا أُوتَي بِأَحَدٍ يُفَضِّلُنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلَّا جَلَدْتُهُ حَدَّ المُفْتَرِي» ، فماذا كان يقول ويفعل لو أُتي بمن يفضله ، ومن هم دونه ، حَتَّى خرافة السرداب ، على الأنبياء ، والمرسلين ، والملائكة المقربين؟! سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عظيم ! .

(٢) «نفسه» ص(٥٢) .

(٣) «نفسه» ص(٩١) .

(٤) «نفسه» ص(١١٣) .

(٥) «الشيعة وأهل البيت» ص(٢٩٤، ٢٩٥) .

ثم ساق النص الذي يفيد ذلك من ستة مراجع لهم.

وحكى الإمام ابن حزم - رحمه اللَّه - اضطرابهم الشديد في شأن ذلك المولود الذي لم يُخْلَقْ قط، ثم قال: «وكل هذا هَوَسٌ، ولم يعقب الحسن المذكور لا ذكرًا ولا أنثى، فهذا أول نُوكِ[1] الشيعة، ومفتاح عظيماتهم، وأخفها، وإن كانت مهلكة»[2]. اهـ.

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه اللَّه - في شأن ذلك المعدوم، الموجود في خيالاتهم الفاسدة:

(إنه الحاضر في الأمصار، الغائب عن الأبصار، الذي ورث العصا، ويختم الفضا، دخل سرداب سامرًا طفلًا صغيرًا، من أكثر من خمسمائة سنة، فلم تَرَهُ بعد ذلك عين، ولم يحس فيه بخبر، ولا أمر، وهم ينتظرونه كل يوم يقفون بالخيل على باب السرداب، ويصيحون به أن يخرج إليهم: «اخرج يا مولانا»، ثم يرجعون بالخيبة والحرمان، فهذا دأبهم ودأبه)، ثم قال: (ولقد أصبح هؤلاء عارًا على بني آدم، وضُحْكَةً يسخر منهم كل عاقل)[3]. اهـ.

مَا آنَ لِلسِّرْدَابِ أَنْ يَلِدَ الَّذِي ... كَلَّمْتُمُوهُ بِجَهْلِكُمْ مَا آنَا

فَعَلَى عُقُولِكُمُ العَفَاءُ فإنَّكُمْ ... ثَلَّثْتُمُ العَنْقَاءَ والغِيلانَا[4]

فإذا كان الفرق بين المهدي عند الشيعة، والمهدي عند السنة كالفرق بين الثرى والثريا[5]، فكيف يُسَوِّغُ عاقل لنفسه أن يسوي بين الحق والباطل؟ ما لكم كيف تحكمون؟!

(١) النُّوكُ: بالضم والفتح، الحُمْق.

(٢) «الفِصَل في الملل والنحل» (٤/١٨١)، وانظر: «الشيعة والتشيع: فرق وتاريخ»، للشيخ إحسان إلهي ظهير - رحمه اللَّه -، ص(٢٧١- ٢٩٥).

(٣) «المنار المنيف» ص(١٥٢، ١٥٣).

(٤) «الصواعق المحرقة» لابن حجر الهيتمي، ص(١٦٨)، والعنقاء: طائر معروف الاسم لا الجسم.

(٥) وسيأتي مزيد بيان لخرافة «المهدي العسكري» ص(٢١٣ - ٢٢٠).

ثَانيًا : إن دعوى اقتباس السنة التصديق بخروج المهدي من الرافضة لا تستند إلى دليل إلَّا الظن ، وقد قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ؛ فإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ»(١) .

ثالثًا : إن أحاديث المهدي مدونة في كتب السنة الشريفة بأسانيد تنتهي إلى رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - عن طريق صحابته الكرام - رضي اللَّه عنهم - ، أما أحاديث الشيعة ، فهي تنتهي إلي أئمتهم المعصومين في زعمهم ، وقد ينسبونها إلى رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - .

وما صح من الأحاديث الواردة في المهدي عن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - لا علاقة له بالشيعة ، ولم ينقل عن الشيعة(٢) .

ثم إن المهدي عند الشيعة هو محمد بن الحسن العسكري صاحب السرداب ، أما المهدي عند أهل السنة فهو محمد بن عبداللَّه .

فعقيدة أهل السنة في المهدي في وادٍ ، وعقيدة الشيعة في مهديهم في وادٍ آخر(٣) .

رَابِعًا : إنه لا يجوز أن نَدَعَ حقًّا لباطلٍ ؛ فَكَوْنُ الرافضة كَذَبُوا في ادِّعاء المهدية لإمامهم الوهمي لا يُسَوِّغُ لنا لا عقلًا ، ولا نقلًا أن نرفض الأدلة

---

(١) صدر حديث رواه البخاري (١٧١/٩) ، في النكاح ، باب لا يخطب على خطبة أخيه ، ومسلم (٢٥٦٣) في البر والصلة ، وأبو داود (٤٨٨٢ ، ٤٩١٧) في الأدب ، والترمذي (١٩٢٨) في البر والصلة .

(٢) ويلزم من زعم أن أهل السنة اقتبسوا فكرة المهدية من الشيعة أن يكون ابتداء الفكرة في المهدي أواخر القرن الثالث من الهجرة ، بعد الميلاد الافتراضي لمحمد بن الحسن العسكري ، وبعد ما دخل السرداب على حد زعم الرافضة فيه .

(٣) ولعل أوثق وأجمع الدراسات العلمية المنهجية لقضايا «مفهوم الإمامة عند الشيعة» ، وكذا : «المهدية والغيبة» هو كتاب «أصول مذهب الشيعة» للدكتور ناصر القفاري - حفظه اللَّه - ، فراجعه (٧٩١/٢- ٩٧٣) ، (٩٩٩/٢- ١١٠٠) ، وكذا «أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله» للأستاذ الدكتور / علي السالوس - حفظه اللَّه تعالى - .

الصحيحة من سنته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - التي تؤكد أن المهدي حقيقة لا خرافة ، وقد ادَّعى كثير من الدجَّالين النبوة ، فهل يصح أن يُحْتَجَّ بمجرد ذلك على نفي صحة الاعتقاد في النبوة؟! حاشا وكلَّا ، وقد انحرف قوم في باب صفات اللَّه - جلَّ وعلا - حتَّى خرجوا إلى التشبيه والتجسيم ، فهل يُسَوِّغُ لنا هذا أن ننفي عن اللَّه صفاته ونعطلها ؟ يروي عن الإمام أحمد - رحمه اللَّه - أنه قال : «لا نزيل عن اللَّه صفة من صفاته بشناعةٍ شُنِّعت»[(١)] .

وقد تطرف النصارى في شأن عيسى - عليه السلام - حتَّى رفعوه إلى مقام الألوهية ، فهل يُسَوِّغُ لنا هذا الاعتقاد الكُفْري أن نتطرف نحن في الجانب الآخر ؛ فَنَسُب المسيح - عليه السلام - ، أو نكذب بنبوته ؟

معاذ اللَّه ! فإن «كِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمُورِ ذَمِيمُ» .

فالحق في شأن المهدي هو ما أخبر به الصادق المصدوق - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وسيقع كما أخبر - بإذن اللَّه - تعالى - : ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينِۭ﴾ [ص : ٨٨] .

❁ ❁ ❁

(١) «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة» (١/٢٧٧) .

مَطْـلَـبٌ

*** فِي بيان معنى قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -: «يَكُونُ اثنَا عَشَرَ خَلِيفَةً»، وأنه لا متعلق له بالمهدي المنتظر، فضلًا عن مهدي الرافضة الموهوم.**

عن جابر بن سمرة - رضي اللَّه عنهما - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قال: «يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ خليفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»[(١)]، وفي رواية أبي داود من طريق أخرى بلفظ:

«لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا حتَّى يَكُونَ عَلَيْكُمُ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الأُمَّةُ»، فسمعت كلامًا من النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - لَم أَفْهمْهُ، قلت لأبي: «مَا يَقُولُ؟»، قال: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»[(٢)].

وفي رواية له - أيضًا -: «لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً»[(٣)] الحديث.

قال ابن بطال، عن المهلب: «لم ألق أحدًا يقطع في هذا الحديث»[(٤)]، يعني بشيء معين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدَّس اللَّه روحه، ونوَّر ضريحه -:

(... وهذا النص لا يجوز أن يُرَادَ به هؤلاء الاثنا عشر؛ لأنه قال: «لَا يَزَالُ الإِسْلَامُ عَزِيزًا»، و«لَا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ عَزِيزًا»، و«لَا يَزَالُ أَمْرُ النَّاسِ مَاضِيًا»،

---

(١) رواه البخاري (١٣/٢١١) في الأحكام: باب في الاستخلاف، ومسلم (١٨٢١) في الإمارة، باب: الناس تَبَعٌ لقريش، والترمذي (٢٢٢٤) في الفتن: باب ما جاء في الخلفاء، وأخرجه - أيضًا - الإمام أحمد في «المسند» (٥/٨٧، ٩٠، ٩٢، ٩٥، ٩٧، ٩٩، ١٠١، ١٠٧، ١٠٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٢٧٩)، (٤/١٠٦)، كتاب المهدي، وهو في «صحيح سنن أبي داود» برقم (٣٥٩٨).

(٣) رواه أبو داود (٤٢٨٠)، (٤/١٠٦)، كتاب المهدي، وهو في «صحيح سنن أبي داود» برقم (٣٥٩٩).

(٤) «فتح الباري» (١٣/٢١١).

وهذا يدل على أنه يكون أمر الإسلام قائمًا في زمن ولايتهم، ولا يكون قائمًا إذا انقضت ولايتهم، وعند هؤلاء الاثني عشرية لم يَقُمْ أمر الأمة في مدة أحد من هؤلاء الاثني عشر، بل ما زال أمر الأمة فاسدًا منتقضًا يتولَّى عليهم الظالمون المعتدون، بل المنافقون الكافرون، وأهل الحق أذلُّ من اليهود. وأيضًا، فإن عندهم ولاية المنتظر دائمة إلى آخر الدهر، وحينئذ فلا يبقى زمان يخلو عندهم من الاثني عشر، وإذا كان كذلك لم يَبْقَ الزمان نوعين:

نوع يقوم فيه أمر الأمة، ونوع لا يقوم، بل هو قائم في الأزمان كلها، وهو خلاف الحديث الصحيح.

وأيضًا فالأمر الذي لا يقوم بعد ذلك إلَّا إذا قام المهدي: إما المهدي الذي يقرُّ به أهل السنة، وإما مهدي الرافضة، ومدته قليلة، لا ينتظم فيها أمر الأمة.

وأيضًا فإنه قال في الحديث: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»، ولو كانوا مختصين بعليٍّ وأولاده لذكر ما يُمَيَّزون به، ألا ترى أنه لم يقل: «كلهم من ولد إسماعيل»، ولا من العرب، وإن كانوا كذلك؛ لأنه قصد القبيلة التي يمتازون بها، فلو امتازوا بكونهم من بني هاشم، أو من قبيل عليٍّ مع عليٍّ، لذكروا بذلك، فلما جعلهم من قريش مطلقًا، عُلِمَ أنهم من قريش، بل لا يختصون بقبيلة، بل بنو تميم، وبنو عدي، وبنو عبدشمس، وبنو هاشم؛ فإن الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل)(١). اهـ.

وقال تلميذه الحافظ ابن كثير - رحمه اللَّه -:

(فهؤلاء المُبَشَّرُ بهم في الحديثين ليسوا الاثني عشر الذين زعم فيهم الروافض ما يزعمون من الكذب والبهتان، وأنهم معصومون؛ لأن أكثر أولئك لم يَلِ أحد منهم شيئًا من أعمال هذه الأمة في خلافة، بل ولا في

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٨/ ٢٥٣، ٢٥٤).

قطر من الأقطار ، ولا بلد من البلدان ، وإنما ولي منهم علي وابنه الحسن بن علي - رضي اللَّه عنهما - .

وليس المراد من هؤلاء الاثني عشر الذين تتابعت ولايتهم سردًا إلى أثناء دولة بني أمية ؛ لأن حديث سَفينة : «الخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلاثُونَ سَنَةً»[(١)] ، يمنع من هذا الملك ، وإن كان البيهقي قد رجحه[(٢)]...

ولكن هؤلاء الأئمة الاثني عشر وُجِدَ منهم الأئمة الأربعة : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، وابنه الحسن بن علي - أَيْضًا - ، ومنهم عمر بن عبدالعزيز ، كما هو عند كثير من الأئمة ، وجمهور الأمة ، ولله الحمد .

وكذلك وجد منهم طائفة من بني العباس ، وسيوجد بقيتهم فيما يُستقبل من الزمان ، حتَّى يكون منهم المهدي المُبَشَّرُ به في الأحاديث الواردة فيه ، وقد نص

---

(١) رواه الترمذي بلفظ : «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ، ثم مُلك بعد ذلك» . . . الحديث (٢٢٢٧) ، في الفتن : باب ما جاء في الخلافة ، ورواه أبو داود بلفظ : «خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً ، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ المُلْكَ ، أَوْ : مُلْكَهُ ، مَنْ يَشَاءُ» . قال سعيد : قال لي سفينة : «أمسك عليك : أبا بكر سنتين ، وعمر عشرًا ، وعثمان اثنتي عشرة ، وعليٌّ كَذَا» (٤٦٤٦، ٤٦٤٧) في السنة : باب في الخلفاء ، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» : «أخرجه أصحاب السنن ، وصححه ابن حبان» . اهـ . (١٣/٢١٢) ، ط السلفية .

(٢) وذلك لأن حديث سفينة يُرَادُ به خلافة النبوة خصوصًا ، وهي التي اختص بها أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي - رضي اللَّه عنهم - ، وأكملت بخلافة الحسن بن علي - رضي اللَّه عنهما - ، وأما من كان بعد الثلاثين سنة ، فخلافتهم خلافة ملك ، أما حديث جابر بن سمرة - رضي اللَّه عنهما - فلم يقيد الخلافة بخلافة النبوة ، فلفظ الخلافة مشترك ، يختص الراشدون منه بخصيصة هي خلافة النبوة المقدرة بثلاثين سنة .

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه اللَّه تعالى - : «والدليل على أن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - إنما أوقع عليهم اسم الخلافة ؛ بمعنى الملك في غير خلافة النبوة ، قوله في الحديث الصحيح من حديث الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : «سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي خُلَفَاءُ يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ، وَسَيَكُونُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلَفَاءُ يَعْمَلُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ أَنْكَرَ بَرِئَ ، وَمَنْ أَمْسَكَ سَلِمَ ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» . «تهذيب سنن أبي داود» (١١/٣٦٤) مطبوع بهامش «عون المعبود» .

على هذا الذي بَيَّنَّاهُ غيرُ واحدٍ، كما قررنا ذلك)[١] .اهـ.

وقال الشيخ عبدالمحسن العبَّاد - حفظه اللَّه - مُعَلِّقًا على ما ذهب إليه الحافظ ابن كثير - رحمه اللَّه -، من أن المهدي يمكن أن يكون أحد الأئمة الاثني عشر:

(هذا محل نظر؛ فإن الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، قال: «لَا يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَائِمًا مَا وَلِيَ عَلَيْهِمُ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً، كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»، فقوله: «لَا يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَائِمًا»، يدل على أن الدين في زمانهم قائم، والأمر نافذ، والحق ظاهر، ومعلوم أن هذا إنما كان قبل انقراض دولة بني أمية، وقد جرى في آخرها اختلاف تَفَرَّقَ بسببه الناس، وحصل به نكبة على المسلمين، وانقسم أمر المسلمين إلى خلافتين، خلافة في الأندلس، وخلافة في العراق، وجرى من الخطوب والشرور ما هو معلوم.

والرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قال: «لَا يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَائِمًا»، ثم جرى بعد ذلك أمور عظيمة، حتَّى اختل نظام الخلافة، وصار على كل جهة من جهات المسلمين أمير وحاكم، وصارت دويلات كثيرة، وفي زماننا هذا أعظم وأكثر، والمهدي حتَّى الآن لم يخرج، فكيف يصح أن يُقَالَ: إن الأمر قائم إلى خروج المهدي، هذا لا يمكن أن يقوله من تأمَّل ونظر.

والأقرب من هذا - كما قاله - جماعة من أهل العلم: أن مراد النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - بهذا الحديث: «لَا يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَائِمًا مَا وَلِيَ عَلَيْهِمُ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً، كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»، أن مراده من ذلك، الخلفاء الأربعة - رضي اللَّه عنهم -، ومعاوية - رضي اللَّه عنه -، وابنه يزيد، ثم عبدالملك بن مروان، وأولاده الأربعة[٢]، وعمر بن عبدالعزيز، هؤلاء اثنا عشر خليفة،

---

(١) «نهاية البداية والنهاية» (١/١٧، ١٨)، وانظر: «البداية والنهاية» (٦/١٩٨).

(٢) وهم: الوليد، ثم سليمان، ثم يزيد، ثم هشام، وتخلل بين سليمانَ ويزيدَ عمرُ بنُ عبد العزيز.

والمقصود أن الأئمة الاثني عشر في الأقرب، والأصوب، ينتهي عددهم بهشام بن عبدالملك؛ فإن الدين في زمانهم قائم، والإسلام منتشر، والحق ظاهر، والجهاد قائم، وما وقع بعد موت يزيد من الاختلاف والانشقاق في الخلافة، وتولي مروان في الشام، وابن الزبير في الحجاز - لم يضر المسلمين في ظهور دينهم؛ فدينهم ظاهر، وأمرهم قائم، وعدوهم مقهور، مع وجود هذا الخلاف الذي جرى، ثم زال بحمد اللَّه بتمام البيعة لعبدالملك، واجتماع الناس بعدما جرى من الخطوب على يد الحجاج وغيره، وبهذا يتبين أن هذا الأمر الذي أخبر به - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - قد وقع، ومضى، وانتهى، وأمر المهدي يكون في آخر الزمان، وليس له تعلق بحديث جابر بن سمرة)[1]. اهـ.

❁ ❁ ❁

(١) «الرد» ص(١٥٩، ١٦٠)؛ وانظر: «فتح الباري» (١٣/٢١١- ٢١٥)، ط. السلفية.

الشُّبهَةُ الخَامِسَةُ

* وهي قولهم: إن الاعتقاد في خروج المهدي ترتب عليه من المضار، والمفاسد، والفتن، ما يشهد به التاريخ، والواقع، أما اعتقاد بطلانه، وعدم التصديق به، فإنه يجلب الراحة والأمان، والسلامة من الزعازع والفتن.

والجواب بمعونة الملِكِ الوهاب:

أَوَّلًا: أن الواجب تصديق رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - فيما يخبر به من أمور الغيب، سواء كانت ماضية أو مستقبلة، موجودة أو غائبة عنا، والذين حكموا بصحة أحاديث المهدي هم العلماء الجهابذة، والنقاد المحققون من أهل الحديث، فلم يَبْقَ عذر لمن دونهم في أن يرد بجهله حكمهم، وينازع الأمرَ أهلَه.

ثَانِيًا: أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن المهدي يقيم القسط، ويبسط العدل، ويرفع الجور، ويزيل الظلم، أما الفتن والزعازع، فإنما تكون من الدجالين الكذابين، الذين يدَّعون المهدية.

ثَالِثًا: أن المضار والمفاسد تترتب - أَيْضًا - على التكذيب بالأحاديث الصحيحة؛ مما ينافي الإيمان، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال - عز وجل -: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال الإمام أحمد - رحمه اللَّه -: «من رَدَّ حديثَ رسولِ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - فهو على شفا هلكة»(١).

رَابِعًا: أن إنكار خروج المهدي في آخر الزمان ليس هو الذي يمنع من وقوع

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ص(١٨٢)، وانظر: «التنبيه السابع» ص(٢٧).

الفتن، ويحصل به الأمن والاطمئنان؛ بدليل أن اللَّه - تعالى - قال في كتابه العزيز: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -: «وأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي»(١)، ومع ذلك وُجِدَ كثيرون ممن ادَّعَوْا النبوة، وحصل بذلك للمسلمين أضرار كبيرة؛ فقد قاتل المسلمون المتنبئين على دعواهم النبوة، وأراقوا دماءهم، كما وقع مع مسيلمة الكذَّاب، والأسود العنسي، وطليحة الأسدي، وسجاح، والمختار بن أبي عبيد، وغيرهم من الكذَّابين الدجَّالين، الذين كانت لهم شوكة وأتباع.

فكما لا يقول مسلم إن دعوى هؤلاء الدجالين للنبوة، وما حصل منهم - من المضار، والمفاسد الكبار، وسفك الدماء مما يشهد به التاريخ - تقدح في صحة الأدلة على نبوة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، وأنه خاتم الأنبياء؛ فكذلك لا يقول عاقل له أدنى علم ومعرفة: إن دعوى المتمهدين كذبًا وزورًا تقدح في صحة الأحاديث الواردة في المهدي، وتؤثر فيها.

أما الأسباب الحقيقية للنجاة من الفتن، فتكمن في التمسك بكتاب اللَّه، وسنة رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -، والاعتصام بحبله؛ قال - تعالى -: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠- ٤١]، وقال- تبارك وتعالى-: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وقال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ»(٢) الحديث، إلى

(١) انظر: «الفِصَل» لابن حزم (١/٧٧).

(٢) قطعة من حديث رواه الترمذي (٢٥١٨)، في صفة القيامة، باب (٦٠)، وقال: «حسن صحيح»، =

غير ذلك من أدلة الكتاب والسنة .

خَامِسًا : أما زعمهم أن التكذيب بأحاديث المهدي يجلب الراحة والأمان ، والسلامة من الزعازع والفتن ، فجوابه أن العكس هو الصحيح ، فإن الذي يجلب ذلك كله هو الإيمان بكل ما جاء عن اللَّه - تعالى - ، وكل ما ثبت عن رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، والتنزه من الشكوك والأوهام في أنباء الغيب مما كان ، وما سيكون .

فأما الراحة والاطمئنان برد الأحاديث ، فهو من باب قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - في الفتن : «فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا »[1] الحديث ، وهو من جنس فرح أهل البدع ببدَعهم ، واطمئنانهم إليها ، ووجدانهم الراحة في التمسك بها ، وهذا من تلاعب الشيطان بهم ، وتزيينه لهم سوء أعمالهم .

قال العلَّامَةُ ناصر الدين الألباني - تغمده اللَّه بواسع رحمته - وهو يعدد صور انحراف الناس في موضوع المهدي :

«ومنهم - وفيهم بعض الخاصة - من علم أن ما حكيناه عن العامة أنه خرافة ، ولكنه توهم أنها لازمة لعقيدة خروج المهدي ، فبادر إلى إنكارها ، على حَدِّ قول من قال : (وَدَاوِنِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ) !

وما مثلهم إلَّا كمثل المعتزِلَة الذين أنكروا القدر ، لما رأوا أن طائفة من المسلمين استلزموا منه الجبر .

= ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٦٦٩، ٢٧٦٣، ٢٨٠٤) .

(١) وأصل الحديث عن حذيفة بن اليمان - رضي اللَّه عنه - قال : «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى اللَّه عليه وسلم - يَقُولُ : «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا - أَيْ قَبِلَهَا ، وَسَكَنَ إِلَيْهَا - ، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا ، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ : أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا ، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ، مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ والأرضُ ، والآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا ، كَالْكُوزِ ، مُجَخِّيًا ، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا ، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ» . رواه مسلم (١٤٤) في الإيمان : باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا » .

فهم بذلك أبطلوا ما يجب اعتقاده، وما استطاعوا أن يقضوا على الجبر.

وطائفة منهم رأوا أن عقيدة المهدي قد استغلت عبر التاريخ الإسلامي استغلالًا سيئًا، فادَّعاها كثير من المغرضين، أو المهبولين، وجرت من جراء ذلك فتن مظلمة، كان من آخرها فتنة مهدي (جهيمان) السعودي في الحرم المكي، فرأوا أن قطع دابر هذه الفتن، إنما يكون بإنكار هذه العقيدة الصحيحة.

وما مثل هؤلاء إلَّا كمثل من ينكر عقيدة نزول عيسى - عليه السلام - في آخر الزمان التي تواتر ذكرها في الأحاديث الصحيحة؛ لأن بعض الدجاجلة ادَّعاها؛ مثل (ميرزا غلام أحمد القادياني)، وقد أنكرها بعضهم فعلًا صراحة؛ كالشيخ (شلتوت)، وأكاد أقطع بأن كل من أنكر عقيدة المهدي ينكرها - أَيْضًا -، وبعضهم يَظهر ذلك من فلتات لسانه، وإن كان لا يُبين.

وما مثل هؤلاء المنكرين جميعًا عندي إلَّا كما لو أنكر رجل ألوهية اللَّه - عز وجل - بدعوى أنه ادَّعاها بعض الفراعنة.

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥][1] » اهـ.

❁ ❁ ❁

---

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٥٢٩)، (٤/ ٤٢، ٤٣)، وانظر: «مقالات الألباني»، ص(١٠٥، ١١٠).

البَابُ الثَّالِث

الفَصلُ الأَوَّل

ذِكرُ الاختِلَافِ في المَهدِيِّ، وَأَشهَرِ مَنِ ادَّعَى المَهدِيَّةَ، أَوِ ادُّعِيَت لَهُ، وفيه فصل عن مهدي المغاربة ابن تومرت.

الفَصلُ الثَّانِي

حَرَكَتَا المَهدِيِّ السُّودَانِيِّ، وَالمَهدِيِّ القَحطَانِيِّ.

الفَصلُ الثَّالث

ضوابط الحكم على مُدَّعي المهدية .

الفَصْلُ الأوَّلُ

ذِكرُ الاختِلَافِ في المَهدِيِّ وَأَشهَرِ مَنِ ادَّعَى المَهدِيَّةَ أَوِ ادُّعِيَت لَهُ

الفَصلُ الأوَّلُ

ذِكرُ الاختِلَافِ فِي المَهدِيِّ، وَأَشهَرِ مَنِ ادَّعَى المَهدِيَّة أَوِ ادُّعِيَت لَهُ

قال جمهور أهل السنة : «إنه من أهل بيت النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - ، من ولد الحسن بن علي - رضي اللّٰه عنهما - ، يخرج في آخر الزمان ، وقد امتلأت الأرض ظلمًا وجورًا ، فيملؤها قِسْطًا وعَدْلًا ، وهذا هو القول الصحيح الذي تشهد له الأحاديث الصحيحة عن النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - ، وأقره كبار المُحَدِّثِينَ ، والحُفَّاظ ، والمحققين في القديم ، والحديث ، إلا من لا يعتد بخلافه» ، وقد سبق بيان ذلك بالتفصيل .

- وادَّعى بعضهم أنه **المسيح عيسى ابن مريم**- عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - اعتمادًا على الحديث المنكر : «لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى ابْن مَرْيَمَ» ، وقد سبق رد هذا القول ، وتضعيف الحديث[1] .

- لقد راودت فكرة المهدية كثيرًا من الناس ، حتى ادعاها بعضهم لنفسه ؛ إما لوجود «بعض» العلامات فيه ، أو لِتَكَلُّفِهِ الاتِّصَافَ بها .

- ومنهم فِرَقٌ ضالَّة حوَّرت فكرة المهدية ، وتناولتها بالتعديل والتحريف ؛ لينطبق وصفها على شخص معين تمحوروا حوله على أنه المهدي المنتظر .

- ومنهم من لم يَدَّعِ المهدية لنفسه إطلاقًا ، ولكنه كان متحليًا بصفاتٍ طيبة جعلت مُحِبِّيه وأتباعه المبهورين به يَدَّعون أنه المهدي المنتظر .

- ومنهم من اجتمع فيه صفات طيبة ، وإنجازات واقعية رائعة ، في خدمة الدين ، ولم يَدَّعِ المهدية لنفسه ، ولا ادَّعاها له أحد ، ولكن أُطْلِقَ عليه وصف

---

(١) راجع ص(١٥٥ - ١٥٨) .

«المهدي» بالمعنى العام لا الخاص .

- ومن مُدَّعِي المهدية من طَبَعَ أَثَرًا عميقًا في أحداث التاريخ ؛ حيث قامت له دعوة وكِيان ، ومنهم من خمل ذِكْرُهم ؛ فعاشوا وماتوا دون أضواء ولا ضوضاء .

وفي هذا الفصل نستعرض أشهر مُدَّعِي المهدية ، أو مَن ادُّعِيَتْ لهم المهدية ، وقد نبسط سيرة بعضهم ؛ لما فيها من الدروس والعِبر لكل من تراوده نفسه أن يدعي المهدية لنفسه ، أو يَدَّعِيَهَا لغيره ، واللَّه - تَعَالَى - من وراء القصد .

❁ ❁ ❁

(١) علي بن أبي طالب أمير المؤمنين - رضي اللَّه عنه - (ت ٤٠ هـ)

ادعى عبداللَّه بن سبأ[١] اليهودي الزنديق المُتَمَسْلِمُ أن عَلِيًا - رضي اللَّه عنه - هو المهدي المُنْتَظَرُ ، وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، فيملأ الأرض عدلًا كما مُلِئَتْ جَوْرًا .

ولما قُتِلَ علي - رضي اللَّه عنه - زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليًا ، وإنما كان شيطانًا تصور للناس في صورة علي - رضي اللَّه عنه - ، وأن عليًا صعد إلى السماء ، كما صعد إليها عيسى ابن مريم - عليه السلام[٢] - ، وزعم أنه الذي يجيء في السَّحاب ، وأن الرعد صوته ، والبرق تبسمه[٣] .

وقد قيل لابن سبأ : إن عليًا قد قُتِلَ ، فقال : «إن جئتمونا بدماغه في صرة لم

---

(١) وأصله من اليمن ، وكان يهوديًا فأظهر الإسلام ، وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ، ويُدخل بينهم الشر ، قال فيه الذهبي : «من غلاة الزنادقة ، ضالٌّ مُضِلٌّ» ، وقد كان أبرز زعماء الفتنة الدامية التي انتهت بمقتل أمير البررة ، وقتيل الفجرة ؛ عثمان بن عفان - رضي اللَّه عنه - ، وادَّعى إلهية عليٍّ - رضي اللَّه عنه - .

(٢) «الفرق بين الفرق» ص(٢٣٣) .

(٣) «الملل والنحل» (١/١٧٤) .

نصدق بموته ، لا يموت حتى ينزل من السماء ، ويملكَ الأرض بحذافيرها »[١] .

- **يقول الدكتور عبدالعليم البستوي - حفظه اللَّه - :**

(لقد كان هدف عبداللَّه بن سبأ الأساسي هو إثارة الفتن والقلاقل بين المسلمين من كل وجه ممكن ، وإفساد عقائدهم بأي طريق ، ولقد وجد في التظاهر بحب أهل البيت منفذًا كبيرًا ، ومرتعًا خَصِبًا لتحقيق مآربه التخريبية .

فقد كان المسلمون جميعًا ينظرون إلى أهل بيت الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - نظرة حب وتقدير ؛ لمنزلتهم من الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - ، وكان من السهل جدًّا إثارة عواطف عامَّة المسلمين ، بحجة الدفاع عن أهل البيت ، والولاء لهم وتأييدهم .

وهكذا حدث ؛ فقد استغل عبداللَّه بن سبأ هذه الناحية ، وكذلك كل الذين شايعوه ، ومشوا على فكرته في جميع العصور حسب مصالحهم ، وأغراضهم ، وأهوائهم السياسية ، والمادية ، ومن هنا نرى فرقَ الشيعة جميعًا على فكرة الرجعة لمن اختارته لها مهديًا ، إلا أن السر في تعدد أحزابهم هو ما كانت تُمْلِيهِ ظروفهم السياسية ، وأهواؤهم المادية ، وأغراضهم المختلفة ، فكلما سولت لأحدهم نفسُه أن يُغَامِرَ بطلب الوِلاية ، والرياسة ، أو المنافع الأخرى ، اختار له مهديًا ، وتظاهر بالدعوة إلى إمامته ، فإذا مات ذلك المهدي المزعوم قبل أن تتحقق مآربه ، ادعى أنه غاب ، ولم يمت ، ولابد أن يرجع قبل يوم القيامة ، فيملأ الأرض عدلًا كما مُلئت جَوْرًا ، وظُلْمًا ، ومن هنا كثر المهديون عندهم)[٢] .

❁ ❁ ❁

---

(١) «التنبيه والرد» ص(١٨) ، و«الفِصَل» (١٨٠/٤) ، و«الملل والنحل» (١٧٤/١) .

(٢) «المهدي المنتظر» ص(٦٣) .

(٢) خال المؤمنين وأميرهم معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما -

وممن أُطْلِق عليهم لقب «المهدي» بالمعنى العام أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – .

عن مجاهد قال : لو رأيتم معاوية لقُلْتُم : «هذا المهدي»[١] .

روى أبو بكر الأثرم بسنده عن قتادة قال : «لو أصبحتم في مثل عمل معاوية – رضي الله عنه – لقال أكثركم : هذا المهدي»[٢] .

وروى الأثرم أيضًا بسنده عن أبي هريرة المكتب قال : كنا عند الأعمش ، فذكروا عمر بن عبد العزيز وعدله ، فقال الأعمش : «فكيف لو أدركتم معاوية ؟» قالوا : في حلمه؟ قال : «لا واللَّه ! بل في عدله»[٣] .

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده إلى أبي إسحاق السبيعي أنه ذكر معاوية ، فقال : «لو أدركتموه ، أو أدركتم أيامه ، لقلتم : «كان المهدي»[٤] .

وهذه الشهادة مِن هؤلاء الأئمة الأعلام لأمير المؤمنين معاوية – رضي الله عنه – صدى استجابة الله – عز وجل – دعاء نبيه – صلى اللَّه عليه وسلم – لهذا الخليفة الصالح يوم قال – صلى اللَّه عليه وسلم – : «اللهم اجعله هاديًا مهديًّا ، واهدِ به»[٥] ، وهو مِن أعلام النبوة .

وعن جبير بن نفير ، عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال : «لا مدينة بعد عثمان ، ولا رخاء بعد معاوية»[٦] .

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (١٩/ ٣٠٨)، و«تاريخ دمشق» (٦٢/ ١١٩)، و«الشريعة» (١٩٥٣).

(٢) «السنة» للخلال ، و«منهاج السنة» (٦/٢٣٣) .

(٣) «منهاج السنة» (٦/٢٣٣) .

(٤) انظر حاشية «العواصم من القواصم» ص(٢١١) .

(٥) رواه الإمام أحمد (٤/٢١٦) ، والترمذي (٣٨٤٢) ، وقال : «حسن غريب» ، وحسَّنه الجوزقاني في «الأباطيل» (١٨٢) ، وصححه الألباني – رحمه الله – في «الصحيحة» رقم (١٩٦٩).

(٦) «تاريخ دمشق» (٦٢/١٠٦) .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: «انعقدت الكلمة على معاوية، وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين، فلم يزل بالأمر مستقلًّا إلى سنة وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو»[١].

وقال قبيصة بن جابر: «ما رأيت أحدًا أعظم حِلمًا، ولا أكثر سؤددًا، ولا أبعد أناة، ولا ألين مخرجًا، ولا أرحب باعًا بالمعروف من معاوية»[٢].

وقال الضحاك بن قيس: «إن معاوية كان عود العرب، وجَدَّ العرب، قطع الله - عز وجل - به الفتنة، وملَّكه على العباد، وفتح به البلاد»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: «إن الإسلام وشرائعه في بني أمية أظهر وأوسع مما كان بعدهم، . . وعُدَّ معاوية من الأئمة المقصودين بالحديث[٤]»[٥].

وقال سعيد بن المسيب: «مَن مات محبًّا لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وشَهِد للعشرة بالجنة، وترحَّم على معاوية، كان حقيقًا على اللَّه أن لا يناقشه الحساب»[٦].

وقال العكبري: «سألني رجل عن رجل حلف بالطلاق الثلاث أن معاوية في الجنة، فأجبته: (إن نكاحه باقٍ، وإن زوجته لم تطلق)، وهكذا أفتى جماعة منهم إبراهيم الحربي»[٧].

وإذا كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أُطْلِق عليه لقب المهدي بالمعنى

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/١٢٢).

(٢) «المعرفة» للفسوي (١/٤٥٨)، و«تاريخ دمشق» (١٦/٣٦٧).

(٣) «معاوية بن أبي سفيان» للأستاذ منير الغضبان ص(٣).

(٤) يعني حديث: «لا يزال هذا الدين عزيزًا منيعًا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش». رواه مسلم (١٢/٢٠٣ - نووي).

(٥) «منهاج السنة» (٤/٢٠٦).

(٦) «البداية والنهاية» (١١/ ٤٤٩).

(٧) «المنهج الأحمد» (٢/٧٥).

العام، فلا شك أن صاحب رسول الله -صلى اللَّه عليه وسلم-، وخال المؤمنين، وأميرهم، وكاتب الوحي، أَوْلى بذلك من عمر بن عبد العزيز -رحمه اللَّه تعالى-.

فيا عجبًا ممن يفضل عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- على معاوية -رضي الله عنه-، وقد شرفه الله -تعالى- بصحبة نبيه -صلى اللَّه عليه وسلم-.

قال ابن حزم -رحمه الله- في شأن الصحابة -رضي الله عنهم-: «وجلسة من الواحد منهم مع النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- أفضل من عبادة أحدنا دَهْرَه»[1].

وقال محمد بن يحيى بن سعيد: سُئل ابن المبارك عن معاوية، فقال: ما أقول في رجل قال رسول الله -صلى اللَّه عليه وسلم-: «سمع الله لمن حمده»، فقال خلفه: «ربنا ولك الحمد»؟ فقيل له: أيهما أفضل: هو أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: «لَتراب في منخري معاوية مع رسول الله -صلى اللَّه عليه وسلم-، خير وأفضل مِن عمر بن عبد العزيز»[2].

وفي رواية: سُئِل عبد اللَّه بن المبارك: عمر بن عبد العزيز أفضل أم معاوية؟ فقال: «تراب دخل في أنف معاوية في بعض مشاهد النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- أفضل من عمر بن عبد العزيز»[3].

وقد سُئل المعافى بن عمران: أيهما أفضل: معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فغضب، وقال للسائل: «أتجعل رجلًا من الصحابة مثل رجل من التابعين؟! معاوية صاحبه، وصهره، وكاتبه، وأمينه على وحي الله»[4].

---

(١) «الإحكام» (٥/ ٨٩، ٩٠).

(٢) «الشريعة» للآجري (٣/ ٥٢٠)، و«البداية والنهاية» (٨/ ١٤٢).

(٣) «الحجة في بيان المحجة» للأصبهاني (٢/ ٣٧٧).

(٤) «معاوية بن أبي سفيان» للغضبان ص(٣).

وقيل لأبي أسامة حماد بن أسامة بن زيد : أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : «أصحاب رسول الله – صلى اللَّه عليه وسلم – لا يُقاس بهم أحد»[١] .

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري : «سألت أبا أسامة : أيما كان أفضل : معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : لا نعدل بأصحاب محمد – صلى اللَّه عليه وسلم – أحدًا»[٢] .

وعن بشر بن الحارث قال : سمعت المعافى ، وأنا أسمع ، أو سألته : «معاوية أفضل أو عمر بن عبد العزيز ؟» ، فقال : «كان معاوية أفضل من ستمائة مثل عمر بن عبد العزيز»[٣] .

وقال أبو بكر المروزي : قُلْتُ لأبي عبد الله : أيما أفضل : معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : «معاوية أفضل ، لسنا نقيس بأصحاب رسول الله – صلى اللَّه عليه وسلم – أحدًا ، قال النبي ﷺ : (خير الناس قرني الذي بُعثتُ فيهم)[٤]»[٥] .

وقال ابن العماد : «سُئل الإمام أحمد بن حنبل – رضي الله عنه – : أيما أفضل : معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : «لَغُبار لحق بأنف جواد معاوية بين يدي رسول الله – صلى اللَّه عليه وسلم – خير من عمر بن عبد العزيز – رضي الله تعالى عنه – ، وأماتنا على محبته –»[٦] .

قال الحافظ ابن كثير : وقال بعضهم في معاوية وعمر بن عبد العزيز : «لَيوم شهده معاوية مع رسول الله – صلى اللَّه عليه وسلم – ، خير من عمر بن

---

(١) «الشريعة» (٥٢٠/٣) ، «السنة» للخلال (٤٣٥/١) .
(٢) «جامع بيان العلم» (١١٧٣/٢) .
(٣) رواه الخلال في «السنة» (٦٦٤) .
(٤) رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣)، والترمذي (٣٨٥٩)، والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٩٤٠٣)، وابن ماجه (٢٣٦٢).
(٥) «السنة» للخلال (٦٦٠) .
(٦) «شذرات الذهب» (٦٥/١) .

عبد العزيز وأهل بيته»[١].

وقال إبراهيم بن ميسرة: «ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنسانًا قط، إلا إنسانًا شتم معاوية، فإنه ضربه أسواطًا»[٢].

وقال هارون الحمال: سمعت أحمد بن حنبل، وأتاه رجل، فقال: يا أبا عبد اللَّه! إن ههنا رجلًا يُفضل عمر بن عبد العزيز على معاوية بن أبي سفيان، فقال أحمد: «لا تجالسْه، ولا تؤاكلْه، ولا تشاربْه، وإذا مرض فلا تَعُدْه»[٣].

---

(١) «الباعث الحثيث» ص(١٨١).

(٢) اللالكائي (٢٣٨٥)، و«الاستيعاب» (١٤٢٢/٣)، و«تاريخ دمشق» (١٤٥/٦٢).

(٣) «ذيل طبقات الحنابلة» (١٣٣/٣).

تنبيه مهم:

اعلم - رحمك الله - أن الثناء على معاوية، لا يستلزم المساس بأمير المؤمنين علي - رضي الله عنه -، فقد كان معاوية يقصد الحق، ولا يضيره بعد ذلك أن يكون أصابه أم أخطأه، أمَّا أنه كان يعرف نفسه أنه على باطل ويقاتل عليه فهذا كلام مرفوض؛ لأن رسول الله - صلى اللَّه عليه وسلم - شَهِد للطائفتين أنهما يقصدان الحق، لكن عليًّا - رضي الله عنه - ومن معه أصابوه، ومعاوية - رضي الله عنه - ومن معه أخطؤوه، قال - صلى اللَّه عليه وسلم -: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، وتكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة». رواه البخاري (١٣/ ٧٢)، ومسلم (١٥٧).

وفي رواية أحمد (٢/ ٣١٣، ٥٣٠): «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعوتهما واحدة، فبينما هم كذلك مرق منهم مارقة، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق».

إذن كان عليٌّ ومعاوية ومن معهما من الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا جميعًا من أهل الحق، وكانوا مخلصين في ذلك، وإنما اختلفوا عن اجتهاد، وهم - لإخلاصهم في اجتهادهم - مثابون عليه في حالَتَي الصواب والخطأ، وعليٌّ المبشر بالجنة له أجران، ولمعاوية أجر اجتهاده، وعلي أعلى مقامًا عند الله من معاوية خالِ المؤمنين، وصاحبِ رسول رب العالمين، الذي قال يومًا لأحد الصحابة: «واللهِ على ذلك ما كنتُ لأُخيَّر بين الله وغيره، إلا اخترتُ اللَّه على غيره مما سواه».

وعن أبي القاسم ابن أخي أبي زرعة الرازي قال: جاء رجل إلى عمي أبي زرعة، فقال له: «يا أبا زرعة! أنا أبغض معاوية، قال: لِمَ؟ قال: «لأنه قَاتَل علي بن أبي طالب»، قال: فقال له عمي: «إن رب معاوية ربٌّ رحيم، وخصمَ معاوية خصم كريم، فأيْشِ دخولك أنت بينهما - رضي الله عنهم أجمعين -؟».

وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: «رأيت رسول الله - صلى اللَّه عليه وسلم - في المنام، وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليه وجلست، فبينما أنا جالس إذ أُتي بعلي ومعاوية، =

(٣) مُحَمَّدُ بنُ الحَنَفِيَّةِ[١] - رحِمه اللَّهُ تَعَالَى - (ت٨١هـ)

قال الحافظ ابن حجر - رحمه اللَّه - : (كان أول أمر المختار أن ابن الزبير أرسله إلى الكوفة ؛ ليؤكد له أمر بيعته ، فأظهر المختار أن ابن الزبير دعا في السر للطلب بدم الحسين ، ثم أراد تأكيد أمره ، فادَّعى أن محمد بن الحنفية هو المهدي الذي سيخرج في آخر الزمان ، وأنه أمره أن يدعو الناس إلى بيعته ، وزَوَّرَ على لسانه كتابًا[٢] ، فدخل في طاعته جمعٌ جَمٌّ ، فَتَقَوَّى بهم ، وتتبع قَتَلَةَ الحسين ، فقتلهم ، فَقَوِيَ أمره بمن يحب أهل البيت)[٣] .

وذكر الشهرستاني : (أن المختار بن أبي عبيد[٤] قال بإمامة محمد ابن الحنفية بعد علي ، ولما وقف محمد ابن الحنفية على ذلك تبرأ منه)[٥] .

وقال عبدالقاهر البغدادي : (ثم رفع خبر المختار إلى ابن الحنفية ، وخاف

= فأُدخِلا بيتًا ، وأُجيف البابُ وأنا أنظر ، فما كان بأسرع من أن خرج علي، وهو يقول : «قُضي لي وربِّ الكعبة» ، ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية، وهو يقول : «غُفر لي وربِّ الكعبة» .
قال محمد بن الحسين الفراء : «والدلالة على إبطال القول بإضافة الظلم والفسق إلى أحدهم - يعني : الصحابة - قوله تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ (التحريم : ٨) ، قال : «وقد كان معاوية ممن آمن معه ، فقد لحقته مدحةُ الله» .

(١) هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام ، وهو أخو الحسن والحسين - رضي اللَّه عنهما - ، غير أن أمهما فاطمة الزهراء - رضي اللَّه عنها - ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ، ينسب إليها تمييزًا له عنهما ، كان واسع العلم ، ورعًا ، قويًّا ، شجاعًا .

(٢) قال الحافظ ابن كثير : (وذلك من غير أمر ابن الحنفية ورضاه ، وإنما يتقولون عليه ليروجوا على الناس به ، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة) . اهـ من : «البداية والنهاية» (٢٤٨/٨) .

(٣) «الاحتجاج بالأثر» ص(١٢٣) .

(٤) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، كان يدعي الكهانة ، وكان شديد الكذب ، ومن أقبحه : أنه ادعى أن جبريل - عليه السلام - يأتيه ، وكان يقول بالبَداء ، وقد اتفق العلماء - كما قال النووي - على أنه الكذَّاب المراد بقول النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - : «إن في ثقيف كذَّابًا ومُبيرًا» رواه مسلم ، وأن المبير هو الحجَّاج بن يوسف ، كما في «شرح النووي» (١٠٠/١٥) .

(٥) «الملل والنحل» (١٤٨/١) .

من جهته الفتنة في الدين ، فأراد قدوم العراق ليصير إليه الذين اعتقدوا إمامته ، وسمع المختار ذلك ، فخاف من قدوم العراق ذهابَ رياسته وولايته ، فقال لجنده : «إنا على بيعة المهدي ، ولكن للمهدي علامة ، وهو أن يُضربَ بالسيف ضربة ، فإن لم يقطع السيفُ جِلدَه فهو المهدي» ، وانتهى قوله هذا إلى ابن الحنفية ، فأقام بمكة خوفًا من أن يقتله المختار بالكوفة[١] .

وقد اتفقت فِرَقُ الكَيْسانية[٢] كلُّها على إمامة ابن الحنفية في حياته ، ولكن بعدما مات أقر قوم منهم بموته[٣] ، وحوَّلوا الإمامة إلى غيره على خلاف كثير فيهم ، وقال قوم آخرون : إنه حي ، ولم يَمُتْ ، وإنه في جبل رَضْوَى[٤] ، وعنده عين من الماء ، وعين من العسل ، يأتيه رزقه غدوًّا ، وعشيًّا ، تُحَدِّثه الملائكة ، وعن يمينه أسد ، وعن يساره نمر ، يحفظانه من أعدائه ، إلى وقت خروجه ، وأنه صاحب الزمان يخرج ، ويقتل الدجَّال ، ويهدي الناس من الضلالة ، ويُصْلِحُ الأرض بعد فسادها ، ولم يَمُتْ ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلًا ، كما مُلئت جَوْرًا[٥] .

قال الحِمْيَرِيُّ - وكان ممن ينتظرون رجعة محمد ابن الحنفية - :

يَا شِعْبَ رَضْوَى قَاطِنٌ بِكَ لَا يُرَى ... حَتَّى مَتَى تَخْفَى وَأَنْتَ قَرِيبُ

يَابْنَ الْوَصِيِّ وَيَا سَمِيَّ مُحَمَّدٍ ... وَكَنِيَّهُ نَفْسِي عَلَيْكَ تَذُوبُ

لَوْ غَابَ عَنَّا عُمْرَ نُوحٍ أَيْقَنَتْ ... مِنَّا النُّفُوسُ بِأَنَّهُ سَيَئُوبُ[٦]

وقال كُثَيِّرُ عَزَّة ، وكان على مذهب الكيسانية :

أَلَا قُلْ لِلْوَصِيِّ فَدَتْكَ نَفْسِي ... أَطَلْتَ بِذَلِكَ الْجَبَلِ الْمقَامَا

---

(١) «الفرق بين الفرق» ص(٤٧) .

(٢) نسبة إلى كَيْسان ، لقب المختار بن أبي عبيد ، وقيل : كيسان مولى علي - رضي اللَّه عنه - .

(٣) مات ابن الحنفية سنة (٨١هـ) ، وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان والي المدينة ، ودُفِنَ بالبقيع .

(٤) جبل على مسيرة يوم من ينبع ، وعلى سبع مراحل من المدينة . «معجم البلدان» (٣/٥١) .

(٥) انظر : «مقالات الإسلاميين» (١/٩٢) ، «الملل والنحل» (١/١٥٠) ، «التنبيه والرد» ص(١٩) ، «الفرق بين الفرق» ص(٣٦) .

(٦) «المهدية في الإسلام» ص(١٥٩) .

أَضَرَّ بِمَعْشَرٍ وَالَوْكَ مِنَّا ... وَسَمَّوْكَ الخَلِيفَةَ وَالإِمَامَا
وَعَادَوْا فِيكَ أَهْلَ الأَرْضِ طُرًّا ... مَقَامُكَ عَنْهُمُ سِتِّينَ عَامَا
وَمَا ذَاقَ ابْنُ خَوْلَةَ طَعْمَ مَوْتٍ ... وَلَا وَارَتْ لَهُ أَرْضٌ عِظَامَا
لَقَدْ أَمْسَى بِمَجْرَى شِعْبِ رَضْوَى ... تُرَاجِعُهُ المَلَائِكَةُ الْكَلَامَا
وَإِنَّ لَهُ لَرِزْقًا كُلَّ يَوْمٍ ... وَأَشْرِبَةً يُعِلُّ بِهَا الطَّعَامَا[1]

وقال - أيضًا - :

أَلَا إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ ... وُلَاةَ الحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءُ
عَلِيٌّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ ... هُمُ الأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ
فَسِبْطٌ سِبْطُ إِيمَانٍ وَبِرٍّ ... وَسِبْطٌ غَيَّبَتْهُ كَرْبَلَاءُ
وَسِبْطٌ لَا يَذُوقُ المَوْتَ حَتَّى ... يَقُودَ الخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللِّوَاءُ
تَغَيَّبَ لَا يُرَى فِيهِمْ زَمَانًا ... بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ[2]

وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» :

(وقد ذهب طائفة من الرافضة إلى إمامته ، وأنه يُنْتَظَرُ خروجه في آخر الزمان ، كما يَنْتَظِرُ طائفة أخرى منهم الحسن بن محمد[3] العسكري ، الذي يخرج - في زعمهم - من سرداب سامَرَّاء ، وهذا من خرافاتهم ، وهذيانهم ، وجهلهم ، وضلالهم ، وتُرَّهَاتِهِم)[4] . اهـ .

❁ ❁ ❁

---

(١) «الفرق بين الفرق» ص(٤٢) ، «الأغاني» (١٤/٩) .
(٢) «مقالات الإسلاميين» (٩٣/١) ، «الفرق بين الفرق» ص(٤١) .
(٣) كذا في الأصل ، وصوابه : «محمد بن الحسن» .
(٤) «البداية والنهاية» (٣٩/٩) .

(٤) سُلَيمَانُ بنُ عَبدِ المَلِكِ الخليفة الأُمَوي (ت١٠٠هـ)

من خيار ملوك بني أمية ، كان - رحمه الله - دَيِّنًا فصيحًا مُفوَّهًا عادلًا محبًّا للغزو . عن ابن سيرين قال : «يرحم اللَّه سليمان ؛ افتتح خلافته بإحياء الصلاة ، واختتمها باستخلافِهِ عُمَرَ»[١] .

وقال الفرزدق في سليمان بن عبدالملك :

وَأَلْقَيْتَ مِنْ كَفَّيْكَ حَبْلَ جَمَاعَةٍ وَطَاعَةَ مَهْدِيٍّ شَدِيدِ النَّقَائِمِ[٢]

وقال جرير فيه - أيضًا - :

سُلَيْمَانُ المُبَارَكُ قَدْ عَلِمْتُمْ هُوَ المَهْدِيُّ قَدْ وَضَحَ السَّبِيلُ[٣]

وقال نَهار بن تَوْسِعة في سليمان بن عبدالملك :

لَهُ رَايَةٌ بِالثَّغْرِ سَوْدَاءُ لَمْ تَزَلْ تُفَضُّ بِهَا لِلْمُشْرِكِينَ جُمُوعُ
مُبَارَكَةٌ تَهْدِي الجُنُودَ كَأَنَّهَا عُقَابٌ[٤] نحت من ريشها الوُقُوعُ
عَلَى طَاعَةِ المَهْدِيِّ لَمْ يَبْقَ غَيْرُهَا فَأُبْنَا وَأَمْرُ المُسْلِمِينَ جَمِيعُ[٥]

عن عِمران بن ظبيان بن حُكَيْم بن سعد قال : لما قام سليمان ، فأظهر ما أظهر ، قلت لأبي تِحْيَى[٦] : «هذا المهدي الذي يُذكر ؟» قال : «لا ، ولا المتشبه»[٧] .

❁ ❁ ❁

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥/١١٢) .
(٢) «المهدية في الإسلام» ص(٦٤) .
(٣) «المصدر السابق نفسه» .
(٤) العُقاب : طائرٌ من كواسر الطير ، قوي المخالب ، مُسَرْوَل ، حاد البصر ، وفي المثل : «أبصر من عُقاب» .
(٥) «ضحى الإسلام» (٣/٢٣٦) .
(٦) وهذه كُنْية حُكَيْم .
(٧) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» رقم (٣٨٦٤٧) (١٤/١٨٢) .

(٥) عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ، سادسُ[١] الخلفاء الراشدين المهديين، (ت ١٠١هـ) - رحمه الله تعالى -

مجدد المئة الأولى، شاع عدله، وذاع فضله، حتى ظن البعض أنه المهدي المُبَشَّرُ به، قال وهب بن منبه: «إن كان في هذه الأمة مهدي، فهو عمر بن عبدالعزيز»[٢]، وعن عبدالجبار بن أبي معن قال: سمعت سعيد بن المسيب، وسأله رجل، فقال له: «يا أبا محمد، مَنِ المَهْدِيُّ؟» فقال له سعيد: «أَدَخلتَ دار مَرْوان؟» قال: «لا»، قال: «فادخل دار مروان تَرَ المهديَّ»، قال: فأذن عمر بن عبدالعزيز للناس، فانطلق الرجل حتى دخل دار مَرْوان، فرأى الأميرَ والناسَ مجتمعين، ثم رجع إلى سعيد بن المسيب، فقال: «يا أبا محمد، دخلتُ دار مروان، فلم أر أحدًا أقول: هذا المهدي»، فقال له سعيد بن المسيب، وأنا أسمع: «هل رأيت الأشجَّ عمر بن عبدالعزيز القاعد على السرير؟» قال: نعم، قال: «فهو المهدي»[٣].

وعن العزرمي قال: سمعت محمد بن علي يقول: «النبي منا، والمهدي من بني عبدشمس، ولا نعلمه إلا عمر بن عبدالعزيز»[٤].

وعن إبراهيم بن ميسرة قال: قلت لطاوس: «عمر بن عبدالعزيز المهدي؟» قال: «قد كان مهديًا، وليس به»[٥].

---

(١) أما خامسهم فهو الحسن بن علي - رضي الله عنهما - حيث ولي الخلافة بالشورى في البلاد التي كانت خاضعة لأبيه - رضي الله عنه - واستمرت خلافته ستة أشهر، وبها بلغ عُمُر خلافة النبوة الثلاثين؛ مصدقًا لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم مُلْكٌ بعد ذلك». رواه الترمذي - «صحيح سنن الترمذي» رقم (١٨١٣) (٢/٢٤٥)، وراجع هامش (١)، (٢) ص(١٨٦).

(٢) «تاريخ الخلفاء» ص(٢١٦).

(٣) «الطبقات الكبرى» (٥/٢٤٥)، و«تهذيب التهذيب» (١٠/٣٥٠)، وراجع حديث جابر - رضي الله عنه - المتقدم ص(٤٨).

(٤) «نفس المصدر».

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» رقم (٣٨٦٤٨) (١٤/١٨٢).

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه اللَّه - : «لا ريب أنه كان راشدًا مهديًّا ، ولكن ليس بالمهدي الذي يخرج في آخر الزمان»[١] . اهـ .

❁ ❁ ❁

(٦) مُوسَى بنُ طَلحَةَ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ (ت ١٠٣هـ)

وهو ممن وصفه الناس بالمهدية ، ولم يَدَّعِها لنفسه ، كان إمامًا قدوة ، من الأتقياء الصلحاء الفصحاء ، قال الذهبي : «قيل : كان موسى يُسَمَّى المهديَّ»[٢] ، وقال خالد بن سُمَيْر : «وكان في زمانه يرون أنه المهدي»[٣] .

❁ ❁ ❁

(٧) الحَارِثُ بنُ سُرَيجٍ (ت ١٢٨هـ)

خرج على أمير خراسان (١١٦هـ) في زمن الخليفة هشام بن عبدالملك ، وزعم أنه يدعو إلى الكتاب والسنة ، وأنه صاحب الرايات السود ، واستولى على بعض البلاد من خراسان ، ثم انهزم أمام الجيش الأموي ، وهرب إلى بلاد الترك ، حيث مكث اثنتي عشرة سنة ، ولما كتب له يزيد بن الوليد بالأمان ، رَجَعَ إلى بلاد المسلمين ، ولما تولى الخلافة مَرْوان بن محمد خرج من جديد ، وكان يؤيده في دعواه الجهم بن صفوان ، ويقرأ على الناس سيرته في المساجد والطرقات ، إلى أن تصدى له نصر بن سَيَّار أمير خراسان ، فقتل كثيرًا من أصحابه ، ومنهم الجهم بن صفوان ، ثم وقع قتال بين الحارث وحليفه جديع بن علي الأزدي الكرماني ، فانهزم أصحاب الحارث ، فقُتِلَ مع مئة من أصحابه في رجب (١٢٨هـ) ، وأمر الكرماني بصلب الحارث بلا رأس على باب مرو[٤] .

---

(١) «المنار المنيف» ص(١٥٠) .
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣٦٥/٤) .
(٣) «نفسه» (٣٦٦/٤) .
(٤) انظر : «الكامل» لابن الأثير ، (١٧/٥- ٢٠) ، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٢٦/١٠، ٢٧) .

(٨) مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللَّهِ بنِ الحَسَنِ «النفس الزكية» (ت ١٤٥هـ)

هو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الهَاشِمِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ المَدَنِيُّ، اشْتُهِرَ بالعلم والزهد، حتى لُقِّبَ بـ «النفس الزكية»، وكان من سادات بني هاشم علمًا، وشجاعة، وكرمًا، كان صَوَّامًا من الصالحين، سَمَّاهُ أهل بيته بالمهدي، ولعله اقتنع بأنه المُبَشَّرُ به في الأحاديث، خاصة وأن اسمه محمد بن عبداللَّه، وأنه من ولد فاطمة - رضي اللَّه عنها -، وهو يرى ظلم ملوك الدولة الأموية، وكان النفس الزكية قد بايعه جماعة من أهل الحجاز في أواخر دولة مَرْوَان الحِمار(١) بالخلافة، وكان من بينهم أبو جعفر المنصور، الذي أصبح فيما بعد الخليفة العباسي الثاني، بعد وفاة أبي العباس السفَّاح في أواخر سنة (١٣٦هـ).

فلما بُويِعَ المنصور بالخلافة اختفى محمد، ومعه أخوه إبراهيم؛ خوفًا من المنصور أن يَبْطِشَ بهما، وخاف المنصور أن يخرجا عليه يُطَالِبَانِهِ بالخلافة، ولما لم يتمكن المنصور من القبض عليهما قَبَضَ على أبيهما، وجماعة من أقاربهما، وحبسهم في سجن المدينة، ثم نقلهم إلى العراق، ومات كثير منهم في السجن.

فلما ضاق محمد ذرعًا بالاختفاء، تواعد هو وأخوه بالظهور في يوم واحد، فظهر محمد في المدينة، وهجم على أمير المدنية، وسجنه، ثم استولى على المدينة، كما استولى أخوه على البصرة في اليوم نفسه، وبايعه أهل المدينة،

---

(١) مَرْوان الْحِمَار: آخر ملوك بني أمية بالشام، ويقال له - أيضًا -: «حمار الجزيرة»؛ لجرأته في الحروب، ويقال: «أصبر في الحرب من حمار».
وقيل: بل العرب تسمي كل مئة عام حمارًا، فلما قارب ملكُ آل أمية مئة سنة، لَقَّبُوا مَرْوان بالحمار، وذلك مأخوذ من موت حمار الْعُزَيْرِ - عليه السلام - وهو مئة عام، ثم بَعَثَهما اللَّه - تعالى -.
ويعرف بـ «مَرْوان الجعدي»؛ نسبة إلى مُؤَدِّبِهِ «الجعد بن درهم».

وتلقب بالمهدي[١]، وقد صرح بمهديته في بعض رسائله إلى المنصور.

قال ابن كثير: «تَلَقَّبَ بالمهدي؛ طمعًا أن يكون هو المذكور في الأحاديث، فلم يكن به، ولا تم له ما رجاه، ولا ما تَمَنَّاهُ، فإنا للَّه!»[٢].

وجرت بينه وبين المنصور مكاتبات كلٌّ منهما يعد فضائله، وحقه للخلافة، والإمارة، ولكن لم تَنْحَلَّ المشكلة بالمكاتبات، فجرت معاركُ طاحنةٌ كادت أن تغير مسار التاريخ، إلى أن وجَّه المنصور جيشًا قوامه عشرة آلاف جندي، بقيادة عيسى بن موسى العباسي، ودافع «النفس الزكية» وأصحابه بضراوة، ولكنهم لم يستطيعوا أن يصمدوا أمام الجيش العباسي، وكان المصير أن قُتِلَ محمدُ النفسُ الزكية، وهو ينادي: «وَيْحَكُم! ابنُ نبيكم مجروحٌ مظلومٌ»، وكان ذلك في ١٤ رمضان سنة (١٤٥هـ)[٣].

لقد دخل في رُوع «النفس الزكية» أنه المهدي الموعود، «ولم ينتبه إلى السنن الكونية، وأن ظهور المهدي لا بد له من مقدمات يستطيع فيها أن يحكم المسلمين حكمًا إسلاميًّا صحيحًا، وأن المهدي في آخر الزمان عند نزول عيسى - عليه السلام -»[٤].

وادَّعى بعض «الجارودية» أنه حي لم يُقْتَلْ، ولا مات، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلًا كما مُلِئَتْ جَوْرًا[٥]، وزعم «المُحَمَّدِيَّةُ» أنه في جبل «حاجر» من ناحية نجد، إلى أن يُؤْمَرَ بالخروج فيخرج، ويملك الأرض، ويُبَايَع له بمكة بين الركن والمقام[٦].

---

(١) انظر: «مقاتل الطالبين» ص(٢٣٢)، وما بعدها.

(٢) «البداية والنهاية» (١٠/٨٤).

(٣) «نفس المصدر» (١٠/٨٩).

(٤) «حركة النفس الزكية» للدكتور / محمد سليمان العبدة - حفظه اللَّه - ص(٦٩).

(٥) «الفصل» (٤/١٧٩).

(٦) «الفرق بين الفرق» ص(٥٨)، «مقالات الإسلاميين» (١/٩٩)، وانظر: «المهدي المنتظر» للبستوي، ص(٢١٣- ٢١٥).

(٩) المهدي بن المنصور، ثالث خلفاء بني العباس (ت ١٦٩هـ)

زعم بعضهم أنه المهدي المنتظر، وقد مضى زمانه، «واستدلوا بآثار موضوعة، وعلى تقدير صحتها لا تدل على أن المهدي العباسي هو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، بل هو مهدي من جملة المهديين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)، ومنهم في ذلك الوصف العام عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه -، بل هو أَوْلى بهذه الصفة من المهدي العباسي»[١].

❁ ❁ ❁

(١٠) المهدي الخرافة مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ العَسكَرِيُّ (الإمام الغائب المزعوم)

يزعم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية أن الإمامة تكون بالنص الإلهي، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - نص على أن الإمامة تبدأ من ولاية علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، وتنتهي بإمامة محمد بن الحسن «المهدي»، وهو إمامهم الثاني عشر الذي يزعمون أنه وُلد من جارية، ثم غاب عن أنظار الناس.

لقد اخترع الشيعة هذه الخرافة ليخرجوا من المأزق الذي تورطوا فيه؛ حيث إنهم يعتقدون أن الإمام لا يموت حتى يُوصِيَ مَن يكون خَلَفًا له. يروي الكليني عن جعفر الصادق أنه قال: «لا يموت الإمام حتى يعلم من يكون بعده، فيوصي إليه»[٢]، وروى عنه - أيضًا - قوله: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»[٣].

كما أنهم زعموا أن الإمامة منحصرة في أولاد الحسين بن علي[٤]- رضي الله

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٦/ ٢٤٧، ٢٤٨)، (١٠/ ١٥١- ١٥٦)، و«المنار المنيف» ص(١٥٠).

(٢) «أصول الكافي» للكليني ص(٢٧٧).

(٣) «نفس المصدر» ص(١٧٩)، وساخت: انخسفت، وعقيدة «الوصية» عند الرافضة أصلها يهودي، انتقلت إليهم عن طريق عبد الله بن سبأ، انظر: «بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود» (١/ ١٦٩- ١٩٧).

(٤) وهم في هذا الحصر شابهوا اليهود الذين حصروا الملك في آل داود، انظر: «بذل المجهود» (١/ ٢٠١- ٢٢٤).

عنهما -، ثم وقعت الورطة الكبرى حين تُوُفِّي الحسن العسكري، ولم ينجب أولادًا[١]، وأصبح مذهبهم الضالُّ مهددًا في وجوده، ومِن ثَم ادَّعوا - تسويغًا لاستمرار الإمامة - أنه وُلِدَ له ولد، غير أنه اختفى في سرداب في بيت أبيه، ولكن لا يجوز البحث عنه، ولا السؤال عن مكانه، وقد اختلفوا اختلافًا شديدًا في وقت ميلاده، ومن هي أمه؟ وهل هو مستور غُيِّبَ دون أن يراه أحد؟ أو شُوهِدَ قبل الغيبة، أو بعدها؟ ومتى غاب[٢]؟

لقد افترق الشيعة بعد وفاة الحسن العسكري إلى أربَعَ عشرةَ فرقة، لم تعترف بالمهدي المزعوم منها غيرُ ثلاث، وأنكرت الباقياتُ أن يكون له ولدٌ أصلًا[٣].

ويقول الشيخ محب الدين الخطيب - رحمه الله - مبينًا ارتباط اعتقادهم في المهدي الخرافة باعتقادهم في الرجعة:

[... ومن عقائدهم الأساسية أنه عندما يقوم المهدي - وهو إمامهم الثاني عشر - من نومته الطويلة، التي زادت على ألف ومائة سنة، سيُحيي اللَّه له ولآبائه جميع حُكَّام المسلمين السابقين، مع الحُكَّام المعاصرين لقيامه، وعلى رأس الجميع الجبت والطاغوت (أبو بكر، وعمر) - في زعمهم قبحهم اللَّه - فَمَن بعدهما، فيحاكمهم على اغتصابهم الحكمَ منه، ومن آبائه الأحد عشر إمامًا؛ لأن الحكم في الإسلام حق لهم وحدهم من اللَّه، مُنْذُ تُوُفِّي رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - إلى أن تقوم الساعة، ولا حق فيه لأحد غيرهم.

وبعد محاكمة هؤلاء الطواغيت المغتصِبين يقتص منهم، فيأمر بقتل وإعدام

---

(١) فقد جاء في «أصول الكافي»: «أن الإمام الحسن العسكري ولد في رمضان عام ٢٣٢هـ، وتُوفي بعد أن عاش ثمانية وعشرين عامًا، بدون أن ينجب وَلَدًا، حسب رواية أخيه جعفر بن علي». اهـ. ص(٢٠٦).

(٢) انظر: «الملل والنحل» (١/ ١٧١- ١٧٣)، و«فرق الشيعة» للنوبختي، ص(٩٠- ٩٢)، و«الفِصَل» (٥/ ٢١- ٢٢)، وانظر في بيان التشابه بين عقيدة الرافضة في «المهدي المنتظر» وعقيدة اليهود في «المسيح المنتظر»: «بذل المجهود» (١/ ٢٢٧ - ٢٧٤).

(٣) «التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي»، لمحمد البنداري، ص(٢١٣).

كل خمسمائة معًا ، حتى يستوفي قتل ثلاثة آلاف من رجال الحكم في جميع عصور الإسلام ، ويكون ذلك في الدنيا قبل البعث النهائي في يوم القيامة ، ثم بعد موت من يموت ، وإعدام من يُعْدَمُ ، يكون البعث الأكبر للمحشر ، ثم إلى الجنة ، أو النار ؛ الجنة لآل البيت ، والذين يعتقدون فيهم هذه العقائدَ ، والنار لكل من ليس بشيعي .

والشيعة يُسَمُّونَ هذا الإحياءَ ، والمحاكمةَ ، والقصاصَ باسم (الرجعة) ، وهي من عقائدهم الأساسية التي لا يرتاب فيها شيعي واحد[1] .

... ولأجل أن تعلم عقيدة (الرجعة) من كتبهم المُعْتَبَرَةِ أذكر لك ما قاله شيخ الشيعة أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان المعروف عندهم باسم «الشيخ المفيد» ، في كتابه «الإرشاد في تاريخ حُجَجِ الله على العباد» (ص٣٩٨-٤٠٢) ، وهو مطبوع على الحجر في إيران طبعة قديمة ، لم يُذْكَرْ تاريخها ، ولكنها طُبِعَتْ على خط محمد علي محمد حسن الكلبابكاتي .

روى الفضل بن شاذان عن محمد بن علي الكوفي ، عن وهب بن حفص ، عن أبي بصير ، قال : قال أبو عبدالله - يعني جعفرًا الصادق - :

ينادى باسم القائم ؛ (أي إمامهم الثاني عشر الذي يزعمون أنه وُلِدَ منذ أكثر من أحد عشر قرنًا ، ولم يَمُتْ بعد ؛ لأنه سيقوم ، ويحكم) ينادى باسمه في ليلة ثلاث وعشرين ، ويقوم في يوم عاشوراء ، لكأني به في اليوم العاشر من المحرم قائمًا بين الركن والمقام ، جبريل عن يمينه ينادي : «البيعة لله» ، فتسير إليه الشيعة من أطراف الأرض ، تُطْوَى لهم طيًّا ، حتى يُبَايِعُوهُ ، وقد جاء الأثر بأنه يسير من مكة حتى يأتي الكوفة ، فينزل على نجفنا ، ثم يفرق الجنود منها في الأمصار .

وروى الحجال عن ثعلبة ، عن أبي بكر الحضرمي ، عن أبي جعفر - عليه

---

(١) وانظر مشابهة الرافضة لليهود في عقيدة «الرجعة» في «بذل المجهود» (١/ ٢٧٥-٣١٢).

السلام - (أي محمد الباقر) قال : «كأني بالقائم - عليه السلام - على نجف الكوفة ، وسار إليها من مكة في خمسة آلاف من الملائكة ، جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن شماله ، والمؤمنون بين يديه ، وهو يفرق الجنود في البلاد» .

وروى عبدالكريم الجعفي قال : قلت لأبي عبدالله - يعني جعفرًا الصادق - : «كم يملك القائم - عليه السلام - ؟» قال : «سبع سنين ، تطول الأيام حتى تكون السنة من سنيه مقدار عشر سنين من سنيكم ، فتكون سنو ملكه سبعين سنة من سنيكم هذه» ، قال له أبو بصير : «جُعِلْتُ فداك ! فكيف يُطَوِّلُ اللَّه السنين ؟» قال : «يأمر اللَّه الفلك باللبوث ، وقلة الحركة ؛ فتطول الأيام لذلك ، والسنون ، وإذا آن قيامه مُطِرَ الناس جمادى الآخرة ، وعشرة أيام من رجب مَطَرًا لم يَرَ الخلائق مثله ، فينبت اللَّه لحوم المؤمنين ، وأبدانهم في قبورهم ، فكأني أنظر إليهم مقبلين ، ينفضون شعورهم من التراب» .

وروى عبداللَّه بن المغيرة عن أبي عبداللَّه جعفر الصادق - عليه السلام - قال : «إذا قام القائم من آل محمد أقام خمسمائة من قريش ، فضرب أعناقهم ، ثم خمسمائة أخرى ، حتى يفعل ذلك ست مرات»[1] ، قلت : «ويبلغ عدد هؤلاء هذا ؟ !» (وإنما استغرب ذلك لأن الخلفاء الراشدين ، وبني أمية ، وبني العباس ، وسائر حكام المسلمين إلى زمن جعفر الصادق - لا يبلغ عددُهم عُشْرَ مِعْشَار هذا العدد) ، قال جعفر الصادق : «نعم ، منهم ، ومن مواليهم» ، وفي رواية أخرى : «إن دولتنا آخر الدول ، ولم يَبْقَ أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا ؛ لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا : إذا ملكنا سرنا بمثل سيرة هؤلاء» .

وروى جابر الجعفي عن أبي عبداللَّه قال : «إذا قام قائم آل محمد ضرب

---

(١) وقد فصَّل الشيخ منذر بن عبد اللَّه الشريف في كتابه «المخطط الإجرامي لإبادة أمة الإسلام تحت مسمى خروج الإمام المهدي» ، وبيَّن بالنقول الموثقة عند الرافضة أن مهديهم المزعوم سيقوم بمذابح بشعة وتخريب وتدمير وجرائم تفوق الوصف ، بحيث لا يكاد الإفساد الذي سيترتب على ظهوره المزعوم يقارن بإفساد المسيح الدجال ، وانظر ص(٤٤٩).

فساطيط يُعَلِّم فيها القرآن من ما أُنْزِلَ ، فأصعب ما يكون على من حفظ اليوم ؛ (أي على ما حفظه الناس من المصحف العثماني كما هو في زمن جعفر الصادق ؛ لأنه يخالف فيه التأليف) .

وروى عبداللّه بن عجلان عن أبي عبداللّه - عليه السلام - قال : «إذا قام قائم آل محمد حكم الناسَ بحكم داود»[1] .

وروى المفضل بن عمر عن أبي عبداللّه قال : «يخرج مع القائم - عليه السلام - من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلًا من قوم موسى ، وسبعة من أهل الكهف ، ويوشع بن نون ، وسليمان ، وأبو دجانة الأنصاري ، والمقداد ، ومالك الأشتر ، فيكونون بين يديه أنصارًا ، وحُكَّامًا» .

وهذه النصوص منقولة بالحرف ، وبكل أمانة ، من كتاب عالم من أعظم علمائهم ؛ وهو «الشيخ المفيد» ، مروية بأسانيدِهم المكذوبة - بلا شك - على آل البيت ، الذين كان أكبر مصائبهم أن يكون هؤلاء الكذَّابون خاصة شيعتهم ، وكتاب الشيخ المفيد مطبوع في إيران ، ونسخته الأثرية محفوظة وموجودة .

ولأن عقيدة «الرجعة» ، ومحاكمة حُكَّام المسلمين هي من عقائد الشيعة الأساسية ، كان يؤمن بها عالمهم السيد المرتضى مؤلف كتاب «أمالي المرتضى» - وهو أخو الشريف الرضا الشاعر ، وشريكه في تزوير الزيادات على «نهج البلاغة»[2] ، ولعلها أكثر من ثُلُث الكتاب ، وهي التي فيها تعريض بالصحابة ، وتحامل عليهم - فقال السيد المرتضى المذكور في كتابه «المسائل الناصرية» : «إن أبا بكر وعمر يُصْلَبَانِ يومئذ على شجرة في زمن المهدي (أي إمامهم الثاني عشر الذي يسمونه قائمَ آل محمد) ، وتكون تلك الشجرة رَطْبَةً قبل

(١) انظر : «للّه . . . ثم للتاريخ» لأحد علماء النجف التائبين ، وهو السيد حسين الموسوي ص(١٠٥ ، ١١٤) ، حيث كشف الأصول اليهودية لدين الرافضة بصفته شاهدًا من أهلها .

(٢) انظر : «سير أعلام النبلاء» (٥٨٩/١٧) ، و«ميزان الاعتدال» (٢٤٢/٣) ، و«كتب حذر منها العلماء» (٢/ ٢٥٠- ٢٥٧) ، وانظر نقد ابن كثير للشريف الرضا في «البداية والنهاية» (٥٣/١٢) .

الصلب، فتصير يابسة بعده][1].

ومن أكاذيبهم - أيضًا - أن المهدي المزعوم هذا سيُخْرِجُ مصحف فاطمة، وهو غير المصحف الموجود الآن، وقد نسب الكليني صاحب «الكافي» إلى جعفر الصادق أنه قال: «وإنَّ عندنا لمصحفَ فاطمةَ - عليها السلام -، وما يدريهم ما مصحف فاطمة - عليها السلام -... مصحفٌ فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، واللَّه ما فيه من قرآنكم حرف واحد. مكثت فاطمة بعد النبي خمسًا وسبعين يومًا، صُبَّت عليها مَصَائِبُ من الحزن لا يعلمها إلا اللَّه؛ فأرسل اللَّه إليها جبرئيل يسليها، ويعزيها، ويُحَدِّثُهَا عن أبيها، وما يحدث لذريتها، وكان عليٌّ يستمع، ويكتب ما سمع. حتى جاء منه مصحف قدر القرآن ثلاث مرات، ليس فيه شيء من حلال، ومن حرام، ولكن فيه علم ما يكون»[2].

لقد ثبت تاريخيًّا أن الحسن العسكري مات، ولم يُعقب، وقد مات عقيمًا، ونص على ذلك ابن جرير، وابن قانع، وغيرهما من المؤرخين، قال الشيخ محب الدين الخطيب - رحمه اللَّه -: «إنه - أي محمد بن الحسن العسكري - شخصية موهومة نُسِبَتْ كَذِبًا للحسن العسكري الذي مات عن غير ولد، وصَفَّى أخوه جعفر تِرْكَتَهُ على أنه لا ولد له، وللعلويين سجل مواليد يقوم عليه نقيب في تلك الأزمان، لا يُولَدُ منهم مولود إلا سُجِّلَ فيه، ولم يُسَجَّلْ فيه للحسن العسكري وَلَدٌ، ولا يَعْرِفُ العَلَوِيُّونَ المعاصرون للحسن العسكري أنه مات عن ولدٍ ذكر»[3].

ويقول الدكتور عبد العظيم البَستوي معلقًا على خرافة مهدي السرداب:

(ومن الأدلة الواضحة على كذب هذه الأسطورة المختلقة أن رواتها أنفسهم مضطربون أشدَّ الاضطراب في تفاصيلها، فَوَقَعَ بينهم اختلاف كبير في الوالد،

(١) «الخطوط العريضة» ص(١٩- ٢٤)، باختصار، وانظر: «اللَّه ثم للتاريخ» ص(٧٨).
(٢) «الكافي»، للكليني، (١٩٩/٣)، وانظر: «اللَّه ثم للتاريخ» ص(٧٨- ٨٢).
(٣) «الخطوط العريضة» ص(٨٣)، وانظر: «اللَّه... ثم للتاريخ» ص(١٠٥).

والولد، والأم، والغيبة، وقد ذكره الشهرستاني في «الملل والنحل» بالتفصيل[1].

ومع هذا الاختلاف، والاضطراب، والتخليط في هذه الأسطورة التي اختلقها بعض زعمائهم لأغراضهم الخاصة[2]، أصبح الكثير منهم يَشُكُّونَ فيها، حتى اضْطُرُّوا من جديد إلى اختراع أحاديثَ نسبوها إلى أئمتهم من أهل البيت، بأنه لا يخرج حتى يقع كثير من أتباعهم في شك من أمره، وأصبح البعض منهم يُوَقِّتُونَ لخروجه تسلية للأتباع السُّذَّجِ، وتبريرًا لعواطفهم، ولما وقع خلاف ذلك، وثبت كذبهم مرة أخرى، اضْطُرُّوا إلى اختراع أحاديثَ نسبوها إلى أئمة أهل البيت في كراهية التوقيت، وهكذا اخْتُرِعَتْ مجموعة خرافات وأكاذيب لحماية الأكذوبة الأولى، ولكن حتى الآن لم يقرَّ لهم قرارٌ[3].

* ولما رأى هؤلاء أن الأحاديثَ الثابتةَ الواردةَ في المهدي تقضي على أسطورتهم بالبطلان، فهي تنص على كون المهدي اسمُهُ اسمُ النبي - صلى الله عليه وسلم -، واسمُ أبيه اسمُ أبي النبي - صلى الله عليه وسلم -، ووجدوا أنفسهم في موقف حَرِجٍ؛ بدءوا في اختلاقِ أكاذيبَ، وتأويلات مضحكةٍ:

١- اختلقوا أحاديثَ ليس لها زمام، ولا خطام، ونسبوها إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وإلى علي - رضي الله عنه -، وزعموا بها أنه ابن الحسن العسكري، حتى أنهم لم يتورعوا عن ذكر اسمه بالصراحة في هذه الأحاديث المخترعة.

٢- صاروا يؤولون أحاديث المهدي الصحيحة بتأويلات مضحكة، أو ينكرونها؛ فمنهم من ذهب إلى حذف هذه الكلمة من الرواية، وذكر «اسمه اسمي»[4]

---

(١) «الملل والنحل» (١/١٧١- ١٧٣).

(٢) انظر: «أصول مذهب الشيعة» للقفاري (٢/١٠٠٤ - ١٠٤٦).

(٣) انظر: كتاب «الكافي» للكليني، باب نادر في حال الغيبة (٤/٣٩٠)، باب الغيبة (٤/٣٩٤)، باب التمحيص والامتحان (٤/٤٤٦)، باب: كراهية التوقيت (٤/٤٤٣)، وغيرها.

(٤) «منهاج السنة» (٤/٢١١).

فقط ، وأنكر زيادة «اسم أبيه اسم أبي» ، وزعم أن اللازم طرحها ، والإعراض عنها ، إن لم يكن تأويلها .

ومنهم من زعم أن هذه الرواية مُحَرَّفَةٌ ، والصواب «اسم أبيه اسم ابني» بالنون ؛ يعني الحسن[١] .

ومنهم من لجأ إلى تحريف معناها ، فقالوا : إن المراد بأبيه هو جَده ؛ وهو الحسين ، وكنيته أبو عبد اللَّه ؛ فمعناه محمد بن أبي عبد اللَّه ، وجُعِلَتِ الكُنْيَةُ اسمًا ؛ ومنهم ابن طلحة في كتابه «غاية السول في مناقب الرسول»[٢] ، وكأنهم أحدقوا النظر في آبائه من الحسن العسكري إلى علي بن أبي طالب ، فلم يجدوا أحدًا اسمه عبد اللَّه في هذه الأجيال الطويلة كلها ، ولو وجدوا لكان أهون) . اهـ[٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه تعالى - :

«ومن له أدنى نظر يعرف أن هذا تحريف صريح ، وكذب على رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - ؛ فهل يفهم أحد قوله : «يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي ، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي» ، إلا أن اسم أبيه عبد اللَّه ، وهل يدل هذا اللفظ على أن جده كُنْيَتُهُ أبو عبد اللَّه ، ثم أي تمييز يحصل له بهذا ؟ فكم من ولد الحسين من اسمه محمد ، وكل هؤلاء يُقَالُ في أجدادهم محمد بن أبي عبد اللَّه ، كما قيل في هذا ، وكيف يعدل من يريد البيان إلى من اسمه محمد بن الحسن فيقول : إن اسمه محمد بن عبد اللَّه ، ويعني بذلك أن جده أبو عبد اللَّه ، وهذا كان تعريفه بأنه محمد بن الحسن ، أو ابن أبي الحسن ؛ لأن جده عليًّا كنيته أبو الحسن - أحسن من هذا ، وأبين لمن يريد الهدى ، والبيان ، وأيضًا فإن المهدي المنعوت من ولد الحسن ابن علي لا من ولد الحسين ، كما تقدم لفظ حديث علي»[٤] .

---

(١) «الإشاعة» ص(٨٧) .

(٢) انظر : «منهاج السنة» (٤/٢١١) .

(٣) «المهدي المنتظر» ص(٨١- ٨٢) ، بتصرف .

(٤) «منهاج السنة» (٤/٢١١) .

(١١) المهدي الملحد عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مَيْمُونٍ القَدَّاحُ (ت٣٢٢هـ)

كان جَدُّه يهوديًا من بيت مجوسي ، فانتسب بالكذب والزور إلى أهل البيت ، وادَّعى أنه المهدي الذي بَشَّر به النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، ومَلَكَ ، وتغلَّب ، واستفحل أمرُه ، إلى أن استولت ذريتُه الملاحدة المنافقون ، الذين كانوا أعظم الناس عداوةً للَّه ولرسوله - صلى اللَّه عليه وسلم - ؛ على بلاد المغرب ، ومصر ، والحجاز ، والشام ، واشتدت غربة الإسلام ، ومحنته ، ومصيبته بهم ، وكانوا يدَّعون الإلهية ، ويدعون أن للشريعة باطنًا يُخَالِفُ ظاهرها ؛ وهم ملوك القرامطة الباطنية أعداء اللَّه ، فتستروا بالرفض ، والانتساب - كذبًا - إلى أهل البيت ، ودانوا بدين أهل الإلحاد ، وروَّجوه ، ولم يَزَلْ أمرهم ظاهرًا ، إلى أن أنقذ اللَّه الأمة منهم ، ونصر الإسلام بصلاح الدين يوسف بن أيوب - رحمه اللَّه - ، فاستنقذ الأمة الإسلامية منهم ، وعادت مصر دارَ إسلامٍ بعد أن كانت دارَ نفاقٍ وإلحادٍ في زمنهم [(١)] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه - : «إن طوائفَ ادعى كلٌّ منهم أنه المهدي المُبَشَّرُ به ؛ مثل مهدي القرامطة الباطنية الذي أقام دعوتهم بالمغرب ، وهم من ولد ميمون القدَّاح ، وادعوا أن ميمونًا هذا من ولد محمد بن إسماعيل [(٢)] ، وإلى ذلك انتسب الإسماعيلية ، وهم ملاحدة في الباطن ، خارجون عن جميع الملل ، أكفر من الغالية ؛ كالنصيرية ، ومذهبهم مُرَكَّبٌ من مذهب المجوس ، والصابئة ، والفلاسفة ، مع إظهار التشيع ، وجَدُّهُمْ رجلٌ يهوديٌّ كان ربيبًا لرجل مجوسي ، وقد كانت لهم دولة وأتباع ، وقد صنَّف العلماء

(١) انظر : «نقد المنقول» ص(٨٢) .

(٢) (فقد ادَّعى أنه عُبَيْد اللَّه بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، مع أن المعلوم لدى علماء الأنساب أن محمد بن إسماعيل مات ، ولم يعقب) . انظر : «الفرق بين الفرق» ص(٢٨٢ ، ٢٨٣) .

كُتُبًا في كشف أسرارهم، وهتك أستارهم؛ مثل: كتاب القاضي أبي بكر الباقلاني، والقاضي عبدالجبار الهمداني، وكتاب الغزالي، ونحوهم»[(١)].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه اللَّه تَعَالَى -: «كانت مدة ملك الفاطميين مئتين وثمانين سنة، وكسرًا، فصاروا كأمسِ الذاهب ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾، وكان أول ملك منهم المهدي، وكان من سَلَمْيَةَ[(٢)]، حدادًا اسمه عبيد، وكان يهوديًّا، فدخل بلاد المغرب، وتسمى بعُبَيْدِ اللَّه، وادَّعى أنه شريف عَلَوِيٌّ فاطمي، وقال عن نفسه إنه المهدي، كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء والأئمة، بعد الأربع مئة[(٣)].

والمقصود أن هذا الدَّعِيَّ الكذَّابَ راج له ما افتراه في تلك البلاد، ووازره جماعة من الجَهَلَةِ، وصارت له دولة وصولة، ثم تمكن، إلى أن بنى مدينة سمَّاها «المهدية»[(٤)]؛ نسبةً إليه، وصار ملِكًا مُطاعًا، يُظهر الرفضَ، وينطوي على الكفر المحض»[(٥)]. اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه اللَّه - في أحداث سنة (٤٠٢هـ):

«وكتب جماعة من العلماء، والقضاة، والأشراف، والعدول،

---

(١) «منهاج السنة» (٢١١/٤)، وانظر: «التاريخ الإسلامي» للدكتور علي محمد الصلابي، الجزء الثاني، وفيه «تاريخ الدولة العُبيدية الفاطمية» ص(٥ - ١٧٨).

(٢) بُليدة في ناحية البَرِّيَّة من أعمال حماة، «مراصد الإطلاع» (٢/ ٧٣١).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٢٧/٣٥)، (٥٠١/١٧)، (١٦٢/٤)، و«درء التعارض» (٦٠/١٠)، «سير أعلام النبلاء» (١٤١/١٥).

(٤) مدينة محدثة بساحل إفريقية، بينها وبين القيروان ستون ميلًا، والبحر محيط بها من جهاتها الثلاث، وقد أنشأها عبيد اللَّه المهدي الفاطمي، حين اضطر العبيديون إلى الخروج من القيروان سنة (٣٠٨هـ)، فرارًا من أجواء القيروان وأهلها الذين عادوا العبيديين، وقاوموهم حتى تركوا شهود الجمعة معهم، وحتى لم يعد يحضرها من أهل القيروان أحد، وأفتى علماؤهم بعدم جواز دفع الزكاة لهم، بل جابهوهم بالسلاح، واعتبر العلماء قتيل الفاطميين خير قتيل، وكانت العامة تطلق على «المهدية»: «المردية» تفاؤلًا بهلاكها، انظر: «الأثر السياسي للعلماء في دولة المرابطين» ص(٢٦- ٢٧).

(٥) «البداية والنهاية» (٣٦٩/١١).

والصالحين، والفقهاء، والمحدثين، وشهدوا جميعًا أن الفاطميين ملوكَ مصرَ «كُفَّارٌ فُسَّاقٌ فُجَّارٌ مُلْحِدُونَ، زَنَادِقَةٌ مُعَطِّلُونَ، وللإسلام جاحِدُونَ، ولمذهب المجوسية والثَّنَوِيةِ[١] مُعْتَقِدونَ، قد عطَّلوا الحدودَ، وأباحوا الفروجَ، وأحلُّوا الخمرَ، وسفكوا الدماءَ، وسَبُّوا الأنبياءَ، ولعنوا السلفَ، وادَّعَوُا الرُّبُوبيَّةَ»[٢].

وقال - أيضًا - رحمه اللَّه تعالى -:

«وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء، وأكثرهم مالًا، وكانوا من أعتى الخلفاء، وأجبرهم، وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرةً، وأخبثهم سريرةً، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكَثُرَ أهل الفساد، وقلَّ عندهم الصالحون من العلماء، والعُبَّاد، وكثر بأرض الشام النصرانية، والدرزية، والحشيشية، وَتَغَلَّبَ الفِرِنْجُ على سواحل الشام بأكمله... وقتلوا من المسلمين خَلْقًا، وأممًا لا يحصيهم إلا اللَّه، وسَبَوْا ذراريَ المسلمين من النساء والولدان، مما لا يُحَد، ولا يوصف، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يُحَدُّ، ولا يُوصَفُ...»[٣]. اهـ.

وقال القاضي الباقلاني عنهم: «هم قومٌ يُظْهِرُونَ الرفضَ، ويُبْطِنُونَ الكُفرَ المحضَ، واللَّه - سبحانه - أعلم»[٤].

ورُؤِي الفقيه المالكي عبداللَّه بن التبان يبكي بحرقة، فقيل له في ذلك، فقال: «خشية أن يشك الناس في كفر بني عبيد، فيدخلوا النار»[٥].

وقال السيوطي - رحمه اللَّه تعالى - في «تاريخ الخلفاء»:

«ولم أورِدْ أحَدًا من الخلفاء العبيديِّين؛ **لأن إمامتهم غير صحيحة؛ لأمور:**

- **منها:** أنهم غير قُرَشِيِّينَ، وإنما سَمَّتْهُمْ بالفاطميين جَهَلَةُ العوامِّ، وإلا

---

(١) الثَّنَوِيَّة: المانوية، وهو مذهب يقول بإلهين اثنين، إله للخير وإله للشر، ويُرمز لهما بالنور والظلام.
(٢) «البداية والنهاية» (١١/٣٦٩).
(٣) «نفسه» (١٢/٢٨٦).
(٤) «نفسه» (١١/٣٦٩).
(٥) «الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين» ص(٢٦).

فجَدُّهُمْ مجوسيٌّ ، قال القاضي عبدالجبار البصري : اسم جد الفاطميين سعيدٌ ، وكان أبوه يهوديًا حدادًا نشَّابَةً(١) ...

وقال ابن خلكان : أكثر أهل العلم لا يُصَحِّحُونَ نسبَ المهدي عبيد اللَّه جَدِّ خلفاء مصر ، حتى إن العزيز باللَّه ابن المعز في أول وِلايته صعد المنبر يوم الجمعة ، فوجد هناك ورقة فيها هذه الأبيات :

إِنَّا سَمِعْنَا نَسَبًا مُنْكَرًا ... يُتْلَى عَلَى المِنْبَرِ فِي الجَامِعِ
إِنْ كُنْتَ فِيمَا تَدَّعِي صَادِقًا ... فَاذْكُرْ أَبًا بَعْدَ الأَبِ السَّابِعِ
وَإِنْ تُرِدْ تَحْقِيقَ مَا قُلْتَهُ ... فَانْسِبْ لَنَا نَفْسَكَ كَالطَّائِعِ
أَوْ : لَا ، دَعِ الأَنْسَابَ مَسْتُورَةً ... وَادْخُلْ بِنَا فِي النَّسَبِ الوَاسِعِ
وَإِنَّ أَنْسَابَ بَنِي هَاشِمٍ ... يَقْصُرُ عَنْهَا طَمَعُ الطَّامِعِ

وكتب العزيز إلى الأُمَوِيِّ صاحبِ الأندلس كتابًا سبَّه فيه ، وهجاه ، فكتب إليه الأُمَوِيِّ : «أما بعدُ ، فإنك عرفتنا فهجوتنا ، ولو عَرَفْنَاكَ لأَجَبْنَاكَ» ؛ يعني أنه دَعِيٌّ لا يُعْرَفُ قبيلته ، وما أحسنَ ما قال حفيده المعزُّ صاحب القاهرة ، وقد سأله ابن طَبَاطَبَا عن نسبهم ، فجذب نصف سيفه في الغمد ، وقال : «هذا نَسَبِي» ، ونثر على الأمراء ، والحاضرين الذهب ، وقال : «هذا حَسَبِي» .

- ومنها : أن أكثرهم زنادقة خارجون عن الإسلام ، ومنهم من أظهر سبَّ الأنبياء ، ومنهم من أباح الخمر ، ومنهم من أمر بالسجود له ، والخَيِّرُ منهم رافضي خبيث لئيم ، يأمر بسب الصحابة - رضي اللَّهُ تعالى عنهم - ، ومِثْلُ هؤلاء لا تنعقد لهم بيعة ، ولا تصح لهم إمامة .

قال القاضي أبو بكر الباقلاني : «كان المهدي عبيد اللَّه باطنيًا خبيثًا ، حريصًا على إزالة ملة الإسلام ، أعدم العلماء والفقهاء ؛ ليتمكن من إغواء

---

(١) نَشَّابة : جمع نَشَّاب ، وهو صانع النُّشَّاب ، أي : النَّبل .

الخلق، وجاء أولاده على أسلوبه: أباحوا الخمور والفجور، وأشاعوا الرفض».

وقال الذهبي: «كان القائم بن المهدي شرًّا من أبيه، زنديقًا ملعونًا، أظهر سب الأنبياء»[١]، وقال: «وكان العبيديُّون شرًّا من التتار على ملة الإسلام»، وقال أبو الحسن القابسي: «إن الذين قتلهم عبيد اللَّه وبنوه من العلماء والعُبَّاد - أربعة آلاف رجل؛ ليردُّوهم عن الترضي عن الصحابة، فاختاروا الموت».

قال القاضي عياض: «سُئِلَ أبو محمد القيرواني الكيزاني، من علماء المالكية، عَمَّنْ أَكْرَهَهُ بنو عبيد على الدخول في دعوتهم، أو يقتل؟

قال: يختار القتل، ولا يُعْذَرُ أحدٌ في هذا الأمر؛ لأن المقام في موضع يُطْلَبُ من أهله تعطيل الشرائع، وهو لا يجوز».

وقال ابن خلكان: «وقد كانوا يَدَّعُونَ علم المُغَيَّبَاتِ، وأخبارُهُمْ في ذلك مشهورة، حتى أن العزيز صَعِدَ يومًا المنبرَ، فرأى ورقةً فيها مكتوب:

إِنْ كُنْتَ أُعْطِيتَ عِلْمَ غَيْبٍ   بَيِّنْ لَنَا كَاتِبَ الْبِطَاقَهْ
بِالظُّلْمِ والجَوْرِ قَدْ رَضِينَا   وَلَيْسَ بِالْكُفْرِ وَالحَمَاقَهْ

وكتبت إليه امرأة قصة، فيها: «بالذي أعز اليهود بميشا، والنصارى بابن نسطور، وأذل المسلمين بك، إلا نظرت في أمري»، وكان ميشا اليهودي عاملًا بالشام، وابن نسطور النصراني بدمشق.

- ومنها: أن مبايعتهم صدرت والإمام العباسي قائم موجود سابق البيعة؛ فلا تصح؛ إذ لا تصح البيعة لإمامين في وقت واحد، والصحيح المُتَقَدِّمُ». اهـ[٢].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٥/١٥٢ - ١٥٦).

(٢) «تاريخ الخلفاء» ص(٤ - ٦).

فصــــل

(١٢) مهدي المغاربة ابنُ تُومَرتَ مُحَمَّد بن عَبدِ اللَّهِ البَـربَرِيُّ الهَرْغِيُّ[(١)]

في أواخر سنة ٥١٤هـ (١١٢٠م) وقعت بمدينة مرَّاكُش أول بادرة مؤذنة ببداية الثورة الدينية التي اضطلع بها محمد بن تومرت ضد الدولة المرابطية.

ففي ذات يوم جمعة، من هذه السنة، دخل إلى المسجد الجامع رجل صغير القد، متواضع الهيئة، وجلس على مقربة من المحراب بإزاء الموضع المخصص لجلوس أمير المسلمين، فلما اعترض على ذلك بعض سَدَنَة الجامع، تلا الآية: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، ولما حضر أمير المسلمين علي بن يوسف، نهض سائر الحضور، إلَّا ذلك الرجل، فلما انتهت الصلاة بادر الرجل بالسلام على عليٍّ، وقال له فيما قال: «غَيِّرِ المنكر في بلدك، فأنت المسئول عن رعيتك»، وبكى، فلم يجبه أمير المسلمين بشيء، ولما عاد إلى القصر سأل عنه، فقيل له: «إنه قريب العهد بالوصول، وهو يؤلف الناس، ويقول لهم: إن السنة قد ذهبت»، فأمر علي بن يوسف، وزيره عمربن ينتان أن يكشف عن أمره ومقصده، فإن كانت له حاجة ينظر في قضائها، فقال الرجل: «ليس لي حاجة، وما قصدي إلا تغيير المنكرات».

كان هذا الرجل هو محمد بن تومرت، وكان قد آب من رحلته إلى المشرق؛ ونزل بمراكش، بعد أن طاف ببعض مدن المغرب الشمالية، وهو يدعو للأمر

---

(١) مصادر هذه الترجمة: «دولة الإسلام في الأندلس» - الجزء الرابع - لمحمد عبد الله عنان؛ «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي (١٩/٥٣٩- ٥٥٢)، «الكامل» لابن الأثير (١٠/٥٦٩، ٥٨٢)، «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٥/٤٥- ٥٥)، «تذكرة الحفَّاظ» للذهبي (٤/١٢٧٤)، «طبقات السبكي» (٦/١٠٩- ١١٧)، «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/١٨٦، ١٨٧)، «شذرات الذهب» لابن العماد (٤/٧٠- ٧٢)، «دولة الموحدين» للدكتور علي محمد الصلابي؛ «أطلس تاريخ الإسلام»، (ص١٨١).

بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأصل هذا الرجل من قبيلة «هَرْغَة» إحدى بطون «مصمودة» الكبرى، وقد اختلف في تاريخ مولده فيما بين ٤٧١، ٤٩١هـ، واسمه محمد بن عبدالله، ووالده من أهل السوس، وكان يقال لوالده «تومَرت» أي الضياء الذي يوقد في المسجد، وقيل: إنه لما وُلد فرحت به أمه وسُرَّت، فقالت بلسانها: «آتومرت آينو أيسك آيبوي»، ومعناه: يا فرحتي بك يا بني، وكانت إذا سئلت عن ابنها وهو صغير، تقول: «يك تومرت»، معناه: صار فرحًا مسرورًا، فغلب عليه اسم تومرت، وتُرِك دعاؤه باسمه الأول عبدالله[1].

قال الحافظ الذهبي - رحمه الله - في التعريف به:

«الخارج بالمغرب، المدَّعي أنه عَلَويٌّ حَسَني، وأنه الإمام المهدي، وأنه معصوم، وهو بالإجماع مخصوم. رَحَلَ من السوس الأقصى شابًّا إلى المشرق، فحج، وتفَقَّهَ، وحصَّل أطرافًا من العلم، وكان لَهِجًا بعلم الكلام، خائضًا في مزالِّ الأقدام، ألَّف عقيدةً لقَّبها «بالمرشدة»، وحمل عليها أتباعه، وسمَّاهم الموحِّدين، ونبز من خالف «المرشدة» بالتجسيم، وأباح دمه، نعوذ باللَّه من الغيِّ والهوى!

وكان خَشِنَ العيشِ، فقيرًا، قانعًا باليسير، مقتصِرًا على زِيِّ الفقْرِ، لا لَذَّةَ له في مأكَلٍ، ولا مَنْكَح، ولا مال، ولا في شيءٍ غير رياسة الأمر، حتى لَقي اللَّه- تعالَى-.

لكنه دخل- واللَّهِ- في الدِّماءِ؛ لنَيل الرياسة المُرْدِيَةِ.

وله فصاحةٌ في العربية، والبربرية، وكان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويُؤذَى، ويُضْرَب، ويصبر.

أُوذِيَ بمكة؛ فراح إلى مِصرَ، وبالغ في الإنكار، فطردُوه، وآذَوْهُ، وكان إذا

---

(١) «دولة الإسلام في الأندلس» (١٥٨/٤، ١٥٩).

خاف مِن البطشِ بِهِ خلَّط وتَبَالَهَ»[١] .

ثم سكن الثَّغر[٢] مدَّةً ، ثم ركِبَ البحر إلى المغربِ من الإسكندرية في أواخر سنة ٥١١هـ (١١١٧م) ، ويقال إنه خرج منفيًّا من الإسكندرية ، لما ترتب من شَغْب على نشاطه في مطاردة المنكر ، بيدَ أنه استمر في دعوته إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو على ظهر السفينة التي أقلته ، فألزم ركابها بإقامة الصلاة وقراءة القرآن ، واشتد في ذلك حتى قيل إن ركاب السفينة ألقوه إلى البحر ، فلبث أكثر من نصف يوم يسبح إلى جانبها دون أن يصيبه شيء ، فلما رأوا ذلك أنزلوا إليه من رفعه من الماء ، وقد عظم في نفوسهم ، وبالغوا في إكرامه . ولما وصل إلى «المهدية» ، نزل بمسجد من مساجدها ، وليس معه سوى ركوة ماء وعصا ، فتسامع به الناس ، وأقبل الطلاب يقرءون عليه مختلف العلوم ، وكان إذا شاهد منكرًا من آلات الملاهي ، أو أواني الخمر ، بادر إلى إزالته وكسرها ، وأصابه بسبب ذلك بعض الأذى ، ووصل خبره إلى الأمير يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ملك إفريقية ، فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء ، فلما رأى سمته ، واستمع إلى مناقشاته ؛ أعجب به وأكرمه وسأله الدعاء[٣] فقال : «أصلحك اللَّه لرعيتك ! » .

قال الحافظ الذهبي - رحمه اللَّه تعالى - :

«وسار إلى بَجاية ، فبقي يُنكِرُ كعادته ؛ فنُفِيَ ، فذهب إلى قرية مَلَّالة ، فوقع بها بعبدِ المؤمن[٤] الذي تسلطَن ، وكان أَمْرَدَ عاقلًا ، فقال : «يا شابُّ ، ما

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٩/٥٣٩- ٥٤٢) بتصرف .

(٢) أي : الإسكندرية .

(٣) «دولة الإسلام في الأندلس» (٤/١٦٤ ، ١٦٥) .

(٤) **عبد المؤمن بن علي القيسي** (ت ٥٥٨هـ) ، انظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (٢٠/٣٦٦) ، «وفيات الأعيان» (٣/٢٣٧- ٢٤١) ، «البداية والنهاية» (١٢/٢٤٦ ، ٢٤٧) ، «شذرات الذهب» (٤/١٨٣) ، «دولة الإسلام» (٤/١٦٥) .

اسمُكَ ؟ » قال : عبدُ المؤمن ، قال : « اللَّه أكبرُ ، أنت طَلِبَتِي ، فأين مقصِدُكَ؟ » ، قال : طلبُ العلم ، قال : « قد وجدتَ العلمَ ، والشَّرفَ ، اصْحَبْنِي » ، ونظر في حليته ، فوافَقَتْ ما عنده مما ادعى أنه اطلع عليه من كتاب الجَفْرِ[1] ، فقال :

---

(١) (الجَفر - بفتح الجيم وسكون الفاء - من أولاد المعز : ما بلغ أربعة أشهر ، والمراد هنا جلد المعز الذي كُتِبَ فيه ، وهذا الكتاب يَزْعُمُ الإمامية أن جعفرًا الصادق - رحمه اللَّه - كتب لهم فيه كل ما يحتاجون إليه ، وكل ما سيَقَعُ ويكون إلى يوم القيامة ، وكان مكتوبًا عنده في جلد ماعز ، فكتبه عنه هارون ابن سعيد العجلي رأس الزيدية ، وسماه الجَفْر باسم الجلد الذي كُتِبَ فيه ، وهذا زَعْمٌ باطل ؛ فإن جعفرًا الصادق كجده أمير المؤمنين لا يعلم الغيب ، وقد ثبت عن جده أمير المؤمنين - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - لم يخصه بشيء من دون أصحابه ، كما في صحيح البخاري (١١١) ، (١٨٧٠) ، (٣١٧٢) ، (٣١٧٩) ، (٦٧٥٥) ، (٦٩٠٣) ، (٦٩١٥) ، (٧٣٠٠) ، من طريق أبي جُحَيْفَةَ السوائي ، قال : سألت عليًّا - رضي اللَّه عنه - : هل عندكم شيء مما ليس في القرآن ، أو ما ليس عند الناس ؟ فقال : والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، ما عندنا إلا ما في القرآن ؛ إلا فهمًا يُعطى رجل في كتابه ، وما في هذه الصحيفة ، قال : قلت : فما هذه الصحيفة ؟ قال : « العقل ؛ وفكاك الأسير ، ولا يُقْتَلُ مسلم بكافر » . قال الحافظ ابن حجر : وإنما سأله أبو جُحَيْفَةَ عن ذلك ؛ لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت - لا سيما عليًّا - أشياء من الوحي خصهم النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - بها لم يَطَّلِعْ غيرهم عليها .

ونقل العيني في « عمدته » : (١/ ١٦١) عن ابن بطال قوله : فيه ما يقطع بدعة الشيعة والمدَّعين على علي - رضي اللَّه عنه - أنه الوصي ، وأنه المخصوص بعلم من عند رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - ، لم يعرفه غيره ؛ حيث قال : ما عنده إلا ما عند الناس من كتاب اللَّه ، ثم أحال على الفهم الذي الناس فيه على درجاتهم ، ولم يخص نفسه بشيء غير ما هو ممكن في غيره .

على أن الكتاب لا تصح نسبته إلى جعفر الصادق - رحمه اللَّه - ، والذين نسبوه إليه من أجهل الناس بمعرفة المنقولات ، والأحاديث ، والآثار ، والتمييز بين صحيحها وضعيفها ، وعمدتهم في المنقولات التواريخ المنقطعة الإسناد ، وكثير منها من وَضْعِ من عُرِفَ بالكذب والاختلاق ؛ كأبي مخنف لوط ، وهشام بن محمد بن السائب ، وأمثالهما ، وغير خافٍ على طلبة العلم أن ما لا يُعْلَمُ إلا من طريق النقل ؛ لا يمكن الحكم بثبوته إلا بالرواية الصحيحة السند ، فإذا لم تُوجَدْ ؛ فلا يسوغ لنا شرعًا وعقلًا أن نقول بثبوته . وانظر « أبجد العلوم » (٢/ ٢١٤- ٢١٦) ، و« لُقَطَةَ العجلان » ، كلاهما لصديق حسن خان ، ومجلة المنار ٤/ ٦٠ ، للسيد رشيد رضا) . اهـ . من تعليق الشيخ شعيب الأرناؤط على « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٥٤٢- ٥٤٣) ، وانظر : « كتب حذر منها العلماء » (١/ ١٠٨- ١٢٣) .

وقد نقل ابن خلكان (٣/ ٢٤٠) عن ابن قتيبة قوله : « وأعجب من هذا التفسير تفسير الروافض للقرآن =

«ممن أنت ؟» ، قال : «مِن كُومية»[١] ، فربط الشاب ، وشوَّقه إلى أمورٍ عَشِقَها ، وأفضَى إليه بسرِّه ، وكان في صُحبته الفقيهُ عبدُاللَّهِ الوَنْشَرِيسِي ، وكان جميلًا نَحْوِيًّا ، فاتفقا على أن يُخفيَ علمَهُ ، وفصاحَتَهُ ، ويتظاهرَ بالجهل واللَّكَنِ مدةً ، ثم يجعلَ إظهار نفسِهِ معجزةً ، ففعل ذلك ، ثم عَمَدَ إلى ستة من أجلاد أتباعِه ، وسار بهم إلى مرَّاكشَ[٢] ، وهي لابنِ تاشُفين ، فأخذوا في الإنكار[٣] ، فخوَّفوا الملك منهم ، وكانوا بمسجد خرابٍ ، فأحضرهم الملكُ ، فكلَّموه فيما وقع فيه مِن سَبِّ الملك ، فقال : «ما نُقِلَ من الوقيعة فيه فقد قلته ، ولي مِن ورائه أقوال ، وأنتم تُطرونه ، وهو مغرورٌ بكم ، فيا قاضي ، هل بلغك أنَّ الخمرَ تُبَاعُ جهارًا ، وتمشي الخنازيرُ في الأسواق ، وتُؤخَذُ أموالُ اليتامى؟» ، فَذَرَفَتْ عينا الملك ، وأطرق ، وفَهِمَ الدُّهاةُ طَمَعَ ابنِ تُومرت في المُلك ، فنصح مالك بن وهيب- وكان عالمًا صالحًا- سلطانه ، وقال : «إني خائفٌ عليك من هذا ، فاسجنْه ، وأصحابَه ، وأنفق عليهم مؤنتهم ، وإلا أنفقتَ عليهم خزائنَك»[٤] ، فوافقه ، فقال

= الكريم ، وما يدَّعونه من علمِ باطنه بما وقع إليهم من الجفر الذي ذكره هارون بن سعيد العجلي ، وكان رأس الزيدية ، فقال :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرَّافِضِينَ تَفَرَّقُوا ... فَكُلُّهُمُ فِي جَعْفَرٍ قَالَ مُنْكَرَا
فَطَائِفَةٌ قَالُوا إِمَامٌ وَمِنْهُمُ ... طَوَائِفُ سَمَّتْهُ النَّبِيَّ المُطَهَّرَا
وَمِنْ عَجَبٍ لَمْ أَقْضِهِ جِلْدُ جَفْرِهِم ... بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِمَّنْ تَجَفَّرَا

(١) بضم الكاف وسكون الواو : قبيلة صغيرة كانت تنزل بساحل البحر من أعمال تلمسان .

(٢) لما طُرد ابن تومرت من فاس ، توجه إلى مرَّاكش مقر حكم المرابطين ، وخلال رحلته إليها كان يُنَبِّهُ عبد المؤمن بن علي للمواقع ذات الأهمية الاستراتيجية ، ويدل ذلك على أنه عاد إلى بلاده وهو يحمل معه برنامجًا للدعوة إلى الخروج على المرابطين ، وخطة لحرب طويلة الأمد ضدهم ، انظر : «دولة الموحدين» (ص٢٦) ، و«السلفية وأعلامها في موريتانيا» (ص٢٠٢) .

(٣) انظر واقعة إنكاره على أخت أمير المسلمين في «دولة الإسلام» (١٦٩/٤) .

(٤) وعند ابن خَلِّكان : (ففهم الحاضرون من فحوى كلامه أنه طامع في المملكة لنفسه ، ولما رأوا سكوت الملك وانخداعه لكلامه لم يتكلم أحد منهم ، فقال مالك بن وهيب ، وكان كثير الاجتراء على الملك : «أيها الملك ، إن عندي لنصيحة إن قبلتها حمدت عاقبتها ، وإن تركتها لم تأمن غائلتها : إن هذا واللَّه لا يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إنما يريد إثارة الفتنة ، والغلبة =

الوزيرُ : «يَقْبُحُ بالملِكِ أن يبكي مِن وَعْظِهِ ، ثم يُسيء إليه في مجلسٍ ، وأن يَظْهَرَ خوفُك- وأنت سلطان- من رجلٍ فقيرٍ» ، فأخذته نخوةٌ ، وصرفه ، وسأله الدُّعاء)[1] . اهـ .

«لقد تنبه الفقيه مالك بن وهيب الأندلسي إلى أن ابن تومرت ليس طالب آخرة ، وإنما هو طالب سلطان ، وأشار على الأمير علي بن يوسف بقتله ؛ ليكتفي شره ؛ لأنه إذا وقع في بلاد المصامدة أَلَّبَهُمْ على المرابطين ، ولكن وزير علي بن يوسف ينتان بن عمر ، وسير بن وربيل ، أقنعا أمير المسلمين علي بن يوسف بعدم الأخذ برأي مالك بن وهيب .

وألحَّ مالك بن وهيب على أمير المسلمين[2] بتخليده في السجن إذا لم يَقْتُلْهُ ، وقال له : «**اجْعَلْ عليه كبلًا ؛ كي لا تسمعَ له طبلًا**» ، فوافقه على ذلك ، وحال

= على بعض النواحي ، فاقتله ، وقلدني دمه» ، وفي بعض الروايات : فقال الملك : «ما هي؟» ، قال : «إني خائف عليك من هذا الرجل ، وأرى أنك تعتقله وأصحابه ، وتنفق عليهم كل يوم دينارًا لتكتفي شره ، وإن لم تفعل ذلك لتنفقن عليه خزائنك كلها ، ثم لا ينفعك ذلك» . اهـ . «وفيات الأعيان» (٥/٥٠) ، و«الكامل» (١٠/٥٧١) .

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٩/٥٤٢- ٥٤٤) بتصرف .

(٢) لما كثرت فتوح «الأمير» يوسف بن تاشُفين رحمه اللَّه ، وترامت أطراف مملكته ، قالوا له : «إن حقك يسمو على لقب الإمارة» ، واقترحوا عليه أن يتسمى بـ«أمير المؤمنين» ، ولكنه أبى ، واعتذر بأن هذا اللقب إنما يتسمى به خلفاء بني العباس ، سلالة النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - ، وأصحاب الحرمين ، وأنه يُعتبر في المغرب رَجُلَهم والقائم بدعوتهم ، ولذا قَبِلَ أن يسمى «أمير المسلمين» .
لقد كان المرابطون يعتقدون وجوب بيعة الخليفة العباسي ، فاعترفوا بالخلافة العباسية ، ونقشوا اسم الخليفة العباسي على نقودهم ، وعقيب انتصار ابن تاشفين في الأندلس أوفد إلى الخليفة العباسي الإمام عبد اللَّه بن العربي يبشره بانتصاراته في الأندلس ، ويطلب تقليده بولاية البلاد التي بسط نفوذه عليها ، وعادت البعثة إلى المغرب بتقليد الخليفة وعهده للأمير يوسف بن تاشُفين .
وهذه من محاسن المرابطين جزاهم اللَّه خيرًا ، التي تجسد حرصهم على لزوم جماعة المسلمين ، رغم تمكنهم من الاستقلال بالدولة بدون أي ضرر ، وبذلك كانوا سندًا معنويًا قويًا للخلافة العباسية السنية ، انظر : «فقه التمكين عند دولة المرابطين» (ص ١٨٢- ١٩١) ، «دولة الإسلام في الأندلس» (٤/٣٨- ٤١) .

ينتان مرة ثانية دون الأخذ برأي مالك بن وهيب ، والذي خاطب أمير المسلمين قائلًا : «ياأمير المسلمين ، هذا وَهَنٌ في حق الملك أن تلتفت لهذا الرجل الضعيف ؛ فخلِّ سبيله ؛ إنه رجل لا يملك سد جوعه» .

لقد أصابت كلمات الوزير ينتان عزة نفس أمير المسلمين ، فاستصغر شأنه ، وأمر بإطلاق سراحه ، على شرط أن يخرج من بلاد أمير المسلمين[١] .

لقد صدقت فِراسة مالك بن وهيب في ابن تومرت ، وندم ابن تاشُفين ، بعد فوات الأوان ؛ لأنه لم يأخذ برأيه[٢] . لقد كان ابن تومرت مُولعًا بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وكان ينطوي قلبه- واللَّه- تَعَالَى- أعلم- على أغراض آخرَ يشي بها قوله لبعض أصحابه قبل خروجه بالمغرب :

دَعْنِي فَفِي النَّفْسِ أَشْيَاءٌ مُخَبَّأَةٌ لأَلْبِسَنَّ لَهَا دِرْعًا وجِلْبَابَا
كَيْمَا أُطَهِّرَ دِينَ اللَّهِ مِنْ دَنَسٍ وَأُوجِبَ الفَضْلَ للسَّادَاتِ إِيجَابَا
تاللَّهِ لَوْ ظَفِرَتْ كَفِّي بِمَطْلَبِهَا مَا كُنْتُ عَنْ ضَرْبِ أَعْنَاقِ الوَرَى آبَى[٣]

وكان يتمثل بقول المتنبي :

وَمَنْ عَرَفَ الأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا وبِالنَّاسِ رَوَّى رُمْحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ
فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفِرُوا بِهِ وَلَا في الرَّدَى الجَارِي عَلَيْهِمْ بِآثِمِ[٤]

وقال أيضًا :

وما أنا منهمُ بالعيش فيهم ولكنْ معدِنُ الذهبِ الرَّغامُ

(وسار ابنُ تُومَرت إلى أغمات ، فنزلوا على الفقيه عبدالحق المَصمودي ،

---

(١) «دولة الموحدين» (ص٢٨، ٢٩) .

(٢) وعند ابن خلكان : « . . . فَنَدِمَ- أي الملك- على فوات محمد من يده ، وعَلِمَ أن الحزم كان مع مالك بن وهيب فيما أشار به» . اهـ. من «الوفيات» (٥/٥٢) .

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٩/٥٥٢) ، و«السابق» (ص٣٦) ، وانظر : «دولة الإسلام» (٤/١٦٨، ١٧٦، ١٩٥، ١٩٦) .

(٤) «وفيات الأعيان» (٥/٥٤) .

فأكرمهم ، فاستشارُوه ، فقال : «هُنا لا يحميكم هذا الموضع ؛ فعليكم بتِينَمَلَّ ، فهي يومٌ عنَّا ، وهو أحصنُ الأماكن ؛ فأقيمُوا به بُرهَةً كي يُنسَى ذكرُكم» . فتجدد لابن تُومرت بهذا الاسم ذكرٌ لما عنده[١] ، فلما رآهم أهلُ الجبل على تلك الصُّورة ، علموا أنَّهم طَلَبَةُ علمٍ ؛ فأنزلوهم ، وأقبلُوا عليهم ، ثم تسامَع به أهلُ الجبل ، فتسارعُوا إليهم ، فكان ابنُ تُومرت مَنْ رأى فيه جَلادة ، عَرَضَ عليه ما في نفسه ، فإن أسرع إليه ، أضافه إلى خواصِّه ، وإن سكت ، أعرض عنه . وكَانَ كُهولُهم ينهون شُبَّانهم ، ويُحذِّرونهم[٢] ، وطالت المدةُ ، ثم كثُرَ أتباعُهُ مِن جبال دَرن ، وهو جبل الثلج ، وطريقُهُ وَعْرٌ ضيِّق .

قال اليسع في «تاريخه» : «لا أعلم مكانًا أحصنَ من تِينَمَلل ؛ لأنها بينَ جبلين ، ولا يصلُ إليهما إلا الفارِسُ ، وربما نزَلَ عن فرسه في أماكنَ صعبةٍ ، وفي مواضِعَ يَعْبُرُ على خشبةٍ ، فإذا أُزيلت الخشبة ، انقطع الدَّرْبُ ، وهي مسافة يوم ، فشرع أتباعُه يُغيرون ، ويقتلُون ، وكثُرُوا ، وقَووا ، ثم غَدَرَ بأهل تِينَمَلَلَ الَّذين آووْهُ ، وأمر خواصَّه ، فوضعُوا فيهم السيف[٣] ، فقال له الفقيهُ الإفريقي

---

(١) أي من خبر الجفر المزعوم ، ويحتمل أن أحد المؤرخين من أتباعه هو الذي افترى هذه الفرية تأييدًا لدعوته ، ليوهم صدق دعواه المهدية والعصمة ، أو أن الذي افتراها ابن تومرت نفسه ، والله أعلم .

(٢) في «الوفيات» (٥/٥١) : «وكان يستميل الأحداث وذوي الغرة ، وكان ذوو العقل والحلم من أهاليهم يُحَذِّرُونَهُمْ من اتباعه ، ويُخَوِّفونهم من سطوة الملك» .

وقال ابن خلكان- أيضًا- : «ثم إن محمدًا استدنى أشخاصًا من أهل الغرب أجلادًا في القوى الجسمانية أغمارًا ، وكان أميل إلى الأغمار من أولى الفطن والاستبصار» . اهـ من «فوات الوفيات» (٥/٤٨) .

(٣) وقصة ذلك : «أن أهل تينملل بعثوا إليه بطاعة قبيلتهم «هزميرة الجبل» ، وأن سكناه لديهم أصلح له ، وأقرب إلى بث دعوته ، فسار إليهم ، ونزل بتينملل ، فأكرمه أهلها أيما إكرام ، وأكَّدوا له خضوعهم وطاعتهم ، وبايعوه ، فرأى المهدي من كثرتهم وحصانة بلدهم ما راق لديه ، وكان يخرج إلى الشريعة (أي : مورد الماء الذي يُستقى منه بلا رشاء) في خارجها ، ويجلس على حجر مربع أمام المحراب ويعظ الناس ، فلاحظ أن قبيلة «هزميرة» يحضرون دائمًا متقلدين سلاحهم ، فسألهم يومًا : «لم تمسكون سلاحكهم ، وإخوانكم الموحِّدون لا يمسكونه ؟» ، فتركوا حمل السلاح مدة ، وكان قد =

أحدُ العشرة مِن خواصِّه : «ما هذا ؟! قومٌ أكرمونا وأنزلونا ، نقتلُهم؟!!» فقال لأصحابه : «هذا شكٌّ في عِصمتي ، فاقتلُوه ، فقُتِلَ» .

قال اليسع : «وكُلُّ ما أذكُره من حال المصامِدة ، فقد شاهدتُهُ ، أو أخذتُه متواترًا ، وكان في وصيته إلى قومه : إذا ظَفِرُوا بمُرَابِطٍ ، أو تِلمسَاني ، أن يُحرِقوه»[(١)] .

«وقبل أن يعطي ابن تومرت الأمر لجيوشه بالانقضاض على المرابطين ؛ للاستيلاء على عاصمتهم مراكش ، أراد أن يُطَهِّرَ صفوفه من بعض الأشخاص الذين يشك في ولائهم له ، فأوعز في عام ٥١٩هـ/١١٢٥م لصديقه الحميم الونشريسي ، الذي كان يُظْهِرُ البلاهة - بينما هو عالم - أن يُظْهِرَ ما لديه من علم دُفْعَةً واحدة ؛ ليكون ذلك بمثابة المعجزة لابن تومرت ، وكان الونشريسي ، باتفاق مع ابن تومرت ، قد حفظ أسماء مَنْ شَعَرَ أنهم يشُكُّونَ في مهدية ابن تومرت ، وكان - أيضًا - ابن تومرت قد طلب من القبائل تزويده بأسماء المشاغبين ، فدفعها إلى الونشريسي ، فحفظها ، وبعد صلاة الفجر تقدم الونشريسي (الكاذب) ، وأعلن أنه جاءه البارحة مَلَكان ، وشقا قلبه ، وغسلاه ، وحشواه علمًا ، وحكمة ، فاختبره القوم ، فعجبوا من شدة حفظه ، ثم شهد لابن تومرت بالمهدية . ثم قال : «اعرض عليَّ أصحابك ؛ حتى أميز أهل الجنة من أهل النار ، وقد أنزل اللَّه - تَعَالَى - ملائكته إلى البئر التي في المكان الفلاني ، يشهدون بصدقي ، وكان المهدي قد وضع فيها رجالًا لهذا الغرض ، فسار

= توجس من كثرتهم وقوتهم ، ونظر في أمرهم ، فجاءوا ذات يوم إلى سماع الوعظ دون سلاح ، وكان الموحدون بالعكس قد تقلدوا سلاحهم ، فانقضوا عليهم ، وأوسعوهم قتلًا ، فقتلوا منهم في ذلك اليوم وفقًا لرواية اليسع نحو خمسة عشر ألفًا ، وسُبيت نساؤهم ، ونُهبت أموالهم ، وقُسِّمت أراضيهم بين الموحدين» . اهـ . من «دولة الإسلام في الأندلس» (١٨٢/٤) ، ولكي لا تُحْدِثَ هذه الأعمال رد فعل عند أتباعه ، أو تلقى معارضة عند الناس ، فإنه كان يظهر بشيء من الخوارق والمعجزات ؛ حتى يؤصل في نفوس الناس شرعية ما يقوم به ، ويدعو إليه ، انظر : «دولة الموحدين» (ص٦٩) .

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٥٤٤، ٥٤٥) .

المهدي وأتباعه إلى ذلك البئر، وبعد أن وقف على رأسها، قال: «يا ملائكة اللَّه، إن عبداللَّه الونشريسي قد زعم كيت، وكيت»، فقال من فيها: «صدق»، فصَدَّقَهُ الناس، ثم أمر بطمر[1] البئر بحجة أنها مُقَدَّسَةٌ، وواضح أن طمره للبئر كان بسبب خوفه من أن يفضحوا أمره؛ مما سيكون له أسوأ الأثر على دعوته، وكشف زيفها»[2].

قال الإمام الذهبي - رحمه اللَّه - يصف هذه المذبحة المروِّعة:

«فلمَّا كان عامُ تسعةَ عشرَ وخمسمائة، خرج يومًا، فقال: «تعلمون أن البشير- يُريد الوَنْشَرِيسي- رَجُلٌ أُمي، ولا يثبُت على دابَّة، فقد جعله اللَّه مُبَشِّرًا لكم، مطَّلِعًا على أسراركم، وهو آيةٌ لكم، قد حَفِظَ القرآن، وتعلَّم الرُّكوب». وقال: «اقرأ»، فقرأ الختمةَ في أربعةِ أيام، وركب حصانًا، وساقه، فبُهِتُوا، وعدُّوها آيةً؛ لِغباوتهم، فقام خطيبًا، وتلا: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧]، وتلا: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهذا البشيرُ مطَّلِعٌ على الأنفس، مُلْهَمٌ، ونبيُّكم - صلى اللَّه عليه وسلم - يقول: «إنَّ في هَذِهِ الأُمَّةِ مُحدَّثِينَ، وإنَّ عُمَرَ مِنْهُمْ»[3]. وقد صَحِبَنا أقْوَامٌ أطلعه اللَّهُ على

---

(١) طَمَرَ البئرَ: رَدَمها.

(٢) «دولة الموحدين» (ص٨٦).

(٣) أخرجه البخاري: (٤٢/٧)، (٣٦٨٩) في فضائل أصحاب النبي - صلى اللَّه عليه وسلم -: باب مناقب عمر، من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم -: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ في أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ». وأخرجه مسلم (٢٣٩٨)، والترمذي (٣٦٩٤) من حديث عائشة. وقال ابن وهب: تفسير «مُحَدَّثُونَ»: مُلْهَمُونَ، وقال ابن الأثير: «أراد بقوله: «مُحَدَّثُونَ» أقوامًا يصيبون إذا ظنوا وحدسوا، فكأنهم قد حُدِّثوا بما قالوا»، وراجع: «المهدي» ص (٣١٣).

قال الشيخ شعيب الأرناؤوط معلقًا على استدلال ابن تومرت: «واستشهاد ابن تومرت بالحديث في غير محله، وهو دال على سوء طويته، وجراءته على اللَّه ورسوله، فإن البشير الونشريسي قد باع نفسه من الشيطان، وصار يستلهم منه الحيل الماكرة، والأساليب الخبيثة لإضلال الناس وإفسادهم إرضاءً لسيده ابن تومرت الذي اتخذه مطية لأطماعه، وتحصيل مرامه، فهو من أبعد الناس عن =

سرهم، ولابُدَّ مِنَ النظرِ في أمرهم، وتيمُّم العدل فيهم، ثم نُودِيَ في جبال المصامدة: «من كان مطيعًا للإمام، فليأتِ»، فأقبلُوا يُهْرَعُونَ، فكانوا يُعرضون على البشير، فيُخْرِجُ قومًا على يمينه، ويعُدُّهُم مِن أهل الجنة، وقومًا على يساره، فيقول: «هؤلاء شاكُّون في الأمر»، وكان يُؤتَى بالرجل منهم، فيقول: «هذا تائب، ردُّوه على اليمين، تاب البارحة»، فيعترِفُ بما قال، واتفقت له فيهم عجائب، حتى كان يُطلِقُ أهل اليسار، وهم يعلمون أن مآلَهم إلى القتل، فلا يَفرُّ منهم أحد، وإذا تجمَّع منهم عِدَّةٌ، قتلهم قراباتُهم، حتى يقتل الأبُ ابنَه، والابن أباه، والأخُ أخاه.

قال: «فالذي صَحَّ عندي أنهم قُتِلَ منهم سبعون ألفًا على هذه الصفة، ويُسمُّونَهُ التمييز»[١].

ويبدو أن الذي دفع ابن تومرت للقيام بعمليات التميز هو تراجع عدد كبير من الداخلين في دعوته عنها؛ وذلك بسبب ما تحمله من غُلوٍّ، وشَطَطٍ، فقام بهذه العملية للتخلص من الذين يشك في إخلاصهم؛ خشية أن يقوى رد الفعل المضاد لدعوته[٢].

«لقد علم ابن تومرت أن الباقين من أهلِ وأقاربِ المقتولين لا تطيب قلوبهم بذلك، فجمعهم، وبشَّرَهُمْ بانتقال مراكش إليهم، واغتنام أموال المرابطين؛ فسرهم ذلك، وسلَّاهم عن أهلهم، ثم ندبهم إلى قتال المرابطين، وتحول موقف الموحدين من الدفاع إلى الهجوم، وبعد سلسلة من الحملات الناجحة التي قام بها ابن تومرت على معاقل المرابطين أراد أن يحسم الأمر بإسقاط عاصمة المرابطين مراكش»[٣].

= منزلة التحديث الجليلة التي اختص بها أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه -». اهـ. من حاشية «السير» (٥٤٦/١٩).

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥٤٦/١٩)، وانظر: «دولة الإسلام في الأندلس» (١٨٣/٤).

(٢) «دولة الموحدين» (ص٦٩).

(٣) «نفس المصدر» (ص٨٦).

فَصــلٌ

قال الحافظ الذهبي - رحمه اللَّه - تَعَالَى - :

(وقال- أي عبدالواحد المراكشي- : «وكان جُلُّ ما يدعو إليه الاعتقادَ على رأي الأشعري، وكان أهلُ الغَرْب ينافِرُون هذه العلوم، فجمع مُتولي فاس الفقهاء، وناظرُوه، فظهر، ووجد جوًّا خاليًا، وقومًا لا يدرون الكلامَ، فأشاروا على الأمير بإخراجه، فسار إلى مرَّاكشَ، فبعثوا بخبره إلى ابن تاشُفين، فجمع له الفقهاءَ، فناظره ابنُ وهيب الفيلسوف[(١)]، فاستشعر ذكاءه، وقوةَ نفسه، فأشار على ابنِ تاشُفين بقتلِهِ، وقال: «إن وقع إلى المصَامِدَةِ قَوِيَ شرُّهُ»، فخاف اللَّهَ فيه، فقال: «فاحبسه»، قال: «كيف أحبِسُ مسلمًا لم يتَعَيَّنْ لنا عليه حقٌّ؟ بل يُسافر»، فذهب، ونزل بتينَمَلَل، ومنه ظهر، وبه دُفِنَ، فبث في المصامدة العلم، ودعاهم إلى الأمر بالمعروف، واستمالهم، وأخذ يُشَوِّق إلى المهدي، ويروي أحاديث فيه، فلما توثق منهم قال: أنا هو، وأنا محمد بن عبداللَّه، وساق نسبًا له إلى علي[(٢)]، فبايعوه، وألف لهم كتاب «أعز ما

---

(١) كان مالك بن وهيب مستشار أمير المسلمين علي بن يوسف ووزيره، وكان فقيهًا زاهدًا ورعًا، اشتغل بالفلسفة، لكنه لم يستطع أن يقيد معارفه الفلسفية ولا أن يبثَّها، «بل أضرب عن النظر ظاهرًا فيها وعن التكلم فيها لما لحقه من المطالبات في دمه بسببها» كما يقول ابن أبي أصيبعة، انظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص٥١٥).

(٢) فادَّعى أنه محمد بن عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن رباح بن يسار بن العباس بن **محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب**.

علَّق الحافظ منصور بن العمادية على هذا النسب قائلًا: «وفي ذلك نظر من حيث إن محمد بن الحسن لم يُعقب»، انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٩/٥٣٩، ٥٥٢). فإن قيل: «إن كان انتسب إلى أهل البيت، فلا ينبغي الطعن فيه؛ لأن الناس مصدَّقون في أنسابهم». فالجواب: أن من يدرس سيرة ابن تومرت، ويسبر شخصيته، يعرف أنه كذَّاب دجَّال، لا يتورع عن أخس الوسائل لبلوغ غاياته وأطماعه؛ وتحقيق طموحاته، وآية ذلك أنه ادعى المهدية بعد ادعائه النسب الشريف؛ فصار كلابس ثَوْبَيْ زُورٍ، وانظر ص (٢٦٧- ٢٦٩).

يطلب»، ووافق المعتزلة في شيء، والأشعرية في شيء، وكان فيه تشيع، ورتب أصحابه، فمنهم العشرة، فهم أول من لبَّاه، ثم الخمسين، وكان يسميهم المؤمنين، ويقول: ما في الأرض من يؤمن إيمانكم، وأنتم العصابة الذين عنى النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - بقوله: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين»(١)، وأنتم تفتحون الروم، وتقتلون الدجال، ومنكم الذي يؤم عيسى، وحدثهم بجزئيات اتفق وقوع أكثرها، فعظمت فتنة القوم به، حتى قتلوا أبناءهم وإخوتهم؛ لقسوتهم، وغِلَظِ طباعهم، وإقدامهم على الدماء، فبعث جيشًا، وقال: «اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الدين، فادعوهم إلى إماتة المنكر، وإزالة البدع، والإقرار بالمهدي المعصوم، فإن أجابوا؛ فهم إخوانكم، وإلا، فالسنة قد أباحت لكم قتالهم»، فسار بهم عبدالمؤمن يقصد مراكش، فالتقاه الزبير ابن أمير المسلمين، فكلموهم بالدعوة، فردوا أقبح رد، ثم انهزمت المصامدة، وقُتِل منهم ملحمة، فلما بلغ الخبرُ ابنَ تومرت قال: «أَنَجا عبدُالمؤمن؟» قيل: نعم، قال: «لم يُفْقَدْ أحد»، وهوَّن عليهم، وقال: «قتلاكم شهداء».

قال الأمير عزيز في «أخبار القيروان»: «سمَّى ابن تومرت أصحابه بالموحِّدين، ومن خالفه بالمجسِّمين(٢)، واشتهر سنةَ خمسَ عشرةَ، وبايعْته

---

(١) وتمامه: «عَلَى الحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٩٢٥) في الإمارة من حديث سعد بن أبي وقاص - رضي اللَّه عنه -. والمراد بأهل الغرب في هذا الحديث أهل الشام؛ لأنهم بالنسبة للمدينة النبوية في الجهة الشمالية الغربية. وانظر «فتح الباري» (٢٩٥/١٣) الطبعة السلفية، وابن تومرت ينتقي النصوص المتشابهة، ويستدل بها، ويفسرها كما يروق له؛ ليكتسب بها ثقة من حوله.

(٢) ترجع هذه التسمية إلى أن ابن تومرت سأل أنصاره الموحدين في الغزوة التاسعة عما يقوله المرابطون عنهم؟ فقالوا: «إنهم لقبونا بالخوارج»، فقال ابن تومرت: «سبقونا بالقبيح، لو كان خيرًا أحجموا عنه، لقبوهم أنتم، فإن اللَّه ذكر في كتابه: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾، قولوا لهم أنتم أيضًا: المجسمون». اهـ. من «دولة الإسلام» (ص١٨٣)، ومن المعلوم المشهور عند أهلَ العلم أن من علامات أهل البدع الوقيعةَ في أهل الحديث، وتسميتهم أهلَ السنة بالحشوية والمجسمة، تنفيرًا =

هَرْغَة على أنه المهدي ، فقصده الملثمون ، فكسروا الملثمين ، وحازُوا الغنائم ، ووثقت نفوسهم ، وأتتهم أمداد القبائل ، ووُحِّدَتْ هنتاتة ، وهي من أقوى القبائل » ، ثم قال عزيز : (لهم تودُّد ، وأدبٌ ، وبشاشة ، ويلبَسُونَ الثيابَ القصيرةَ الرخيصة ، ولا يُخْلون يومًا من طِرادٍ[1] ، ومثاقفةٍ[2] ، ونضال ، وكان في القبائل مفسدون ، فطَلَبَ ابنُ تُومرت مشايخَ القبائل ، ووعظهم ، وقال : لا يصْلُحُ دينُكم إلا بالنهي عن المنكر ، فابحثوا عن كُلِّ مُفْسِدٍ ، فانهوه ، فإن لم ينتَهِ ، فاكتُبُوا إليَّ أسماءَهم ، ففعلوا ، ثم هدَّد ثانيًا ، فأخذ ما تكرَّر من الأسماء ، فأفردها ، ثم جمع القبائل ، وحضَّهم على ألا يغيبَ منهم أحد ، ودفع تلك الأسماء إلى البشير ، فتأمَّلها ، ثم عرَضَهم رجلًا رجلًا ، فمن وجد اسْمَه ردَّه إلى الشمال ، ومن لم يجده بعثه على اليمين ، ثم أمر بتكتيف أهلِ الشمال ، وقال لِقراباتهم : هؤلاء أشقياء مِن أهل النار ، فلتقتُلْ كُلُّ قبيلة أشقياءَها ، فقتلوهم ، فكانت واقعةً عجيبة ، وقال : بهذا الفعل صحَّ دينُكم ، وقوي أمرُكم)[3] .

❁ ❁ ❁

«وتضطرب الروايات حول تحديد تاريخ زحف الموحدين على مراكش ، وسبب ذلك يعود إلى أن المعركة الفاصلة بين الطرفين جاءت بعد سلسلة معارك دامية ؛ فالوصول إلى أسوار مراكش لم يتم بسهولة ، بل كُلِّفَ الموحدون اختراقَ كلِّ الخطوط الدفاعية التي أقامها المرابطون ، وحصَّنُوها بالقلاع . على أي حال صمَّم ابن تومرت على القضاء على المرابطين بإسقاط عاصمتهم مراكش ، فأخذ يستدعي القبائل إلى تينملل ليحشدهم ، ويوجههم إلى ذلك الهدف المنشود .

= عن الحق وتشنيعًا عليه بلباسٍ من اللفظ القبيح ، وانظر : «دفع الصائل على مشروعية الحجاب الكامل» للمؤلف ص(٢٧٤) .

(١) طارده مطاردة وطِرادًا : حمل عليه ، واشتد في طلبه ليدركه .

(٢) المثاقفة : المجالدة بالسلاح ، والملاعبة بالسيف إظهارًا للمهارة والحذق .

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٩/٥٤٨- ٥٥٠) .

وتوافدت القبائل على ابن تومرت ، وقد استعدت للقتال ، وتجمع منهم نحو أربعين ألفًا منهم الفرسان ، والغالب منهم رَجَّالة . وقدم عليهم الونشريسي ، ووجههم نحو مراكش ، فبدءوا بالزحف نحوها عام ٥٢١هـ/١١٢٧م ، وقبل وصولهم إلى أسوار مراكش خاضوا معارك عديدة مع المرابطين ، كانت جميعها لصالحهم[١] .

وضرب الموحدون الحصار حول مدينة مراكش مدة أربعين يومًا على أرجح الروايات ، وطوال فترة الحصار كانت تدور رحى معارك ضارية بين المرابطين المدافعين عن عاصمتهم ، والموحدين الذين كانوا يتمتعون بروح معنوية عالية ؛ لكثرة انتصاراتهم على المرابطين .

وقبل بدء القتال دارت أحاديث بين الطرفين ، الغرض الأساس منها تحطيم نفسية الخصم قبل مقارعته بالسِّنان ، فبادر الموحدون بإرسال رسالة إلى المرابطين يطلبون منهم الاعتراف بمهدية ابن تومرت ، والانصياع إليه ، فرد أمير المسلمين عليهم مُحَذِّرًا إياهم من عاقبة مفارقة الجماعة ، وهكذا لم يستجِبْ أي طرف للآخر .

وأخذ الونشريسي القائد العام للقوات الموحدية ، وعبدالمؤمن إمام الصلاة لهم بتنظيم القوات الموحدية لخوض المعركة الفاصلة ، وما هي إلا مدة وجيزة حتى اشتبك الطرفان في معركة مروعة استمرت من الصباح حتى الغروب ، قُتِلَ فيها في بداية النهار الونشريسي ، فخلفه عبدالمؤمن في قيادة الجيش ، ولما رأى المصامدة كثرة المرابطين وقوتهم أسندوا ظهورهم إلى بستان هناك ، والبستان عندهم يسمى البُحَيْرة ، وما أن جن الليل حتى قتل معظم المصامدة ، ففرَّ عبدالمؤمن بنفر يسير لا يتجاوز الأربع مئة ، ما بين فارس وراجل ، وبعد انتهاء المعركة بحثَ الموحدون عن جثة الونشريسي بين جثث القتلى ، فلم يعثروا

---

(١) انظر تفصيل ذلك في : «دولة الإسلام في الأندلس» (٤/١٧٨- ١٧٩) .

عليها؛ لأن عبدالمؤمن كان قد واراها فورًا، فأشاعوا فيما بينهم أنه رُفِعَ إلى السماء[١].

وتابع عبدالمؤمن مع من نجا من القتل سيره نحو تينملل، وعندما وصل إلى هيلانة[٢] استعاد أنفاسه، وحشد جنوده، وأعاد الكرة على مراكش، فهُزِمَ - أيضًا -، وقُتل من أتباعه نحو اثني عشر ألفًا، فعاد أدراجه مع خمسين رجلًا من أتباعه إلى تينملل، وكان البيذق قد سبق عبدالمؤمن إلى ابن تومرت، وأخبره بخبر الفاجعة التي حلت بهم في البحيرة، فسأله ابن تومرت عن عبدالمؤمن، فقال: «هو حي»، فرد مُعَزِّيًا: «الأمر باق»، وأوصاهم بعدم الجزع.

... ترددت أصداء هزيمة البحيرة بين قبائل الموحدين، فزلزلت ثقتهم بابن تومرت، فالمهدي مؤيد من السماء، فكيف يُهْزَم من كان حليفَه اللَّهُ...، وترتب على هذا التساؤل إعادة النظر في عقيدة المهدي، وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلها ابن تومرت لإقناعهم بأن قتلاهم في الجنة، فقد بقيت رواسب الشك في مهديته تُسَاوِرُ نفوسهم؛ عندها لجأ ابن تومرت إلى أسلوب المكر والخداع؛ حتى يعيد الثقة بدعوته، وقيادته، ومهديته، فاتفق مع مجموعة من أتباعه على أن يدفنهم أحياء، وجعل لكل واحد منهم متنفسًا في قبره، وأوصاهم بأن يقولوا إذا سئلوا: «قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا؛ من مضاعفات الثواب على جهاد لمتونة، وعلو الدرجات التي نلنا بالشهادة، فَجِدُّوا في قتال عدوكم، فإن ما دعاكم إليه الإمام المهدي صاحبكم حق»، ووعدهم إذا نفذوا ذلك بأن يخرجهم، ويجعل لهم منزلة رفيعة، ولما ذهب أكثر الليل اجتمع بأشياخ الموحدين، وأوضح لهم بأنهم حزب اللَّه، وأنصار دينه، وطالبهم بالجد في قتال أعدائهم، وطلب منهم - إن كانوا في شك مما يقول - أن يذهبوا سويًا إلى

---

(١) انظر: «دولة الإسلام» (٤/١٨٨، ١٨٩).

(٢) اسم قبيلة بربرية كانت تسكن بالقرب من مراكش.

قبور قتلاهم في معاركهم مع المرابطين ؛ ليحدثوهم بما لقوا من خير، ونعيم، وذهب معهم إلى مكان إحدى المعارك التي نشبت مع المرابطين، وسقط فيها عدد كبير من الموحدين، والتي يُوجَدُ فيها ذلك النفر الذين دفنهم أحياء، ولقنهم ما يقولون :

ولما وصل رفع صوته في المقبرة قائلًا : «يا معشر الشهداء خَبِّرونا ما لقيتم من اللَّه - عَزَّ وجلَّ -» ، فقالوا : «وجدنا ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على بال بشر»، إضافة إلى ما لقنهم إياه ابن تومرت، عندها ذُهِلَ الناس، وعادت ثقتهم بالمهدي، وبدلًا من أن يُخْرِجَ المدفونين قام بإغلاق المنافس التي كان قد تركها لهم ؛ فماتوا من فورهم ؛ لأنه خَشِيَ أن يخرجوا فيذيعوا سرَّه، فيفتضح أمره فتكون كارثة عليه[١] .

ورأى ابن تومرت في قرارة نفسه أن الهزائم التي مُنِيَتْ بها قواته ما هي إلا نذير شؤم للإطاحة بكل مخططاته التي سَخَّر حياته من أجلها ؛ ليقيم دولته المنشودة، فتفاعلت هذه الأحداث في نفسه لتورثه المرض الذي أودى بحياته بعد فترة وجيزة[٢] .

وتكاد تجمع معظم المصادر على أن وفاته كانت عام ٥٢٤هـ، ١١٣٠م، وتذكر المصادر الموحدية أنه لما شَعَرَ بدنو أجله استدعى أصحابه المسمين بالجماعة، وأهل الخمسين، فلما حضروا أخذ يعظهم، واعدًا إياهم بالنصر على المرابطين، ومحذرًا إياهم من الفرقة والتناحر، وأمَّر عليهم عبدالمؤمن، وطلب منهم السمع والطاعة له ما دام مطيعًا لربه .

وبهذه المواعظ وَدَّعَ ابن تومرت أصحابه، مُعْلِمًا إياهم بأنه راحل إلى ربه في هذه السنة، ولما اشتد عليه مرضه قَدَّم عبدالمؤمن بن علي للصلاة، وأمره

---

(١) وصدق من قال : «من أعان ظالمًا سُلِّط عليه» .

(٢) انظر : «نفس المصدر» (٤/١٩٠) .

بإخفاء وفاته حتى تجتمع كلمة الموحدين على أمير ، وأن يتكفل بغسله ، ودفنه بجامع تينملل .

وعندما توفي ابن تومرت كفنه عبدالمؤمن بن علي ، وصلى عليه ، ودفنه سرًّا بمسجده كما أوصاه ، وقد كتم أصحابه وفاته مدة ثلاثة أعوام[١] ، ولم يعلنوها إلا في عام ٥٢٧هـ/١١٣٢م بعد أن اتفقت كلمتهم على عبدالمؤمن بن علي) . اهـ[٢] .

وأفضى ابن تومرت إلى ربه ، وهو لا يدري مصير دعوته لما لحق أتباعه من هزيمة نكراء في موقعة «البحيرة» ، وإن كان نجح في ترسيخ دعوته في قلوب أتباعه حتى صدقوه ، وآمنوا بمهديته[٣] ، وعلى رأسهم عبدالمؤمن تلميذ ابن تومرت الوفي ، الذي حمل الراية بعده ، وبويع سرًّا سنة ٥٢٤هـ ، ثم علنًا سنة ٥٢٦هـ[٤] . وما أن استتب له الأمر حتى عاد يناوش المرابطين ، واستمر صراعه معهم عبر سلسلة طويلة من القتال المرير انتهت ببناء دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين ، التي اتسعت لتشمل المغرب الأقصى كله ، ثم المغربين الأدنى ، والأوسط ، حتى امتدت دولة الموحدين من طرابلس شرقًا إلى السوسِ الأقصى غربًا ، ثم دخل عبدالمؤمن الأندلس سنة ٥٤٦هـ ، ودان له كثير من بلاد الأندلس .

---

(١) وهذا على رواية ابن صاحب الصلاة وابن القطان كما في «دولة الإسلام» (٢١٩/٤) .

(٢) «دولة الموحدين» (ص٨٦- ٩١) بتصرف .

(٣) قال ابن خلكان - رحمه الله - : «ولم يفتح شيئًا من البلاد ، وإنما قرر القواعد ومهَّدها ، ورتب الأحوال ووطدها ، وكانت الفتوحات على يد عبد المؤمن» . اهـ . «وفيات الأعيان» (٥٥/٥) .

(٤) أي بعد وفاة ابن تومرت بنحو عامين ، وهذا على رواية صاحب «روض القرطاس» كما في «دولة الإسلام» (١٩٨/٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢١) .

ومن الطريف ما ذكره ابن صاحب الصلاة أن عبد المؤمن - جريًا على سنن سلفه في الدجل - دبَّر حيلة «الطائر والشبل» ، ليقنع الموحدين ببيعته ، فقد درَّبهما - أي الطائر والشبل - خُفيَة خلال فترة البيعة الخاصة - أي على مدى ثلاث سنوات - : الطائر - ولعله كان الببغاء - على أن يدعو له بالخلافة ، والشبلَ : على أن يجلس بين يديه وادعًا هادئًا ، ثم دعا بعد ذلك الأشياخ الموحدين إلى مجلسه ، واستشارهم في أمر من يتولى الخلافة ، وهنا دعا الطائر له بنطقة : «العز والتمكين للخليفة =

العَقِيـدةُ التُّـومَـرتِيَّــةُ

* إن العقيدة (التومرتية) كانت مزيجًا من أفكار منحرفة، وخليطًا من آراء الفرق الضالة؛ كالرافضة، والمعتزلة، والأشاعرة، والخوارج:

ابنُ تُومَرت رَائِدُ الأشعَرِيَّةِ[1] في المَغرِبِ الإسلامِيِّ:

(نهج ابن تومرت نهج الأشاعرة في تأويل بعض صفات اللَّه- سبحانه وتعالى- ؛ حيث يذكر **ابن خلدون** أن ابن تومرت هو الذي حمل أهل المغرب على القول بالتأويل، والأخذ بالمذهب الأشعري في كافة العقائد، كما ذكر المراكشي أن ابن تومرت ضمَّن تصانيفه مذهب الأشاعرة في كثير من المسائل؛ حيث كان «... جُلُّ ما يدعو إليه علم الاعتقاد على طريقة الأشعرية...»، **أما المقريزي** فيرى أن ابن تومرت تعلَّم المذهب الأشعري أثناء وجوده في بلاد

= عبد المؤمن أمير المؤمنين»، ومَثَلَ الشبل بين يديه، رابضًا مطيعًا لإشارته، فتأثر الحاضرون بذلك، وبايعوه، كما في «دولة الإسلام» (٢١٩/٤، ٢٢٠).

(١) اعلم- رحمك اللَّه- أنه ليس المقصود بذلك أن العقيدة الأشعرية لم تكن تعرف في المغرب الإسلامي قبل ابن تومرت، فقد دخلته قبله في وقت مبكر، فمن علماء الأشاعرة المغاربة قبل ابن تومرت: الفقيه أبو عمران الفاسي الذي رحل إلى بغداد عام (٣٩٩هـ)، وتلقى أصول المذهب الأشعري على القاضي أبي بكر الباقلاني، ومنهم: أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ)، وأبي بكر محمد بن الحسن المرادي (ت٤٨٩هـ)، ويقال إنه أول من أدخل العقيدة الأشعرية إلى المغرب الأقصى، ومنهم: القاضي أبو بكر بن العربي المعافري (ت٥٤٣هـ) الذي رحل إلى بغداد، وأخذ العقيدة الأشعرية عن أبي حامد الغزالي، وعاد إلى المغرب سنة (٤٩٤هـ).
إذن لا شك أن أهل المغرب الإسلامي عرفوا العقيدة الأشعرية قبل ظهور ابن تومرت، لكن هذه المعرفة بقيت محصورة في «أفراد» من العلماء، ولم ينتدبوا أنفسهم إلى الدعوة إليها، ولم يكن لها وجود في مناهج التعليم، في حين تغير الحال جذريًّا بعد عودة ابن تومرت من رحلته المشرقية، حيث حمل لواء الدعوة إلى الأشعرية، وشنع على مذهب السلف، وأعلن الحرب على أهله، وتمكن من فرض العقيدة الأشعرية في بلاد المغرب بمكر الثعلب، وغدر الجمل، وقوة السيف، انظر: «السلفية وأعلامها في موريتانيا» (ص٢٢٠- ٢٢٤).

العراق ، فلما عاد إلى بلاد المغرب ، وأخذ بتعليم أصحابه ، علَّمهم المذهب الأشعري ، فكان ذلك سببًا في انتشار هذا المذهب في بلاد المغرب .

إن ابن تومرت من كبار الدعاة إلى المذهب الأشعري ، بل أخذ منهم أكثر المسائل إلا أنه في إثبات الصفات ، قد وافق المعتزلة في نفيها ، وفي مسائل قليلة غيرها)(١) .

لقد أصبح ابن تومرت فيما بعد من أعلام الأشاعرة لسببين :

(**الأول** : أنه هو الذي فتح الباب في بلاد المغرب لدخول التأويل الكلامي ، ولم يقتصر الأمر على هذا ، بل تبنى - بصفته إمامًا مطاعًا - هذا الجانب ، فكان لسلطته الدور الأكبر في انحسار مذهب أهل السنة ، وفُشُوِّ مذاهب المتكلمين .

الثاني : تأليفه «المرشدة»(٢) ، وهي مستقاة من مذهب الأشاعرة ، ولم يقتصر الأمر على هذا بل كان يفرض هذه العقيدة على الناس ؛ بحيث تدرس للعوام ؛ وقسمها إلى سبعة أحزاب عدد أيام الأسبوع ، وقال لهم : «إن من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بموحِّد ، وإنما هو كافر لا تجوز إمامته ، ولا تؤكل ذبيحته» ، وأخذهم بقراءة حزب واحد منه كل يوم إثر صلاة الصبح ، «فصار هذا التوحيد عند قبائل المصامدة كالقرآن العزيز ، لأنه وجدهم قومًا جهلة لا يعرفون شيئًا من أمر الدين ، ولا من أمر الدنيا»(٣) .

لقد كان أهل المغرب في عافية من بلاء أهل الكلام ، متبعين الكتابَ والسنةَ على مذهب مالك ، وأهل المدينة ، مشتغلين بالقرآن الكريم ، وأحاديث «الصحيحين» ، و«الموطإ» ، وغيرها ، وكانوا في باب الصفات على مذهب السلف الصالح ، متبعين إمامَهُمْ مالك بن أنس - رحمه اللَّه - ، وأصحابه ، الذين

---

(١) «دولة الموحدين» ص(٤٩) .

(٢) وقد انتقد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه «المرشدة» ، في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٧٦- ٤٩١) وقال : «وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب كبير» (١١/٤٨٧) ، وراجع ص(٢٢٧) .

(٣) «الأثر السياسي للعلماء في دولة المرابطين» (ص٢٢٠) ، نقلًا عن «روض القرطاس» (ص١٧٧) .

لم يُعْرَفْ عن أحد منهم القول بالتشبيه، والتجسيم[(١)] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور : ٢٦] .

يقول المؤرخ المغربي السلاوي :

«... وأما حالهم - يعني أهل المغرب - في الأصول، والاعتقادات ؛ فبعد أن طهرهم اللَّه من نزعة الخارجية أولًا، والرافضية ثانيًا، أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة مقلدين للجمهور من السلف - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - في الإيمان بالمتشابه[(٢)]، وعدم التعرض له بالتأويل، مع التنزيه عن الظاهر[(٣)] ....، واستمر الحال على ذلك مدة، إلى أن ظهر محمد بن تومرت مهدي الموحدين في صدر المئة السادسة»[(٤)] .

لقد سمى ابن تومرت أتباعه بالموحدين تلاعبًا بالأسماء، وتحريفًا لمعانيها، وتعريضًا بالمرابطين الذين اتهمهم كذبًا وزورًا بالتجسيم ؛ ومن ثَمَّ كفَّرهم، واستحلَّ قتالهم، وسفَكَ دماء الآلاف المؤلفة منهم، واستحل أموالهم، وسبى نساءهم[(٥)] .

قال الذهبي - رحمه اللَّه - :

(قال اليسع بنُ حزم : سَمَّى ابنُ تُومرت المرابطين بالمجسِّمين، وما كان أهلُ المغرب يدينون إلا بتنزيه اللَّه - تَعَالَى - عما لا يجب وصفُه بما يجب له، مع تركِ خوضهم عمَّا تقصر العقولُ عن فهمه .

---

(١) انظر : «دولة الموحدين» ص(٥٢) .

(٢) انظر : «الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل» د. محمد السيد الجليند (٢٥ - ٧١)، (١٤٩ - ١٨٥) .

(٣) ليس الظاهر المتبادر من إثبات الصفة للَّه عز وجل هو مشابهة الخلق، وإنما ظاهرها التنزيه الكامل عن مشابهة الخلق، وإثباتها على ما يليق باللَّه عز وجل .

(٤) «دولة الموحدين» ص(٦٤) .

(٥) «نفسه» ص(٥٢)، (١٠٧، ١٠٨) .

إلى أن قال : فكفَّرهم ابنُ تُومرت لجهلهم العَرَضَ[١] والجوهرَ[٢] ، وأن من لم يَعْرِفْ ذلك ؛ لم يعرفِ المخلوقَ من الخالق ، وبأن من لم يُهاجِرْ إليه ، ويُقاتل معه ، فإنه حلالُ الدم ، والحريم ، وذكر أن غضبَه للَّه ، وقيامَه حِسبةٌ)[٣]

❁ ❁ ❁

تَأَثُّرُ ابنِ تُومَرتَ بالمُعتَزِلَةِ

إلى جانب تأثره بالمذهب الأشعري : تأثر ابن تومرت بمذهب المعتزلة ؛ حيث وافقهم في نفي الصفات عن اللَّه- سبحانه- وسمَّى ذلك توحيدًا ؛ إذ قال حينما تحدث عن صفات اللَّه : «واشْتَغِلُوا بتعليم التوحيد ؛ فإنه أساس دينكم ، حتى تنفوا عن الخالق التشبيه ، والشريك ، والنقائص ، والآفاق ، والحدود ، والجهات ، ولا تجعلوه - سبحانه - في مكان ، ولا في جهة ؛ فإنه- تَعَالَى- موجود قبل الأمكنة والجهات ؛ فمن جعله في جهة ومكان فقد جسَّمه ، ومن جسمه فقد جعله مخلوقًا ، ومن جعله مخلوقًا فهو كعابد وثن»[٤] ، لقد تبنى ابن تومرت مذهب المعتزِلَةِ في الأسماء والصفات ؛ حيث نفى كل ما عساه أن

---

(١) العَرَضُ- في الفلسفة- ما قام بغيره ، كالبياض والطول والقِصَر ، وضده : «الجوهر» : ما قام بنفسه .

(٢) وذلك لأنه لما ناظر العلماء تجنب مناظرتهم في صميم علوم السلف كالقرآن والحديث والفقه ، وغلبهم بالعلوم التي كان المرابطون ينفرون منها كالفلسفة والمنطق والكلام ، ولعل أحسنَ تلخيص لموقف العلماء من الفلسفة في عهد المرابطين ما نجده في «وصية القاضي أبي الوليد الباجي لولديه» محذرًا من «قراءة شيء من المنطق وكلام الفلسفة ، فإن ذلك مبني على الكفر والإلحاد ، والبعد عن الشريعة» ، كما نقله في «الأثر السياسي» ص(١٢١) ، وقال المقري وهو يتكلم عما كان يشتغل به طلبة العلم في عهد المرابطين : «وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم» . اهـ . من «نفح الطِّيب» (١/٢٢١) .

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٥٥٠ ، ٥٥١) ، وانظر : «السلفية وأعلامها في موريتانيا» ص(٢٠٤- ٢٠٧) .

(٤) انظر لزامًا «مختصر العلو» للحافظ الذهبي ، باختصار الألباني ص (٦٩- ٧٨) .

يوهم- في زعمه- الشبه والمثلية للَّه- سبحانه- ولو كان ذلك من الأسماء والصفات الثابتة للَّه في الكتاب والسنة ؛ ولهذا سمى أصحابه بالموحدين ؛ لأنهم- في رأيه- هم الذين يوحدون اللَّه ؛ لنفيهم الصفات عن اللَّه- سبحانه وتعالى- كما كان يسمى أتباعه بالمؤمنين ، ويقول لهم : «ما على وجه الأرض من يؤمن إيمانكم»(١) .

لقد استعمل الموحدون القوة في فرض عقائدهم المختلطة على الشمال الأفريقي ، واقتدوا بالمعتزلة في زمن المأمون العباسي ، حين فرضوا على الناس عقائدهم بالحديد والنار تحت شعار : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر(٢) .

❁ ❁ ❁

---

(١) «دولة الموحدين» ص(٤٨، ٤٩)، وانظر : «دولة الإسلام» (٤/٢١٣، ٢١٤) .
(٢) «نفسه» ص(٥١) .

ذِكرُ مَا وَافَقَ فِيهِ الرَّافِضَةَ

ومما وافق فيه الرافضة **جعلُه الإمامةَ شعارًا لدعوته**، فقد قال في كتابه «أعز ما يُطْلَب»: «ولا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب اعتقاد الإمامة في كل زمان من الأزمان إلى أن تقوم الساعة، ما من زمان إلا وفيه إمام للَّه قائم بالحق في أرضِه من عادٍ إلى نوح، ومن بعده إلى إبراهيم، ولا يكون الإمام إلا معصومًا من الباطل ليهدم الباطل، لأن الباطل لا يهدم الباطل».

إلى أن يقول: «**والإمامة هي عمدة الدين وعموده على الإطلاق في سائر الأزمان**» ثم يقول بعد كلام: إنه «لا يكذِّب بهذا، إلا كافر أو جاحد أو منافق أو زائغ أو مبتدع أو مارق أو فاجر أو فاسق، أو رَذْلٌ أو نَذْلٌ، لا يؤمن باللَّه واليوم الآخر»[(١)].

ووافق الرافضة أيضًا في ادعائهم العصمة لأئمتهم[(٢)]؛ وذلك أنه ادعى العصمة لنفسه، وصار أتباعه يطلقون عليه لقب «المعصوم»، دون ذكر اسمه؛ لاشتهاره به.

وقد حاول ابن تومرت أن يتدرج في إظهار هذا الأمر في بادئ أمره، فبدأ أولًا بالتلميح لهم، ثم صرَّح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم، وروى في ذلك أحاديث كثيرة، ولم يتورع عن الكذب في دعواه أنها تتمثل فيه، لقد سلك مع أتباعه مسلك التدرج، فأقنعهم بنسبه العربي الهاشمي، ثم بالمهدية، ثم بالعصمة.

والعصمة عند أهل السنة والجماعة لم تثبت إلا للأنبياء، والرسل- عليهم الصلاة والسلام- فيما يُبَلِّغُونَ عن اللَّه من شرع، ولم يقولوا بها لسواهم، حتى

---

(١) «دولة الإسلام في الأندلس» (٤/ ٢٠٦، ٢٠٧).

(٢) قال ابن خلدون: «وكان من رأيه القول بعصمة الإمام عليٍّ على رأي الإمامية من الشيعة»، انظر «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٥٤٨) هامش رقم (١).

لكبار الصحابة، الذين خصهم اللَّه بالفضل ؛ كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وغيرهم - رضي اللَّه عنهم - .

إن ابن تومرت بهذا النهج يكون قد وافق الرافضة الاثني عشرية الذين قالوا بالعصمة لأئمتهم ؛ حيث يقولون بوجوب عصمتهم من الكبائر، والصغائر، والنسيان ؛ كما قالوا : إن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمدًا وسهوًا، كما يجب أن يكون معصومًا من السهو، والخطإ، والنسيان، وهكذا نرى كيف غالى ابن تومرت في القول بالعصمة لنفسه، وهذا بلا شك انحراف عقدي خطير ؛ **لأن من جعل بعد الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - معصومًا يجب الإيمان بكل ما يقوله ؛ فقد أعطاه معنى النبوة، وإن لم يعطه لفظها**، بل لم يكتفِ بهذا الأمر ؛ حيث كان يأمر بقتل كل من يشك في عصمته .

ولكي يُؤَصِّلَ هذا الادعاء الكاذب عند أتباعه ألف لهم كتاب «أعز ما يطلب»[(١)]، وأمرهم بقراءته، بل حفظِهِ، وهذا بلا شكٍّ مما أصَّل فكر ابن تومرت، ومحبته في نفوس أصحابه .

إن عقيدة العصمة والمهدية التي غَرَسَهَا ابن تومرت في أصحابه سهلت له القضاء على خصومه، ودفع قبائل المصامدة ومن حالفها إلى مقاتلة المرابطين)[(٢)] .

ومما اقتبسه ابن تومرت من الشيعة الاعتقاد في « الجفر »، بل حُكي أنه ادَّعى أنه اطلع على كتاب «الجفر»، ومنه تعَرَّفَ - في زعمه - على صفات عبدالمؤمن بن علي حين لقيه في ملَّالة[(٣)] .

فمن ثم قال فيه عبدالواحد المراكشي : «وكان يبطن شيئًا من التشيع»[(٤)] .

---

(١) ويمكن اعتبار كتابه «أعز ما يُطلب» وصية ابن تومرت العقيدية والسياسية، فلقد شكل ما فيه من تعاليم ومبادئ - خاصة بالإمامة والزعامة السياسية والدينية - أساس الدولة الموحدية الروحي والسياسي .

(٢) «دولة الموحدين» ص(٤٦ - ٤٨) بتصرف .

(٣) راجع : ص(٢٢٩،)، (٢٣٣)

(٤) «المعجب» ص(٢٧٥) .

ذِكــرُ مَا وَافَقَ فِيهِ الخَــوَارِجَ

أَوَّلًا: التَّهَوُّرُ فِي تَكفِيرِ المُسلِمِيـنَ:

(لقد اشتط ابن تومرت، وانحرف عن المنهج الصحيح من أجل تحقيق أهدافه؛ ولذلك نجده كفَّر من لم يُؤْمِنْ بما يقول، ويَعْتَنِقْ ما يدعو إليه، واستباح دمه، ولو كان من أتباعه، كما قال بكفر دولة المرابطين، ووُجُوب جهادها، ولتأصيل هذا المبدإ في نفوس أصحابه؛ صرَّح به في أكثر من مناسبة، كما ضمَّنَهُ كتبه التي ألَّفها لهم، ورسائله التي كان يبعثها إلى الموحدين حيثما كانوا؛ حيث جاء في إحدى رسائله أن المرابطين قد عملوا «... على إهلاك الحرث والنسل، والاعتداء على الناس في أخذ أموالهم، وخراب ديارهم، وفساد بلادهم، وسفك دمائهم، واستباحوا أكل أموال الناس بالباطل، وأخذ أموال اليتامى، والأرامل...»[1].

---

(١) وقد تكون هذه الاتهامات الصادرة من خصم ظلوم من الكذب الذي لم يكن يتورع عنه ابن تومرت من أجل تثبيت دعوته، ومع أننا لا ننزه الدولة المرابطية - عن الخطإ واضطراب الأحوال، وطروء صور من الانحراف عن الشرع في عهدها الأخير - إلا أن علاج هذا كان النصح المخلص والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا أن يفعل ما فعل، وعلى كلٍّ تبقى هذه الدولة المجيدة صفحة مشرقة في التاريخ الإسلامي عامة، وتاريخ المغرب الإسلامي خاصة، فقد عاشت عمرها كله في الجهاد في سبيل اللَّه لم تضع السيف قط، وكان للمرابطين سمعة طيبة في التعفف عن أموال الرعية، وإقامة العدل، وإغاثة الملهوف، وقمع الظلم، وإشاعة الإصلاح، والتمسك بالخلافة العباسية، ووحدة الجماعة المسلمة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ابتغاء رضى اللَّه سبحانه، فمِن ثَمَّ رغب فيهم الناس وأحبوهم، واستغاثهم أمراء الأندلس لإنقاذهم من النصارى، وعبر يوسف بن تاشفين بالمرابطين، وهزم النصارى شر هزيمة في معركة «الزلَّاقة» التي أصبحت عند المغاربة والأندلسيين مثل يومي «القادسية»، و«اليرموك»، ولم يأخذ شيئًا من الأسلاب والغنائم، بل آثر بها ملوك الأندلس، وعاد إلى المغرب، قال القاضي ابن العربي: «**ولو لم يكن للمرابطين فضيلة، ولا تقدم، ولا وسيلة إلا وقعة الزلاقة؛ لكان ذلك من أعظم فخرهم**» كما في «الحلل الموشية» ص(١٤٠)، وانظر: «السلفية وأعلامها في موريتانيا» ص(١٧٢، ١٧٣)، و«فقه التمكين عند دولة المرابطين».

وقال ابن تومرت في رسالته إلى علي بن يوسف بن تاشفين، رحمه اللَّه، والتي اعْتُبِرَتْ «إعلان حرب»:

«مِنَ القائم بدين اللَّه، العامل بسنة رسول اللَّه، محمد بن عبداللَّه- وفقه اللَّه- إلى المغرور بدنياه علي بن يوسف، أما بعد، فإنا ما وجدنا لأكثركم من عهد، وإن وجدنا أكثركم لفاسقين، لم تخشوا عقوبة رب العالمين، ولم تتفكروا فيمن حولكم من الظالمين، الذين غووا فأصبحوا نادمين، فتبعهم الناس أجمعين، فإذا هم أخسر الخاسرين، وقد أمرني اللَّه بإدحاض حجة الظالمين، ودعاء الناس إلى اليقين، ونسأل من اللَّه أجر المحسنين.

لا تغتروا؛ فإن المسلمين إليكم قادمون؛ لقتال من زاغ وجنف، وكفر بنعمة اللَّه، وقد جاء في التنزيل أنكم لستم بمؤمنين، ولا تؤمنون بـ: «لا إله إلا اللَّه»، وإنها كلمة تقولونها عند الخوف والتعجب، وتارك واحدة من السنة كتاركها كلها؛ ومن أجل ذلك دماؤكم حلالٌ، ومالكم فَيْءٌ، وقد بينا لكم، وأوضحنا السبيل، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والسلام على من اتبع الهدى، وخشي الرحمن»[(١)].

ويذكر المراكشي أنه لما تَوَجَّهَ جيش الموحدين إلى قتال المرابطين سنة ٥١٧هـ؛ أوصى أفراد ذلك الجيش بقوله: «اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين، الذين تسموا بالمرابطين، فادعوهم إلى إماتة المنكر، وإحياء المعروف، وإزالة البدع والإضرار بالإمام المهدي المعصوم، فإن أجابوكم فهم إخوانكم، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم؛ فقد أباحت لكم السنةُ قتالهم ...».

وبالإضافة إلى هذه التهم الواضحة الصريحة التي قال بها ابن تومرت ضد دولة المرابطين، فإن القارئ لكتاب «أعز ما يطلب» يدرك أن ابن تومرت قد شحنه بالافتراءات، والدعاوَى الباطلة ضدهم، بل إنه قد أفرد

---

(١) «دولة الموحدين» ص(٨٣) نقلًا عن: «أخبار المهدي ابن تومرت» للبيذق ص(١١).

فصولًا خاصة منه لهذا الغرض(١).

وقد تنبه المرابطون لهذه التهم الموجهة ضدهم، فأخذوا بالتصدي لها؛ حيث بينوا للناس كذب تلك التهم التي ألصقها بهم ابن تومرت، وأنها مخالفة للحقيقة، ولكن هذا العمل لم يثن ابن تومرت عن حربه الدعائية، بل إنه كثَّف جهوده في هذا الميدان.

ومما جاء في إحدى رسائله التي وجهها لأتباعه تحقيقًا لهذا الغرض: «واعلموا - وفقكم اللَّه- أن المجسِّمين، والمكابرين، وكل من نُسِبَ إلى العلم؛ أشد في الصد عن سبيل اللَّه من إبليس اللعين؛ فلا تلتفتوا إلى ما يقولونه؛ فإنه كذب، وبهتان، وافتراء على اللَّه، ورسوله». بل أقنعهم بأن جهاد المرابطين فرضٌ عليهم، كما فُرِضَ على الصحابة جهاد الكفرة «فالدين الذي جاهدوا عليه هو الدين لا يحول، ولا يزول، حتى ينفخ في الصور، والسنة التي قاتلوا عليها هي هذه لا تتبدل، ولا تتغير، حتى يرث اللَّه الأرض ومن عليها... فجهاد الكفرة الملثمين قد تعيَّن على كل من يؤمن باللَّه، واليوم الآخر، لا عذر لأحد في تركه، ولا حجةَ له عند اللَّه؛ فإنهم سَعَوْا في هدم الدين، وإماتة السنة».

كان هذا هو توجيه ابن تومرت لأتباعه في حملته الإعلامية الكاذبة ضد دولة المرابطين السُّنية، التي أقامت كيانها على مذهب أهل السنة والجماعة، والدعوة إلى اللَّه، والجهاد في سبيله على هَدْى من سنة رسول اللَّه - صلى اللَّه

---

(١) فقد ادعى أنهم المقصودون ببعض أحاديث أشراط الساعة، وأنهم «حفاة، عراة، عالة، رعاء الشاء، جاهلون بأمر اللَّه، وأنهم في آخر الزمان، ويتطاولون في البنيان، وأنهم صم بكم، وأن في أيديهم سياطًا كأذناب البقر يعذبون بها الناس، وأنهم يغدون في سخط، ويروحون في لعنة . .» إلى أن قال: «وجملة علاماتهم عشرون أخبر الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - بجميعها قبل وجودهم، فظهرت كلها على وفق ما أخبر به». وهكذا حاول أن يوظف بعض نصوص أشراط الساعة لخدمة مآربه، والتشنيع على المرابطين، انظر: «دولة الإسلام في الأندلس» (٤/ ٢١٠، ٢١١).

عليه وسلم - ؛ فقد طعن في عقيدتهم ، ووصفهم بأنهم مجسِّمون ، وكفار ، لا تجوز طاعتهم ، ولا الولاء لهم ، بل يجب جهادهم ؛ ولهذا قاتل الموحدون المرابطين قتالَ المسلمين للكفار[1] حسب اعتقادهم ، وما ذلك إلا بسبب أن ابن تومرت قد نَحَا في حربه للمرابطين منحًى فكريًّا عقديًّا ، غالى فيه حتى أصبح العَداء للمرابطين اتجاهًا فكريًّا واضحًا عند ابن تومرت ، وأتباعه المخلصين لدعوته ، ومما لا شك فيه أن هذا الاتجاه الذي حدده ابن تومرت من دولة المرابطين ، قد أثر على معنوياتها ، ثم على كيانها السياسي ؛ وذلك لأن كثيرًا من الناس قد تبنوه ، ومن ثم انبروا للعمل على حرب هذه الدولة ، والسعي إلى إسقاطها ؛ لتقوم دولة ابن تومرت على أنقاضها[2]) .

ثانيًا: التَّهَوُّرُ في سَفكِ دِمَاءِ المُسلِمِينَ، بِمَا في ذَلِكَ دِمَاءُ أتبَاعِهِ:

قال الإمام المحقق ابن قيِّم الجوزية - رحمه اللَّه - تَعَالَى - :

(أما مهدي المغاربة محمد بن تومرت ، فإنه رجل كذَّاب ظالمٌ متغلب بالباطل ، ملك بالظلم ، والتغلب ، والتحيل ؛ فقتل النفوس ، وأباح حريم المسلمين ، وسبي ذراريهم ، وأخذ أموالهم ، **وكان شرًّا على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير .**

وكان يودع بطن الأرض في القبور جماعة من أصحابه أحياءً يأمرهم أن يقولوا للناس : إنه المهدي الذي بشر به النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - ، ثم يردم عليهم ليلًا ؛ لئلا يُكذِّبُوهُ بعد ذلك ، وسمَّى أصحابَه الجهمية «الموحِّدين» نفاة

(١) ولهذا استحلوا أموالهم ، وخربوا ديارهم ، وسبوا نساءهم ، وسفكوا دماء رجالهم ، وباعوا أولادهم ، وأجهزوا على جريحهم ، وتعقبوا من فرَّ منهم ، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ، انظر : «دولة الإسلام في الأندلس» (١٩٢/٤) ، وكان ابن تومرت يرى أن قتال المرابطين واجب على المسلمين جميعًا ، وأن قتالهم أكبر وأوجب من قتال النصارى ، انظر : «الأثر السياسي للعلماء» ص(٢١٧) .

(٢) «دولة الموحدين» (٦٤- ٦٦) .

صفاتِ الرب، وكلامِهِ، وعلوِّهِ على خلقه، واستوائِهِ على عرشِهِ، ورؤية المؤمنين له بالأبصار يوم القيامة، واستباح قتل من خالفهم من أهل العلم، والإيمان، وتسمى بالمهديِّ المعصوم). اهـ[1].

وقال الإمام الحافظ ابن كثير - رحمه اللَّه - تَعَالَى - :

(وقد رأيت لبعضهم في سيرة ابن تومرت هذا مجلدًا في أحكامه، وإمامته، وما كان في أيامه، وكيف تملَّك بلاد المغرب، وما كان يتعاطاه من الأشياء التي توهم أنها أحوال بررة، وهي مُحالات لا تصدر إلا عن فجرة، وما قَتَلَ من الناس، وأزْهَقَ من الأنفس)[2]. اهـ.

«لقد تساهل ابن تومرت في إراقة الدماء دونما مسوِّغ شرعي؛ حيث كان لا يتردد في ذلك، حينما يرى أنه يخدم دعوته، أو يحقق شيئًا من مطامحه، مهما كانت التضحيات المقدمة لهذا الغرض، وقد تأصل هذا المسلك عند ابن تومرت حيث ألبسه لباسًا دينيًا، حتى أصبح اتجاهًا دعويًا واضحًا في دعوته، ومن نماذج شططه في هذا الميدان ما ذكره ابن القطان - أحد تلاميذ ابن تومرت - أنه كان يَعِظُ تلاميذه وأنصاره في كل وقت «... ومن لم يحضر أُدِّبَ، فإن تمادى قُتِلَ، وكل من لم يحفظ حزبه عُزِّرَ بالسياط، وكل من لم يتَأَدَّبْ بما أدب به ضُرِبَ بالسوط المرة والمرتين، فإن ظهر منه عناد، وترَكَ امتثال الأوامر قُتِلَ، ومن داهن قُتِلَ».

كما ذكر كل من البيذق، وابن القطان، وغيرهما من المؤرخين، أن ابن تومرت كان يقوم بما يسمى بعملية **التمييز** لأتباعه؛ حيث يَقْتُلُ كلَّ من يشك في ولائه لدعوته، وقد ذكر لنا البيذق وصفًا لعملية التمييز التي قام بها ابن تومرت قبل موقعه البحيرة سنة ٥٢٤هـ، حيث قال: «فأمر بالميز، فكان البشير يخرج

---

(١) «المنار المنيف» ص(١٥٣).

(٢) «البداية والنهاية» (١٢/١٨٦، ١٨٧).

بالمخالفين المنافقين ، والخبثاء من الموحدين ، حتى امتاز الخبيث من الطيب ، ورأى الناس الحق عِيانًا ، وازداد الذين آمنوا إيمانًا ، وذاق الظالمون النار ، فظنوا أنهم مواقعوها ، وما لهم عنها من محيص ... فمات يومئذ من الناس خمس قبائل ...»[١] .

ثالِثًا: الخُرُوجُ عَلَى الإمَامِ الشَّرعِيِّ بالسَّيفِ:

وهذا انحراف عما استقر عليه مذهب أهل السنة والجماعة ، وعدول عن هديهم في الصبر على الأئمة ، ولو كانوا جائرين ، فكيف بالعادلين المجاهدين «المرابطين »؟

لقد كان أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشُفين (٥٣٧هـ) ، ثاني أمراء المرابطين الذي ظهر ابن تومرت في عهده ؛ كان يُعَدُّ من الشخصيات النادرة في التاريخ ، فقد كان من أصلح الحكام وأشدهم تمسكًا بالدين ، عُرف بالقوة ، والعدل ، وامتاز بالعلم ، والورع ، والاستقامة ، وحسن الخلق ، والحزم ، والنباهة ، وكان مثل أبيه معظِّمًا للعلماء ، لا يقطع أمرًا دون مشورتهم ، والأخذ بفتياهم[٢] ، أما محمد ابن تومرت فقد (كان في الحقيقة داعية سياسيًّا مصموديًّا ، يسعى إلى توحيد قبائل مصمودة ، وحفزها على التخلص من سلطان صنهاجة ، والتغلب عليها ، وإقامة دولة مصمودية مكانها)[٣] .

❁ ❁ ❁

(١) «دولة الموحدين» ص(٦٦، ٦٧) .

(٢) انظر : «السلفية وأعلامها في موريتانيا» ص(٢١٢) ، و«دولة الإسلام في الأندلس» (٤/ ٥١- ٥٤، ٥٨، ٢٤١، ٢٤٤) .

(٣) «أطلس تاريخ الإسلام» ص(١٨١) .

عَوَامِلُ التَّمْكِينِ لِدَعْوَةِ ابْنِ تُومَرْتَ

الأَوَّلُ : شَخْصِيَّتُهُ :

لقد اجتمع في شخصية ابن تومرت مقوماتٌ فائقةٌ ، أهَّلته للقيادة ، فقد كان رجل دين ، ورجل علم ، ورجل سياسة ؛ جمع بين العبادة ، والزهادة ، والتقشف[1] ، وبين الذكاء ، وقوة النفس ، والتبحر في العلم ، وتشجيع النشاط العلمي في أتباعه ، وبين السياسة ، حيث كان المخطط الأول ، بل الوحيد ، لقيام دولة الموحدين ، ورسم خطوطها العريضة .

لقد نشأ محبًّا للعلم ، ورحل في طلب الاستزادة إلى المشرق الإسلامي سنة ٥٠٠هـ ، فحج ، وشرع في طلب العلم ، ودامت رحلته خمسة عشر عامًا ، كان لها أثر كبير في تشكيل شخصيته ، والتأثير في آرائه .

وفي ترجمته : أنه غادر وطنه بالسوس في طلب العلم ، وعبر البحر إلى الأندلس ، ودرس في قرطبة حينًا ، ثم جاز من ثغر «ألمرية» إلى المشرق ، ومر في طريقه على «المهدية» ، وأخذ بها على الإمام المازَري ، ثم قصد إلى الإسكندرية ، ودرس بها على الإمام أبي بكر الطُّرْطُوشِيِّ ، وأدى بعد ذلك فريضة الحج ، ثم سافر إلى العراق ، وأمضى بها أكثر من عشر سنوات ، وفي بغداد درس الفقه والأصول علي أبي بكر الشاشي الملقب بفخر الإسلام ، وإلكيا

---

(١) ولم يلبس ابن تومرت قط سوى ثياب الصوف من قميص وسراويل وجبة ، وقد يرتدي الثياب المرقعة ، ولا يقبل على شيء من متاع الدنيا ، حتى قيل إنه كان يقتات من غزل أخت له في كل يوم رغيفًا بقليل من سمن أو زيت ، ولم يتحول عن ذلك حينما سما شأنه ، وأقبلت عليه الدنيا ، وكان ظهور مثل هذه الشخصية المبهرة في ذلك المجتمع البربري الساذَج ، الذي اختاره مسرحًا لدعوته ، والذي كان يخيم عليه الجهل المطبق ، وتعصف به الخرافات والأساطير ، مما يضفي عليه هالة الزعامة الخارقة ، فمن ثم ألفى الطريق ممهدًا ليعلن دعوته ، ويتشح بثوب المهدي المنتظر ، وينتحل صفة الإمام المعصوم ، انظر : «دولة الإسلام في الأندلس» (٤/ ١٩١ ، ١٩٢) .

الهراسي الطبري، ودرس الحديث على المبارك ابن عبدالجبار وغيره(١)، وبالتأمل في تاريخ وفاة المبارك بن عبدالجبار وهو سنة ٥٠٠هـ، كما في «شذرات الذهب» (٤١٢/٣)، نشك في لقيا ابن تومرت إياه، لأن الأخير لم يغادر المغرب إلا سنة ٥٠١هـ، ومن هنا اتهم بعض الباحثين أتباع ابن تومرت أنهم جمعوا لائحة من الأسماء البارزة، وجعلوا منها أشياخًا له لصبغه بصبغة علمية أكبر(٢).

ويشبه ذلك ما قيل من أنه لقي أبا حامد الغزالي، ودرس عليه في بغداد، ورُدَّ هذا القول باستحالة ذلك ماديًّا. قال ابن الأثير: «والصحيح أن ابن تومرت لم يجتمع به»، وشكك فيها ابن خلدون وابن الخطيب(٣).

وفي بغداد تبحر في علم الكلام، وعقائد المعتزلة، والأشاعرة، وذكر المراكشي في وصفه لابن تومرت أنه «كان أوحد عصره في علم خط الرمل»(٤)، وهي صناعة يزعم أصحابها أنهم يستبطنون فيها أخبار الغيب، ومستقبل الأحداث(٥).

ومكنته رحلاته المشرقية من تحصيل علوم النقل والعقل، ومكنته رحلاته المغربية مع المشرقية من الوقوف على أحوال العالم الإسلامي، واتساع خبرته بطبائع الجماعات المختلفة، واستيعاب أسباب تدهور الإمارات المغربية، الأمر الذي غرس في نفسه الطموح لنشر دعوته، وبناء دولته.

وتميز ابن تومرت بالقدرة التنظيمية، والمهارة التخطيطية، إلى جانب تميزه بالدهاء، وحسن استغلاله الفرص، وخبرته العسكرية، كما كان له منهجية

---

(١) «دولة الإسلام في الأندلس» (٤/ ١٦٠، ١٦١).

(٢) انظر «الأثر السياسي للعلماء في دولة المرابطين» هـ ص (٢٠٧).

(٣) انظر تفصيل ذلك في «دولة الإسلام في الأندلس» (٤/ ١٦١- ١٦٣).

(٤) «المعجب» ص (٢٦٥).

(٥) «الأثر السياسي للعلماء» ص (٢٠٩)، وانظر: «الرد على من ذهب إلى تصحيح علم الغيب من جهة الخط» لابن رشد الجد - طبعة دار ابن حزم - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

تربوية ، وأهداف محددة ، سعى لإنجازها بكل الوسائل ، ولو كانت دنيئة .

الثَّاني: الصُّورَةُ الَّتي قَدَّمَهَا لنَفسِهِ:

شكلت عاملَ جذبٍ للمحيطين به ، فقد لَفَتَ أنظار الناس إليه بإظهار الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وشجاعته في نقد الولاة ، بل مبالغته في ذلك أحيانًا ، وكذا اشتهاره بالزهد ، والتقشف ، والقدرة على المناظرة ، والمحاججة .

الثَّالِثُ: التَّدَرُّجُ، والمَرحَلِيَّةُ في إظهَارِ دَعوَتِهِ:

مما وَفَّرَ لها غِطَاءً من «التقية» المرحلية حماها من وأدها في مهدها ، واستئصالها ، وظل مُلْتَزِمًا هذا المبدأ إلى أن «استنسر» ، بعدما تكونت قاعدة شعبية عريضة من أتباعه ، فتعذر ، بل تعسَّر على المرابطين إخماد حركته .

الرَّابعُ: قُوَّةُ جِهَازِهِ الإعلامِيِّ، وكَفَاءَةُ آلَتِهِ الدِّعَائِيَّةِ:

وقد كان الإعلام التومرتي جارفًا إلى حدٍّ أن الدولة المرابطية لم تَقْوَ على قمعه ، والتصدي لأكاذيبه بنفس الكفاءة ، وقد ظهرت قدراته التَّعْبَوِيَّةُ في تحريض أتباعه ، ودفعهم إلى المعارك ؛ للقتال بضراوة ضد المرابطين ، الذين وصمهم بالألقاب المنفرة ؛ كالمجسِّمين ، والزراجنة[(١)] ، والحشم[(٢)] ، وأنهم شر من إبليس ، وأن حربهم أوجب من حرب النصارى ، والمجوس ، في الوقت الذي لقب أتباعه بالموحدين ، تعريضًا بالمرابطين .

وقد كان من أعظم مزايا ابن تومرت العلمية ؛ إتقانه الشديد للغتين العربية والبربرية ، وكان وعظه ومخاطبته لقومه بالبربرية ، تنفذ إلى سويداء قلوبهم ،

---

(١) الزراجنة : نسبة إلى «الزرجان» ؛ وهو طائر أسود البطن أبيض الريش ؛ لأن المرابطين في زعمه بيض الثياب سود القلوب ، كما في «دولة الإسلام في الأندلس» (١٨٥/٤) .

(٢) لاتخاذهم اللثام كما يتخذه الحشم ، وهم خاصة الرجل من عبيد أو أهل أو جيرة ، وانظر في سبب تسميتهم بالملثمين : «فقه التمكين عند دولة المرابطين» ص(٨، ٩) ، «دولة الإسلام في الأندلس» (٢١١/٤، ٢١٢) .

وتزيدهم فتنة به وتعلقًا ، وتوطد مكانته الدينية والسياسية ، وكانت كتب ابن تومرت- بعد القرآن والسنة- هي أشد الكتب الدينية احترامًا بين أقوام الموحدين على اختلاف قبائلهم ، لأنها- نظرًا لكتابتها البربرية- كانت ذائعة ، وكانت في متناول كل إنسان[١] .

الخامس: دعواه الانتسابَ إلى أهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ودعواه المهدية[٢]، والعصمة:

مما سهَّل انقياد أتباعه له ، وتسليمهم لتعاليمه ، والتفاني في نصرته .

السَّادِسُ: طَبِيعَةُ أتبَاعِهِ:

فقد ساعدت سذاجة المجتمع المغربي ، وجهله في تغلغل أفكاره في أوساطه ، وقد كان يهتم بتجنيد الأغمار ، والسُّذَّج ، والأحداث ، الذين شكلوا قاعدته الشعبية التي توكأ عليها[٣] ؛ لأنهم أسلس قيادًا ، وأكثر تقبلًا لحِيَلِهِ ، ودَجَلِهِ[٤] ، وكان يستبعد ذوي الفِطَنِ ، والبصائر ، ويفتك بمن يظن في ولائه له شائبة شك ، عن طريق المذابح الوحشية التي أسماها «التمييز» ، كما تقدَّمَ بيانه .

السَّابِعُ: مَتَانَةُ جَبهَتِهِ الدَّاخِلِيَّةِ:

فقد أثمرت الروحُ المعنوية العالية ، والتلاحم الشديد بينه كقيادة ، وبين

---

(١) «دولة الإسلام في الأندلس» (٢١٧/٤) .

(٢) وقد رسخ دعاة ابن تومرت في أذهان القبائل أن الفساد والظلم والجور لا تُزال إلا بالمهدي ؛ لذا فالإيمان به واجب ، ومن يشك فيه فهو كافر ، وقال ابن تومرت في شأن المهدي : «فالعلم به واجب ، والسمع والطاعة له واجب ، والتسليم له واجب ، والرضا بحكمه واجب ، ورفع الأمور إليه بالكلية لازم» ، وقال : «أمر المهدي حتم ، ومن خالفه يُقتل» . اهـ . انظر «دولة الإسلام في الأندلس» (٢٠٨/٤ ، ٢٠٩) ، والكامل لابن الأثير (٥٦٢/٦) .

(٣) وقد وصفهم المراكشي بأنهم «قوم صيام عن جميع العلوم» كما في «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» ص(٢٧٠) ، ووصفهم ابن أبي زرع بأنهم «قوم جهلة ، لا يعرفون شيئًا من أمر الدين ، ولا من أمر الدنيا» كما في «روض القرطاس» ص(١٧٧) ، وانظر : «مجموع الفتاوى» (٤٧٧/١١) .

(٤) انظر : «تلبيس إبليس» ص(٥٣٩- ٥٤٢) . ط . المدني ١٤٠٣هـ .

أتباعه، وقوة ثقتهم في منهجهم، وتوظيفه للعصبية القبلية؛ جبهة داخلية متماسكة، دعَّمها عن طريق الحيل، والدجل، والأكاذيب التي راجت على أتباعه الأغمار.

الثَّامِنُ: دَورُ عَبدِ المُؤمِنِ، وشَخصِيَّتُهُ:

فقد كان ذا مَواهِبَ سياسيَّةٍ فذةٍ، وكفاءات متميزة، أهَّلته لكي يكون الساعد الأيمن لابن تومرت في حياته، ثم خليفة له بعد وفاته؛ حيث باشر بناء الدولة، وخاض حروبًا ضارية انتهت بسقوط دولة المرابطين، وتوحيد الشمال الأفريقي(١).

التَّاسِعُ: الضَّعفُ الَّذي بَدَأَ يَدِبُّ في دَولَةِ المُرَابِطِينَ:

والذي نشأ عن الانغماس في الترف، والشهوات، والانحراف عن الشورى، والتعصب الأعمى لمذهب الإمام مالك- رحمه اللَّه-، وفقد القيادات المتميزة: في الحروب، أوبالموت، والأزمات الاقتصادية العنيفة، وأخيرًا: صدامها المسلح مع جيوش الموحدين الذي استنفد طاقتها، وأنهك قواها، وانتهى بالقضاء عليها.

❁ ❁ ❁

(١) وكان ابن تومرت قد رأى عبدَ المؤمن أنه يأكل مع الملك علي بن تاشُفين، وأنه زاد على أكله، ثم اختطف منه الصحفة، فقال له العابِر: «لا ينبغي أن تكون هذه الرؤيا لك، بل لمن يثور على أمير المسلمين إلى أن يغلب على بلاده» كما في «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٥٤٧).

أَهَمُّ المآخِذِ على حَرَكَةِ ابْنِ تُومَرْتَ

الأَوَّلُ: ادِّعَاؤُهُ المَهدِيَّةَ:

مع أنه أبعد الناس عن صفة المهدي، فلم يثبت انتسابه إلى أهل البيت، ولم تنعم الأمة في عهده بالأمن، والرخاء، بل شقيت بسفكه الدماء، وترويع المسلمين، ولم ينزل المسيح- عليه السلام- في عهده، والمهدي الحقيقي يقيم خلافة على منهاج النبوة، أما ابن تومرت فقد انحرفت عقيدته عن منهاج النبوة، وعقيدة السلف الصالح، التي قال اللَّه- تَعَالَى- فيها: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ...﴾ الآية [البقرة: ١٣٧]، والمهدي الحقيقي يملك سبع سنين، وابن تومرت لم يملك لحظة واحدة(١).

الثَّاني: ادِّعَاؤُهُ العِصمَةَ لنَفسِهِ:

وهذا افتراء على اللَّه- تَعَالَى-، وعلى دينه، وشذوذ عن سبيل المؤمنين، وموافقة للرافضة- قبحهم اللَّه- وأين العصمة المدعاة، وقد أراق دماء الآلاف

---

(١) ومن الأدلة على فساد عقيدته وزيف مهديته أنه ما كاد يمضي على وفاته قرن من الزمان حتى أصدر أحد خلفائه الملقب بالمأمون مرسومًا يقضي بإزالة اسم المهدي من الخطبة ومن السكة، ومحو اسمه من المخاطبات، وقال في كتابه الرسمي: «إن وصف ابن تومرت بالمهدي وبالإمام المعصوم إنما هو نفاق وبدعة وأمر باطل، وإنه يجب نبذه والقضاء عليه»، وقال: «وتلك- أي دعوى المهدية- بدعة قد أزلناها، واللَّه يعيننا على القلادة التي تقلدناها، وقد أزلنا لفظ العصمة عمن لا تثبت له عصمة، فلذلك أزلنا عنه رسمه. . وإذا كانت العصمة لم تثبت عند العلماء للصحابة، فما الظن بمن لم يدر بأي يد يأخذ كتابه؟ أفٍّ لهم قد ضلوا وأضلوا، ولذلك ولوا وذلوا، ما تكون لهم الحجة على تلك المحجة، اللهم اشهد، اللهم اشهد أنَّا قد تبرأنا منهم تبرأ أهل الجنة من أهل النار، إنهم في المعتقد من الكفار».

وفي رواية أنه صعد المنبر في مراكش، وخطب الناس، ولعن المهدي، وقال: «يا أيها الناس، لا تدعوه بالمعصوم، وادعوه بالغَوِيِّ المذموم، إنه لا مهدي إلا عيسى، وإنا قد نبذنا أمره النحيس به». انتهى. ملخصًا من «دولة الإسلام في الأندلس» (٥/ ٣٧٠، ٣٧١)، وانظر التعليق على عبارة «لا مهدي إلا عيسى» ص (١٥٥ - ١٥٨).

من المسلمين ، وقتل من يشك في عصمته؟! ومن قال إن المهدي الحقيقي يدعي العصمة لنفسه؟! ﴿سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ﴾ .

الثَّالِثُ: تَبَنِّيهِ القَاعِدَةَ المِكيافِيلِيَّةَ «الغَايَةُ تُسَوِّغُ الوسِيلَةَ»:

ففي سبيل التمكين لدعوته ، وإقناع الناس بها ، استحل الغدر ، والكذب[1] ، والدجل ، والخداع ، مع أن صاحب دعوة الحق يتنزه عن هذه الأساليب الرخيصة ؛ إذ الحق غني عن أن يحتاج إلى هذه الأساليب الدنيئة في التمكين له ، فغايته شريفة ، ووسيلته إليها نظيفة .

الرَّابِعُ: أنَّهُ أوَّلُ مَن أدخَلَ التَّأوِيلَ الكَلَامِيَّ عَلَى أهلِ المَغرِبِ الإسلامِيِّ:

بل الشمال الإفريقي ، وفرضه عليهم بالقوة ، بعد أن كانوا في عافية من شره ، باتباعهم منهج السلف الصالح ، أهل السنة والجماعة ، كما أنه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، حين تبنى خليطًا من أفكار الأشاعرة ، والمعتزلة ، والخوارج ، والرافضة .

الخَامِسُ: تسَبُّبُهُ في القَضَاءِ علَى دَولَةِ المُرَابِطِينَ السُّنِّية السلفية:

وكانت بداية هذه الجناية مبالغته في الإنكار على ابن تاشُفين الذي اتقى اللَّه فيه ، وتورع عن قتله ، أو حبسه ، فاستغل ابن تومرت تسامحه معه ، وتوصل به إلى شق عصا الطاعة ، وتفريق الجماعة ، وتمزيق دولة المرابطين ، والقضاء عليها ، مستحلًّا ذلك كله بسبب تكفيره المرابطين ، بدل أن يبذل النصح المخلص بالوسائل الشرعية لذلك الملك الذي قال فيه ابن خلكان- رحمه اللَّه- : «وكان ملكًا عظيمًا ، حليمًا ، ورعًا ، عادلًا ، متواضعًا»[2] ، ووصفه عبدالواحد المراكشي بأنه : «يُعَد من الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يُعَد من الملوك والمتغلبين»[3] .

---

(١) ومن كذبه أنه ادَّعى زورًا أن مكان ظهور المهدي هو المغرب الأقصى !

(٢) «وفيات الأعيان» (٥/٤٩) .

(٣) «المعجب» ص(٢٥٢) .

لقد أسهمت حركة ابن تومرت على المدى البعيد في ضياع الأندلس، وسقوطها بيد النصارى[١]، ومع أن عبدالمؤمن أقام مملكة شاسعة امتدت إلى الأندلس، إلا أن الواقع أن تضحيات المرابطين في الأندلس كانت من أكبر الأسباب التي مكنت الموحدين المصامدة من التغلب، والنصر[٢].

يقول الدكتور علي محمد الصَّلَّابي- حفظه الله- :

(إن حركة ابن تومرت حركة تدميرية عملت على هدم أركان دولة المرابطين، تلك الدولة التي قامت على تعاليم الإسلام النقية، واتخذت من جهاد النصاري في الأندلس هدفًا أسمى لوجودها، فما أفزعهم من مقر حكمهم في مرَّاكش إلى الأندلس سوى الغيرة على الإسلام، عندما أخذت معاقل المسلمين تتهاوى تحت مطارق «ألفونسو السادس»، وبذلك أخَّروا سقوط الأندلس بيد النصارى عدة قرون.

ولكن ما إن بدأت ثورة المهدي ابن تومرت حتى أخذت تشغلهم بعض الشيء عن واجبهم المقدس في الأندلس، فأخذ أمير المسلمين يستصرخ قواده العظام من الأندلس، أمثال تاشفين بن علي لمقارعة الموحدين، وأدى ذلك إلى ازدياد ضغط النصارى على المسلمين في الأندلس، وبدءوا يلتهمون المدن الأندلسية الواحدة بعد الأخرى. في هذا الوقت استطاع ابن تومرت، بواسطة المؤمنين بمهديته، أن يطيحوا بدولة المرابطين، فأثلج ذلك قلوب النصارى الذين أدركوا أن الخلاص من الوجود الإسلامي في الأندلس أضحى وشيكًا[٣].

(١) ولا شك أن في هذا عبرة تاريخية تؤكد أن فساد العقيدة يترتب عليه اضمحلال أحوال الأمة، لأن العقيدة الصحيحة هي خط الدفاع الأول الذي ينهار بانهياره ما بعده، ولا يمكن أن تعود الأمة إلى عزها ومجدها إلا بتصحيح العقيدة كما قال – صلى الله عليه وسلم – : «ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» الحديث في «مجمع الزوائد» (١٨٩/٥)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٥).

(٢) «أطلس تاريخ الإسلام» ص(١٨١).

(٣) «دولة الموحدين» ص(٩٤)، وانظر: «دولة الإسلام في الأندلس» (٢٥٤/٤) وما بعدها.

فصـــل
موقف غريب لابن خلدون[1]

*** ومن الغريب الذي يلفت النظر موقف العلامة المؤرخ ابن خلدون من ابن تومرت ودعوته ، فهو يدافع عن المهدي ابن تومرت ، وعن صحة دعوته ، وصدق إمامته ، في نبذة طويلة يقول فيها :**

«ويلحق بهذه المقالات الفاسدة ، والمذاهب الفائلة ، ما يتناوله ضعفة الرأي من فقهاء المغرب من القدح في الإمام المهدي صاحب دولة الموحدين ، ونسبته إلى الشعوذة ، والتلبيس فيما أتاه من القيام بالتوحيد الحق ، والنعي على أهل البغي قبله ، وتكذيبهم لجميع مدعياته في ذلك ، حتى فيما يزعم الموحدون أتباعه من انتسابه في أهل البيت ، وإنما حمل الفقهاءَ على تكذيبه ، ما كمن في نفوسهم من حسده على شأنه ، فإنهم لما رأوا من أنفسهم مناهضته في العلم والفتيا وفي الدين بزعمهم ، ثم امتاز عنهم بأنه متبوع الرأي ، مسموع القول ، موطأ العقب ، نفسوا عليه ذلك ، وغضوا منه بالقدح في مذاهبه ، والتكذيب لمدعياته ، وأيضًا فكانوا يؤنسون من ملوك لمتونة أعدائه تجلة وكرامة لم تكن لهم من غيرهم ، لما كانوا عليه من السذاجة ، وانتحال الديانة ، فكان لحملة العلم بدولتهم مكان من الوجاهة ، والانتصاب للشورى كل في بلده ، وعلى قدره في قومه ، فأصبحوا بذلك شيعة لهم ، وحربًا لعدوهم ، ونقموا على المهدي ، ما جاء به من خلافهم ، والتثريب عليهم ، والمناصبة لهم ، تشيعًا للمتونة ، وتعصبًا لدولتهم» . ثم يقول دفاعًا عن المهدي :

«وما ظنك برجل نقم على أهل الدولة ما نقم من أحوالهم ، وخالف اجتهاده

---

(١) رأي ابن خلدون أن فكرة «المهدية» قائمة على المشهور وليس الحق . ولابن خلدون كتاب خصصه للطعن في المهدية اسمه «شفاء السائل» ، لم يشتهر بين الناس ، ولا أشار إليه أحد ممن ردوا على ابن خلدون كلامه في «المقدمة» . «الخصومة في مهدية السودان» ص(٣٥) .

فقهاءهم ، فنادى في قومه ، ودعا إلى جهادهم بنفسه ، فاقتلع الدولة من أصولها ، وجعل عاليها سافلها ، أعظم ما كانت قوة ، وأشد شوكة ، وأعز أنصارًا وحامية ، وتساقطت في ذلك من أتباعه نفوس لا يحصيها إلا خالقها ، قد بايعوه على الموت ، ووقوه بأنفسهم من الهلكة ، فتقربوا إلى اللَّه تعالى بإتلاف مُهَجِهم في إظهار تلك الدعوة ، والتعصب لتلك الكلمة حتى علت على الكلم ، ودالت بالعدوتين من الدول ، وهو بحالة من التقشف والحصر ، والصبر على المكاره ، والتقلل من الدنيا ، حتى قبضه اللَّه ، وليس على شيء من الحظ والمتاع في دنياه . . فليت شعري ، ما الذي قصد بذلك إن لم يكن وجه اللَّه ، وهو لم يحصل له حظ من الدنيا في عاجله ؟ ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تم أمره ، وانفسحت دعوته ، سُنَّةَ اللَّه التي قد خلت في عباده»[١] .

وقد علق الأستاذ محمد عبد اللَّه عنان على موقف ابن خلدون قائلًا :

«وابن خلدون يقدم إلينا هذا الدفاع عن المهدي في معرض كلامه عن أخطاء المؤرخين وأوهامهم ودعاويهم المغرضة ، وهو يقدم إلينا منها نماذج ، يصاحبه التوفيق في بعضها ، ويخطئه في البعض الآخر ، ونحن نرى أن التوفيق قد أخطأه في هذا الدفاع عن المهدي ابن تومرت ، وعن صدق دعوته ، **وقد استعرضنا فيما تقدم من حديثنا عن حياة المهدي ، ما يحملنا على الشك :**

أولًا : في صدق انتسابه إلى آل البيت .

وثانيًا : في انتحاله دعوة المهدية ، وهي دعوة نشك أيضًا في صدقها من الناحية الدينية[٢] (!!) والتاريخية ونحن نعتقد أن مفكرًا عظيمًا ، ومؤرخًا فيلسوفًا ، وضعي العقلية[٣] كابن خلدون ، لا يمكن أن يؤمن بصدق هذه الدعوة ،

(١) «المقدمة» لابن خلدون ص(٢٢) ط بولاق ، وراجع موقف ابن خلدون من أحاديث المهدي في ص(١٥٩) .

(٢) عفا اللَّه عن الأستاذ عنان ، فإن حقيقة المهدي المبشر بخروجه في آخر الزمان ثابتة بالأحاديث الصحيحة ، بل قد نصَّ كثير من العلماء على تواترها ، وراجع ص(١٣٥ - ١٣٨) .

(٣) تقوم الفلسفة «الوضعية» على أساس مادي إلحادي يؤمن بالمادة وحدها ، وينكر كل ما وراء المادة =

وإنما حمل ابنَ خلدون على الدفاع عن المهدي ودعوته، بواعثُ خاصة:

أولها: أن بني خلدون- أسرة المؤرخ- كانت مذ غادرت الأندلس في أوائل القرن السابع الهجري- قد نزلت بتونس، وعاشت في رعاية بني حفص ملوك الدولة الحفصية الموحدية التي أسسها الأمير أبو يحيى زكريا بن عبدالواحد بن أبي حفص عمر الموحدي، وتولى أجداد المؤرخ في ظلهم مناصب النفوذ والثقة، وبدأ هو حياته العامة في ظلهم، وعاش في كنفهم رَدَحًا من الزمن، وأهدى أول نسخة من «مقدمته وتاريخه» للسلطان أبي العباس الحفصي (٧٨٤هـ)، فلم يكن من المعقول أن يجاهر المؤرخ في «مقدمته»، بالطعن في إمامة المهدي ودعوته، وهي التي كانت أساسًا لقيام الدولة الموحدية.

وثانيًا: أنه ليس من المنطق السليم، أن يكون نجاح دعوة المهدي ابن تومرت، وما ترتب عليه من قيام الدولة الموحدية، دليلًا على صدق هذه الدعوة؛ لأن النجاح السياسي والعسكري لداعية أو متغلب لم يكن قط في ذاته دليلًا على صدق إمامةٍ أو دعوة دينية.

وثالثًا: أن إنكار صدق دعوة المهدي ابن تومرت لم يكن قاصرًا على الفقهاء المرابطين، الذين يعلل ابن خلدون طعنهم في هذه الدعوة بما كان يجيش في صدورهم من حقد على رجل يتفوق عليهم بعلمه، ويغض بهذا التفوق من مكانتهم ونفوذهم القديم لدى الدولة اللمتونية، بل شمل هذا الإنكار كثيرًا من المؤرخين»[1].

ولا يكتفي ابن خلدون بالدفاع عن صحة دعوة المهدي، بل يقرن ذلك بالدفاع عن نسبه في آل البيت، وهو هنا في تدليله أضعف منطقًا، حينما يقول:

= والحس، وأن المعرفة اليقينية هي ما يقوم على الملاحظة والتجربة الحسية، وإلا كانت وهمًا وخيالًا، فمذهب إلحادي ينكر الدين والغيبيات، كيف طوعت للكاتب نفسُه أن ينسب إليه العلامة المسلم المؤرخ ابن خلدون رحمه اللَّه تعالى؟- انظر: «مذاهب فكرية معاصرة» للدكتور محمود مزروعة ص (٢٣٦- ٢٢٥).

(١) بل تبرأ منه «المأمون» أحد خلفائه، كما تقدم ص(٢٦٢) هامش رقم (١).

«إنه لا دليل يعضد إنكار هذه النسبة ، والناس مصدَّقون في أنسابهم»[١] ، وهو إذ يشعر هنا بضعف منطقه ، يقول لنا : إن ظهور المهدي لم يكن يتوقف على نسبته ، وإنما قام أمره بعصبيته القبلية في هرغة ومصمودة ، وإن هذا النسب الفاطمي ، كان أمرًا خفيًّا عنده وعند عشيرته يتناقلونه بينهم[٢] .

ويذكرنا موقف ابن خلدون في الدفاع عن دعوة المهدي ابن تومرت ونسبه ، بموقفه من نسب بني عبيد الخلفاء الفاطميين ، فهو يتصدى لتأييده وإثباته ، ويعتبر الطعن فيه من «الأخبار الواهية» التي عُني بتفنيدها في « مقدمته » ، وأن هذا الطعن يرجع بالأخص إلى الأحاديث التي لُفقت لبني العباس خصوم الفاطميين تزلفًا إليهم ، ويعتمد هنا على نفس النظرية التي لجأ إليها في الدفاع عن دعوة المهدي ، وهو أن ظهور الفاطميين ، وقيام الدولة الفاطمية المترامية الأطراف ، واتصال أمرها نحوًا من مائتين وسبعين عامًا ، كل ذلك لا يمكن أن يتم لِدَعيٍّ[٣] .

---

(١) قال العلامة بكر بن عبد اللَّه أبو زيد - رحمه اللَّه تعالى - :

«وقولهم أيضًا : (الناس مؤتمنون على أنسابهم) .

وهو لا أصل له مرفوعًا ، ويؤثر عن الإمام مالك - رحمه اللَّه تعالى - . وهـهنا فائدة يحسن تقييدها ، والوقوف عليها ، وهو أن هذا ليس معناه تصديق من يدعي نسبًا قبليًّا بلا برهان ، ولو كان كذلك لاختلطت الأنساب ، واتسعت الدعوى ، وعاش الناس في أمرٍ مريج ، ولا يكون بين الوضيع والنسب الشريف إلا أن ينسب نفسه إليه ، وهذا معنى لا يمكن أن يقبله العقلاء فضلًا عن تقريره .

إذا تقرر هذا فمعنى قولهم : (الناس مؤتمنون على أنسابهم) هو قبول ما ليس فيه جَرُّ مغنم ، أو دفع مذمة ومنقصة في النسب ، كدعوى الاستلحاق لولد مجهول النسب ، واللَّه أعلم» . اهـ . من «فقه النوازل» (١/١٢٢- ١٢٣) .

وقال - رحمه اللَّه - في موضع آخر : «إن المراد به في (اللقيط) ، فالمسلم مؤتمن عليه بحكم الشرع ، يرعى أموره ، ولا يتبناه ، ولا يُراد به ما هو شائع ، من تصديق مدعي النسب من غير بينة كاستفاضة وشهرة ونحوهما ؛ لأنه - بهذا المعنى - يناهض قاعدة الشرع من أن (البينة على من ادعى) ، وقوله - صلى اللَّه عليه وسلم - : (لو يعطى الناس بدعواهم . . .) الحديث» . اهـ من «التعالم» ص (١٠٧) .

(٢) «المقدمة» ص(٢٣) .

(٣) «نفسه» ص(١٧ ، ١٨) .

وهي طريقة معكوسة في التدليل، ونظرية واضحة الضعف والسقم، إذ كان على ابن خلدون أن يقدم لنا الأدلة المباشرة، على صحة نسبة الفاطميين لآل البيت، كما قدم خصومهم الأدلة على بطلان هذه النسبة.

وقد تناول كاتب مشرقي من كُتَّاب النصف الأول من القرن الثامن الهجري هو الحسن بن عبدالله العباسي في كتابه «آثار الأول وترتيب الدول» مثَلَ ابن تومرت وقصة ظهوره، في معرض الكلام عن الزهاد، والمغالطين باسم الزهد، فقال:

«وفيهم أصناف من أهل الغلط في طريق الزهد، والمغالطة لأغراض أُخَرَ، منهم صنف يغلب عليهم محبة الرياسة والإمرة...»[1].

ويعتبر هذا الكاتب مَثَلَ ابن تومرت، هو أقرب ما جرى في هذا المعنى؛ معنى الداعية المتزهد المخادع الذي يبطن انتزاع الرياسة، وأنه تذرع بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[2].

والحاصل: أن حركة ابن تومرت لا يمكن وصفها بالحركة الإصلاحية؛ لأنها كانت حركة غلب عليها الإفساد والتدمير، وكانت أبعد ما تكون عن معالم المنهاج النبوي، والإصلاح السلفي التجديدي، وبخاصة في مجال العقيدة.

❁ ❁ ❁

(١) «آثار الأول وترتيب الدول» المنشور على هامش «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص(٦١، ٦٢) ط. القاهرة ١٣٠٥هـ.

(٢) «دولة الإسلام في الأندلس» (٤/ ١٩٤- ١٩٦).

ومِن مُدَّعي المهدية :

(١٣) تِمِرْتَاشُ بن النوين جوبان (قُتِلَ سنة ٧٢٨هـ)

قال الحافظ ابن حجر - رحمه اللَّه -: «كان شجاعًا فاتكًا ، إلا أنه خَفَّ عقله ، فزعم أنه المهدي الذي يخرج في آخر الزمان ، فبلغ ذلك أباه ، فركب إليه ، ورده عن هذا المعتقد»[(١)] .

❁ ❁ ❁

(١٤) أحمد بن عبد اللَّه بن هاشم ، أبو العباس المعروف بالملثم (٦٥٨ - ٧٤٠هـ)

(نشأ أبوه ببلاد الترك ، وقدم القاهرة ، فولد له الملثم في رمضان سنة ٦٥٨هـ ، واشتغل في الفقه على مذهب الشافعي ، وحفظ التنبيه ، ولازم الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد في الفقه وسماع الحديث عشرين سنة ، وسمع عدة من الكتب الكبار على ابن دقيق العيد ، ثم سلك طريق العبادة ، فحصل له انحراف مزاج ، فادعى في سنة ٦٨٩هـ دعاوى عريضة ؛ من رؤية اللَّه - تَعَالَى - في المنام مرارًا ، وأنه أسري به إلى السماوات السبع ، ثم إلى سدرة المنتهى ، ثم إلى العرش ، ومعه جبريل ، وجمع من الملائكة ، وأن اللَّه كلَّمه ، وأخبره بأنه المهدي ، وأن البشائر تواردت عليه من الملائكة ، وأنه رأى النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - ، فأعلمه بأنه من ولده ، وأنه المهدي ، وأمره أن ينذر الناس ، ويدعوهم إلى اللَّه ، فاشتهر أمره ؛ فأُخِذ ، وحُبس ، وذكر أنه سُقي السم مرارًا ، فلم ينجع فيه ، ودخل عليه رجل فأراد خنقه ، فذكر عن نفسه أن الرجل جفت يده ؛ أي : شَلَّت .

وجمع هذا الرجل كتابًا كبيرًا بث فيه الأحوال التي اتفقت له ، وفيه دعاوى

---

(١) «الدرر الكامنة» (٢/٥٣) .

عريضة غالبها منامات ، ويحلف على كل منها ، وذكر في بعض كلامه أن المهدي يخرج في سنة ٧٣٤هـ ، أو في سنة ٧٤٤هـ ، وذكر عدة منامات أنه هو المهدي ، ثم ذكر في مواضع أن المعنيَّ بكونه المهديَّ أنه يهدي الناس إلى الحق ، وليس هو المهدي الموعود به في آخر الزمان .

وَذَكَرَ أنهم حبسوه عند المجانين ، ثم أرسلوا إليه السم فوضع في شرابٍ ، وسقوه ، فما أثر فيه ، وأنهم سقوا نصرانيًّا من الأسرى ، فمات من ساعته ، وأنه أُطْلِقَ ، وأظهر التوبة من دعواه أنه المهدي ، وكان مما شُهِدَ عليه أنه زعم أنه رسول اللَّه ، فتنصَّل من ذلك ، وقال : «إنما قلت : إني رسول أرسلني رسول اللَّه إليكم لأنذركم» ، ومات هذا الرجل في سنة ٧٤٠ هـ ، وقد جاوز الثمانين ، واللَّه أعلم بحاله[1] .

ولا يخفاك أن ما ادعاه من خَرْقِ عادة ، وأحوال غريبة ، إنما حكاها هو عن نفسه ، وبالتالي فهو إما كاذب ، وإما أنها أحوال شيطانية ، وإلا فالدجال الأعور سيأتي بأضعافها ، أو أنها عَرَض «اضطراب نفسي» ، كما يفهم مما سبق .

❁ ❁ ❁

(١٥) محمد بن يوسف الحسيني الجونبوري (ت٩١٠)

ولد سنة سبع وأربعين وثمان مئة بمدينة جونبور بشرق الهند ، وطلب العلم من بعض المشايخ ، ثم اشتغل بالعبادة والرياضة ، حتى ترك الأهل والأولاد ، وخرج يتجول في الفيافي ، والصحاري ، والجبال ، ورجع بدعوى المهدية ، فأخذ يبشر الناس بمهديته من بلد إلى بلد ، وتبعه أناس كثيرون مُغْتَرِّينَ بزهده وتقشفه ؛ كشأنهم وراء كل ناعق ، وفي سنة (٩٠١هـ) سافر للحج ، وادعى في مكة المكرمة أن مهدي ، ومن تبعه فهو مؤمن ، ثم رجع إلى الهند ، وأخذ

---

(١) «نفس المرجع» (١/١٩٧، ٢٠٠) بتصرف .

يتجول من بلد إلى بلد يدعو الناس إلى مهديته، وتوجه إلى خراسان، ولعله أراد أن يطبق عليه حديث الرايات السود من خراسان، ولكن حالت بعض الموانع دونه، فمات، وهو ينتظر الدخول في خراسان، وكانت وفاته سنة (٩١٠هـ)[١].

واختلف الناس في شأنه، وقال اللاهوري في «خزينة الأصفياء»: إنه قال: «أنا مهدي» في غلبة الحال، ولكنه تاب عن ذلك القول في حالة الصحو والإفاقة، كغيره من الصوفية، وأما أصحابه الجهلة، فإنهم لم يعتبروا إقالته، فأصروا على أنه مهدي موعود، وضلوا عن الطريق، وأضلوا كثيرًا من الناس، واخترعوا مذهبًا جديدًا، وانتسبوا إلى الفرقة المهدوية.

وقال أبو رجاء محمد الشاهجهانبوري في «الهدية المهدوية»: «إن الجونبوري لم يمنع أصحابه من ذلك؛ (أي من نسبة المهدوية إليه)، وبدَّل اسمَ أبيه بعبدالله، واسمَ أمه بآمنة، وأشاعهما في الناس، وصنف كتابًا في أصول ذلك المذهب...

- ومنها: «أنه مهدي موعود، وأنه أفضل من أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي - رضي الله عنهم -، بل إنه أفضل من آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، - على نبينا وعليهم السلام -».

- ومنها: أنه كان مساويًا لسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - في المنزلة، وإن كان تابعًا له في الدين.

- ومنها: أنه ما خالف من الكتاب والسنة قولَهُ وفعلَهُ، فهو غير صحيح.

- ومنها: أن الجونبوري، وسيدنا محمدًا - صلى الله عليه وسلم - كلاهما مسلمان كاملان، وسائر الأنبياء ناقصو الإسلام.

---

(١) «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» (٧/٣٢٤- ٣٢٦) بتصرف، وانظر: «فرق الهند» ص(٢٣٢).

- ومنها : أن الجونبوري شريك في بعض الصفات الإلهية بعد فوزه بالرسالة ، والنبوة[١] .

وقد عاثت هذه الفرقة فسادًا في ذلك العصر ، فزعموا أن شيخهم هو إمام ذلك العصر ، وأن من لم يدخل في طاعته فقد مات مِيتةً جاهلية ، وقتلوا كثيرًا من مخالفيهم ، واستباحوا اغتيالهم ، ولقد ألف «عليٌّ المتقي»[٢] ، صاحب «كنز العمال» رسالتين للرد عليهم ، أولاهما : «الرد على من حكم وقضى أن المهدي قد جاء ومضى» ، قال فيه :

«ومن قبائحهم أنهم يعتقدون أن من أنكر بهذا السيد الماضي الذي ادعى المهدوية فهو كافر ، وبهذا الاعتقاد يُكَفِّرُونَ المسلمين ، ويَكْفُرُونَ بِتَكْفِيرِهِمْ» .

وقال في كتابه الآخر «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان» :

«كفى دليلًا على بطلان اعتقاد هذه الطائفة قتلهم العلماء ؛ فإن خَصْلَتَهُمْ هذه تدل على عدم اعتقادهم ، وعجزهم عن إثبات معتقدهم»[٣] .

وقال البرزنجي : «وقد سمعت كثيرًا - من القادمين من بلاد الهند إلى الحرمين من العلماء والصلحاء - أن أولئك القوم إلى الآن على ذلك الاعتقاد الخبيث ، وأنهم يُعرفون بالمهدوية ، وربما سُمُّوا بالقتالية ؛ لأن كل من قال لهم : «إن اعتقادكم باطل» ؛ قتلوه ، حتى إن الرجل الواحد منهم يكون بين الجمع الكثير من المسلمين ، فإذا قيل له : «إن اعتقادك باطل» ، قتل القائل ، ولا يبالي : أَيُقْتَلُ أو يَسْلَمُ ؟)[٤] .

❁ ❁ ❁

---

(١) «المختار المصون من أعلام القرون» (٢/٨٧٦- ٨٧٧) بتصرف .

(٢) انظر : «فرق الهند المنتسبة للإسلام» ص (٢٩١) .

(٣) انظر : «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان» ص (٦) وما بعدها ، و«فرق الهند» ص(٢٣٥) ، (٣١٩) .

(٤) «الإشاعة» ص (١٢١) ، وانظر كتاب «بصائر في الفتن» للمؤلف ص(٢٨ - ٣١) .

(١٦) محمد بن عبدالله الكردي

قال البرزنجي: (وظهر - قبل تأليفي لهذا الكتاب بقليل - رجل بجبال عفرا، والعمارية، من الأكراد، يسمي «عبدالله»، ويدَّعي أنه شريف حسيني، وله ولد صغير ابن اثنتي عشرة سنة، أو أقل، أو أكثر، وقد سمَّاه محمدًا ولقَّبه: «المهدي الموعود»، وتبعه جماعة كثيرة من القبائل، واستولى على بعض القلاع، وركب إليهم والي المَوْصِل، ووقع بينهم قتال وسفك دماء، وقد انهزم المدَّعي، وأُخِذ هو وابنه إلى إستانبول، ثم إن السلطان عفا عنهما، ومنعهما من الرجوع إلى بلادهما، وماتا جميعًا)[1].

❁ ❁ ❁

(١٧) الإمام المجاهـد، والبطـل المُجالِـد، والعَلَّامَـة الـزاهد العابـد عبدالعزيز بن محمد بن سعود الملقب بمهديِّ زمانه (ت ١٢١٨هـ)

من أمراء آل سعود في دولتهم الأولى، وهو أول من لُقِّب بالإمام بين العائلة السعودية[2]، وَلِيَ بعد وفاة أبيه (١١٧٩هـ)، واتسع نطاق الدولة في أيامه توسعًا كبيرًا، وازدادت قوتها، قال الشوكاني في «البدر الطالع» شارحًا أَثَرَ فتوحات عبدالعزيز بن محمد بن سعود - رحمه الله -:

(ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة، والزكاة، والصيام، وسائر شعائر الإسلام، ودخل في طاعته من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز، وصَعْدَة غالبهم، إما رغبة وإما رهبة، وصاروا مقيمين لفرائض الدين، بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئًا، ولا يقومون بشيء من واجباته إلا مجرد التكلم بلفظ

---

(١) «نفس المصدر» ص (١٢١، ١٢٢).

(٢) انظر: «تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب» لحسين خلف الشيخ خزعل ص (٣٨٨- ٣٩٠).

الشهادتين ، على ما في لفظهم بها من عِوَج ، وبالجملة فكانوا جاهلين جهلاء ، كما تواترت بذلك الأخبار إلينا ، ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لأوقاتها ، ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها)[١] . اهـ .

– وقال الشيخ عثمان بن بشر النجدي في «عنوان المجد في تاريخ نجد» :

(وكان عبدالعزيز كثير الخوف من اللّه والذكر ، آمرًا بالمعروف ، ناهيًا عن المنكر ، لا تأخذه في اللّه لومة لائم ، ينفذ الحق ، ولو في أهل بيته وعشيرته ، لا يتعاظم عظيمًا إذا ظَلَم ؛ فيقمعه عن الظلم ، وينفذ الحق فيه ، ولا يتصاغر حقيرًا فيأخذ له الحق ، ولو كان بعيد الوطن ، وكان لا يكترث في لباسه ، ولا سلاحه ، بحيث إن بنيه وبني بنيه مُحَلَّاةٌ سيوفُهم بالذهب والفضة ، ولم يكن في سيفه شيء من ذلك إلا قليل ، وكان لا يخرج من المسجد بعد صلاة الصبح حتى ترتفع الشمس ، ويصلي فيه صلاة الضحى ، وكان كثير الرأفة والرحمة بالرعية ، وخصوصًا أهل البلدان ؛ بإعطائهم الأموال ، وبث الصدقة لفقرائهم ، والدعاء لهم ، والتفحص عن أحوالهم ، وقد ذكر لي بعض من أثق به أنه يكثر الدعاء لهم في ورده ، قال : وسمعته يقول : «اللهم أبق فيهم كلمة لا إله إلا اللّه حتى يستقيموا عليها ، ولا يحيدوا عنها» .

وكانت الأقطار والرعية في زمنه آمنة مطمئنة في عيشة هنية ، والشخص الواحد يسافر بالأموال العظيمة أي وقت شاء شتاءً وصيفًا ، يمنًا وشامًا ، شرقًا وغربًا ، في نجد والحجاز واليمن وتهامة ، وغير ذلك ، لا يخشى أحدًا إلا اللّه ؛ لا سارقًا ، ولا مكابرًا ، وكانت جميع بلدان نجد من العارض ، والخرج ، والقصيم ، والوشم ، والجنوب ، وغير ذلك من النواحي ، في أيام الربيع – يسيبون جميع مواشيهم في البراري من الإبل ، والخيل الجياد ، والبقر ، والأغنام ، وغير ذلك ليس لها راعٍ ولا مَراعٍ ، بل إذا عطشت وردت على

---

(١) «البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع» (٥/٢) .

البلدان ، ثم تصدر إلى مفاليها ، حتى ينقضي الربيع ، أو يحتاجون لها أهلها لسقي زرعهم ، ونخيلهم ، وربما تلقح وتلد ولا يدري أهلها إلا إذا جاءت ، وولدها معها ، إلا الخيل الجياد ؛ فإن لها من يتعاهدها .

وكان - رحمه اللَّه تَعَالَى - مع رأفته بالرعية ، شديدًا على من جنى جنايةً من الأعراب ، أو قطع سُبُلًا ، أو سرق شيئًا من مسافر ؛ بحيث من فعل شيئًا من ذلك أخذ ماله نكالًا ، أو بعض ماله ، أو شيئًا منه ، على حسب جنايته ، وأدَّبه أدبًا بليغًا .

وحُكي أنه أتي حاجٌّ من العجم ، ونزل قرب بَوَادِي سُبَيْع ، فسُرق من الحاج غِرارة[1] فيها من الحوائج ما يساوي عشرة قروش ، فكتب صاحب الغرارة إلى عبدالعزيز يخبره بذلك ، فأرسل إلى رؤساء تلك القبيلة ، فلما حضروا عنده ، قال لهم : «إن لم تخبروني بالغرارة ، وإلا جعلت في أرجلكم الحديد ، وأدخلتكم السجن ، وأخذت نكالًا من أموالكم» ، فقالوا : «نغرمها بأضعاف ثمنها» ، فقال : «كلا حتى أعرف السارق» ، فقالوا : «ذرنا نصل إلى أهلنا ، ونسأل عنه ، ونخبرك» ، ولم يكن بد من إخباره ، فلما أخبروه به أرسل إلى ماله ، وكان سبعين ناقة ، فباعها ، وأدخل ثمنها بيت المال ، وجيء بالغرارة لم تتغير ، وكان صاحبها قد وصل إلى وطنه ، فأرسلها عبدالعزيز إلى أمير الزبير ، وأمره أن يرسلها إلى صاحبها في ناحية العجم .

وذكر لي شيخنا القاضي عثمان بن منصور أن رجلًا من سُرَّاق الأعراب وجد عنزًا ضالة ، وهم جياع ، وأخبرني أنهم أقاموا يومين ، أو ثلاثة مُقْوين[2] ، فقال بعضهم لبعض : «لينزل أحدُكم على هذه العنز ، فيذبحها لنأكلها» ، فكل منهم قال لصاحبه : «انزل إليها» ، فلم يستطع أحد منهم النزول خوفًا من العاقبة على

---

(١) الغِرارة : وعاء من الخيش ونحوه يُوضع فيه القمح ونحوه ، وهو أكبر من الجُوالق .

(٢) أقوى الرجل : افتقر ، ونزل بالقَفْر ، ونَفِدَ طعامه ، وفني زاده ، وجاع فلم يكن معه شيء ، وإن كان في بيته وَسْطَ قومه .

الفاعل ، فألحوا على رجل منهم فقال : «واللَّهِ لا أنزل إليها ، ودعوها ؛ فإن عبدالعزيز يرعاها » ، فتركوها ، وهم في أشد الحاجة إليها ، وكانت الحجاج والقوافل وجباة الغنائم والزكاة والأخماس وجميع أهل الأسفار يأتون من البصرة وعمان وبلاد العجم والعراق ، وغير ذلك إلى الدرعية ، ويحجون منها ، ويرجعون إلى أوطانهم ، لا يخشون أحدًا في جميع البوادي مما احتوت عليه هذه المملكة ، لا بحرب ، ولا سَرَقٍ ، وليس يُؤْخَذُ منهم شيء من القوانين التي تُؤْخَذُ على الحجَّاج ، وبَطَلَ جميع الجوائز على الدروب التي للأعراب ، أحيوا بها سنن الجاهلية ، ويخرج الراكب وحده من اليمن وتهامة والحجاز والبصرة والبحرين وعمان وأنقرة الشام لا يحمل سلاحًا ، بل سلاحه عصاه لا يخشى كيد عدو ، ولا أحد يريده بسوء .

وأخبرني أنه ظهر مع عمال من حلب الشام قاصدين الدرعية ، وهم أهل ست نجائب محملات ريال زكوات بوادي أهل الشام ، فإذا جَنَّهم الليل وأرادوا النوم ، نبذوا أرحلهم ودراهمهم يمينًا وشمالًا ، إلا ما يجعلونه وسائد تحت رءوسهم .

وكان بعض العمال إذا جاءوا بالأخماس والزكاة من أقاصي البلاد ، يجعلون مزاود الدراهم أطنابًا لخيمتهم ، ورُبُطًا لخيلهم بالليل ، لا يخشون سارقًا ، ولا غيره .

وكان يوصي عماله بتقوى اللَّه ، وأَخْذِ الزكاة على الوجه المشروع ، وإعطاء الضعفاء والمساكين ، ويزجرهم عن الظلم ، وأخذ كرائم الأموال .

وكان - رحمه اللَّه تَعَالَى - مع ذلك كثيرَ العطاء والصدقات للرعية من الوفود ، والأمراء ، والقضاة ، وأهل العلم ، وطلبته ، ومعلمة القرآن ، والمؤذنين ، وأئمة المساجد ، حتى أئمة مساجد نخيل البلدان ، ومؤذنيهم ، ويرسل قهوة لأهل القيام في رمضان ، وكان الصبيان من أهل الدرعية إذا خرجوا من عند المعلم يصعدون إليه بألواحهم ، ويعرضون عليه خطوطهم ، فمن تحاسن

خطه منهم أعطاه عطاء جزيلًا ، وأعطى الباقين دونه .

وكان عطاؤه للضعفاء والمساكين في الغاية ، فكان منهم من يُكْتَبُ إليه منه ، ومن أمه وزوجته ، وابنه ، وابنته ، من كل واحد كتابًا وحده ، فيوقع لكل كتابٍ منهم عطاءه ، فكان الرجل يأتيه بهذا السبب عشرون ريالًا ، وأقل ، وأكثر .

وكان إذا مات الرجل من جميع نواحي نجد يأتي أولاده إلى عبدالعزيز يستخلفونه ، فيعطيهم عطاء جزيلًا ، وربما كتب لهم راتبًا في الديوان .

وكان كثيرًا ما يفرق على أهل النواحي والبلدان كثيرًا من الصدقات في كل وقت ، وكل سنة ، يعطي كل أهل بلد ، وكل أهل ناحية ألفَ ريال ، وأقل ، وأكثر ، ويسأل عن الضعفاء والأيتام في الدرعية ، وغيرها ، ويأمر بإعطائهم ، وكثيرًا ما يُفَرِّقُ على بيوت الدرعية ، وضعفائها .

وكان كثيرًا ما يكتب لأهل النواحي بالحض على تعلم العلم ، وتعليمه ، ويجعل لهم راتبًا في الديوان ، ومن كان منهم ضعيفًا يأمره بأن يأتي إلى الدرعية ، ويقوم بجمع أنوابه .

وأخبرني كاتبه قال : إن عبدالعزيز أخذه يومًا صداع ، فدعاني ، وقال : «اكتب صدقة لأهل النواحي» ، فأملى عليَّ : (لأهل منفوحة خمس مئة ريال ، وأهل العيينة مثل ذلك ، وأهل حريملا سبع مئة ريال ، وأهل المحمل ألف ومئة ريال ، ولجميع نواحي نجد على هذا المنوال» ، قال : قيمتها تسعون ألف ريال ، وأتى إليه يومًا خمس وعشرون حِمْلًا من الريالات ، فمر عليها وهي مطروحة ، فنخسها بسيفه ، وقال : «اللهم سَلِّطْنِي عليها ، ولا تسلطها عليَّ» ، ثم بدأ تفريقها[1] .

وفي رجب ١٢١٨هـ قُتِلَ الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في مسجد الطريف المعروف في الدرعية ، وهو ساجد أثناء صلاة العصر ، مضى عليه رجل قيل إنه كرديٌّ من أهل العمارية بلد الأكراد المعروفة عند الموصل ، اسمه عثمان ،

---

(١) «المختار المصون من أعلام القرون» (٣/١٩١٥- ١٩١٩) .

أقبل من وطنه لهذا القصد محتسبًا ، حتى وصل الدرعية في صورة درويش ، وادعى أنه مهاجر ، وأظهر التنسك والطاعة ، وتعلم شيئًا من القرآن ، فأكرمه عبدالعزيز ، وأعطاه ، وكساه ، وطلب الدرويش منه أن يعلمه أركان الإسلام ، وشروط الصلاة وأركانها ، وواجباتها ، مما كانوا يُعلِّمونه الغريبَ المهاجر إليهم ، وكان قصده غير ذلك ، فوثب عليه من الصف الثالث ، والناس في السجود ، فطعنه في خاصرته أسفل البطن بخنجر معه قد أخفاها ، وأعَدَّها لذلك[١] .

حَكَمَ الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود - رحمه اللَّه تَعَالَى - مدة تسعة وثلاثين عامًا (١١٧٩هـ - ١٢١٨هـ) (١٧٦٥م - ١٨٠٣م) ، ومضى أكثر عهد حكمه تحت إشراف مباشر من شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهَّاب نفسه[٢] .

❁ ❁ ❁

(١٨) السيد أحمد بن عرفان البريلوي (ت ١٢٤٦هـ)[٣]

الذي قاد مع الشاه إسماعيل الدِّهْلوي أعظم حركة إسلامية عَرَفَتْهَا القارة الهندية ، ولم يَدَّعِ المهدية قط ، ولكن بعض أتباعه توهموا ذلك ، قال العلامة محمد صديق حسن خان - رحمه اللَّه - : « ... وقد حمل قوم من علماء الهند هذا الحديث على خروج السيد أحمد البريلوي بتكلفات باردة ، مع أن السيد كان رجلًا صالحًا ، حج ، وجاهد ، وغزا ، ولم يدع المهدوية قط ، ولم تكن تنبغي له هذه الدعوة »[٤] . اهـ .

---

(١) « نفسه » (١٩١٤/٢) .

(٢) « محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه » ص (١١١) .

(٣) انظر ترجمته في « المختار المصون من أعلام القرون » (١٦٩٢/٣) ، و« إذا هبت ريح الإيمان » للشيخ أبي الحسن الندوي - رحمه اللَّه تَعَالَى - ، وانظر : « رجال الفكر والدعوة » (٣٦١/٣ ، ٣٦٢) ، له أيضًا ، وللندوي أيضًا رسالة مطبوعة في نفس الموضوع طبعت باسم : « الإمام الذي لم يُوَفَّ حقَّه من الإنصاف والاعتراف » .

(٤) « الإذاعة » ص (١٢٣) .

وقال العلامة شمس الحق آبادي - رحمه اللَّه -: (... ويقرب من هذا ما زعم أكثر العوام وبعض الخواص في حق الغازي الشهيد الإمام الأمجد السيد أحمد البريلوي - رضي اللَّه تعالى عنه - أنه المهدي الموعود المُبَشَّر به في الأحاديث، وأنه لم يستشهد في معركة الغزو، بل إنه اختفى عن أعين الناس، وهو حي موجود في هذا العالم إلى الآن، حتى أفرط بعضهم فقال: «إنا لقيناه في مكة المعظمة حول المطاف، ثم غاب بعد ذلك»، ويزعمون أنه سيعود، وسيخرج بعد مرور الزمان، فيملأ الأرض عدلًا وقسطًا، كما مُلِئَتْ جورًا وظلمًا، وهذا غلط وباطل)، إلى أن قال: (وإلى اللَّه المشتكى من صنيع هؤلاء، ونعوذ باللَّه من هذه العقيدة المنكرة الواهية، واللَّه أعلم)[١]. اهـ.

❁ ❁ ❁

(١٩) محمد بن الأمجد بن عبد الملك «أبو بغلة» (ت ١٢٧١ هـ)

لما استسلم «عبد القادر بن محيي الدين الجزائري» للفرنسيين، قام «أبو بغلة» بدعوة الناس إلى الجهاد ضد النصارى، وخاض عددًا من المعارك، انتصر في بعضها، وانكسر في بعضها الآخر، وبعد انتصاره في إحدى معاركه على الفرنسيين، يوم السبت ٢٧ ربيع الثاني من عام ١٢٦٧هـ، ادعى أنه المهدي المنتظر، بعثه اللَّه ليطهر أرض المغرب الأوسط - أي: الجزائر - من رجس النصارى، فصدقته قبائل كثيرة، وقبلوا الولاة الذين عينهم لحكمهم، وزاد نفوذه، ولكن أمره ما لبث أن صار إلى ضعف، بعدما ضيق الفرنسيون الخِناق عليه وعلى أتباعه، وما زال كذلك حتى تمكن قائد أهلي متعاون مع السلطة الفرنسية، من قتله يوم الثلاثاء أول ربيع الثاني عام ١٢٧١هـ[٢].

(١) «عون المعبود» (١١/ ٣٦٧، ٣٦٨).

(٢) «أعلام المغرب العربي» (١/ ٢٩٢)، وبعد دخول الفرنسيين إلى مصر، ظهر رجل مغربي ادعى المهدية، وتبعه جماعة من الناس، وقاتل الفرنسيين، لكن دون طائل، كما ذكره «الجبرتي» في «عجائب الآثار» (٢/ ٢٧٤).

الفَصْلُ الثَّانِي

(٢٠) - حركةُ المَهدِيِّ السُّوداني

(٢١) - حركةُ المَهدِيِّ القَحْطاني

عَصْـرُ المَهْدِيِّ السُّودَانـيِّ مُحَمَّدأَحمَد بن عَبْدِاللَّهِ
(١٢٥٩ هـ - ١٣٠٢هـ) (١٨٤٤ م - ١٨٨٥م)

وَضعُ الخِلَافَةِ العُثمَانِيَّةِ:

وُلِدَ المهدي بعد خمس سنوات من تولي السلطان عبدالمجيد الأول بعد وفاة أبيه سنة (١٨٣٩م) ، ثم عاصر مدة خلافة أخيه السلطان عبدالعزيز ، التي امتدت خمس عشرة سنة (من ١٨٦١ إلى ١٨٧٦) ، ثم عُزِلَ بمؤامرة أوربية ، ثم قُتِلَ ، وتولى من بعده ابن أخيه مراد الخامس ابن عبدالمجيد ، الذي عُزِلَ بعد ثلاثة أشهر ، وثلاثة أيام ، وبُويِعَ بعده أخوه عبدالحميد الثاني سنة (١٨٧٦م) ، الذي عاصر المهديُّ السوداني تسع سنوات من فترة خلافته .

إذن عاش المهدي عصر الانحطاط والتراجع الذي أعقب مرحلة ضعف الدولة العثمانية ؛ حيث تراجعت قوة العثمانيين مقابل نهضة الأوربيين ، واشتدت المواجهة بين «دار الإسلام» ، و«دار الحرب» ، بين الأتراك العثمانيين ، وخَلْفهم العالم الإسلامي في مواجهة الكنيسة البابوية ، وخلفها كل دول الغرب النصراني(١) .

* أَمَّا عَن أَسبَابِ وَمَظَاهِرِ هَذَا الضَّعفِ وَالتَّـرَاجُعِ(٢):

فَأَوَّلُها : الانحراف عن شريعة اللَّه – تعالى – ، وتحكيم القوانين الوضعية ، واعتماد تقليد الغرب أسلوبًا لا بديل عنه من أجل تحديث الدولة .

ثَانِيًا : سيطرة العقلية العسكرية في إدارة أحوال الدولة ، وصراع أبناء الأسرة

---

(١) «ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر» ص(٣٥٩) .

(٢) طالعها مفصلة – إن شئت – في «التاريخ الإسلامي» ، للأستاذ محمود شاكر (٨/ ١١١– ١٢٥) ، وانظر : «المختار المصون من أعلام القرون» (٣/ ٢٠٣٧) ، و«الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط» للدكتور علي الصلابي ص (٦٤٢) ، وما بعدها .

العثمانية على السلطة .

ثَالِثًا : منح الحصانة والامتيازات للأجانب ، حتى صاروا دولة داخل الدولة .

رَابِعًا : إهمال العلم والجمود على الأساليب التقليدية .

خَامِسًا : شيوع تزوج السلاطين من فتيات نصرانيات ويهوديات ؛ مما ترتَّب عليه تدخلُهن في سياسة الدولة .

سَادِسًا : اتساع رقعة دولة الخلافة حتى زادت على ستة عشر مليون كيلو متر مربع ؛ (أي ضعف مساحة الولايات المتحدة الأمريكية) .

سَابِعًا : شيوع الترَّف والبذخ والإسراف .

ثَامِنًا : الثورات الداخلية ، وتَمَرُّد الرعايا من النصارى وغيرهم ، بفعل الروح الصليبية المعادية ، التي تَشَبَّعَ بها الأوروبيون تجاه الدولة ، مما أنهك كِيَانها وَمَزَّقَهَا .

تَاسِعًا : انتشار الدعوة إلى العصبية القومية .

عَاشِرًا : نشاط الجميعات السرية العاملة على الانفصال عن الدولة ، وتأسيس الجمعيات ذات الأهداف السياسية ، تحت ستار أسماء علمية وأدبية ، وبخاصة في بيروت ؛ حيث انتشرت الإرساليات النصرانية الموالية للغرب ، وفي إستنبول حيث كان معظم أعضائها من الأتراك المفتونين بأوربة ، الداعين إلى العصبية التركية ، ومن أصحاب المصالح ، واليهود الناقمين على الحكم والإسلام ، **وأشهرها** : جمعية «تركيا الفتاة» التي رفعت لواء التغريب ، ومنها تفرع الجناح العسكري الذي عُرف باسم «الاتحاد والترقي» .

وَضْعُ الإِمَارَاتِ السُّودَانِيَّةِ :

يقع السودان - جُغْرَافِيًا - في وسط البلاد الإسلامية العربية ، ومع ذلك فقد كان - تاريخيًا - من أحدث البلاد دخولًا في الإسلام ؛ حيث تأخر انتشار

الإسلام فيه حتى القرن الثامن الهجري (الرابع عَشَر الميلادي)، ويبدو أن اندفاع الفاتحين المسلمين إلى الغرب - بعد تمام فتح مصر - شغلهم عن الاتجاه جنوبًا[١].

إن السودان من البلاد التي دخلها الإسلام دون حرب ؛ دخلها بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، فدون تدخل من أي دولة إسلامية ، كان الإسلام يسري في بلاد السودان في هدوء يملأ القلوب ؛ وذلك عن طريق بني رفاعة ، وعرب جهينة ، ودولة الفونج[٢].

(وقد انفردت بلاد سودان وادي النيل بوضع متميز عن سائر البلاد الإسلامية ؛ فعلى قربها من بلاد العرب ، وصِلَتِها الأبدية الحميمة بمصر ، وبرغم بكور دخول الإسلام فيها ، ظلت خارج حوزة الخلافة الإسلامية الراشدة منها والأموية ، والعباسية أو العثمانية التركية ، ظلت على هامش ذلك العالم ، ولم تكن التغيرات والتيارات الفكرية والسياسية والاقتصادية المتجددة ، والمتكررة لِتَمَسَّهَا إلا بقدر يسير ، وعلى طول ذلك الزمان ، فإن الأمة السودانية كانت في طور التكوين البشري ، والجغرافي ، والسياسي ، واستمر ذلك الحال حتى مطلع القرن التاسع عشر .

لقد بقيت الممالك النصرانية في بلاد النوبة الممتدة من حدود مصر ، وحتى «سنار» في أواسط الجزيرة حيًّا كَمَيِّتٍ ، منذ ظهور الإسلام، وحتى القرن الخامس عشر لا تمثل إلا سلطة متآكلة مع الزمان ، وديانة لم يُتَحْ لها إلا القليل بين سكان ضِفاف النهر ، بينما كان الإسلام واللغة العربية والقبائل العربية تنتشر ، وتغلب على المجتمعات النوبية ، والمجتمعات البدوية العربية والنوبية ، ومن كانت تتصل به من الجماعات الزنجية في الغرب وفي الجنوب ، في بلد

---

(١) «أطلس تاريخ الإسلام» ص(٣٣٤) .

(٢) «نفس المصدر» ، ص(٣٣٦) .

شاسع تمتد أرضه من المدار الشمالي ، وحتى خط الاستواء . نعم ، لقد حدثت تحولات كبيرة ، وخطيرة في القرن الخامس عشر ، وقُبَيْلَهُ ، وبعده ، وأصبح الإسلام الكَم والكيف ، وصارت له السلطة والدولة ، وأصبح له النفوذ السياسي[١] ، ووجدت شريعة اللَّه سبيلها للناس .

حدث ذلك عندما قامت الممالك الإسلامية في الغرب ، والوسط ، والشمال ، في «تقلى» و«المسبعات» ، وفي «سنار» التي امتدت سلطتها حتى حدود مصر ، وعُرِفَتْ «بالسلطنة الزرقاء» ، وكان كل ذلك ؛ لانتشار القرآن ، وازدياد العلماء ، والتوسع في الصلات المتنوعة مع العالم الإسلامي المجاور ، في مصر ، وفي الحجاز ، وفي تونس ، وليبيا ، والمغرب . واستمرت تلك التغيرات تزيد من حركة أهل بلاد سودان وادي النيل في الداخل بعضهم ببعض ، فيزداد الإسلام انتشارًا ، وتزداد حركة انتشار اللغة العربية ، وما يتبعها من قِيَم ومفهوم وسلوك ، ويبلغ ذلك الأجزاء الجنوبية منه ، وبنفس القدر كانت حركة الاتصال بالخارج تزداد ، فكانت للسناريين أروقتهم المعروفة بهم في «الأزهر الشريف» ، وكان لهم حجيجهم المعروف بهم في الحجاز ، وكان لهم علماؤهم ، وشيوخهم ، وتجارهم المعروفون في عالمهم المجاور ، القريب منه والبعيد .

واستمرت - في نفس الوقت - التحولاتُ السياسية والاقتصادية والحضارية الناشئة عن العوامل التالية :

أولًا : اشتداد المواجهة بين «دار الإسلام» ، و«دار الحرب» ؛ الأتراك العثمانيين ، وخَلْفَهُم العالم الإسلامي في مواجهة الكنيسة البابوية ، وخَلْفَهَا كُلُّ دُوَلِ الغرب النصراني .

---

(١) وقد قيل في تصوير ذلك : إن دار الخلافة كانت «جلبابًا» وسطه جزيرة العرب ، وكُمَّاه يمتدان شرقًا في آسيا ، وغربًا في مصر ، وشمال إفريقية إلى أقصى المغرب .

وثَانِيًا : ما نتج من تلك المواجهة من تحولات في طرق التجارة ، واكتشاف للمسالك البحرية ، وعلى رأسها اكتشاف أمريكا ، والدوران حول «رأس الرجاء الصالح»(١) وصولًا للّهند .

وثالثًا : تَسَاقُط بلاد العالم الإسلامي ، واضمحلال نفوذه رويدًا من الأطراف ، في الغرب النصراني ، إلى أن أصيب العالم الإسلامي في قلبه بسقوطِ الشام ومصر ، ومن قبلهما بلاد المغرب ؛ لنفوذ فرنسا وبريطانيا .

ظلت نتائج كل هذا تنعكس على السودان في داخله ؛ إذ لم يكن ليلفت من أنظار الطامعين ، وكانت أوربة النصرانية قد أخذت تتوغل مكتشفةً أسرارَه ، وإمكاناته عن طريق الرَّحَّالة ، والمسافرين ، والتجار ، والمنصِّرين ، وتشقى إذ تجد الإسلام واللغة العربية ينتشران ، ويتحلب لعابها لثروات عظيمة فيه ، واستراتيجية تملك بناصيتها موارد النيل ، مِفتاحَ حياةِ مصرَ ، ومع بداية القرن التاسع عشر كان «محمد علي باشا» قد أحكم قبضته على مصر ، وخطط لأسباب متعددة لغزو بلاد النوبة ، وكردفان ، ودارفور بعد أن عرف عنها الكثير .

كان في بلاد سودان وادي النيل من السَّعة والثروة والرجال الأشداء ما يغري واليَ مصر «محمد علي باشا» الطَّموحَ القادمَ من «ألبانيا» بعد ظهور «النظام الجديد» ، وكانت بلاد النوبة وسنار وكردفان ودارفور تعيش فترة هامة من

(١) كان البرتغاليون حريصين على تطويق المسلمين ، ولما بدأ ملك البرتغال حملته على المسلمين في مراكش ، وجد أن التطويق يجب أن يكون عن طريق الوصول إلى بلاد لا يسكنها مسلمون ، حتى لا يساعدوا سكان الأندلس بثورات يقومون بها ، فكان الانتقال عبر السواحل الإفريقية الغربية ، وكانوا كلما وصلوا مكانًا وجدوا فيه مسلمين ؛ تركوه ، واتجهوا جنوبًا ، حتى وصلوا الكنغو ، وتجاوزوا خط الاستواء ، ثم دفعت العواصف «بارتملي دياز» نحو أقصى جنوب القارة الإفريقية ، وتجاوزها حتى وصل السواحل المطلة على المحيط الهندي ، ولما عاد سمَّى الطرف الجنوبي من القارة برأس العواصف ، ولكن ملك البرتغال أطلق عليه اسم «رأس الرجاء الصالح» Cape of Good Hope حيث شعر بأمل في إمكانية تطويق المسلمين ، كان هذا والمسلمون لا يزالون مرابطين في الأندلس ، انظر : «أفريقيا يراد لها أن تموت جوعًا» ص(١٩١) .

تاريخها ، صِلَاتهَا فيما بينها ، وصِلَاتهَا بالخارج ، وحركتها نحو مناطق جنوب وادي النيل ، وكان الإسلام ينتشر ، وكانت اللغة العربية تنتشر ، وكانت أساليب حياة الناس تتأثر بذلك في كل شيء قيمهَا ، ونظمهَا ، وتوجهاتهَا ، وسلوكهَا ، وتعاملهَا ، وما إلى ذَٰلِكَ ، وكانت شعوب بلاد سودان وادي النيل وقبائلها ، تعيش فترة انطلاقة نحو التلاحم والانسجام والانصهار في بوتقة الإسلام والعروبة ، وإذا بباشا مصر الذي سمع عن جيران مصر في الجنوب الكثير يُعِدُّ العدةَ لغزو تلك البلاد .

لم تكن تلك البلاد قد عرفت الغزو بالصورة التي عرفتها مصر وجاراتها مراتٍ ومراتٍ من قبل... ولم يكن ثمة أسباب لغزو الآخرين أو الغزو من الآخرين ، لم يقبل السودان فكرة غزو «محمد علي» ، فكتبوا مستنكرين مدافعين بأنهم مسلمون ، وبلدهم بلد مسلم ، دار إسلام ، وليس دار حربٍ للمسلمين ، فكيف يغزوهم جارٌ مسلم ؟!

وعندما بدأ «محمد علي» غزوه عام ١٨٢٠م لم يقابله النوبة والشايقية مستسلمين لعدده وعتاده ، فقاوموه بأرواحهم في معاركَ كانوا يعلمون أنهم سيخسرونها معاركَ ، ويكسبونها استشهادًا ومستقبلًا ؛ إذ يظل الثأر ، ويبقى الحق ما بقي عنه المدافع ، وهكذا كان الحال في بلاد «الجعليين» ، وفيما بعدها من البلاد حتى مناطق الجنوب ، وما كان «محمد علي» وأتباعه ليصلوا إلى ما وصلوا إليه في السودان لولا غلبتهم عددًا وعُدَّة ، وما كانوا بمستطيعين هم - أو مَن سُمي بالمكتشفين لمنابع النيل من الأوربيين - أن يعرفوا ما عَرَفوه ، أو يبلغوا ما بلغوه ، لولا أنَّ تَوَسُّعَ «محمد علي» وتوسع أوربة صادف حركة واسعة لاكتشاف الذات ، واكتشاف الأرض في داخل البلاد ، وبَدَهِيٌّ أن سكان تلك المناطق لم يكونوا بحاجة إلى من يكتشف لهم بلادهم من الخارج ، ولنا أن نرجع لسيرة «الزبير باشا رحمت» ، وأمثاله ومعاصريه لنعرف العمل الكبير والأساسي الذي قاموا به فيما تم من توسع ، وما سمي باكتشافات .

أحدث غزو «محمد علي» للسودان هزة بالغة في كيان مجتمعه المسلم الذي عرف للإسلام صفاءه وأمجاده، وعرف للمسلمين زهدهم، وورعهم، وتقواهم، وعزتهم، وعزمهم، وحسمهم. إنها بلادٌ أنارها نور القرآن، وقد انتشرت خلاويه «وفُقَراه»[1] في كل جوانب البلاد ؛ شرقًا وغربًا، شمالًا وجنوبًا، إنهم شعب عمرت قلوبهم بالإيمان، وحسن إسلامهم، وقام فيهم العلماء، وقضاة العدالة، ونبغ فيهم البلغاء، والشعراء، والمُدَّاح (مُدَّاحُ الرسول - صلى الله عليه وسلم -)، ومِن قَبْلِهِمْ حفظة القرآن ؛ حتى أصبحت مواضع وأسماء قرى كثيرة من جهات السودان المختلفة تعرف «بالفقراء»، أو «بخلاوي القرآن»، أو «بالمسْيِد» (المسجد) ؛ حيث أصبحت أماكن استقرار العلماء وحفظة القرآن المواضع التي تعمر بالسكان والعمران.

كان ذلك الإسلام، ثم كانت تلك الهزة العنيفة العميقة، وما تبعها من حكم ظالم بغيض، وحكام ما كانوا بأية حال يعكسون الصورة المتوقعة من الإسلام والمسلمين ؛ كان عهد «محمد علي» ببلاد سودان وادي النيل هو العهدَ الذي دخلت فيه تلك البلاد في منظومة بلاد الشرق الأدنى ؛ لتصبح بطريق غير مباشرة جزءًا من الإمبراطورية العثمانية المتحضرة، وبتلك الصورة وجدت بعض المداخل للعالم الحديث ؛ مثل وسائل الاتصال السلكية، ومبادئ التعليم الحديث، عمل فيه «رفاعة رافع الطهطاوي»، وبعض المحاصيل الزراعية

---

(١) الخلوة الصوفية تعني في السودان «مدرسة القرآن»، وفي أنحاء السودان : في الحوش، أو في ظل ركوبة، أو تحت شجرة في السوق ؛ كان يمكن مشاهدة حلقات الأطفال حول الفقيه جالسًا، وقد انتشرت هذه الخلوات حتى بلغت ١٥٠٠ خلوة، والدارس فيها يسمى بالحواري، وبعد دراسة سبع سنوات في ترتيل القرآن وحفظه يسمى «الحافظ»، وقد يرتفع بعد ذلك فيصبح فقيهًا، ثم يقوم بعد ذلك بالانتماء إلى شيخ إحدى الطرق، وإن لفظ «فقيه» قد حوَّرته الجماعات الصوفية في مصر والسودان إلى لفظ «فقير»، وجمعها «فقراء»، وهم يقابلون «الدراويش» في البلاد الإسلامية الأخرى. انظر : «إمارة الإسلام المهدية في السودان» للدكتور إبراهيم شحاتة حسن ص (٤١- ٤٢).

الجديدة ؛ مثل القطن ، مع بعض وسائل الزراعة الحديثة ، لكن كانت مع ذلك السخرة ، والتجنيد الإجباري ، وأساليب من العَسْف والتعذيب ؛ مثل «الخازوق» ، وكانت الضرائب الباهظة ، وجاءت مع جنود باشا مصر - وهي أخلاط عجيبة من بقايا المماليك والفلاحين المُجْبَرِينَ - جاءت معهم أشكال غريبة من شُذَّاذِ الآفاق ، وحثالة أوربة الغربية ، من غربها ووسطها وجنوبها ، من الرعايا العثمانيين وغيرهم من الأوربيين ، لم يكن غريبًا أن يحسب الكثيرون أنها علامات آخِرِ الزمن ، ولابُدَّ أن يزول ذلك الكابوس عن العالم الإسلامي المنهزم كله بظهور «صاحب الوقت» «المجدد» «الختم» ، «القطب» ، أو «المهدي» .

لم يكن ذلك التوقع قاصرًا على السودان ، بل شمل العديد من المسلمين ، بيضان وسودان)[١] .

لقد كانت أولى أعلام دخول السودان ميدان التاريخ محاولة «محمد علي» صاحب مصر فتح السودان ابتداءً من سنة ١٨٠٧م ، وتوسيع حدود مصر حتى تشمله ، وقد بدأت العملية سنة ١٨٢٠م ، ومهما قيل في محاولة « محمد علي » فتح السودان ؛ فإنها في الحقيقة كانت نداءً قويًّا أيقظ السودان ، ونَبَّهَ أهله إلى أنه أصبح عضوًا في أسرة الإسلام والعروبة الكبرى ، وأن عليه أن يأخذ نصيبه من آلام هذه الأسرة ومسراتها[٢] .

❁ ❁ ❁

---

(١) «ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر» ص(٣٥٨- ٣٦١) بتصرف .

(٢) «أطلس تاريخ الإسلام» ص(٣٣٦) .

أَسبَابُ غَزوِ «مُحَمَّد عَلِي» للسُّودَانِ(١)

١- ما أكد عليه «محمد علي» في مراسلاته لابنه ؛ وهو جلب العبيد لتشكيل جيش قوي منهم .

٢- مطاردة المماليك الذين فروا بعد مذبحة القلعة إلى النوبة ، ثم إلى بلاد الفونج سنة ١٨١١م .

٣- إشغال الجند الألبانيين أو التخلص منهم عن طريق إرسالهم إلى السودان .

٤- كشف منابع النيل والسيطرة عليها .

٥- اكتشاف ثروات السودان ، وبخاصة الذهب والفضة والعاج ، بجانب الثروة الزراعية ، واستغلالها لتعويض خسائره في الحروب .

٦- ترويج تجارة مصر في السودان .

٧- توسيع حدود دولته عن طريق توحيد مصر والسودان .

أرسل « محمد علي » عام ١٢٣٦هـ حملة بقيادة ابنه الثالث «إسماعيل كامل باشا» ، وكان في الخامسة والعشرين من عمره ، فاستولى على «دنقلة» و«بربر» و«شندي» ، وكذلك قضى على مملكة الفونج ، غير أن إسماعيل أُصيب بمرض ، فتوجه عائدًا إلى مصر ، ولما وصل إلى بلدة «شندي» انتقم منه حاكمها بأن أحرق الخيمة التي كان يقيم فيها ، واحترق معها ، مما أحزن «محمد علي» ، وأثار غضبه ، فأرسل جندًا جديدًا بقيادة «خورشيد باشا» ، فأحرق بلدة شندي ، ونكَّل بأهلها .

وبقيت المناطق المذكورة تحت حكم «محمد علي» وأسرته من بعده ، وفي عام ١٢٧٩هـ؛ وصل « إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي » إلى حكم مصر ، وكان حريصًا على التوسع ، وكانت الدولة العثمانية آنذاك على درجة من الضعف

(١) انظر : «التاريخ الإسلامي» (٤٨٨/٨) ، و«الأصول الفكرية» ص(١٠٤) .

تحولُ دون إمكانية فرض هيبتها على المناطق البعيدة عن مركزها والتابعة لها ، فتنازلت له عن سواحل البحر الأحمر الغربية ، وسواحل خليج عدن ، ورأى هو أن يضم إليه الأراضي الواقعة إلى الجنوب من حدود دولته ، حيث المجرى الأعلى لنهر النيل ، فعهد إلى ضابط إنكليزي يهودي يدعى « صموئيل بيكر » ، لتنفيذ أغراضه ، وأعطاه رتبة فريق في الجيش المصري ، وعهد إليه بمهمة فتح الجنوب بما في ذلك « أوغندا » ، أو ما عرفت آنذاك باسم « مديرية خط الاستواء » « إكواتوريا » ، وكلَّفه بالعمل على تنشيط التجارة المشروعة ، والوقوف في وجه تجارة الرقيق...

ولقد وضعت مصر سياسة ثابتة لنشر الإسلام في مناطق منابع النيل ، وتوافد العلماء والفقهاء من مصر إلى هناك ، وما أفسد هذا العمل الجليل كله إلا الإنكليز الذين هم وراء متاعب العالم الإسلامي كله من السودان إلى فلسطين .

* **يقول د . حسين مؤنس :**

إن أساليب الإدارة المصرية أيام « محمد علي » كانت غير منصفة ؛ لا لأهل السودان ، ولا لأهل مصر ، ومع ذلك فقد كانت وَحدة مصر والسودان أيام «محمد علي» ، وما بعدها إلى أواخر أيام « إسماعيل » ، من أكبر العوامل في إتمام إسلام السودان ، ولولا أن « إسماعيل » الخديوي عهد في إدارة السودان لزبانية الاستعمار من أمثال « صموئيل بيكر » ، و« جوردون » ، لأصبح السودان كله إسلاميًّا خالصًا ، بل لامتدت دولة الإسلام حتى شملت وادي النيل كله[1] .

لم يكن غريبًا أن يخون « صموئيل بيكر » و« جوردون » الأمانة التي أنيطت بهما ، ولكن العجب الذي لا ينقضي هو : كيف تأتمن الإدارة المصرية هذين الذئبين الذين عملا - بكل إخلاص - لمصالح وطنهم إنكلترا ؟!

بِأَبِي وَأُمِّي ضَاعَتِ الْأَحْلَامُ أَمْ ضَاعَتِ الْأَذْهَانُ وَالْأَفْهَامُ

---

(١) « أطلس تاريخ الإسلام » ص(٣٣٦) .

مَنْ حَادَ عَنْ دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَلَـهُ بِـأَمْـرِ الـمُـسْـلِـمِـيـنَ قِـيَـامُ

لقد أقيل «بيكر» بعد أن ثبت أنه يعمل على عكس البرنامج المطلوب منه ؛ من كسب محبة سكان الجنوب ، وتأليف قلوبهم ، والتقريب بينهم وبين إخوانهم في الشمال .

ثم استخلف «إسماعيل» ضابطًا بريطانيًّا آخر هو «جوردون» (١٢٩١هـ، ١٨٧٣م) الذي جاء إلى مديرية خط الاستواء ؛ ليخدم المصالح الإنكليزية كسابقه .

واستهل «جوردون» عمله بأن أرسل إلى ملك «أوغندا» بعثة تُعَلِّمُهُ «الدين الأوربي» ، وتُحَدِّثُهُ عن عظمة ممالكها ؛ وذلك لأن ملك أوغندا «موتيسا» كان قد عقد العزم على اعتناق الإسلام ، وطَلَبَ من «جوردون» - بصفته مُوَظَّفًا يُمَثِّلُ مصر - إرسال علماء من الأزهر ؛ كي يعلموه وقومَهُ دين الإسلام ؛ تمهيدًا لانضمام «أوغندا» - اختياريًّا - إلى السودان ، وبدلًا من ذلك أرسل إليه تلك البعثة كي تَحُولَ دون دخوله في الإسلام ، وتدعوه إلى اعتناق النصرانية[١] .

وقد منع «جوردون» وصول السلطات المصرية إلى مياه «بحيرة فيكتوريا» ؛ خوفًا من وصول المسلمين إلى تلك الجهات ، واحتكاكهم بأبناء البلاد ، والتأثير عليهم ، وتركها ميدانًا رحبًا للتوسع الإنكليزي[٢] .

* **يقول د . عبد العظيم الديب - حفظه اللَّه - :**

(... وقد وقع في يد المسئولين بمصر - قَدَرًا - رسائلُ متبادَلَة بين «جوردون» ولندن ، تثبت أنه يعمل لحسابهم ضد مصر ؛ لهذا أُخرج «جوردون» من السودان)[٣] . اهـ .

---

(١) «جنوب السودان» ، د . عبد العظيم الديب ، ص(٢٢- ٢٤) .

(٢) «التاريخ الإسلامي» (٨/٥١٠) .

(٣) «جنوب السودان وصناعة التآمر ضد ديار المسلمين» ص(٢٤) .

«جوردون» للمرة الثانية :

*** يقول د . عبدالعظيم الديب- وفقه اللَّه- :**

(وكأن إنجلترا أعيتها الحيل في السودان ، في قلب أفريقية ، فنقلت مؤامراتها وجهودها إلى رأس القارة ؛ إلى مصر ، عسى أن تضرب السودان (قلب أفريقية) إذا تم لها ضرب مصر (رأس أفريقية) ، فنصبت شِبَاكَ الديون والقروض ، وأوقعت فيها حُكَّام مصر ، وتدخلت في شئونها ، وراحت تملي أوامرها في كل شأن بما في ذلك إدارة السودان .

فحين سَلَّمت ، واعترفت بحدود السودان ، ووَحْدتِهِ استدارت من ناحية أخرى ؛ لتحطم وتفتت هذه الوحدة ، وفرضت على مصر (التي كانت قد خضعت لها) تعيين «جوردون» حاكمًا عامًّا للسُّودان ، ويا للسخرية ! مصر تحكم السودان ! والحاكم « جوردون » .

وجاء « غوردون » الذي طُرِدَ من قبل... لا مديرًا للجنوب فحسب ! بل حاكمًا عامًّا ، يحمل خطة واضحة لتحقيق ذات الأهداف القديمة ، وهي :

١- تفتيت السودان ، وعدم السماح لدولةٍ بهذا الاتساع برفع هامتها في قلب القارة .

٢- القضاء على الدين الإسلامي[(١)] .

٣- محاصرة العنصر العربي في السودان ، وإضعاف شأنه ، وتحطيمه .

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف الخبيثة استخدم الأساليب التالية :

١- عزل جميع الموظفين النابهين ذوي السمعة الحسنة ، والسيرة النبيلة ، مصريين وسودانيين ، ولم يكن يطيق أي سوداني نابه يتفهم مشكلاتِ بلاده ، ويعمل لإسعادها .

٢- جاء بجيش من الموظفين المرتزقة من أوباش الأمم ، وكان شرطه الأول

---

(١) وكان «جوردون» قد طلب- أثناء وجوده بالسودان- قسيسًا من السويس ؛ لينشر المذهب البروتستانتي بين مسلمي السودان ؛ كما في «الأصول الفكرية» ص(٩٠) .

والأخير فيمن يعمل معه أن يكون عنصريًا متعصبًا للرجل الأبيض .

٣- عمل على بعث الروح القبلية بين أهل البلاد ، وراح يوقع بين كل قبيلة وأخرى ، وألزم كل سوداني أن يكتب بجوار اسمه في الأوراق الرسمية - كشهادة الميلاد ونحوها - اسم القبيلة التي ينحدر منها ؛ حتى لا ينعم أهل البلاد بالأخوة الكاملة .

٤- عمل على تحطيم العقيدة الإسلامية في نفوس الشعب ، فأوعز إلى بعض رجاله الأوربيين فادعوا الإسلام ، ولبسوا ملابس المشايخ أصحابِ الطرق ، وادَّعَوْا التفقُّهَ في الدين ، وأخذوا في إفتاء الناس على هواهم ، وقاموا بنفس الدور الذي قام به من قبل «عبدالله بن سبإ» اليهودي .

وكان على رأس هؤلاء «جس» الإيطالي الذي تسمى باسم الشيخ «أمين» ، وكان يُوَزِّعُ البركاتِ ، ويمنح العهود .

٥- وأصدر «جوردون» أمرًا أباح به البغاء العلني ، واستقدم جيشًا من العاهرات ، وأباح لهن السكنى في أي مكان ، ولو بجوار المساجد والزوايا والمدارس .

٦- عمل على فصل جنوب السودان عن شماله ، فقد ظهرت صحيفة «المكتشف» الإيطالية في تلك الفترة ، وفيها على لسان أحد معاوني «جوردون» الإيطاليين : «يجب أن نفصل تمامًا البلاد السوداء (أي بلاد الزنوج) عن البلاد العربية من السودان ، والتي يهيمن عليها العرب ، وأن تُجْمَعَ تحت إدارة مستقلة واحدة أراضي بحر الغزال ، ومديرية خط الاستواء ، وذلك أن العرب الموجودين في السودان ليسوا إلا لصوصًا وشحَّاذينَ يجب إرجاعهم إلى بلادهم الأصلية» .

٧- عمل على التخلص من الزعيم السوداني الخطير «الزبير رحمت باشا» ، فرفض رجوعه إلى السودان .

وظن «جوردون» أن جهوده قد أثمرت ، وما غرسه من شر قد آتى أُكُلَهُ ، فترك منصبه ، وذهب ليستريح ، وهو واثق من أنه حقق أهدافه الاستعمارية الخبيثة .

ولكن حالة البلاد كانت - كما صورها أحد علماء السودان - في رسالة إلى أستاذه بالأزهر يقول فيها : «... إن الحكومة التي يرأسها (جوردون) كأسدٍ كاسر ، والأهالي كالأنعام الضالة ، لا راعي لها غير الأسد ! هذه حالنا اليوم ، وأنا أؤكد لك أن هذه الأحوال لن تدوم إلا أيامًا قلائل ، وسترى أن الأغنام ستنقلب إلى ذئاب... وسيقودها أسد كاسر ، ويموت الأسد الظالم شَرَّ ميتة» ، وكأنما كان هذا العالم يقرأ من كتاب مفتوح»[1] . اهـ .

❁ ❁ ❁

(١) «جنوب السودان» ص(٢٧- ٣١) ؛ وانظر : «التاريخ الإسلامي» (٨/٥١٠) .

(٢٠) التَّعرِيفُ بِالمَهدِيِّ السُّـودَانـيِّ[1]
(١٢٥٩- ١٣٠٢ هـ)، (١٨٤٤- ١٨٨٥م)

هاجرت أسرة المهدي من الجزيرة العربية فيمن هاجر من العلويين ؛ فِرارًا من المظالم والآلام التي كان يصبها على رءوسهم «الحجَّاج بن يوسف الثقفي» في عهد الخليفة الأموي «عبدالملك ابن مَرْوان» وفي عهد ابنه «الوليد» ، وقد اتخذت هذه الأسرة وادي النيل مُهاجَرًا لها ، فأقامت في الفسطاط ما طابت لها الإقامة ، وبها مات أحد رجالها المعروفين « نجم الدين بن عثمان » ، ودفن عند «باب الوزير» ، حي من أحياء القاهرة القديمة ، ثم شدَّت الأسرة رحالها ، وواصلت رحلتها جنوبًا ، وقد طاب لبعض أفرادها المقام في «كشتمة» بين «أسوان » « والدر » وظل باقي الأسرة وعلى رأسهم السيد «نصرالدين بن عبدالكريم » بين ظَعْنٍ وإقامة ، وحَلٍّ وَتَرْحَال ؛ حتى انتهى بهم المطاف إلى إقليم « دنقلة » بالسودان ، فألقوا عصا تَسْيَارِهِمْ هناك .

وبعد نزول أسرة المهدي في إقليم «دنقلة» بالسودان اتجه بعض أفراد هذه الأسرة إلى جزر ثلاث هناك ، فاستوطنوها ، وهي جزر «ضرار» ، و« لبيب » ، و«آب تركي» ، ومن ثم عُرِفَتْ هذه الجزر ، وما زالت تعرف إلى اليوم ، باسم « جزائر الأشراف » .

ومن هذا الإقليم- إقليم «دنقلة»- ، وفي أواسط القرن السابع الهجري ، سطع نجم أحد رجال هذه الأسرة المبرزين ، وهو السيد « حاج شريف » ، وطار ذكره ، وبَعُدَ صيته ، وعُرِفَ بالعلم والتقوى ، فقصده الأتباع والمريدون من كل فج عميق .

---

(١) المصدر الرئيس لهذا الفصل : «الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته» ، للدكتور عبد الودود شلبي - حفظه اللَّه - من ص(١٧ : ٣١) بتصرف، ثم : «الخصومة في مهدية السودان» للدكتور محمد إبراهيم أبو سليم، و« الإمام المهدي » للدكتور محمد سعيد القدَّال.

وقد عُمِّرَ هذا الشيخ طويلًا ... مستمتعًا بسلطان روحي قوي، ووُلِدَ له من الذكور ستة، أكبرهم السيد «محمد» جَد المهدي من قِبَل أبيه، ثم قضى الحاج «محمد شريف»، وما زالت له ولذريته إلى الآن قباب بـ «دنقلة» تُعْرَفُ بقباب الأشراف...

وقد وُلِدَ للسيد «محمد بن الحاج شريف» وَلَدٌ سَمَّاهُ «عبدَاللَّه»، وهو والد المهدي، وكان صَنَاعًا ماهرًا، احترف هو وبعض أفراد أسرته حرفةَ النِّجَارة، وصناعة السفن.

وكانت المنطقة التي يعيشون فيها بـ «دنقلة»، لا تسعفهم بالأخشاب الصالحة لمزاولة مهنتهم، فارتحل «عبداللَّه» هذا، ومعه أسرته إلى مدينة «كرري» الواقعة على بُعْد خمسةَ عشرَ ميلًا شمال «أم درمان».

وقد اختلفت الروايات في تاريخ مولد المهدي، ونُسِبَ إلى ابنه السيد «عبدالرحمن المهدي» أنه قال: إن والده وُلِدَ في السابع والعشرين من رجب، سنة ١٢٦٠هـ، الثاني عشر من أغسطس ١٨٤٤م، وأن مولده كان بجزيرة «لبب»؛ إحدى جزائر الأشراف.

وقد أطلق عليه والده اسم «محمد أحمد»، وظل يُعرف بهذا الاسم إلى أن جهر بدعوى المهدية في الثامنة والثلاثين من عمره، وقد مات والد المهدي بعد عام من انتقاله إلى «كرري» فدُفِنَ بها، وكذلك تُوفِّيَت والدته بعد عام من موت والده، وفي ذلك الوقت كان الصبي «محمد أحمد» قد بلغ السن التي يذهب فيها أقرانه إلى «الخلوة» أو «الكُتَّاب» لحفظ القرآن الكريم، فذهب إلى خلوة الشيخ الفقيه الهاشمي بالقرب من «كرري» شمال «أم درمان»، وبقي فيها سبع سنوات، حفظ فيها القرآن، وجوَّده، وقد رغب شقيقاه أن يتعلم صناعة السفن، فرغب في غير ما رغبا فيه.

ثم انتقل بعد ذلك إلى خلوة الشيخ «محمود الشنقيطي»، ثم إلى خلوة الشيخ

« الأمين الصويلحي » ، بمسجد «ود عيسى» بالجزيرة ، فبقي فيها قليلًا ، ثم مضى إلى خلوة الشيخ « محمد الضكير » في «الغبش» ، تجاه «بربر» ، فطاب له المقام والاعتكاف على الدروس والتحصيل .

قال الدكتور إبراهيم شحاتة حسن :

(كان واضحًا منذ طفولة «محمد أحمد» عدم ميله لصناعة أسرته ، وأظهر رغبته في تلقي العلوم الدينية ، وبدأ حياته التعليمية في مدرسة القرآن بكررى ، ثم بالخرطوم التي نزح إليها إخوته ، وبعد هذه المرحلة من التعليم بدأ مرحلة جديدة، فتطلع إلى مستوى أعلى من التعليم الديني في عصره ، ورحل حتى يستطيع إرضاء رغبته عند أقدام مشايخ الدين الكبار ، وكان الشيخ «الأمين الصوالحي» في جنوب الخرطوم أحد نجوم عصره في هذا المضمار ، فانضم محمد أحمد إلى حلقاته بعض الوقت .

وأمام رغبته الشديدة في تلقي العلم على يد مشاهير الفقهاء ؛ ارتحل «محمد أحمد» من جديد ، ووصل إلى بربر حيث مدرسة مسجد الشيخ «محمد الضكير»، وانضم إلى تلاميذه)[١] .

حقًّا لقد أظهر «محمد أحمد» في هذه الفترة إخلاصًا شديدًا للدين ، وراض نفسه حتى يكبح جماحها ، واشْتُهِرَ بالزهد والتقوى والورع ، والولاء الخالص للأستاذ، كما أظهر تبرُّمًا مبكرًا من علاقة المشايخ بالحكومة، وقبولهم الجِرَايات[٢] التي تنفقها عليهم ، كان يرى أن ذلك مال حرام ، يُجْبَى بلا شريعة تُسنِده ، وبأسلوبٍ من العَسْفِ شَدِيدٍ[٣] .

يقول الدكتور إبراهيم شحاتة حسن :

« وفي مدرسة الشيخ الضكير ، تبدأ انطلاقة «محمد أحمد» وتحول

(١) «إمارة الإسلام المهدية» ص (٤٥- ٤٦) .

(٢) الجِرايات : جمع الجِرَاية ، وهي الجاري من الرواتب .

(٣) «ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر» ، ص(٣٦٢) .

شخصيته، ففي هذه المدرسة ظهرت بوادر اتجاهاته الصوفية ، فأظهر ميلًا نحو العزلة والتأمل والابتعاد عن وسائل الترفيه في الحياة .

ومن ضروب زهده وتقشفه في هذه المرحلة تلك القصة التي تشير إلى امتناعه عن تناول الطعام الذي كانت تقدمه المدرسة لتلاميذها ، وهي إحدى المدارس التي كانت تتلقى معونة من الحكومة .

وتشير القصة إلى أن امتناعه عن تناول طعام المدرسة إنما بحجة أنه من مصدر غير شرعي ، من الضرائب التي تبتزها الحكومة من الفقراء »[1] . اهـ .

ويترقب «محمد أحمد» رسالة أهله ؛ ليدفع بها عن نفسه غائلة الحاجة والجوع ، فإذا ما جاءه المال ألفاه زائدًا عن حاجته الخاصة ، والقليل منه كافٍ لسد عِوَزِهِ ، ثم ينتهي به الأمر إلى أن يتصدق بالمال كُلِّه ، ويعتمدَ على نفسه بالخروج إلى الغابة لقطع الأخشاب ، وبيع ما يقدر على حمله منها في السوق ، ويأكل ببعض ثمنه ، ويتصدق بالباقي كله على الفقراء .

فإذا تعذر عليه الاحتطاب من الغابة لسبب من أسباب الطبيعة ؛ خرج إلى النيل لصيد الأسماك ، وإنه ليتورع عن أن يضع في صنارته طُعْمًا حتى لا يخدع السمك الذي يحوم حولها في الماء ، إن السمك مخلوق من مخلوقات اللَّه ، فلا ينبغي لأحد- إن كان مسلمًا - حقًّا - أن يخدع هذه المخلوقات ، وإذا كان اللَّه قدر له رزقه ، فليكن بطريق آخر غير التحايل والخداع (؟!) .

ويعلم شيخه «محمد الضكير» بقصة عزوفه عن طعامه ، وقطعه الأخشاب في الغابة ، واحتطابه ، وخروجه لصيد الأسماك ، وتورعه عن خداعه ، فيُقَبِّلُهُ بين عينيه إجلالًا ، ويضمه إليه حُبًّا وإكبارًا ، ثم يعرض عليه قائلًا : «يا بني ، إني ورثت عن آبائي هذه الساقية ، وتلك الأرض ، والجارية والعبد ، وإني لأقتات وأهلي منها ، وإنك لتوليني فضلًا أيَّ فضل لو أنك شاركتني القليل مما لديَّ» ،

---

(١) «إمارة الإسلام المهدية» ص (٤٦) .

فأطرق «محمد أحمد» إطراقةَ المتأني، فألَحَّ عليه أستاذه، وعاود الإلحاح، فقبل على أن يؤدي عِوَضَ ذلك عملًا يساعد به الجارية والعبدفي حرث الأرض.

هكذا كان أمره، ولَمَّا يَبْلُغِ العشرين، لقد حصَّل «محمد أحمد» في تلك السن المبكرة من العلم الكثير فدرس في النحو، والصرف، والفقه، والتفسير، والتصوف، وأُولِعَ بالأدب والعلوم العقلية؛ فدرس الفلسفة، والعلوم الطبيعية، والمنطق، وأقبل على التفسير، وقرأ فيه قدرًا كبيرًا[١].

وكان الحكم المصري قد فتح الطريق أمام الصوفية التي نشطت في القرن التاسع عشر إلى أبعد الحدود[٢]؛ فاشتد نشاط الطريقة السَّمانية التي دخلت السودان سنة ١٨٠٠م، وشجع «محمد علي» طرقًا صوفية أخرى؛ كالطريقة السعدية؛ وهي فرع من الرفاعية، والطريقة الرحمانية؛ وهي فرع من الدرقاوية.

فماذا يختار «محمد أحمد» من هذه الطرق؟ وإلى أي شيخ يتقدم ويُبايع؟ لقد ذهب إلى الشيخ «محمد شريف نور الدايم» نقيب الأشراف، وشيخ المشايخ، والقطب البارز في الحركة الصوفية، وحفيد مؤسس الطريقة «السَّمانية» في السودان الشيخ «أحمد الطيب البشير»، وكانت شهرته قد سبقته إلى أستاذه، فأخذ منه العهد، وتَقَبَّلَهُ أحسن قبول، وكان ذلك في سنة (١٢٧٧هـ- ١٨٦١م)، وبقي عنده منقطعًا للعبادة والصلاة، ملازمًا خدمةَ أستاذه، سعيدًا بأيِّ عملٍ يكلفه به، مبالغًا في احترامه وتقديره، حتى إنه ليجلس أمامه مُنكسًا رأسه، فلا يرفعها إلا إذا حدثه.

---

(١) ووجد بخطه على ظهر نسخة من «تفسير الجلالين» ما يفهم منه أنه قرأه أكثر من سبع وأربعين مرة على مشايخ كثيرين.

(٢) انظر تفصيل ذلك في «إمارة الإسلام المهدية» ص(٤١- ٤٣).

كان كالطفل «بين يدي القابلة... والميت بين يدي غاسله» ؛ كما يقول الصوفية ، لذلك أحبه شيخه ، ورقاه في مدارج الطريقة ، ورفع له راية ، وأذن له بالتجوال في البلاد ، وإعطاء العهود للمريدين[١] ، لكن سرعان ما دبَّ خلافٌ بينه ، وبين شيخه «محمد شريف» ، حصلت بينهما بسببه جفوة ، فعاقبه على جرأته ، وطرده من طريقته ، وكانت تلك خلفية انتقاله إلى جزيرة «آبا» في النيل الأبيض ؛ حيث شيَّد مسجدًا ، وأقام خلوة للتدريس عام (١٢٨٦ هـ - ١٨٧١م) .

رَجَعَ «محمد أحمد» بعد ذلك إلى جزيرة «آبا» ، فأقام بها مسجدًا ، وشقَّ لنفسه غارًا ، وأنشأ بها خلوة لتعليم الناس من كل مكان ، ويُقَالُ : إنه كان يتولى تعليمهم بنفسه ، حتى إنه علَّم ألوفًا مؤلفة من الأعراب ، وتناهى إلى الناس أمر هذا الولي الشاب ، فأقبلوا عليه يطلبون البركات .

وبدأ نجمه في الظهور والارتفاع ، فقد أخذ الناس يتناقلون أخبار هذا العابد الناسك ، وينشرونها في كل مكان : إن «وليًّا» جديدًا من أولياء اللَّه يسكن جزيرة «آبا» ، والسفن المسافرة على مياه النيل لا يمكن أن تمضي دون التوقف بمحاذاة هذه الجزيرة ؛ لنوال البركة ، والتمتع بالنظر إليه لحظة .

ويعاوده الحنين إلى شيخه ، فيذهب لزيارته ، ويتقدم إليه كعادته ضارعًا ذليلًا . . وقد وضع «الشِّعبة»[٢] في عنقه ، وفروة الضأن فوق خاصرته ، ويحثو الرماد على رأسه كأنه العبدالآبق ، ويقبل على شيخه طالبًا منه الرضا والمودة ، فيحل الشيخ الشعبة من عنقه ، وفروة الضأن من خاصرته ، وينفض التراب عن رأسه ، ويدعو له بالخير والبركة ، ثم يُقِيمُ عنده بعد ذلك مدة .

---

(١) ونظرًا لأهمية الجزيرة كمصدر للخشب وصناعة المراكب ، وللمركز الذي احتله «محمد أحمد» فيها ؛ نشأت العلاقة بينه وبين الحكومة ، وقامت الأخيرة بتقديره واحترامه إلى حد تهدئة سير البواخر لتحية شيخ الجزيرة ، كما في «إمارة الإسلام المهدية» ص (٤٧) .

(٢) الشِّعبة : خشبة طويلة يتفرع أحد طرفيها على شكل رقم (٧) ، وتوضع في عنق العبد الآبق ، أو المجرم .

كان هذا اللقاء بين الشيخ وحواريه هو آخر لقاء ينتهي بينهما في ألفة ومودة ؛ فلقد أخذت الأمور بعد ذلك تتدهور على نحوٍ غير متوقع ، وغامت سماء صفائهما بالسُّحُبِ .

لقد انتهى الأمر ، ووقع الخلاف بين «محمد أحمد» وشيخه... **واختلفت الآراء والأقوال في تفسير أسباب هذا الخلاف وتعليله :**

«**فالشاطر البصيلي**» يذكر قولًا منسوبًا إلى الشيخ «محمد شريف» : بأن سبب العِداء بينه وبين « محمد » مرجعه إلى أنه قد نهاه عن دعوته بالمهدية ، و«**توفيق أحمد البكري**» يذكر سببًا آخر للخلاف بينه ، وبين أستاذه ، يرجع في جملته إلى إنكاره على شيخه حفلةً أقامها في بيته بمناسبة ختان أولاده ، رقصت فيها النساء والإماء ، ونُقِرَتْ فيها الدفوف ، وكل ما يُصَاحِبُ ذلك من اللَّهو ، والمجون ، والشرب .

لقد ندد «محمد أحمد» بكل ما رأى ، وطلب من مريديه وأحبابه ألا يشتركوا فيه ، قائلًا : «إن الشريعة تمنع الرقص ، والغناء ، والشراب ، والمجون ، وليس في وُسع أحد إجازتها ، ولو كان إمامًا وشيخ طريقة» .

لقد كان اعتراض المهدي على شيخه بسبب ما رآه في بيته أمرًا يتفق تمامًا مع نشأته وتربيته ؛ فقد حدث في ليلة زفافه أن اجتمع بعض النسوة والرجال ؛ لإحياء هذه الليلة بالرقص والأغاني ، فقام إليهم «محمد أحمد» ومنعهم من ذلك ؛ لأن اختلاط الرجال بالنساء ، والرقص ، والأغاني ؛ حرامٌ كله .

ثم إن هذا التصرف من المهدي تجاه شيخه يؤيده ما وقع قبل ذلك مع أستاذه الشيخ «محمد الضكير» ؛ حيث اعترض عليه بسبب تقاضيه مرتبًا من الحكومة ، كان يُعطَى لمثله من علماء الدين وشيوخ الطرق ؛ لأن مال الحكومة «جُمع بطريقة لا يرضاها الدين ، وبوسائلَ لا تتفق والعدلَ ، فهو مالٌ حرامٌ ، وآكِلُهُ مُوغِلٌ في الحرام ، مُشْتَرِكٌ فيه» .

وقد ذكر أنصار «محمد أحمد» رواية أخرى لتعليل الجفوة والقطيعة بينه وبين أستاذه ؛ فهم يقولون : «إنه الحقد والحسد ، وانصراف الناس عن الشيخ محمد شريف» . وقد رأى الشيخ «محمد شريف» بنفسه إقبال الناس على «محمد أحمد» إقبالًا لا يجد مثلَه ، فساءه ذلك جدًّا ... وأخذ يعمل على الخفض من سطوة «محمد أحمد» ، وعين أحد المشايخ نِدًّا له في المنطقة التي يسكنها ، وطلب من الناس اتباع هذا الشيخ ، فأنكر «محمد أحمد» على شيخه «محمد شريف» هذا التصرف .

ومما يؤكد ذلك أن الشيخ «محمد شريف» حين ذهب إلى «رءوف باشا» الحاكم المصري للسودان يحذره مغبة الدعوة التي تقول : إن «محمد أحمد» هو «المهدي المنتظر» ، وكان «محمد أحمد» قد أعلن دعوته في ذلك الوقت ، فإذا بالحاكم يتباسم ؛ لأنه يعلم ما بين الرجلين من قطيعة ، ويعزو قوله إلى الحسد ، وضِغْنِ النفس .

وسواء أكان هذا الأمر ، أم ذاك ؛ فإن الشيخ «القرشي» أحدَ مشايخ الطريقة السَّمانية المناوئين للشيخ «محمد شريف» قد اجتذب إليه «محمد أحمد» ، وأكرم وفادته ، وأشاع أن «محمد أحمد» قد انفصل عن شيخه الذي خالف الشريعة والسنة .

وبينما هو يهم بالرحيل ، أقبل عليه رسول أستاذه «محمد شريف» يدعوه إليه؛ ليتصافيا بعد تلك الجفوة والنفور ، فاعتذر شاكرًا ، ومضى نحو الشيخ القرشي ، وجدد له العهد ، وتعلق بشيخه الجديد ، وتعلق به شيخه .

ويعلق الدكتور «عبد الودود شلبي» - حفظه اللَّه - على هذه الأحداث قائلًا :

وفي تصورنا أن هذا الخلاف بين «محمد أحمد» وشيخه ، كانت له آثار بعيدة في حياة «المهدي» ، وقيامه بحركته ، فقد خرج منه الحواري الثائر منتصرًا ، واستدعاه الشيخ القرشي مُرَحِّبًا ، ومحمد أحمد «بَشَرٌ» قبل أن يكون «وليًّا» .

لقد بدأ يشعر بأهميته في نظر نفسه ؛ كما بدأ يشعر بحب الناس والتفافهم حوله، وكان لانعتاقه من قبضة الشيخ «محمد شريف»، وارتباطه بالشيخ القرشي الذي كان قد بلغ التسعين من عمره ؛ كان لكل هذه العوامل أثرها في تصرفه، وتصوره، وفي حرية فكره وعمله، وفي الترحيب والابتهاج بكل ما يشيعه الناس عن كراماته ووَلايته.

ولم يلبث الشيخ القرشي أن مات (١٨٨٠م)، فبايعه أتباعه، ودخلوا جميعًا في طاعته، وكانت هذه البيعة وما أعقبها مقدمةً لإعلان مهديته.

يقول «إبراهيم فوزي»: إن الشيخ القرشي ذكر قبل وفاته أن زمن ظهور المهدي المنتظر قد حان، وأن الذي يشيد على ضريحي «قبة»، ويختن أولادي هو «المهدي المنتظر»، فلما سمع المهدي ذلك طار فَرَحًا، وجمع ثلاثَ مائة رجل من أتباعه، وذهب معهم إلى «الحلاوين»، وشيد القبة من اللَّبِنِ الأخضر، وختن أنجال الشيخ القرشي بعد أن أخذ العهود على كثير من الناس بتصديق دعواه قبل أن يصدع بها[١].

وبينما هو يعمل مع العاملين في البناء، قدم بدوي فارع القامة نحيلها، مس الجدري أطراف وجهه، غريب اللَّهجة والزي، حديد البصر، تومض عيناه بذكاء عظيم ؛ هو «عبدالله بن محمد ود تورشين» من قبيلة التعايشة.

لقد أقبل من غرب السودان يستحثُّ خطاه لأخذ الطريق من «محمد أحمد»... قال له: «يا سيدي: أنا عبدالله بن محمد ود تورشين، من قبيلة التعايشة البقارة، وقد سمعت بصلاحك في دار الغرب، فجئت لأخذ الطريقة عنك، وكان لي أبٌ صالح من أهل الكشف، وقد قال قبل وفاته: إنك ستقابل المهدي، وتكون وزيره، وقد أخبرني بعلامات المهدي وصفاته، فلما وقع نظري عليك رأيت فيك العلامات التي أخبرني بها والدي بعينها، فابتهج قلبي

(١) «السودان بين يدي غوردون وكتشنر» ص(٧٤).

برؤية مهدي اللَّه، وخليفة رسوله».

وقد ذكر الشيخ «محمد شريف» بعد خلافه مع «محمد أحمد» أنه: «في سنة ١٢٩٥هـ جاءني رجل من البقَّارة يروم سلوك الطريقة السَّمانية على يدي، فلقنته أورادها، ومكث ملازمًا لخدمتي، وأخبرني أنه جاء مع والده من بلاد «الكلكلة» جنوب مقاطعات «دارفور»، قاصدين الأقطار الحجازية؛ لتأدية فريضة الحج، وأنهما فقيران لا يملكان غير عجل من البقر ذللاه بزمام، وامتطياه على مألوف عادة أهالي تلك البلاد، ولما وصل إلى بلاد الجمع من تخوم كردفان الشرقية مات أبوه، ولحق به العجل؛ فأقام بمنزلي نحو عامين، فكان أكثر كلامه معي قوله: «**إنك المهدي المنتظر، من ارتاب في ذلك فقد كفر**».

فكنت أنهاه عن ذلك القول، ولا ينتهي، وفي ذات يوم قلت له: «أنا لست مهديًّا، وأبغضُ شيءٍ إليَّ سماع هذه الكلمة التي لا يسير بها غير تلميذي الذي طردته (محمد أحمد)، وقلت له على سبيل السخرية والازدراء: إذا كنت ممن يتوقعون المهدية؛ فعليك به»[1].

وفي اليوم التالي سألت عنه، فلم أجده، وأخيرًا علمت أنه لحق بمحمد أحمد في «الحلاوين»، وهو يشيد قبة الشيخ القرشي، وأنه حين وقعت عينه عليه خر على الأرض مدعِيًا أنه «أغمي عليه»، وبعد حين رفع رأسه، فسأله الحاضرون عن سبب إغمائه، فقال: «نظرت أنوار المهدية على وجهه، فصعقت من شدة تأثيرها على حواسي»[2].

«لقد بدأ المهدي في الدخول إلى مرحلة من تلك المراحل الفاصلة في حياته كفرد، وفي حياة السودان كشعب، وفي التاريخ كرجل من صانعي أحداثه، وعَلَم من أعلامه.. مرحلة تتصارع فيها نوازع الإنسان ورغائبه بين الرجاء،

---

(١) انظر ص(٣٣٠) هامش رقم (١).

(٢) «نفس المصدر»، ص(٧٥، ٧٦).

والخوف ، والأمل ، والواقع ، فيخطر له أنه مندوب لأمر هام يروقه أن يصبح أهلًا له ، ثم ينكل عنه خوفًا من تَبِعَاته وأهواله ، وكلما طالت به المناجاة والتساؤل ؛ تمكن منه الخاطر ، وتلمس الخلاص من شكوكه بالمزيد من الرياضة ، والاستعداد ، عسى أن يلهمه الغيب سبيل الرشاد ، ويجلو له حقيقة الأمر الذي هو في ريب منه ، وإذا احتجبت عنه آيات الإلهام فترة ؛ فليس بالعجيب في هذه الحالة - بين الأمل والخوف - أن يذكر فترات الحيرة التي مرت بالرسل الكرام ، ويحسبها من ضروب الامتحان والتمحيص ، في انتظار الموعد الموقوت ، وقد يصادفه بين هواجس هذه الحيرة من ينفضها عنه ببارقة أمل ورجاء ، وكلمة تشجيع ، فيتشبث بها ، وما أسرع النفس إلى التشبث بأمثال هذه العُلالة[1] في أوقات الأزمات » .

ثم يخطو الخطوة الأولى ، فلا يعدم من يخطوها معه ، ويسبقه إلى ما بعدها ، ثم تدفعه المصادفات تارةً حتى يتوسط الطريق ، وتنسد وراءه شيئًا فشيئًا منافذ الرجوع إن فكر في الرجوع ، ولن يلبث بعد ذلك أن يعلق بدولاب الحوادث ، فتوحي إليه أمرها بحكم الضرورة قبل أن يوحي إليها ؛ فإن خامره شك فلعله يحسب - في هذه المرحلة - أن المصلحة في التقدم أكبر ، وأضمن من المصلحة في التراجع ، والنكوص ، ويزعم لضميره أنه إنما يريد الخير ، ولا يحاسبه اللَّه إلا بما نواه »[2] .

❁ ❁ ❁

---

(١) العُلالة : ما يُتلهى به .

(٢) « الأصول الفكرية » ص (٣٠ ، ٣١) ، نقلًا عن « الإسلام في القرن العشرين » ص (١٤٧) .

أَسبَابُ الثَّورَةِ المَهدِيَّةِ

الأَوَّلُ: عَقِيدَةُ «المَهدِيَّةِ»:

لا شك أن حركة المهدي السوداني كانت حركة دينية في أساسها الفكري، وغايتها، ووسائلها[١]، ولا شك - أيضًا - أن التصديق بأنه هو المهدي الذي بشر به النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - خلع على زعامته نوعًا من القداسة، وجعل الناس يتسابقون إلى لقائه، والدخول في طاعته، وهذا لا يعني إغفال العوامل الأخرى التي دفعت حركته إلى «الثورية»، ونخص العامل الثقافي بالذكر هنا؛ إذ إن «الصوفية» هي التي شكَّلت، وصاغت صورة المهدي المنتظر؛ لما كانت تمثله من مرجعية بالنسبة للمجتمع السوداني عامة، ولشيوخ الطرق خاصة.

وهذا التصور لم ينبثق من مصادر السنة الصحيحة المحضة، وإنما اختلط به نتوءات وزيادات أَضْفَتْها عليه، وأضافتها إليه مصادر أخرى للتلقي، لا يسلِّم بها أهل السنة والحديث؛ كالأحاديث الضعيفة والموضوعة، والكشف، والإلهام، والرؤى، وحكايات الأولياء، واللقاءات المزعومة بالخَضِر، والأقطاب، والأوتاد، بل التلقي المباشر عن رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - يقظة، أو النقل عن اللوح المحفوظ مباشرة[٢].

لقد كان الشعب السوداني يتطلع إلى «المهدي المنتظر» «الذي يُخَلِّصُهُ من المظالم التي أناخت على كاهله بشدة، والتي جعلت من الحكام وحوشًا مفترسة؛ فالضرائب باهظة، والرشوة متفشية، والدماء مهدرة، والأعراض مستباحة، والعدالة مفقودة، وفي مثل هذا الجو يشطح الخيال، ويستبد الأمل بالناس، فيتمنون الخلاص بأية طريقة، وينتظرون طلوع الفجر من أية ناحية،

---

(١) انظر هامش (٢) ص(٣٩٦).

(٢) انظر بيان ذلك في كتاب: «أُصول بلا أُصول» للمؤلف.

وقد لعبت الطرق الصوفية دورها في هذه المحنة، وهيأت أذهان الناس لقدوم ذلك البطل.

يقول الدكتور محمد سعيد القدَّال:

«وهذا واقع موضوعي بقيت في كنفه المؤسسة الصوفية ملاذ الضعيف، وأمل المحروم، فهي الشيء الظاهر في أفق الحياة السودانية الضامر، ونمت في حِجر ذلك الواقع فكرةُ المهدي المنتظر وترعرعت، فهي أكثر الأفكار إضاءة في ظلام ذاك العصر، لقد بقي التناقض مع الحكم الأجنبي، والنقمة عليه **تتفاعلان في رحم المجتمع السوداني، وتتغذيان من شرايين تراثه الإسلامي**»(١).

وقد كان لابن عربي وكتبه دور كبير في هذه الناحية؛ فقد تكلم عن المهدي كثيرًا في «الفتوحات المكية»، وغيرها من كتبه، وكانت أقواله وكتاباته متداولة في السودان بكثرة، وقد أخذ عنه مهدي السودان كثيرًا، وسار على المنوال الذي اختطه، وكانت مهديته تجسيدًا للمعنى الذي أشار إليه ابن عربي في كتبه ومؤلفاته»(٢). اهـ.

لقد كان من عادة محمد أحمد «المهدي» السوداني أن يخرج سائحًا مع بعض أصحابه؛ لإنذار الناس ودعوتهم، «وقد جال في جميع البلاد، ورأى بعينه وَجْدَ الناس- خاصَّتِهِمْ وعامَّتِهِمْ- على الحكومة، وشدةَ رغبتهم في التخلص منها؛ حتى كان الكثيرون يتمنون ظهور المهدي الموعود؛ لإنقاذهم من الحال التي كانوا عليها، وكلما رأوا رجلًا يفضلهم درايةً وعقلًا متصفًا بالغيرة على الدين ظنوه المهدي المنتظر.

لقد ترك هذا كله أثرًا في نفس «محمد أحمد»؛ فانصرف إلى التأمل والدراسة، واتجه إلى الاعتكاف والخلوة، ولقد تاقت نفسه أن يكون هو هذا الرجلَ الذي ينتظره الناس، وبات يحلم بهذا المنصب الذي يحكم بين البشر بالعدل، والقسطاس، لقد لعبت العوامل النفسية والشخصية دورها في نفس

---

(١) «الإمام المهدي» ص(٢١).
(٢) «الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته» ص(١٢، ١٣).

محمد أحمد، واضطرمت في قلبه جذوة الشوق والوجد، إنه صوفي عريق في التصوف، والصوفية يعتمدون على الذوق والإلهام والكشف، وفي عالم الصوفية مجال فسيح للترقي والسمو، ولشيخه «محيي الدين بن عربي» في ذلك كلام جميل وحُلْو»[١].

فإذا نظرنا إلى المناخ العام في إفريقية؛ وجدناه - أيضًا - مشحونًا بفكرة تَرَقُّبِ خروج «المهدي المنتظر»؛ إذ كانت بلاد العالم الإسلامي قد سقطت فريسة بيد الاستعمار الصليبي، وعانت ما اتسم به من تعصب وكراهية وحقد، فبدأت تغلي مراجل السخط والثورة والانفجار.

«وقد سمع السودانيون - كغيرهم من المسلمين الأفارقة - عن قرب ظهور «المهدي»[٢]، الذي يُصْلِحُ اللَّه به أمر الأمة، ويعيد للإسلام القوة والمجد والعزة، وقد بشَّرَتْ حركة «عثمان بن فودي»[٣] بقرب ظهور المهدي المنتظر بالمشرق، وكتب أصحابه مؤلفات كثيرة في موضوعه، وقد ذكر «محمد بللو» في كتابه «إنفاق الميسور» أن والده عثمان قد أخبره عن قرب ظهور المهدي، وأن أتباع الشيخ عثمان هم أبكار أتباع المهدي، وأن الجهاد «الفولاني» لن يَخْمُدَ أُواره حتى يظهر المهدي.

وقد كان للوضع الجغرافي الذي يتمتع به السودان دورٌ كبيرٌ في تأثره بجميع التيارات التي تَهُبُّ على القارة الإفريقية، ونادرًا ما يقع شيء في هذه القارة ثم لا ينعكس صداه في السودان؛ بحكم هذه العوامل الجغرافية»[٤].

---

(١) «نفس المرجع»، ص(٢٣٩، ٢٤٠).

(٢) وكانت أقدم حالة ادِّعاء مهدية في السودان على يد حمد بن محمد الترابي الشهير بـ«النحلان» - لُقِّب بذلك لضمور جسمه من أثر تجويع نفسه والكد في العبادة -، جد أسرة الترابي بجنوب الخرطوم، الذي قتله السلطان «بادي الأحمر» بجره إلى النيل وإلقائه فيه، استهانة بأمره، انظر: «الخصومة في مهدية السودان» ص(٩٦).

(٣) انظر تاريخها مختصرًا في «ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر» ص(٣٤٥ - ٣٥٧)، و«الإسلام والثقافة العربية في إفريقية» د. حسن أحمد محمود (١/ ٢٨٥ - ٢٩٣)، و«الخصومة في مهدية السودان» ص(٥٠، ٥٤، ٥٥)، (١٢٣).

(٤) «الأصول الفكرية» ص(١٣).

الثَّانِي: فَسَادُ الأَوضَاعِ الدَّاخِلِيَّةِ فِي السُّودَانِ:

«فقد شاهد محمد أحمد فيما شاهد أرواحًا مهدرةً، وحرياتٍ مغتصبةً، وأملاكًا منهوبةً، وبلادًا مخربة، والناس بين أثرياء ساقتهم تيارات النعيم إلى الشهوات والغَواية، وبين فقراءَ طحنتهم الفاقة؛ ففقدوا زمام التجمل بالصبر، وانجرفوا - على قلة ذات اليد - إلى الفساد والهاوية، ثم إن حكومة القاهرة أرسلت إليهم أمثال «بيكر»، و«غوردون»، وهؤلاء نصارى لا يدينون بدينهم، وكان أسلوبهم في الحكم موسومًا بالتحدي لشعائر الإسلام، وفرائضه؛ حتى تصور الناس أن الحكومة تريد بهم شرًّا وبدينهم»[(١)].

الحكومة نفسها كانت لعنة، ونظام الحكم في القاهرة أصبح عارًا وسُبَّةً، لم يكن هناك قانون يحكم، حتى لو كان هناك قانون، فلن يجد الرجلَ الذي ينطق به، ويتكلم، كل شيء كان منهارًا؛ فسادٌ، ورِشْوةٌ، وظلمٌ، وحكَّامٌ جَهَلَةٌ قُساةٌ فَقَدُوا كل إحساسٍ بالكرامةِ والعدل[(٢)]، وسياطٌ محمومةٌ لا تَمَلُّ من التَّعذيبِ والجَلْدِ، ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ!!

«ومهما يكن من شيء؛ فقد صادفت دعوة المهدي ذيوعًا ونجاحًا كان - دون ريب - لحالة البلاد السياسية والاقتصادية يدٌ كبرى فيه، فأقبل عليه الزعماء، وشيوخ القبائل مبايعين قائلين: نبايعك على المهدية، وإن لم تكن مهديًّا، نبايعك على قتال الحكومة، وخلع طاعتها...»[(٣)].

إن «محمد أحمد عبد اللَّه»، أو «المهدي السوداني» لم يكن يفكر بأن يكون مهديًّا؛ لقد بدأ حياته واعظًا، ومرشدًا، ثم دفعته الظروف والأحداث بعد ذلك

(١) «نفسه»، ص(٢٣٩).

(٢) حتى حُكِيَ أن «محمد الدفتردار»، أحد عمال «محمد علي» في حكم السودان، كان يخرج لاصطياد الآدميين على عادة غلاة القراصنة، والاستعماريين في ذلك العهد؛ كما في «المصدر السابق»، ص(٥).

(٣) «نفسه» ص(١٧٥).

ليكون هو - في ظنه - «المهديَّ المنتظر» حقًّا .

وكما يقول «بسمارك» الإمبراطور الألماني :

«إن الناس يبالغون كثيرًا في تأثيري على الأحداث التي عَرَفْتُ فقط كيف أستغلها» .

وهكذا كان المهدي ؛ لقد لعبت عدة عوامل في إعلانه الجهاد ، والثورة ، واتخاذ حركته هذه الصورة العنيفة القوية[1] .

يقول الدكتور محمد القدال :

«كيف استطاع شاب في الخامسة والثلاثين من العمر أن يقيم الأرضَ على حكم أجنبي بغيض، وأن يقود الآلاف في معارك عنيفة، ويحمل لواء النصر خفاقًا طَوال أربع سنوات؟؟» .

ثم يتساءل: هل يستطيع الفرد أن يحرك التاريخ بذلك الصخب الذي فعله المهدي؟

ثم يجيب: لا حديث عن ظروف بلا قائد، ولا عن قائد بلا ظروف موضوعية ، إن الظروف كانت متحركة، لكنه أحالها من ظروف متحركة إلى ظروف صاخبة بالحركة[2] .

الثَّالِثُ: الثَّورَةُ العُرَابِيَّةُ فِي مِصرَ:

لقد لعبت حركة «أحمد عرابي» في مصر دورًا بارزًا في الثورة المهدية ، فهي التي أعطت المهدي السوداني الإشارة ، وفتحت أمامه الطريق إلى الثورة ، وهتفت بالسودانيين أن هيا حَطِّمُوا قيود الذُّلِّ والعبودية ؛ والدليل على ذلك :

١- أن الثورة المهدية قامت بعد أشهر قليلة من الثورة العرابية .

---

(١) «نفسه» ، ص(١٤) .

(٢) انظر : «الإمام المهدي» ص(٨) .

٢- أن الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة العرابية هي نفس الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة المهدية .

٣- أن نظام الحكم الذي ثار عليه الشعب المصري هو نفسه نظام الحكم الذي ثار عليه الشعب السوداني .

٤- أن الفتوى التي أصدرها علماء الأزهر بمروق الخديوي عن الدين الإسلامي ؛ بسبب خيانته ، وانحيازه إلى الجيش البريطاني- قدمت إلى «المهدي» أكبر حجة لتسوغ ثورته ضد ممثلي هذا الحاكم ، ونُوَّابِهِ في القطر السوداني .

٥- أن الجيش المصري ، الذي كان مفروضًا أن يَقْضِيَ على حركة المهدي- كان مشغولًا في القاهرة بحربه ضد الإنجليز والخديوي ، فلما أخفقت الثورة العرابية ، وسيطر الإنجليز على مقاليد الحكم في القاهرة ، أرسل الخديوي فِرَقًا من الجيش بقيادة الإنجليز ؛ لإخماد حركة المهدية ، فكان الضُّبَّاطُ والجنود المصريون يفرون بأسلحتهم ، وعتادهم ، إلى صفوف المهدي ، وكانوا يقولون : «إنهم لم يرسلونا إلى السودان إلا لقتلنا ؛ بسبب أننا من جنود عرابي» .

لقد كان الميدان خاليًا أمام المهدي ؛ فمضى في طريقة إلى الجهاد ، والثورة ، والتحدي .

* **يقول المؤرخ المصري «عبد الرحمن الرافعي» :**

- «**كان من أسباب ثورة عرابي** تذمر الضباط المصريين من سوء معاملة الأتراك والأرناءود ، ولم يكن الضباط المصريون يجدون منهم في الجملة إنصافًا ، ولا مساواة ، ولا معاملة حسنة .

- **وكان من أسباب ثورة المهدي** مظالم الحُكَّام ، وما عاناه المواطنون من العَسْف والظلم ؛ فإن غالبية هؤلاء الحكام كانوا من الشركس ، أو الأرناءود ، أو الترك ، وقد زاد في ارتكاب هذه المظالم أن الحكومة كانت تعتبر السودان

منفًى للحكام، ولم تكن الحكومة ترسل إليه- في الغالب- إلا الموظفين المغضوبَ عليهم؛ فالموظف الذي يذهب إلى السودان، وهو شاعر بأنه مُبْعَدٌ أو منفي، لا يُنْتَظَرُ منه العدل، أضف إلى ذلك أن حُكَّامَ مصر لم يكونوا في الغالب مِثَالَ العدلِ، بل إن مظالمهم هي التي أدَّتْ إلى قيام الثورة العرابِيَّةِ في مصر.

فما شكا منه المصريون ارتفعت بالشكوى منه ألسنة السودانيين، وكما يقول «ونستون تشرشل» الزعيم البريطاني الشهير: إن أهل شمال وادي النيل وجنوبه، كانوا في البلوى سواء، وقد تطلع أهل الشمال إلى زعيم ينقذهم مما كانوا فيه، فوجدوه في صورة زعيم عسكري هو «عرابي باشا»، وتطلع أهل الجنوب إلى زعيم ينقذهم مما حل بهم، فوجدوه في صورة زعيم ديني هو «محمد أحمد».

فالثورة العرابية كانت من أجل مصر، وكانت ضد الطُّغْمة الحاكمة من الشركس، والأرناءود، والترك، والثورة المهدية لم تكن ضد مصر، بل كانت ضد هذه الفئة الباغية التي تمسك في مصر والسودان بمقاليد الحكم، وقد التزم المهدي- في بياناته ومنشوراته- بهذا الخط، وكان في تعبيره واضحًا وضوحًا لا يقبل الشك.

* **يَقُولُ المَهْدِيُّ:**

«... إن هؤلاء الترك لما بَسَطَ اللَّه عليهم النعم، ومَدَّ لهم في العمر، وطول العافية، ظنُّوا أن الملكَ لهم، والأمر بأيديهم، وخالفوا أمر اللَّه ورسوله وأنبيائه ومن أمرهم بالاقتداء بهم، وحكموا بغير ما أنزله اللَّه، وغير ما شرعه سيدنا محمد - صلى اللَّه عليه وسلم -، وسبوا دين اللَّه، ووضعوا الجزية في رقابكم مع سائر المسلمين، وكل ذلك لم يأمرهم به اللَّه، ولا رسوله، ومع ذلك أمهلهم اللَّه، وبسط عليهم النعم، فلم يتفكروا حتى خذلهم اللَّه، وسلبهم ثوب الملك، والهيبة، بتعديهم حدود اللَّه، فانظروا الآن كيف صاروا عندكم، ومكنكم اللَّه من نواصيهم، وأورثكم أرضهم، وديارهم، وأموالهم، مع آلة صولتهم، وقد أهلكهم اللَّه بالغرور والأماني، أتريدون أن تكونوا مثلهم؟ أو

تهلكوا كما هلكوا؟ أم تريدون أن يغضب اللَّه عليكم، ويستبدل قومًا غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم، فتنقلبوا على أعقابكم بعد أن مَنَّ اللَّه عليكم، ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فتوبوا إلى اللَّه، واشكروا نعمه عليكم؛ فإن النعم وحشية[١]، فقيدوها بالشكر.

إن الترك كانوا يسحبون رجالكم، ويسجنونهم في القيود، ويأسرون نساءكم، وأولادكم، ويقتلون النفس التي حرمها اللَّه بغير حقها، وكل ذلك لأجل الجزية، التي لم يأمر اللَّه، ولا رسوله بها، ومع ذلك لم (يرحموا صغيركم، ولم يوقروا كبيركم).

كيف نسيتم هذا كله؟ وتخلفتم عن الجهاد في سبيل اللَّه، ولم تأخذكم الغيرة على الدين وانتهاك محارمه؟ ومع إهانة الترك لكم، وذُلِّكم إليهم، كنتم سامعين طائعين منقادين لأمرهم حيثما أمروا، فكيف إذا أظهرني اللَّه من جود فضله وكرمه؛ ألا توافقون على إقامة الدين، وهلاك القوم الكافرين!»[٢]. اهـ.

- **وكان من أسباب الثورة العرابية**: سوء الحالة الاقتصادية، وتدهور الأوضاع المالية بسبب الديون التي اقترضها إسماعيل، وجلبت على البلاد الخراب والفقر، هذا فضلًا عن فداحة الضرائب، وعدم توزيعها توزيعًا عادلًا، وتحصيلها بوسائل القهر والإرهاق، فانضم الأهلون إلى الثورة بمجرد قيامها.

- **وكان من أسباب ثورة المهدي**: فرض الضرائب على الأهالي، وزادها ثِقَلًا أنها لم تكن موزعة بالقسط، بل كانت شديدة على الفقراء، خفيفة على الأغنياء، وفوق ذلك؛ فقد استعملوا في تحصيلها منتهى القسوة والعنف، حتى إن الرجل ليبيع متاعه، وكل شيء؛ ليدفع الضريبة الباهظة، «... فإن عجز يُطْرَحْ

---

(١) الوَحْشِي: ما لا يُستأنس من دوابِّ البر، والمقصود أن من اصطاد منها شيئًا، وتركه مطلقًا؛ هرب منه، فلن يحفظه إلا إذا أحرزه وقيده، وكذلك النعم إن لم يشكرها العبد؛ زالت عنه.

(٢) «منشورات المهدية» ص(٤٠- ٤٢)؛ المنشور الصادر في ٢٤ شوال ١٢٩٩هـ.

أرضًا على وجهه، وتدق أربعة أوتاد، وتربطْ كل يدٍ من يديه، وكل رجل من رجليه إلى وتد منها، ويقف الجلاد يجلده بالسياط، حتى يدمي جسده، أو يُلْقَى مكتوفًا في قيظ الهاجرة، ولظى الشمس المتوقدة يلهب جسده، أو أنهم لَيَضَعُونَ في سراويله هِرًّا بعد أن تُغَلَّ يداه، ويترك الهر داخل سراويله، وأن المرأة كانت تُحْبَسُ إذا تأخر زوجها، أو وليها عن وفاء الأموال الأميرية، وتبقى في السجن إلى أن يدفع ما عليه، فيضطر للدفع مهما كلفه ذلك».

وشر من ذلك كله، مما لم يكن له مثيل في غير السودان ؛ أن هؤلاء المأمورين لم يكتفوا بالضرائب الرسمية، بل فرضوا على الأهالي إتاواتٍ غيرَ رسميةٍ، يُحَصِّلُونَهَا مع الضرائب ؛ وذلك بسبب أن أكثر الولاة الذين تَوَلَّوْا شئون السودان كانوا لا يهتمون في الغالب إلا بالانتفاع بوظائفهم، فيفرضون على المديرين أموالًا باسم الهدايا، فَيُضْطَر المديرون إلى استرجاعها من مأموري المراكز الذين تحت إدارتهم، وهؤلاء يفرضونها على الأهالي أضعافًا مضاعفة ؛ لأجل وفاء ما عليهم، والاحتفاظ بالبعض لأنفسهم.

وقد ساعد- أيضًا- على تدهور الأحوال الاقتصادية في السودان احتكار الحكومة تجارة العاج، وهو من أهم مصادر الثروة في السودان، وقد وقع هذا الاحتكار في عهد «غوردون» أيام ولايته الأولى، فاستأثرت الحكومة بالأرباح الطائلة التي كانت تعود إلى أصحابها من أهل التجارة والحرفة، فنقموا من الحكومة هذا الاحتكار، وسخطوا عليها، وهؤلاء التجار كانوا سادة السودان الحقيقيين، فكان هذا العمل المنطوي على الظلم هو النواةَ الأولى للثورة المهدية، أَضِفْ إلى هذا ذلك الأسلوبَ العنيف الذي اتخذه «غوردون» في منع تجارة الرقيق دون مراعاة للظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تتطلب منه الكياسة، ومعالجة هذا الأمر بالأناة والتدريج ؛ حتى لا ينهارَ النظام الاجتماعي مرة واحدة.

«وقد ذكر الكولونيل لونج بك أن غوردون حين تولى حكم السودان، كان

الأمن واليسار يسودانِهِ، ولما غادره كان ينوء تحت أعباء الديون، والثورةُ تتمخض في أحشائه».

❁ ❁ ❁

السبب الرابع:

وكان من أسباب الثورة العرابية التدخل الأجنبي في شئون الحكم، وسيطرة المستشارين الأجانب على مقاليد السلطة في مصر، وقد أصبح هؤلاء الأجانب في النهاية أصحابَ الكلمة النافذة، والسلطة الفعلية، وأصبح الخديوي والحكومة في أيديهم ألعوبة.

- **وكان من أسباب الثورة المهدية تدخل الأوربيين في شئون الحكم**، وتوليهم المناصب الهامة؛ فإن هؤلاء الأجانب لم يكونوا صادقي النية، وكانوا يثيرون بأعمالهم روح الحقد والكراهية، وكان من رأي المهدي: «...إلقاء تبعة تلك المظالم والمصائب على عاتق الحكومة المصرية؛ لأنها استخدمت أولئك الأجانب والدخلاء، وولتهم أمور العباد، فحَكَّمُوا سيوفهم في رقابهم، وأتوا ما أتوه من الظلم، وقتل النفوس، وهتك الأعراض، وكان من الواجب أن تتجسسَ أعمالهم، وتتنسمَ أخبارهم، حاسبةً السودان عضوًا من أعضائها، يؤلمها ما يؤلمه، ولكنها أهملت هذا الواجب، وكان إهمالها دليلًا على تركها حبلها على غاربها، وترك مقادير السودان تجري في أعنتها. إذن ليس بدعًا انتفاض أهل السودان عليها، بل البدع والغرابة ألا ينتفضوا ويثوروا لخلع النير القاسي، وقلب تلك الهيئة الحاكمة التي أبلغت أرواحهم حناجرهم، ولم تعمل عملًا يُصْلِحُ دنياهم، ويستجلب رضاهم، بل وكلت أمورهم إلى أناس يعتبرون السود عبيدًا أَرِقَّاءَ، ولا يفرِّقون بينهم وبين العجماوات، ومن العبث أن يرضى المرء بالهوان إذا كان قادرًا على إصلاح حاله، وإسعاد أهله ...».

* **يقول الدكتور جلال يحيى :**

«كان السودانيون مسلمين متمسكين أشدَّ التمسك بدينهم ، وكانوا بطبيعة الحال لا يعترفون لغير المسلم بأي حق في ولاية أمورهم ، فماذا يكون الأمر عندما يكون هذا الحاكم نصرانيًّا أجنبيًّا يستخدم القوة كوسيلة وحيدة للتفاهم ، وإصدار أوامرَ تتعارض مع الدين والتقاليد والعرف ؟» .

لقد كان هذا التدخل الأجنبي سببًا من أسباب الثورة العرابية ، وكم كتب صاحِبَا مجلة «العروة الوثقى» مُنَدِّدَيْنِ بهذا التدخل ، ألم يقل الشيخ «حسن العدوي» لرئيس المحكمة التي تحاكمه بسبب اشتراكه في الثورة : «أُعْلِنُ إليك الساعة أن الخديوي الذي أسلم وطنه ، واستسلم لأعدائه ، مستحق للعزل»[1] .

---

(١) وقصة ذلك : «أن إنجلترا وفرنسا تآمرتا على عزل الخديوي «إسماعيل» ، وضغطتا على السلطان لعزله ، فصدر المرسوم بذلك عام ١٢٩٧هـ ، وعُيِّنَ مكانه ابنه «توفيق» ، الذي علم أن بقاءه مرهون برضا الأجانب عنه ، فاستسلم لهم ، وسمح بإقامة عدة مؤسسات مالية اقتصادية أوربية ، مما أثار نقمة الجيش بجانب التأخر في دفع المرتبات ، وجمود طائفة من الضباط المسلمين عند رُتَب معينة ، فقدَّم أحمد عرابي ، ولفيف من الضباط مذكرة إلى الخديوي توفيق يطالبونه بعزل وزير الحربية عثمان رفقي باشا ، وإصلاح نظام الترفيع في ضباط الجيش ، فأمر رئيس الوزراء باعتقالهم ، ومحاكمتهم ، لكن الجيش اقتحم مقر المحكمة ، وأخرج ضباطه ، وانطلقوا في مظاهرة إلى قصر عابدين ، مجددين مطالبهم ، فعزل الخديوي عثمان رفقي باشا ، واختير مكانه محمود سامي البارودي ، وتعددت المواجهات بين الخديوي والضباط ، وساندت بريطانيا وفرنسا الخديوي ضد الشعب المصري والجيش ، ووعدته بحماية عرشه بالقوة ، ورحل الخديوي إلى الإسكندرية ؛ ليكون بمقربة من الحماية الأجنبية ، ثم ضرب الإنكليز الإسكندرية في ١١ يوليو ١٨٨٢م ، وأشعلوا فيها النيران ، ونزلت إليها القوات الإنكليزية ؛ حيث جرت مذبحة بشرية للمصريين المدافعين عنها ، وتوجه الخديوي إلى قصر رأس التين ، حيث استقبله قائد الأسطول الإنكليزي «سيمور» ، وهنأه قناصل الدول بسلامته .

وأسرع عرابي بجيشه إلى الإسكندرية للدفاع عنها ، ولما تمكن الإنكليز من احتلالها انسحب عرابي بجيشه إلى كفر الدوار ؛ حيث أقام التحصينات هناك ، وأرسل عرابي إلى الخديوي قطارًا خاصًا ؛ ليعود به إلى القاهرة ، فرفض ، وانحاز إلى الإنكليز ، وأعلن دخوله في حمايتهم ، ثم أصدر منشورًا بعزل أحمد عرابي من منصبه كوزير للجهادية ، وطالب الجيش بمخالفته ، وعصيان أوامره . =

....

= وفي يوم ٦ رمضان سنة ١٢٩٩هـ، الموافق ٢٢ يوليو ١٨٨٢م، انعقد مؤتمر عام في ديوان الداخلية، «وبعد تلاوة الأوراق المعروضة للتذاكر في شأنها، صدرت فتوى شرعية من الشيخ العارف بالله شيخ الإسلام والمسلمين السيد محمد عليش، وشيخ الإسلام الشيخ حسن العدوي، والشيخ الخلفاوي، وغيرهم من العلماء بمروق الخديوي توفيق باشا من الدين مروق السهم من الرمية؛ لخيانته لدينه ووطنه، وانحيازه لعدو بلاده، ورأينا توقيف أوامر الخديوي، وما يصدر من نظاره «وزرائه» الموجودين معه في الإسكندرية، كيف كانت، ولأي جهة من الجهات، وعدم تنفيذها، حيث إن الخديوي خرج عن قواعد الدين الحنيف، والقانون المنيف».

واستطاع اللورد «دفرين» السفير البريطاني في عاصمة الخلافة، استطاع في النهاية استصدار قرار من الصدر الأعظم يعلن فيه عصيان عرابي، وخروجه على دولة الخلافة، وتلقف الإنكليز هذا القرار، فطبعوا منه الملايين، ووزعوه على كل من يعرف القراءة، وبهذا أصبح عرابي يحارب في ثلاث جبهات، لا في جبهة واحدة؛ الإنكليز، والسلطان، والخديوي.

وحشد عرابي قواته في كفر الدوار، وأقام فيها التحصينات، وفكر بردم قناة السويس؛ كي لا يعبرها الإنكليز، ويهاجموه من الشرق، لكن ديليسيبس تعهد لعرابي بأن من المستحيل أن يدخل الإنكليز قناة السويس؛ احترامًا لحيادها، فلم يقم عرابي بردمها، كما كان ينوي، وخان ديليسيبس وعده، وليس هذا بمستغرب منه، وهو الذي أرسل إلى من يُدعى «البابا» يقول له بمناسبة فتح قناة السويس: «الآن أصبح الطريق إلى قلب العالم الإسلامي مفتوحًا»، وهو أيضًا - أي «ديليسبس» - الذي أصَرَّ على أن يُطْرَحَ رديمُ قناة السويس الناتج عن الحفر على الضفة الشرقية منها دون الغربية، تُرى: هل كان - وقتها - يضع الأساس لخط «بارليف»؟!

وعبر الأسطول الإنكليزي قناة السويس، وتقدم من الإسماعيلية؛ حيث أنزل قواته، وأسرع عرابي لملاقاتهم، والتقى الطرفان في «التل الكبير»، في رمضان ١٢٩٩هـ، لكن الخيانة عادت من جديد؛ لتلعب دورها بأيدٍ مصرية؛ فهذا محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب يخون الوطن والثورة، ويتولى - نيابةً عن الإنكليز - تثبيط همة المجاهدين في المعركة، والضابط «علي خنفس» يخون وطنه، فيُطلع العدو على خطة الدفاع، ومَواطن الضعف في هذه الخطة.

لقد أحيط بعرابي من كل ناحية، وأطبق ليل الخيانة على جو المعركة؛ فلم يعد إنسان يعرف إنسانًا على حقيقته، فترجل الفارس عن جواده، وعاد إلى القاهرة؛ ليحاكم هو ومن معه، ثم يصدر الحكم بإعدامهم، ثم استبدلوه بالنفي المؤبد». اهـ. باختصار من «الأصول الفكرية» ص(١١٨- ١٢٩)، وانظر: «الخيانة هزمت عرابي» تأليف عادل أحمد سركيس، ولأكثر المؤرخين المصريين وجهة نظر سلبية تجاه حركة عرابي؛ حيث يصفونه بقلة العلم، و«الغفلة» السياسية، بجانب أن حركته كانت وطنية مصرية خالصة، وليست إسلامية؛ وكما تورط الخديوي في صداقة القناصل الذئاب؛ فقد تورط عرابي أيضًا في صداقة المستشرقين الذئاب؛ وبخاصة «بلنت» الذي تزوج حفيدة الشاعر =

ثم ألم يُفْتِ شيوخ الأزهر بخروج الخديوي توفيق عن الشرع ؟!

فلم يكن غريبًا من المهدي أن يقف نفس الموقف ، وأن يوجه إلى الخديوي إنذارًا يُنَدِّدُ فيه بهذا التصرف[1] .

❁ ❁ ❁

= «بيرون» الذي كانت قصائده تؤجج الروح الصليبية للأوربيين ضد الدولة العثمانية ؛ وهي «آن بلنت» التي قُتل أبوها أثناء مهمة تجسسية في الدولة العثمانية ، فجعلت مهرها الانتقام لأبيها ، والقضاء على الدولة العثمانية الإسلامية ، وتقدم «بلنت» بهذا المهر ؛ وانظر تفصيل ذلك في كتاب «التحفة الندية في الفتنة العرابية» للأستاذ : أحمد سعيد نونو .

(١) «الأصول الفكرية» ص (١٦٢ ، ١٦٧) بتصرف .

المِصريُّونَ وَثورَة المَهدِيِّ السُّودَانِـيِّ

لقد كان التفاعل الثقافي والفكري قائمًا بين مصر والسودان منذ عهد سلطنتي «دارفور» و«الفونج» ، وكان الطلبة السودانيون يُبْتَعَثُون إلى الأزهر لتلقي العلم ، ولا يزال في الجامع الأزهر رُواق يحمل اسم «دارفور ، وسنار» إلى اليوم .

وكان في حلقة الشيخ «محمد عبده» أربعة وثمانون طالبًا سودانيًا يتلقون العلم ؛ كما كان الشيخ « إسماعيل الكردفاني »- مؤرخ «سيرة المهدي»- من علماء الأزهر ، وفكَّر « جمال الدين الأفغاني » في إرسال الشيخ « محمد عبده » إلى السودان ؛ ليعمل مع المهدي ؛ وحُقِّق مع الشيخ « محمد عبده » بتهمة جمع الأسلحة ، وإرسالها إلى السودان ، ولما سأل الإنكليز الشيخ «محمد عبده » عن حركة المهدي ، وكونها تهدد مصر بالخطر ، قال : «لا خطر على مصر من حركة المهدي ؛ إنما الخطر على مصر من وجودكم فيها ، وإنكم إذا غادرتم مصر ، فالمهدي لن يرغب في الهجوم عليها ، ولن يكون في هجومه أدنى خطر ، وهو الآن محبوب من الشعب المصري ؛ لأنهم يرون فيه المخلِّص لهم من الاعتداء الأوربي ، وسينضمون إليه عند قدومه»[1] . وكان المئات من المصريين ، قد نُفُوا إلى السودان بسبب توجههم الوطني[2] .

وكان الكثير من قادة الجيش المصري وضُبَّاطِهِ وجنوده يرفضون قتال إخوانهم السودانيين ، وقد فرَّ الكثير منهم إلى معسكر المهدي ، وخالفوا أوامر القادة الإنكليز بقتل وضرب أبناء دينهم[3] .

وقد ذكر العميد كامل الشرقاوي - والعهدة عليه - أن عدد المصريين الذين

---

(١) «الأصول الفكرية» ص(٩٤، ٩٥) .

(٢) «نفسه» ص (١٧٢ ، ١٧٣) .

(٣) «نفسه» ص(٩١) .

انضموا إلى المهدي السوداني لا يقل عن ثمانية عشر ألفًا[١].

* **يقول المؤرخ المصري عبد الرحمن الرافعي :**

لا يسعنا في الجملة إلا القول بأن الثورة العرابية كانت من أسباب نجاح ثورة المهدي ، لقد كان تأثير الثورة العرابية في الثورة المهدية مُضَاعَفًا ، كان تأثيرها إيجابيًّا وسلبيًّا معًا ؛ فقد شجع عرابي ، بعد قيامه بحركته ، المهديَّ على تقليده - كما يقول المؤرخ الرافعي - ولم تتمكن مصر ، بسبب الثورة العرابية ، من إرسال القوة الكافية لإخماد حركة المهدي .

وفي ذلك يقول الشيخ «إسماعيل عبد القادر الكردفاني» المؤرخ المعتمد لسيرة المهدي : «لعل المانع من إرسال جيش مصري عَدَمُ تمكن الخديوي بسبب ما دهاه من قيام أحمد باشا عرابي عليه ، وخروجه عن طاعته ، وشروعه في محاربته ، وذلك بعد أخذه فتاوى علماء مصر بمقاتلة ومحاربة واليها إذ ذاك ، ووجوب الخروج عليه ومحاربته» .

كل ذلك كان صحيحًا ، ولكن الأهم من ذلك كله أن رجال الجيش المصري لم تكن لديهم رغبة في قتالٍ خسيس تفرضه عليهم حكومة ظالمة خائنة ، وقد رأينا ما كتبته «العروة الوثقى» بخصوص هذه القضية ، وكيف حذرت المصريين من قتال إخوانهم في العقيدة ، أضف إلى هذا ما كان يشعر به الضابط المصري ، والجندي المصري ، من أن سفره إلى السودان كانت الغاية منه التخلص من الجنود والضباط الذين شاركوا في الثورة العرابية... كما أنهم - كرجال ثورة وطنية - كانوا لا يؤمنون بضرورة فرض سلطة الخديوي على ثوار السودان ، فَكَثُرَتْ حوادث الهرب من المعسكر بشَكْلٍ اضْطَرَّ الحكومة إلى ربطهم بالسلاسل ، وكان رجال المدفعية يطلقون مدافعهم في اتجاه خاطئ ، وكان العساكر يقولون لقادتهم : «لم يؤت بنا إلى هنا إلا لإعدامنا ؛ لأننا عرابيون» .

---

(١) «العذاب الذي لاقاه المسلمون على أيدي الغرب» ص(١٤٣) .

ولهذا كانت الأكثرية منهم تنضم إلى صفوف المهدي . وقد كان المهدي على علم تام بما يدور في مصر ذاتها ، فقد كان له فيها من يوافيه بأنبائها وأحوالها ، وإن أحد هؤلاء الأعوان لَيكتب إليه بأن : «... الأحوال في مصر تنتقل من سيئ إلى أسوأ ، وأن حكومة مصر لا تقوى على مد يد المساعدة إلى السودان ، وأنها - أي الحكومة المصرية - منقسمة إلى قسمين : أحدهما وطني ، والثاني خديوي ...» .

لقد كان هناك تشابه كبير بين الحركتين العرابية والمهدية ، كانت كل منهما تطالب بإصلاحات إدارية واجتماعية ، وكانت كل منهما ضد الوضع القائم والتدخل الأجنبي ، وكانت كل منهما عبارة عن حركة تحرير إسلامية[1] ، ولم يُخْفِ عرابي ، وهو في منفاه ، تأييده ومَيْلَهُ للمهدي ، كما كان العرابيون يفكرون في التحالف معه ؛ لإقامة جبهة موحدة ضد التدخل العُسكري البريطاني .

ولا يَسَعُ الباحثَ المدقق بعد هذه المقارنات والحقائق إلا تأكيد أهمية هذا الدور الذي لعبته الحركة العرابية في ثورة المهدي ، وفي تمكين هذه الثورة من النجاح الذي أحرزته ضد الإنجليز والخديوي ، وفي هذا التقارب والتعاطف بين الزعيمين السوداني والمصري .

يقول مؤلف «كرري» : وقد أمر المهدي أتباعه بعدم قتل غوردون ، وأوصاهم قائلًا : «الغوردون يا إخواننا لا تقتلوه، بل اقبضوا عليه حيًّا ، وأحضروه إلينا ؛ لأن فيه فائدةً عظيمةً ؛ فإنا نريد أن نسلمه لأهله ، ونفدي به رجلين عظيمين ؛ هما : الزبير وعرابي» . اهـ[2] .

كانت مصر والسودان بلدًا واحدًا كما قدمنا ، وما يصيب أحدهما ينعكس

---

(١) وهذا - بالنسبة للثورة العرابية - محل نظر ، إذ غلب عليها النزعة الوطنية ، بخلاف حركة المهدي السوداني .

(٢) «الأصول الفكرية» ص(١٧٣ ، ١٧٤) .

على البلد الآخر تلقائيًّا وطبيعيًّا، كان الحكم في البلدين واحدًا، والظلم الواقع عليهما مشتركًا، والشعور بالثورة والسخط ضد هذا الحكم عامًّا... لم يكن السودان بعيدًا عن الأحداث التي وقعت في مصر، بل شارك فيها مشاركة إيجابية... كانت الفرقة السودانية في الجيش المصري في مقدمة الفرق الثائرة، وكان قائدها «الأميرالاي عبدالعال حلمي» أحد زعماء الثورة، وكان الضباط السودانيون في هذه ظهيرًا لحركة المهدي في القاهرة، وكانوا يُمِدُّونَهُ بالمعلومات والأخبار الهامة... والمنفيون الذين نُفُوا إلى السودان من القاهرة، وكانوا في جملتهم من الوطنيين أصحاب الاتجاهات الإصلاحية ؛ ماذا كان دورهم في الحركة المهدية ؟ وهل يُعْقَلُ وجود هؤلاء في الخرطوم دون أن يُسْهِمُوا بآرائهم في الثورة، وفي إعلان الغضب والسخط على حكومتهم في القاهرة ؟... إن قصة الشيخ أحمد العوام[1] لأنصعُ دليلٍ على إسهام هؤلاء في

(١) كان في داخل مدينة الخرطوم - في أثناء الحصار - عالم أزهري من رجال الثورة العرابية اسمه الشيخ «أحمد العوام»، كان قد نفي إلى السودان بعد فشل هذه الثورة، يقول «نعوم شقير» في «تاريخه»: «وكان في الخرطوم رجلٌ من خطباء الثورة العرابية، يقال له «أحمد العوام»، وهو مصري الجنس، حسيني الانتساب، وقد نفي إلى الخرطوم ؛ بسبب الثورة العرابية، فرأى الثورة المهدية في وجهه، فتشيع لها، وقد اطلعت على رسالة له بتاريخ ١٧ من رمضان سنة ١٣٠١هـ، ١١ يوليو ١٨٨٤م، سماها «نصيحة العوام» ؛ فإذا هي ثورة محضة، وقد أعلن فيها تشيعه للثورة المهدية، وكرهه لحكومة الخديوية - أي المصرية -، ومما قاله مشيرًا إلى موظفي حكومة الخرطوم: «.. وطالما جادلتهم بالحق سرًّا، ونصحت لهم حتى في دار الحكومة جهرًا على مرأى ومسمع من وكيلها النصراني - يقصد جوردون - أن يسعوا في الصلح بين الطائفتين المتحاربتين عملًا بأمر الله، فلم أجد بينهم محقًّا، كلا ولا ساعِيًا بكلمة حق ؛ لإخماد هذه الحرب بين المسلمين، وعباد الله المؤمنين . . .، ولذلك اعتزلتهم، وجميع المحصورين، إلا من جاءني يسعى وهو يخشى، فإني أبذل له محض النصح، حتى يفتح الله بيننا، وهو خير الفاتحين». وقد أثرت أقواله تأثيرًا بليغًا في نفوس أهل الخرطوم، فسجنه جوردون، وكبَّله بالحديد . . . !

ثم عفا عنه، وجعله معاونًا في الحكمدارية براتب ١٥٠٠ قرش في الشهر، ولكنه ما لبث أن عاد إلى سابق عادته من انتقاد أعمال الحكومة، وتهييج أهل البلاد ضدها، ولما جاء الخبر بزحف المهدي على الخرطوم، وأعلن جوردون خبر قدوم الجيش الإنكليزي، جاهر الشيخ العوام في تكذيب =

الثورة ، واشتراكهم الفعلي في الحركة ، ووقوفهم وراء المهدي يساندونه بكلِّ قوة .

لقد كانت المعركة واحدة في كل من الخرطوم والقاهرة ؛ ولهذا كان الضُّبَّاط والجنود المصريون يفرون بأسلحتهم إلى معسكر المهدية ، وقد أعدم «غوردون» ضابطين مصريين كبيرين في الخرطوم بتهمة الخيانة ، قبل سقوطها في يد الثورة»[1] .

❁ ❁ ❁

= جوردون ، وتصديق المهدي ، ولم يقتصر على ذلك ، بل أغرى إحدى النساء ، فرمت جمرة من شباك على معمل الفشكليك (الذخيرة) بقصد إحراقه ، فسقطت الجمرة على بعض الأوراق ، فأحرقتها ، فشعر بها الحارس فأطفأها . . واعترفت المرأة أن أحمد العوام هو الذي أمرها بذلك ، فأمر جوردون بقتله ، فقتل في سراي الشرق . . » ؛ وانظر : «الأصول الفكرية» ص (٩٢، ٩٣)» ، ولم يكن العوام يسلِّم بمهدية المهدي السوداني، ولكنه كان يساندها استهدافًا للخديوي والعثمانيين والإنجليز، وقد تخلص من رفضه المهدية بتأجيل الحكم على المهدي حتى يراه، انظر: «الخصومة» ص(٣٥٨، ٣٥٩).

(١) « الأصول الفكرية » ص (١٣٠) .

إرهَاصَاتٌ بَيـنَ يَدَي ادِّعَاءِ المَهدِيَّةِ

١- هيَّأت حركة الجهاد الفولاني التي قادها الشيخ «عثمان بن فودي»[١] في «نيجيريا» لظهور المهدي، وبَشَّرَتْ بأن المهدي المنتظر على وشك أن يظهر في المشرق، وحَثَّتْ أتباعها على تأييده؛ مما أدى إلى هجرة بشرية كبيرة من تلك المنطقة إلى سودان وادي النيل والحجاز، للمشاركة في هذا الحدث العظيم، فلما أعلن «محمد أحمد» مهديته خاطب الناس بما كانوا يترقبونه.

٢- كان «محمد أحمد» قبل أن يلقى - في زعمه - رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - ويخبره بأنه المهدي المنتظر، يسمع هواتف تناديه: «يا مهدي اللَّه!»، و: «مرحبًا بالمهدي»، فكان يُعرض عنها، ويستعيذ باللَّه منها ظنًّا أنها من فعل الشيطان[٢].

٣- حينما اتصل «محمد أحمد» بالشيخ القرشي «ود الزين» أحد شيوخ السمانية؛ جدد له العهد، وزوجه ابنته «النعمة» التي أنجبت له ابنه عليًا، وقال عنه الشيخ القرشي فيما يُرْوَى عنه:

«إِدِّيته بنتي وفرسي، وأنا موعود فرسي دَهْ يركبه المهدي، وَشَيَّخْتُهُ وادِّيته الإجازة»[٣].

٤- وقال شيخه القرشي قبل وفاته مباشرة: «إن زمن ظهور المهدي المنتظر قد حان، وإن الذي يشيد على ضريحي «قبة»، ويختن أولادي هو المهدي المنتظر»[٤].

«والتقطها محمد أحمد بأذنيه المرهفتين، وإحساسه المرهف... سيكون هو

(١) انظر ترجمته في «الإسلام والثقافة العربية في أفريقية» (١/ ٢٨٥- ٢٩٣).

(٢) «الإمام المهدي» للقدَّال ص(٧٦).

(٣) «ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر» ص(٣٦٢).

(٤) «السودان بين يدي غوردون وكتشنر» ص(٧٤).

المهدي ؟ ولِمَ لا أكون أنا ؟ إن بناء القبة أمر سهلٌ ، وختان الأولاد أكثر سهولة ، وما دام ثمن ذلك هو المهدية ، فَلِمَ لا أكون أنا المهدي ؟! لقد جمع المهدي ثلاث مئة من أتباعه ، وذهب معهم إلى «الحلاوين» ، وشيَّد القُبَّةَ من اللَّبِنِ الأخضر ، وختن أنجال الشيخ القرشي بعد أن أخذ العهود على كثير من الناس بتصديق دعواه قبل أن يصدع بها .

٥- وبينما كان يعمل في بناء القبة ، إذ وفد عليه رجل فارع القامة ، قوي الجسم ، وما كاد نظره يقع على « محمد أحمد » ، حتى سقط مغشيًّا عليه ، ولم يُفِقْ من غشيته إلا بعد ساعة ، ولما أفاق عاد ، فنظر إلى « محمد أحمد » ، وتَقَدَّم لمصافحته ، فأُغْمِي عليه مَرَّةً ثانية ، ثم أفاق ، وتقدم إلى « محمد أحمد » حبوًا على الأرض ، فأخذ يده ، وشرع في تقبيلها ، وهو يرتعد ويبكي ، فقال له «محمد أحمد» : مَن أنت يا رجل ، وما شأنك ؟ قال :

«يا سيدي ، أنا عبد اللَّه بن محمد ود تورشين[(١)] ، من قبيلة التعايشة ، وقد سمعت بصلاحك في دار الغرب ، فجئت لأخذ الطريقة عنك ، وكان لي أبٌ صالحٌ من أهل الكشف ، وقد قال لي قبل وفاته : إنك ستقابل المهدي ، وتكون وزيره ، وقد أخبرني بعلامات المهدي وصفاته ، فلما وقع نظري عليك ، رأيت فيك العلامات التي أخبرني بها والدي بعينها ، فابتهج قلبي لرؤية مهدي اللَّه ، وخليفة رسوله ، ومن شدة الفرح الذي شملني أصابني الذي رأيته» .

لقد صادف هذا الكلام قبولًا وهوًى في نفس «محمد أحمد» ، وجاء مطابقًا تمامًا لما ذكره الشيخ القرشي ، وكان لهذا الإيحاء[(٢)] - أو هذه التمثيلية - التي قام بها التعايشي دورٌ خطير في إعلان ظهور المهدي»[(٣)] .

(١) «كان هذا لقب أبيه ومعناه : ثور دميم ، وكان لقبًا كريهًا لديه» اهـ . من «إمارة الإسلام المهدية» ص(٩٣) .
(٢) وقد صادف هذا «الإيحاء» - فيما يبدو - شخصية «قابلة للإيحاء» suggestible فكان ما كان ، وانظر «موسوعة علم النفس والتحليل النفسي» ، للدكتور «فرج عبد القادر طه» ، ص(١٣٢) .
(٣) «الأصول الفكرية» ص(٢٩ ، ٣٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤) .

وقد ذكر «علي المهدي» في كتابه «جهاد في سبيل اللَّه» ما خلاصته: إن المهدي كان ينتوي إعلان المهدية بعد بلوغه سن الأربعين؛ لأن كل الأعمال العظيمة تأتي بعد تمام الأربعين، ولكن مجيء الخليفة عبداللَّه التعايشي قدَّمها سنتين، ولو تأخر- أي التعايشي- عشر سنوات، لتأخرت- أي المهدية- عشر سنوات.

يقول د. عبد الودود شلبي - حفظه اللَّه - معلقًا على قول «عليٍّ المهدي» هذا:

«وهو قولٌ يجعل من (التعايشي) رأس هذه الفكرة، والعقل المخطط لهذه الدعوة[1].

لقد كان «محمد أحمد» رجلًا من هذا النوع الشديد الحساسِيَةِ، كانت فيه شفافية ورقة، وكان أكثر إحساسًا بآلام وطنه وشعبه، وهذا النوع من الناس يمكن التأثير عليه بسهولة، واستغلال جوانب الخير والصلاح في نفسه، وإقناعه بأي عمل يعتقد فيه الصلاح والخير لأمته، وقد استغل فيه هذه الناحية رجلٌ كان على النقيض منه في ذلك كله، كان هذا الرجل هو «عبداللَّه التعايشي»، وكان التعايشي هذا مغرمًا بالأمجاد والبطولة، تَوَّاقًا إلى النفوذ والسلطة، وقد بذل والده عناية خاصة في تعليم أبنائه، ولكنه وجد عناءً أكبرَ مع عبداللَّه، فعبداللَّه

(١) وقد حفظ «محمد أحمد» للتعايشي هذه اليد، وجعله الوارث لدعوته، وخلافته من بعده، وهدد كل من يتناول أعماله وتصرفاته بالنقد «... لأن جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب؛ لأنه أوتي الحكمة، وفصل الخطاب، ولو كان حكمه على قتل نفس منكم، أو سلب أموالكم.. ومن تكلم في حقه، ولو بالكلام النفسي؛ فقد خسر الدنيا والآخرة، ويخشى عليه من الموت على سوء الخاتمة، وقد أتانا خبرٌ من الخَضِر - عليه السلام - أن الأولياء اجتمعوا في بيت المقدس، يقولون: الحمد للَّه الذي أظهر المهدي، وجعل عبد اللَّه وزيره، ثم وجد- أي الخضر - اجتماع الشياطين، وهم يقولون: كان عيشنا بالغش والخداع، فأتى المهدي، وقطع علينا عيشنا، ولولا أن عبد اللَّه وزيره، لكنا نجد في المهدية دخولًا».

«فحيث علمتم ذلك يا أحبابي أن الخليفة عبد اللَّه مني، وأنا منه، فتأدبوا معه كتأدبكم معي، فجميع ما يفعله بأمر النبي - صلى اللَّه عليه وسلم -، أو بإذن منا لا بمجرد اجتهاد منه، ولا هو عن هوى، بل هو نائب عنه - صلى اللَّه عليه وسلم - في تنفيذ أمره». اهـ. من «الأصول الفكرية» ص(٢٤٥، ٢٤٦).

اشْتُهِرَ بانصرافه عن علوم الدين، وحفظ القرآن، ولكنه كان يتشوق دائمًا إلى أخبار الغزوات والبطولات، واشْتُهِرَ منذ أيامه الأولى بالشجاعة والبأس، وانضم «للزريقات» في حربهم مع الزبير رحمت باشا، ووقع أسيرًا في يد «الزبير» الذي أمر بقتله، لولا أن تشفع له الفقهاء ورجال الدين، ولكن روحه المتعطشة للمجد رأت في «الزبير رحمت باشا» وقت أن كان في أوج قوته وشهرته، أنه المهدي المنتظر»[1].

قال الدكتور إبراهيم شحاتة:

«وبعد أن نجا عبدالله من الهلاك وسوء المصير، عاد فاتصل بالزبير لإخباره بانتصاره على الفور، فكتب إليه جوابًا وهو في دارا يخبره: (إني رأيت في الحلم أنك المهدي النتظر، وأني أحد أتباعك، فأخبرني إن كنت مهدي الزمان لأتبعك)، غير أن الزبير قطع عنه ظنونه وبلغه (أنا لست بالمهدي، وإنما أنا جندي من جنود الله أحارب من طغى وتمرد)، ثم جاءت ثورة هارون الذي كان يحاول أن يستعيد سلطنة الفور، فأصاب دارفور خراب كبير، وضاق الرزق، فرحل منها أبوه بتلاميذه وأولاده، وهم يعتزمون الحج، وساروا في طريقهم شرقًا إلى أن نزلوا بدار الجوامعة بكردفان، وأقاموا مع عساكر أبي كلام شيخ الجوامعة، وأقام عبدالله هناك مدة مات أثناءها أبوه، ولما اشتهر «محمد أحمد» في جزيرة أبا، وتناقل الناس خبره؛ هاجر إليه»[2].

«وقد كان والد عبدالله التعايشي ممن يشتغلون بالتنجيم والسحر، وكان «التعايشة» إذا أرادوا غزوة جماعة أخرى استشاروه قبل القيام بهذا الغزو، فلما تقدمت به السن، عهد بحرفته تلك إلى ولده عبدالله، فاشتغل بهذه الحرفة فترةً من الزمن، ولكن طموحه لم يكن ليتوقف عند «ضرب الرمل»، وقراءة «الطالع»، وكتابة التعاويذ والتمائم.

(١) «الأصول الفكرية» ص (٢٤٤).

(٢) «إمارة الإسلام المهدية» ص (٩٤).

إن في الرجل ذكاءً وقوةَ شخصية ، لقد سئم هذه الحرفة ، وهاجر بحثًا عن المجد ، كانت أحاديث المهدية تملأ الجو ، وكان تَوَقُّعُ ظهور المهدي حديثًا على كل لسان، فذهب إلى الشيخ «محمد شريف نور الدائم» شيخ الطريقة السَّمانية[١] ، وقال له : أنت المهدي المنتظر ، لقد كرر ما فعله مع «الزبير» ، وكأن الرجل كان يبحث عن أي مهديٍّ ، ويستعجل ظهوره ؛ ليصبح مستشاره ووزيره .

وقد رفض الشيخ « محمد شريف » هذه اللعبة ، ثم قال له قبل أن يغادر بيته : إذا كنت تبحث عمن يقول بذلك : فعليك بتلميذي السابق[٢] محمد أحمد[٣] .

❁ ❁ ❁

رأي آخــر في مصداقية مشهد لقاء التعايشي بالمهدي

يقول الدكتور إبراهيم شحاتة حسن :

« كان ذلك مشهد لقاء الخليفة بالمهدي حسب رواية (نعوم شقير)[٤] في كتابه نقلًا عن الروايات التي وقف عليها ، غير أن مصادر الأنصار التي تعدد صفات الخليفة عبدالله ، وتروي فضائله وكراماته ، مثل دفتر علي المهدي - وسيف المجاهدين والمستهدي ، لا تذكر هذه الرواية - ، وما دام الشك يحيط بمصدر هذه الرواية ، فرواية الزبير رحمة عن قصة عرض المهدية عليه يشوبها الشك أيضًا ، لاستناد الرواية على مصدر واحد ، وهذا المصدر نفسه لا يخلو من

(١) وقد قطع البعض بأن عبد الله التعايشي لم يذهب أصلًا للشيخ محمد شريف، انظر : «الخصومة» ص(١٥٠).

(٢) وقد صدر منه ذلك - إن ثبت اللقاء بينهما - في سياق الزجر لا الإقرار كما تقدم ص(٣٠٦) .

(٣) «الأصول الفكرية» ص (٢٤٥) .

(٤) ويبدو أن «نعوم شقير» تناول تاريخ «المهدية» من زاوية العداء النصراني لثورة إسلامية، انظر : «الخصومة» ص(١٢٦).

غرض شخصي ، فصاحبه كان موظفًا كبيرًا في إدارة المخابرات المصرية التي يهمها أن تهبط بمقام المعارضين لها وترفع الموقرين منها ، وإن الذين يروون مشهد لقاء الخليفة بالمهدي بهذا المعنى يعتمدون عليه في أمر آخر ؛ وهو أن الخليفة عبداللَّه هو صاحب فكرة المهدية ومدبرها ، وإن كان (نعوم شقير) يحتاط لنفسه من هذه التهمة ، ولعل هذا ما يفسر خلو مصادر الأنصار عن وصف هذا المشهد ، فكما يقول هولت : (محمد أحمد لم يكن أداة طيعة في يدي خليفته ، فتقلده للمهدية قد جاء عن اقتناع عميق بها بالرغم من أن مجيء عبداللَّه وإدراكه للشعور العام بتوقع ظهور المهدي قد يكونا قد حولا أفكار محمد أحمد إلى هذا الاتجاه)[١] .

٥- ومن البشائر المزعومة ما ذكره المهدي السوداني في قوله : «ومن البشائر التي حصلت لنا أنه حصلت لنا حضرة نبوية (حضرها) «الفقيه عيسى» ، فيأتي النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - ، ويجلس معي ، ويقول للأخ المذكور : شيخك هو المهدي ، فيقول الفقيه «عيسى» : إني مؤمنٌ بذلك ، فيقول - صلى اللَّه عليه وسلم - : «من لم يصدق بمهديته ، فقد كفر باللَّه ورسوله» ، قالها ثلاث مرات ، ثم يقول له الأخ المذكور : يا سيدي يا رسول اللَّه ، الناس من العلماء يستهزئون بنا ، والخشية - أيضًا - من الترك ، فيقول - صلى اللَّه عليه وسلم - : «واللَّه ، واللَّه ، إن قَوِيَ يقينكم ، إن أشرتم بأدني قشة تنقضي حوائجكم» .

ثم يقول الشيخ عبداللَّه : «يا سيدي الشيخ الطيب ، نحن مُصَدِّقُونَ بمهدية شيخنا ، والناس ليسوا بمصدقين» ، فيقول الشيخ الطيب : إن شيخك حين ولادته (عرفه) أهل الباطن والحقيقة ، فلما أتم الأربعين يومًا عرفته النباتات والجمادات أنه المهدي ، ثم يقول الشيخ الطيب : «الطريقة فيها الذل والانكسار ، وقلة الطعام ، وقلة الشراب ، والصبر ، وزيارة السادات ، فتلك

---

(١) «إمارة الإسلام المهدية» ص (٩٥) .

ستة ، والمهدية - أيضًا - فيها ستة : الحرب ، والحزم ، والعزم ، والتوكل ، والاعتماد على اللَّه ، واتفاق القول ، فهذه الاثنا عشر لم تجتمع إلا لك » .

ثم يأتي الشيخ «التوم» ، ويلقي عليَّ السلام بالمهدية ، ويقول : «اجتَهِدْ في قومك على أن يكون الكبير أبًا ، والصغير ولدًا ، والمساوي أخًا » ، ثم يأتي جدنا الشيخ البصير ، ويلقي عليَّ السلام بالمهدية ، ويتكلم بكلام ، فهمنا منه أنه قال لي : «اشدُد الحزام على سنة النبي العدنان» ، ثم يأتي الشيخ القرشي : فيلقى عليَّ السلام بالمهدية ، ويتكلم بكلام المفهومُ منه أنه يقول : «كُنْ ذاكرًا ، ولمن معك ساترًا » ، فيقول الشيخ عبداللَّه : «يا سيدي ، الناس منكرون مهدية شيخنا » ، فيقول : «إن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - أعلمني قبل مماتي بأن شيخك هو المهدي بذاته» .

ثم يقول : «وهذه الليلة المذكورة التي حصلت فيها هذه الحضرة المباركة غرة شعبان[1] ليلة الأربعاء .

ثم تلى علينا جميع الأحوال إلى دخول مكة ، ومنازعة أهلها ، ومبايعة الضعفاء والغرباء أولًا ، ثم مبايعة الشريف ملك مكة ، وجميع أشرافها »[2] .

❁ ❁ ❁

(١) وهي الليلة التي أعلن فيها مهديته .
(٢) «منشورات المهدية» ص(١٢) .

إِعلانُ المَهدِيَّةِ وتَوَابِعُهُ

في غُرَّةِ شعبان ١٢٩٨هـ (الموافق ٢٩ من يونية ١٨٨١م) أعلن «محمد أحمد السوداني» أنه المهدي المنتظر ، وإمام الزمان الذي تجب طاعته على جميع البشر ، وجاء في بيانه الأول قوله :

«وحيث إن الأمر للَّه ، والمهدية المنتظرة أرادها اللَّه ، واختارها للعبد الفقير محمدبن السيد عبداللَّه ، فيجب التسليم والانقياد لأمر اللَّه ورسوله .

وبعد هذا البيان فالمؤمن يؤمن ويصدق ؛ لأن المؤمنين هم الذين يؤمنون بالغيب ، ولا ينتظرون لِأَخْبَارٍ أُخَرَ ، فمن انتظر بعد ذلك ، فقد استوجب العقوبة ؛ لأنه – صلى اللَّه عليه وسلم – قال : «من شك في مهديته فقد كفر باللَّه ورسوله» ثلاثًا[(١)] .

لقد صَدَّق أهل السودان – خاصتهم وعامتهم – دعوة المهدي ، وتوافد إليه الزعماء ، وشيوخ القبائل مبايعين من كل حَدَبٍ وصوب ، قائلين : «نبايعك على المهدية ، وإن لم تكن مهديًّا ، نبايعك على قتال الحكومة ، وخلع طاعتها» .

إذن ، كان «البطل» الذي يبحث عنه السودان قد استكمل كل عناصر الثورة ، وكانت الظروف قد هيأت المناخ العام للتجاوب معه ، لقد بدأ الطوفان ، ولا أمن ولا أمان إلا في سفينة «إمام الزمان» .

إن مما يَلْفِتُ النظرَ أن «إعلان المهدية» ، اقترن بدعاوى خطيرة لا خطام لها ، ولا زمام ، والعجيب أن الناس في غمرة التعطش لخروج القائد المُنْتَظَرِ انقادوا انقيادًا أعمى لتلك الدعاوى العريضة التي صَرَخَ بها المهدي في قوةٍ ، وعنف ، وحماسٍ ، وإصرار ، وها هو ذا يخاطب شعبه المقهور قائلًا :

«فإلى قاطبة العلماء ، والتجار ، والعمد ، والفقراء ، والمساكين ، من

(١) «منشورات المهدية» ص(٢٦ ، ٢٧) .

عبدربه محمد المهدي بن عبدالله :

اعلموا - وفقني الله وإياكم إلى اتباع الكتاب والسنة - أن قد أيدني الله - تعالى - بالخلافة الكبرى ، وأعلمني سيد الوجود[1] - صلى الله عليه وسلم - بأني المهدي المنتظر ، وخلفني بالجلوس على كرسيه مِرارًا ، بحضرة الخلفاء ، والأقطاب والخضر ، وأوتيت سيف النصر من حضرته - صلى الله عليه وسلم - ، وأُعلمت أنه لا يُنْصَرُ عليَّ معه أحد ، وأيدني الله - تعالى - بالملائكة المقربين ، وبالأولياء من لَدُنْ أبينا آدم - عليه السلام - إلى وقتنا هذا ، وكذلك الجن إلى وقتنا هذا ، بعد أن أسلموا ، وصدقوا بمهديتي .

وفي حال الحرب يحضر مع الجميع أمام جيشي سيد الوجود - صلى الله عليه وسلم - بذاته الكريمة » ، ثم قال - صلى الله عليه وسلم - : «إن الله قد جعل لك على المهدية علامة ، وهي الخال على خدي الأيمن ، وجعل علامة أخرى ، تخرج رايةٌ من نور ، وتكون معي في حالة الحرب ، يحملها عزرائيل[2] - عليه السلام - ، فيثبت الله بها قلوبَ أصحابي ، وينزل الرعب في قلوب أعدائي ، فلا يلقاني أحد بعداوة إلا خذله الله - تعالى - ، ولو كان الثقلين الجن والإنس .

فمن له سعادةٌ صدَّق بأني المهدي المنتظر ، ولكن لا يخفى أن البيان لا يهدي ، وإنما الهادي هو الله - تعالى - ، وقد أعلم اللهُ نبيه - صلى الله عليه وسلم - بأن ليس عليه إلا البلاغ ، وأنه لا يهدي من أحب ، ومعلوم أنه لا يكذب على الله ورسوله إلا مَن لا خلاقَ لَهُ عند الله - تعالى - ، ومن يعلم علم يقين أن

---

(١) يشيع هذا التعبير على لسان «المهدي السوداني» وفي مكاتباته ، ولعله من غلو الصوفية ؛ وإلا فإن الثابت في الحديث وصفه - صلى الله عليه وسلم - بأنه «سيدُ ولدِ آدم» ، ولو كان تعظيمه - صلى الله عليه وسلم - بوصف «سيد الوجود» مشروعًا ؛ لاستعمله الصحابة - رضي الله عنهم - ، وأئمة الهدى من بعدهم ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه .

(٢) جاء في بعض الآثار تسمية مَلَكِ الموت باسم «عزرائيل» ، ولا يصح في هذه التسمية حديث ، انظر : «معجم المناهي اللفظية» ص (٢٣٨) .

متاع الدنيا قليل ، لا يزن عند اللَّه جناح بعوضة ؛ لا يؤثره على ما عند اللَّه - تعالى - ، ولو آثر عليه لزال ، كأن لم يكن ، ولولا أني على نور من اللَّه ، وتأييد من رسول اللَّه ، لما قدرت على شيء ، ولا ساغ لي أن أحكي بشيء ، وما أخبرت عن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - بما أخبرت إلا بأمر منه - صلى اللَّه عليه وسلم - .

وقد أخبر - صلى اللَّه عليه وسلم - مرارًا أن من شك في مهديتي كفر باللَّه ورسوله ، وأن من عاداني كافر ، وأن من حاربني يخذل في الدارين ، وأمواله وأولاده غنيمة للمسلمين .

وقد بشرني - صلى اللَّه عليه وسلم - أن أصحابي كأصحابه ، وأن عوامهم لهم رتبة عند اللَّه - تعالى - كرتبة الشيخ عبدالقادر الجيلاني ، ولا تغتروا بالخطب التي ألَّفها في ذمِّنا وتكذيبنا علماءُ السوء ممن وقع في عِرضنا ، فهؤلاء ممن أدخل اللَّه في قلوبهم النفاق ؛ بحب المال وحب الجاه ، ولا يخفى عليكم أن العلماء ينكرون كثيرًا من أمور المهدي ؛ لأنه ليس معتقدهم الذي يظنونه ، ولأنه يخالف مذاهبم(١) ، والتصديق بالمهدي أمر صعب ، لا يُوَفَّق إليه إلا من أدركه اللَّه بسابق سعادة .

وحيث إن الأمر للَّه ، والمهدية أرادها اللَّه ، واختارها للعبدالفقير محمد بن السيد عبداللَّه ، فيجب التسليم ، والانقياد لأمر اللَّه ورسوله .

وبعد هذا البيان ، فالمؤمن يؤمن ويُصَدِّقُ ؛ لأن المؤمنين هم الذين يؤمنون بالغيب ، ولا ينتظرون لإخبار آخر ، فمن انتظر بعد ذلك ، فقد استوجب العقوبة ، ومن لم تنفعه الموعظة طهَّرَهُ السيف»(٢) .

---

(١) وهذا الكلام يعكس مدى تأثر المهدي السوداني بتصور ابن عربي عن المهدي ، حيث قال في وصفه : «يرفع المذاهب من الأرض ، أعداؤه مقلدة العلماء ؛ لما يرون من الحكم بخلاف ما ذهب إليه أئمتهم» ؛ كما في «الفتوحات المكية» ، (٣/٣٢٨) .

(٢) «منشورات الإمام المهدي» (٢/٣٨) .

«هذا وقد أخبرني سيد الوجود - صلى اللَّه عليه وسلم - : بأن من شك في مهديتك ؛ فقد كفر باللَّه ورسوله - كررها - صلى اللَّه عليه وسلم - ثلاث مرات - وجميع ما أخبرتكم به من خلافتي على المهدية ، فقد أخبرني به سيد الوجود - صلى اللَّه عليه وسلم - يقظة في حال الصحة ، خاليًا من الموانع الشرعية ، لا بنوم ، ولا بجذب ، ولا سُكْر ، ولا جنون ، بل متصفًا بصفات العقل ، أقفو أثر رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - ، بالأمر فيما أمر به ، والنهي عما نهى عنه .

وإني لا أعلم بهذا الأمر ، حتى هجم عليَّ من اللَّه ورسوله من غير استحقاق لي بذلك[1] ، فأمره مطاع ، وهو يفعل ما يشاء ويختار ، وحكم نبيه - صلى اللَّه عليه وسلم - كحكمه ، ولما تكاثرت منه البشائر والأوامر لي في هذا المعنى ، امتثلتُ قيامًا بأمر اللَّه ، وقد كنت قبل ذلك ساعيًا في إحياء الدين ، وتقويم السنة ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم .

ولَمَّا حصل - يا أحبابي - من اللَّه ورسوله أمر الخلافة الكبرى ، أمرني سيد الوجود - صلى اللَّه عليه وسلم - بالهجرة إلى «ماسة» بجبل قدير ، وأمرني أن أكاتِب بها جميع المكلَّفين أمرًا عامًّا[2] ، فكاتبنا بذلك الأمراء ، ومشايخ الدين ، فأنكر الأشقياء ، وصَدَّقَ الصدِّيقون الذين لا يبالون بما لقوه في اللَّه من المكروه ، وما فاتهم من المحبوب المشتهى ، بل ناظرون إلى وعده - سبحانه وتعالى - بقوله : ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص : ٨٣] .

*** ويحكي المهدي تفاصيل إحدى الحضرات المزعومة - في ليلة الإعلان عن مهديته - قائلًا :**

«ثم يأتي النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - ، ومعه الشيخ عبدالقادر الجيلاني

---

(١) «نفسه» (١/٦) .

(٢) «نفسه» (١/١١٢) .

لابسًا جُبَّةً ، وعليها سيور ، فيقول الشيخ عبدالله : يا سيدي ، يارسول الله ! الناس منكرون الجبة ، ويتعففون عنها ، أفهي سنةٌ واردةٌ عنك أم لا ؟

فيقول - صلى الله عليه وسلم - : «وذات الإنسان رُقَعٌ : في رأسه رقعة زرقاء ، وباطن شفتيه رقعة حمراء ، وأسنانه رقعة بيضاء ، وأظفاره رقعة صفراء ، ولولا أني خشيت عليك أن تكون مغشيًا لأريتك جُبَبَ الخلفاء الأربعة» .

وهذه الليلة المذكورة التي حصلت فيها هذه الحضرة المباركة غرة شعبان ليلة الأربعاء .

ثم تلا علينا جميع الأحوال إلى دخول مكة ، ومنازعة أهلها ، ومبايعة الضعفاء والغرباء أولًا ، ثم مبايعة الشريف ملك مكة ، وجميع أشرافها»[(١)] .

كانت المراسلات أسلوب المهدي المفضل ؛ فقد بعثَ المهديُّ - ثم خليفته من بعده مئاتِ الرسائل التي بيَّن فيها مقاصد دعوته ؛ ومن ذلك رسالته إلى «محمد رءوف باشا» الحاكم العام للسودان ، أو «الحكمدار» ، التي قال فيها : «من عبدربه محمد المهدي إلى الحكمدار بالخرطوم ، وبعد ، فالأمر المطلوب كشفه أن دعائي الخلق إلى السنة ، والهجرة بالدين أمرٌ من سيد الوجود - صلى الله عليه وسلم - ، فمن تَبِعَ صار من المقربين ، ومن خالف خذله الله في الدارين ، فمن لم يصدق طَهَّره السيف ، ومن أتانا بالعداوة يأخذه الله ؛ إما بالخسف ، أو بالغرق ، وفيما ذكرته كفاية ، يكتفي به أهل العناية[(٢)] ... » ، فجمع رءوف باشا العلماء ، وأطلعهم على كتاب محمد أحمد ، فالتمس بعضهم له عذرًا بأنه قد حصل له جذب ، ولكنهم أجمعوا على ضرورة القبض عليه قبل اتساع الخرق[(٣)] .

(١) «منشورات المهدية» ص(١٧) .

(٢) «سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي» ، ص(١٢٠) ، نقلًا عن «الأصول الفكرية» ص(١٧٥ ، ١٧٦) .

(٣) «جغرافية وتاريخ السودان» ص(٦٥٢) ، نقلًا عن «الأصول الفكرية» ، ص(١٧٦) .

فندب رءوف باشا لهذا الأمر أحد معاونيه ؛ وهو «محمد بك أبو السعود» ، وحين ذهب إلى المهدي وجده جالسًا ، وحوله جماعة من تلامذته ، فسَلَّمَ عليه ، وقال : «إن الحكمدار بلغه أمر الدعوة التي قمت بها ، وأرسلني لآتي بك إليه ، وهو ولي الأمر الذي تجب طاعته» .

فأجابه محمد أحمد : «أما ما طلبته من الوصول معك إلى الخرطوم ، فهذا مما لا سبيل إليه ، وأنا ولي الأمر الذي تجب طاعته على جميع الأمة المحمدية» .

فقال له أبو السعود : «ارجع عن هذه الدعوى ؛ فإنك لا تطيق حرب الحكومة ، ولا نرى معك من يقاتلها» ، فقال محمد أحمد ، وهو يتبسم : «أنا أقاتلكم بهؤلاء» ، وأشار إلى أصحابه ، ثم التفت إليهم ، وقال : «أأنتم راضون بالموت في سبيل اللَّه ؟» ، فقالوا كلهم : «نعم ، رَاضُون بالموت في سبيل اللَّه ، وباذلون أرواحنا في رضا اللَّه ، ورسوله ، ومهديه» ، فالتفت المهدي إلى أبي السعود ، وقال له : «قد سمعت ما أجابوا به ، فارجِعْ إلى ولي أمرك في الخرطوم ، وأخبره بما رأيت[1] ، وربِّ الكعبة لقد كلفت برسالة سأؤديها ، ولو وقفت أمامي كل عقبات الدنيا ...» .

فلما قفل أبو السعود راجعًا إلى الخرطوم ، قال المهدي لأنصاره : «أيها الناس ، إن الترك رجعوا لطلب المدد ، وسيعودون لحربنا ، فمن كان منكم خائفًا على أولاده ، وأمواله ، فليخرج منا ، فنحن مسامحون له ، وبيعتنا التي في أعناقكم ليس عليكم فيها حرج ، فإن سلمنا فعودوا إلينا ، فقالوا جميعًا بلسانٍ واحد : يا سيدنا ، نحن بايعناك على الموت ، ورضينا بذلك ، ولا نرغب بأنفسنا عن نفسك ، بل نحن معك حيثما تَوَجَّهْتَ ، فَمُرْ بما شئت فنحن لك سامعون ، ولأمرك مطيعون يا خليفة رسول اللَّه»[2] .

---

(١) «نفسه» ص(٦٥٢) .

(٢) «نفسه» ، ص(٦٥٣) .

وصدقت نبوءة المهدي ، فقد عاد محمد أبو السعود على رأس قوة مسلحة للقبض عليه ، وحمله مكتوفًا إلى الخرطوم ، فكمن لها المهدي وأنصاره ، فأبادوها جميعًا إلا القليل ، ولم يكد أبو السعود يرى ما حل بجنوده ، حتى رجع هاربًا من هذا الجحيم .

وتعرف هذه الواقعة بـ « واقعة أبا » ، وكانت يوم الجمعة السادسَ عشر من شهر رمضان سنة ١٢٩٨هـ ، وقد انتشر خبرها في السودان انتشار البرق ، ونُسِجَتْ حولها الكرامات والخوارق ، ودارت حولها القصص والحكايات ، وفي ذلك يقول الشيخ الكردفاني : « إذا تأملت بعين البصيرة ، وطابت منك السريرة ، اتضح لك أن موقعة (أبا) من حيث كونها حصلت يوم الجمعة السادسَ عشرَ من شهر رمضان ، قريبة الشبه من غزوة بدر ؛ في كونها حصلت يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان ، وفي نقص هذه الواقعة عن البدرية بيوم ؛ أعني أن تلك يوم السابع عشر ، وهذه يوم السادس عشر ؛ سر لطيف ، ومنهج من التأديبات الإلهية منيفٌ ، يدركه الحاذق اللبيب ، ويفطن لدقيق مرماه الفطن الأريب »[1] .

* **يقول الدكتور عبد الودود شلبي - حفظه الله - :**

« كانت هذه الواقعة هي الشرارة التي أشعلت النار في السودان كله ، وقد تبوأ المهدي - بعد سحقه لقوات الحكومة - قمة الزعامة الروحية والوطنية ، وقد أيقن المهدي بعد هذه المعركة ، أن الحكومة لن تتركه يهنأ بانتصاره عليها ، كما أنها - أي الحكومة - لم تزل قوية ومحتفظة بهيبتها ، والواجب يفرض عليه أن يحسب حسابها ، ويستعد لملاقاتها وقتالها ، إنه الجهاد والثورة ، والجهاد والثورة في حاجة إلى تعبئة ، وهذه التعبئة لا بد من أن تكون شاملة وعامة ، وأية تعبئة من هذا النوع لابد أن تكون مبرراتها قويةً ، وصيغتها مقدسة ، وهنا تلعب براعته

---

(١) « سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي » ، ص(١٣٤) ، نقلًا عن « الأصول الفكرية » ص(١٧٧) .

الفكرية ، وتمتزج الزعامتان الروحية والوطنية في هذا النداء الموجه إلى الأمة ، يدعوها فيه إلى الهجرة .

لم يَقُلْ لهم : تعالوا نجتمع لقتال الحكومة ، بل قال لهم : هيا إلى الهجرة ، وللهجرة دلالات ومعانٍ كثيرةٌ ؛ إنها تعني الخروج من النفس والأهل والمال ، طاعةً للَّه ، ورسوله ؛ كما أنها - أي الهجرة - تحتل في تاريخ الإسلام مكانة رفيعة ، وفي هذا يقول المهدي : « ... لا يخفى عزيز علمكم ما ورد في فضل الهجرة ، وقد أعاد اللَّه لنا الزمن الماضي من الصحابة ، وأعلمني - صلى اللَّه عليه وسلم - بأن أصحابي كأصحابه - رضوان اللَّه عليهم - ، وبَشَّرَني أن من يصحبني قبل بلوغ أصحابي اثني عشر ألفًا فهو من أنصار اللَّه ، وفي رضاء اللَّه ورسوله ، وأن له سبعين حجة ، ومعلومٌ أن نصر دين اللَّه في القِلَّةِ - مع أسبقية الصحبة - فضله عظيم ، ولا سيما ، وقد قال اللَّه - تعالى - : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحشر : ٨] ، ومفهوم أن من لم يكن كذلك ؛ فليس من أهل الصدق ، وقد قال اللَّه - تعالى - في فضل الهجرة : ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[1] [النحل : ٤١] » .

وبعد معركة « أبا » « هاجر المهدي إلى « قدير » بكردفان ؛ ليبتعد عن السلطة ، ويحتمي بأتباعه في مكان آمن ، ومن هناك امتدت دعوته إلى بحر الغزال بين أكبر القبائل الجنوبية ؛ قبيلة « الدينكا » ، وإلى جنوب كردفان ، وكانت الهجرة لقدير للاحتماء بجبل « ماسا » ، وقد روى المهدي أن حركته إليه إنما كانت هجرة أَمَرَهُ بها في رؤيةٍ رسولُ اللَّهِ - صلى اللَّه عليه وسلم - .

وفي « قدير » تتابع أتباعه وافدين إليه يبايعونه ، وينتظمون في سلك دعوته ، مستعدين لمواجهة ما توقعوه من تجريدات عسكرية لم تنقطع ، ولم تفلح أي منها

---

(١) « الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني » ص(١٧٨) .

في مواجهته ؛ مما زاده مكانة ، ومنعة ، وقوة ، ولقد انشغلت الحكومة التركية المصرية بثورة «عرابي» عام ١٨٨٢ ، وكان في ذلك مجالٌ نَظَّمَ المهدي فيه جيوشه على قيادات ثلاث : «الراية الزرقاء» تحت قيادة «عبدالله التعايشي» خليفته من بعده ، وقوتها من رجال غرب السودان ؛ «الراية الخضراء» ، وعلى رأسها «علي الحلو» ، وتُمثِّلُ رجال الجزيرة ؛ ثم «الراية الحمراء» ، وقائدها «محمد شريف» ، وتمثل مجموعات النيل ، وتيمنًا بالرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وتقليدًا له ، سَمَّى نفسه خليفة رسول الله ، وسمى خلفاءه بأصحاب الرايات ؛ كفعل الخلفاء الراشدين .

وساقت الحكومة المصرية جيشًا لقتاله بقيادة «جيجلر» باشا البافاري ، فهاجمه نحو خمسين ألف سوداني ، وهزموه بالسيوف والعصي(١) ، مما كان له أثر فَعَّالٌ في زيادة الأتباع ، واستولى المهدي على مدينة «الأُبَيِّض» سنة ١٣٠٠هـ .

ولا نريد أن نقف كثيرًا عند الحملات والمعارك العسكرية ، ولكننا لا بد أن نشير وبسرعة إلى توالي الانتصارات المذهلة التي مَهَّدَت الطريق للزحف على الخرطوم ، وقَتْلِ «جوردون» ؛ ذلك الحدث الجلل الكبير ، الذي أنهى عهد التركية المصرية في السودان .

لقد أرسلت بريطانيا حملة عسكرية بقيادة القائد الإنكليزي «هكس» باشا للقضاء على الحركة المهدية ، ولكنها فشلت وأُبِيدَتْ ، وقُتِلَ قائدها ، ولئن كانت «أبا» المفتاح في بدء الدعوة ، فإن معركة «شيكان» ، التي أبادت حملة «هكس» باشا الكبيرة - كانت بحق بداية النهاية للعهد التركي ، وكانت الدافع وراء سياسة

---

(١) كان المهدي يتمسك بالسيوف والحراب والعِصِيِّ كسلاح وحيد للمهدية ، باعتبار أن السلاح الناري مميز للكفار (!!!) ، بينما سلاح الأنصار سلاح إلهي ، لكنه تخلى - فيما بعد - عن هذا الموقف ، وأمر باستخراج مخزونه من السلاح الناري في «قدير» ، وتوزيعه على الأنصار ، وانظر : «إمارة الإسلام المهدية» ص (٨١) ، ولو أنه تأمَّل دلالة تنكير لفظة «قوة» في قوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ الآية [الأنفال : ٦٠] ، لتراجع عن فهمه العجيب .

الإخلاء التي بُعث من أجلها «جوردون» ، ولكن غروره وتخيلاته جعلته يحيد عنها ، فيلقى حتفه مقتولًا في الخرطوم ، وكانت هزيمة «هكس» في «شيكان» في ٥ نوفمبر ١٨٨٣ ، كان «هكس» يتبجح بأن جنده قَادِرٌ على صد السماء بأسنة رماحه ، وبصد الأرض بأقدام جنده ، وتبارك الذي بيده الملك ، هُزِمَ جيشه شرَّ هزيمة ، ومات مِيتَةَ الكلاب ، وفي العام نفسه ثار الشرق بقيادة «عثمان دقنة» ، فأخذ «طوكر» و«سكات» . و«عثمان دقنة» هو من حَطَّمَ تشكيلة المربع الإسكتلندي ، وألحق هزيمةً نَكْرَاءَ بالبريطانيين[1] ، وهكذا مَهَّدَ الطريق للزحف على الخرطوم وحصارها»[2] .

وفي نفس الوقت كان «رودلف سلاتين» النمساوي الجنسية حاكمًا لمديرية دارفور سنة ١٨٨١م ، باسم الحكومة المصرية ، وكان قد أعلن إسلامه ، ودخل في طاعة المهدي ، واستولى الأنصار على دارفور ، وعَيَّنَ المهدي قريبه «محمد خالد» عاملًا عليها ، وظل «سلاتين» باشا في حاشية المهدي مدة اثنى عشر عامًا ؛ لأنه سلَّمَ للمهديين في ٢٣ ديسمبر ١٨٨٣م ، وبعد القضاء على الحركة المهدية عاد «سلاتين» باشا إلى مصر ، وكتب كتابه المشهور «النار والسيف في السودان» .

وكانت مديرية بحر الغزال تابعة للإدارة المصرية في الخرطوم ، وكان يحكمها ضابط إنكليزي يسمى «لبتون» ، وقد حاول الدفاع عن المديرية ، ولكن المهدي أرسل قوة من الأنصار استولت على بحر الغزال في أبريل ١٨٨٤م ،

---

(١) وقد سجل ذلك شاعر الإمبراطورية البريطانية «كبلنج» الذي كان يتغنى بأمجاد الإنكليز ، ونشرهم الحضارة! وكان قد اشترك في بعض المعارك ضد المهدي ، فانبهر ببسالة أتباعه ، وأنشأ قصيدة أسماها Fuzzy Wazzy ترجمت إلى العربية في أكثر من أربعين بيتًا ، يقول فيها : إنه شاهدهم يتحمون نيران المدافع ، ويتسابقون إلى الموت ، حتى أدخلوا الرعب في قلوب جنود ملكة بريطانيا ، ولم يكن يدري «كبلنج» أنهم يتسابقون إلى «الحياة» الخالدة ، والحقيقية ، ويطلبون الشهادة في سبيل اللَّه ، انظر : «حزام المواجهة : حرب التنصير في إفريقيا» ص(٦٧) .

(٢) انظر : «ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر» ص(٣٦٣ ، ٣٦٤) ، و«الأعلام» للزركلي ، (٦/ ٢٠) .

واستسلم لبتون، ومات في الأسر بعد أربع سنوات»[1].

«كان الإنكليز يرتاعون لانتصارات المهدي؛ لأن ذلك يعني انهيار إمبراطوريتهم في الشرق، وسيثور المسلمون عليهم في إفريقيا والهند، وسيحاول الكثيرون تقليده في الثورة على الغرب، إن أمر السودان لا يهم، ولكن العبرة من أحداثه تثير في القلوب الفزع والرعب، وقد تساءلت جريدة «البال مال جازيت» عن السبب في عدم إرسال ضابط كفء؛ ليتولى إجهاض هذه الثورة في المهد، ورَشَّحَتْ لهذا الغرض غوردون الجنرال الذائع الصيت».

كان لغوردون شهرة كبيرة، وكان ملوك العالم يتنافسون لكسب وده؛ ليخدم معهم. كانت شهرة القائد الذي لا يقهر Leader of the ever victorious army قد سارت بها الركبان؛ فقد خَدَمَ في الصين، وكان بطل حصار «سباستيول» في روسيا، و«الكيب تاون» في إفريقيا، وقاهر جزيرة «موريشيس» في المحيط الهندي، وكانوا يعتبرونه فوق ذلك كله من أبطال المسيحية.

عَـودَةُ جُـوردُونَ

وصدرت الفرمانات في القاهرة بتعيينه حاكمًا عامًّا على السودان، لم يكن للقاهرة في هذا الترشيح أمر أو نهي، كان على الخديوي فقط أن يسمعَ ويطيع، لقد سقط في شَرَكِ الخيانة، وتآمر مع الإنجليز على الثورة العرابية، وأصبح - منذ ذلك الوقت - في يد الإنجليز ألعوبة.

لقد بدأت المرحلة الحاسمة في هذه الحرب بين الثورة المهدية، وخصومها في لندن، والقاهرة، والتقى «الصوفيان» وجهًا لوجه على أرض السودان الساخنة، فهل يَسْهُلُ عليه - كما تقول مجلة العروة الوثقى - رقية «محمد أحمد المهدي» بعدما قام بدعوة عظيمة كهذه؟

(١) «أطلس تاريخ الإسلام» ص(٣٣٧).

«جوردون» يدبر الحيلة

ماذا يفعل غوردون لمواجهة هذا الإعصار ، وإخماد هذه النار ؟! الحرب ؟ وهل تجدي الحرب مع رجال غايتهم الموت ؟ لقد كان أنصار المهدي يبكون حنينًا إلى الشهادة ، ويستقبلون المدافع بوجوه باسمة ، ويُلْقِي الواحد منهم نفسه وسط الألوف من جنود العدو المدججة بالسلاح والذخيرة .

ولكن غوردون لا تعجزه الحيلة ، لقد تعامل من قبل مع كثيرين عَرَفَ كيف يتغلب عليهم ، ولن يكون المهدي - كما حَدَّثَتْهُ نفسه - أخطرَ منهم ، وبدأ يفتح ملفاتِهِ ، ويُخْرِجُ أسلحته ، وهنا نترك المجال فسيحًا أمام الرجلين ؛ لنرى كيف يديران المعركة ، وكيف كان الحوار بينهما في هذه المرحلة[1] .

جُوردُونُ يَعرِضُ الرِّشوَةَ

فقد قال في أولى رسائله إلى المهدي : «فخر الأمراء المكرمين ، وقدوة الأولياء الصالحين ، حضرة سيدنا ، ومولانا السيد محمد أحمد بن عبدالله - حفظه الله آمين .

بعد إهداء السلام ، وزيادة التوقير والاحترام لسموكم ، نخبر حضرتكم أني قد تعينت واليًا على السودان باتفاقِ كلٍّ من الحكومة الخديوية ، ودولة بريطانية ؛ لتسوية حال السودان ؛ بناءً على ما طرأ عليها في مدة السنين الأخيرة من انتشاب الحروب ، وسفك دماء المسلمين ، وقطع الطريق على أبناء السبيل ، الذين يقصدون التوجه لزيارة قبر النبي[2] - عليه السلام - ، والذين يريدون السعي على

(١) «الأصول الفكرية» ، ص(١٩٥ ، ١٩٦) .

(٢) يشد المسلمون الرحال قاصدين مكة المكرمة لأداء المناسك والصلاة في حرم الله تعالى ، والمدينة النبوية للصلاة في الحرم النبوي ، فإذا صاروا فيها ؛ استحب لهم زيارة قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - ، لكنهم لا يشدون الرحال قصدًا لزيارة القبر الشريف على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

معايشهم من التُّجَّار، والمتسببين[١]، وقد شق علينا ذلك كثيرًا، كما نعلم أن حضرتكم لا يخلصكم هذا الأمر؛ فغاية ما نريده الآن من جنابكم يا حضرة السيد أنه باتفاقنا سويًّا ننظر ما فيه حقن دماء المسلمين، وسلوك الطرق، ومداولة المواصلات بيننا وبينكم بغاية المحبة والمودة، بحسب ما يرضي اللَّه ورسوله، وأن تأذنوا وتتكرموا بإطلاق الناس المأسورين عندكم من إسلام، ومسيحيين؛ لمناظرة عيالهم، والتوصية بهم، كما أننا شكرنا لفضلكم كثيرًا على صنيع معروفكم معهم، وإن كان حضرتكم تريد أن تكون سلطانًا على «كردفان»، فقد أعطيناها لكم؛ لتكون سلطانًا وأميرًا عليها، وأريد أن ترسلوا واحدًا سفيرًا معتمدًا من طرفكم لأجل مقابلتنا في الخرطوم، والتروي فيما هو لازم بيننا بخلوص النية، وحسن الطوية، ولأجل إعطائه ما هو لازم من عواميد - أعمدة -، وسلوك التلغراف؛ لتجديد ما سبق إتلافه بواسطة العربان، ومداومة المواصلات بيننا، ويرسل لطرف حضرتكم فرمان من لدن السلطان المعظم بتأييد حضرتكم على حكومة «كردفان»، واعلم يا حضرة السيد أني أريد أن أكون معكم بغاية المحبة والمودة، ولا أقصد إلا كلَّ خير، ورجائي أن تتكرموا علينا برد الخطاب، واللَّه الموفق للصواب.

١٦ ربيع الآخر ١٣٠١هـ غوردون[٢]

❁ ❁ ❁

---

(١) هم صغار الحرفيين والتجار.

(٢) «منشورات المهدية» هامش ص(٣١٩، ٣٢٠).

المَهدِيُّ يَرُدُّ: إِذَا أَتَيتَنَا مُسلِمًا نُرَبِّيك

الحمد للَّه الوالي الكريم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله والتسليم، وبعد:

فمن عبدربه محمد المهدي بن السيد عبداللَّه - إلى عزيز بريطانية والخديوية غوردون باشا: وصل جوابك إلينا، وفهمنا ما فيه، والحال أنك تزعم إرادة إصلاح المسلمين، وفتح الطريق لزيارة قبر النبي - صلى اللَّه عليه وسلم -، واتصال المودة فيما بيننا وبينكم، وحل المأسورين من النصارى «والمسلمانين»، وأن تجعلنا سلطانًا على كردفان.

فأقول - والأمر للَّه - إني قد دعوت العباد إلى صلاحهم، وما يُقَرِّبُهُمْ من ربهم، وأن يفرغوا من الدنيا الفانية إلى دار البقاء، وليعملوا بما يصلحهم في آخرتهم، وقد كتبت إلى الحكمدارية في الخرطوم، وأنا بـ «أبا» بدعايتي إلى الحق، وبأن مهديتي من اللَّه ورسوله، ولست في ذلك بـ «محتال»، ولا أريد مُلْكًا، ولا مالًا، ولا جاهًا، وإنما أنا عبدٌ أُحِبُّ المسكنة والمساكين، وأَكْرَهُ الفخر، وتَفَخُّرَ السلاطين؛ لما جُبِلُوا عليه من حُبِّ الجاه، والمال، والبنين، وهذا هو الذي صدهم عن صلاحهم، وأَخْذِ نصيبِهم من ربهم، فأخذوا الفانيَ، وتركوا الباقيَ، واشتغلوا بما لا يكون إلا من الفانيات، ولم يسمعوا قول اللَّه ورسوله، ولم يذكروا خبر القرون الذين لم يُغْنِ عنهم ذلك شيئًا، وندموا على قدر الذي تنعموا به، فأيدني اللَّه - تعالى - بالمهدية الكبرى؛ لدلالتهم إلى اللَّه - تعالى -، وليتركوا العزَّ الفانيَ، والنعيمَ الفانيَ إلى العزِّ الدائِمِ، والنعيم الأبدي في دار النعيم المقيم، وقد قال المسيح - عليه السلام -: «ابنوا على موج البحر دارًا لكم»، فلا تتخذوها قرارًا، ومن ظن أنه يخوض البحر من غير بلل، فهو مغرور، وكذلك من ظن أنه يجمع الدنيا، ويريدها، ويكون له في الآخرة شأن.

فَأَنِبْ إلى اللَّه الباقي ، واخْضَعْ لجلاله ، واطْلُبْ عِزَّ الآخرة ، ولا تَظُنَّ أن هذه الدنيا دارٌ حتى تسعى لملكها وعزها ، وكيف من يكون على خلاف سكة رسول اللَّه يفتح زيارة قبره ؟ ولم يكن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - ممن يرغب في زيارة الكلاب ، كما ورد : « إن الدُّنْيَا جِيفَةٌ ، وطُلَّابهَا كِلَابٌ » . ولم يَرْغَبْ في من عَبَدَ غير اللَّه ، ونسي اللَّه ، وأعرض عن كلامه ، وطلب متاع الحياة الفانية .

فإن كنت شفيقًا على المسلمين ، فبالأولى أشفق على نفسك ، وخَلِّصْهَا من سخط خالقها ، وقوِّمْها على اتباع دين الحق ، واتباع سيدنا محمد - صلى اللَّه عليه وسلم - ، الذي أحيا ما اندرس من مِلَلِ الأنبياء والمرسلين ، وأتى مُصَدِّقًا لما بين يديه من الكتب ، فجميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لو حضروا لما سلكوا غير ملته ، وكلهم يتمنون أن يكونوا من أمته ، وممن حضر بَعْثَتَهُ .

فطَهِّر نفسك أولًا بالدخول في ملته ، ثم أشفق على أمته بسلوك سنته ، فعند هذا ، فأنت الشفيق ، ومِن غير هذا فما لك من المحقين رفيق ، كيف ؛ وقد قال اللَّه - تعالى - : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ إلى أن قال : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [المائدة : ٥٥ ، ٥٦] . وإننا قد امتثلنا أمرَ اللَّه ، وما نتخذ وليًّا إلا اللَّه ورسوله والمؤمنين ، وعلى ذلك ؛ فقد وُعِدْنَا بالغلبة ؛ كما سمعت من قول اللَّه هذا ، وما دام اللَّه يقول : ﴿هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ ، فلا غلبة لغيرهم ...

فإن رَجَعْتَ عما أنت عليه - من ملة غير الإسلام - ، وأنبتَ إلى اللَّه ورسوله ، واخترتَ الآخرةَ - نَتَّخِذكَ وليًّا ، وتكونُ من إخواننا ، وتكون المودة المطلوبة عند اللَّه ورسوله ، وتكون ممن امتثل أمر اللَّه ورسوله بعد هذه الآيات ، فاستحق الوعد والبشارة في قوله - تعالى - : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المائدة : ٦٥] ، فبعد هذا تتصل المودة

والمحبة فيما بيننا وبينك ، وتكون ممن عمل بالقرآن والتوراة والإنجيل ، وتكون قد اتبعت - باتباع سيدنا محمد - صلى اللَّه عليه وسلم - عيسى وجميع الرسل والنبيين ، وحُزْتَ الخير الأبدي ، وإلا حيث علمت أن حزب اللَّه - الذين وَلِيُّهم اللَّه ورسوله والذين آمنوا - هم الغالبون ، فاعلم أن حزبَ اللَّه واصلٌ إليك ، ومزيلٌ لك عما شاركتَ به اللَّهَ خالقَك ، فادعيتَ مُلْكَ عبادِه وأرضِه ، مع أن الأرض للَّه ، يورثها من يشاء من عباده الصالحين .

وأما المسلمانيون والمسيحيون الذين دعوت إلى إطلاق سراحهم ، فأنا أريد لهم الصلاح والنفع عند اللَّه ، وفي دار الأبد ، كما أريده لك ، ولكافة عباد اللَّه ، فلا أبعدهم من جنتهم إلى محنتهم ؛ فإن اللَّه قد أيدني رحمة للعباد ؛ لأنقذهم من الهلاك الذي وقعوا فيه .

وقد أيدني اللَّه - تعالى - بالأنبياء والمرسلين ، والملائكة المقربين ، وجميع الأولياء والصالحين ؛ لإحياء دينه ، وقد بشرني النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - بأن جميع من يلاقيني بعداوةٍ يخذله اللَّه ويهزمه.. . فلا تغترَّ فَتَهْلِكَ ؛ كما هلك إخوانك ، فافهم وسَلِّم تَسْلَمْ...

وأما الهدية التي أرسلتها لنا فعلى حسب نية الخير ، فجزاك اللَّه خيرًا ، وهداك إلى الصواب ، واعلم أنه كما كتبنا لك أنا لا نرغب متاع الحياة الدنيا وزينتها ، وإنما هي قصد المترفين الذين لم يكن لهم عند اللَّه نصيب ، وها هي عائدة إليك مع ما نرغبه من اللباس لأنفسنا ، وأصحابنا[1] الذين يريدون الآخرة ، ويرغبون فيما عند اللَّه من الخير الباقي الأبدي .

---

(١) وقد كان المهدي أرفق مع هذه الرسالة «كسوة الزهاد أهل السعادة الكبرى ، الذين لا يبالون بما فات من المشتهيات ؛ طلبًا لعالي الدرجات ؛ وهي : جُبة ، ورداء ، وسراويل ؛ وعمامة ، وطاقية ، وحزام ، وسُبْحَة ؛ فإن أنبت إلى اللَّه ، وطلبت ما عنده ، لا يصعب عليك أن تلبس ذلك ، وتتوجه لدائم حظك» . اهـ . من «منشورات الإمام المهدي» ، (١١٧/٢) .

ثم إن مثل هديتك هذه عندنا كثير، ولكن أعرضنا عنها؛ طلبًا لما عند اللَّه، وأقول لك في ذلك كما قال سليمان - عليه السلام - لبلقيس: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۝٣٦ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٦، ٣٧].

واعلم أنك إذا أتيتنا مسلمًا نربِّيك، فنريك من النور ما يطمئن به قلبك، ويزول به طمعك في الدنيا وما فيها، وبعد هذا البيان، فإن اهتديت، وسلمتَ لي، واتبعتني، حزت شرَفَي الدنيا والآخرة، وفزت بأجرك وبأجر جميع من اتبعك، وإلا هلكت، وكان عليك إثمك، ومثلُ آثام جميع من اتبعك[1].

جُـورْدُونَ يُهَـدِّدُ ويَتَوَعَّـدُ

من غوردون باشا والي السودان إلى محمد أحمد المتمهدي:

وصلني كتابك الركيك العبارة، العاري عن المعنى، الدال على سوء نيتك، وخبث طويتك، وعن قريب سَتُبْلَى بجيوشٍ لا طاقة لك بها، وتكون أنت المسئولَ أمام اللَّه عما يُسْفَكُ من الدماء؛ كما أنك أنت المسئولُ الآن عمن أعميتَ قلوبهم، وغَشَّيْتَ بصائرهم، ويَتَّمْتَ أطفالهم، وخَرَّبْتَ ديارهم، وكنت لا أرى حاجة إلى مخاطبة رجل مِثْلِكَ جاحد النعمة، عادم الذمة، لكني تعلقت بأذيال الأمل، راجيًا من اللَّه - عز وجل - أن يتجلى على فكرتك الخامدة، فتلقى النصيحة بيد القبول، وتعلو متن سلطنةٍ مَكَّنْتُكَ منها، وكان دون نيلها خَرْطُ القَتَادِ، وها أنا مستعدٌ لقدومك، ومعي رجالٌ أقطع بهم أنفاسك، والعاقل من تدبر، والسلام[2].

غوردون

(١) «نفسه»، (٢/١٠٩)، «منشورات المهدية»، ص(٣١٩، ٣٢٧).

(٢) «جغرافية وتاريخ السودان» ص(٧٨٣)، نقلًا عن «الأصول الفكرية»، ص(٢٠٢، ٢٠٣).

المَهدِيُّ يَرُدُّ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾

مِن العبدالمعتصم بمولاه محمد المهدي بن عبدالله إلى غوردون باشا - هداه الله قبل أن يتلاشى - آمين :

نُعْلِمُكَ أن جوابك رَدَّ المُحَرَّرِ منا وصلَ إلينا ، وفَهِمْنَا مضمونه ، وقد عذرناك في عدم إذعانك وإجابتك لنا بالطاعة ؛ كما طلبنا منك ؛ وذلك لأنك لم تَدْرِ الحقيقة التي نحن عليها ، وبحسب مقامنا ، ودلالتنا إلى الله ، وشفقتنا على جميع خلق الله ، حتى من هو مثلك ، لم يَطِبْ قلبنا بصرف النظر عنك ، ولا زلنا ندارجك عسى الله أن يهديك إلى سواء السبيل ؛ فأجب داعي الله ، واغتنم سلامتك من الشر الوبيل ، فقد رأيت ما حل ونزل ، ولا زلت ترى ، ولا طاقة لك ولا لأعوانك بحرب جند الله - عز وجل - ، وقد ذكرت أن «عبدالقادر ولد أم مريوم» حبيبك ، وتقبل قوله ونصيحته ، وطلبت إرساله إليك ، فعلى ماذا ؟ هل أنت منيب إلى الله ؟ وقصدك التسليم لنا على يد المذكور ؟ أم أنت على تصميمك في إعراضك ومعاداتك لربك ؟ فأفدنا لنعلم طلبك له هو على أي الوجهين ، ونرسله لك إن رأينا في ذلك صلاحًا للدين .

وأقول لك : إن عزة الإسلام خيرٌ لك ، وأبقى لدوام احترامك في الدارين ؛ فَتَحَلَّ بها إن عقلت .

«فإن أراد الله سعادتك ، وقبلت نصحي ، ودخلت في أماننا ، وضماننا ؛ فهو المطلوب ، وإن أردت أن تجتمع على الإنجليز الذين أخبرنا رسول الله بهلاكهم ، نوصلك إليهم ، فإلى متى تكذيبنا ، وقد رأيت ما رأيت ، وقد أخبرنا رسول الله بهلاك من في الخرطوم قريبًا ، إلا من آمن وسَلَّمَ ، يُنَجِّيهِ الله ؛ ولذلك أحببت لك ألا تهلك مع الهالكين ؛ لأنا قد سمعنا مرارًا فيك الخير ، ولكن على قدر ما كاتبناك للهداية والسعادة ما أجبتنا بكلام يؤدي إلى خيرك ؛ كما نسمعه من

الواردين والمترددين ، والآن ما يئسنا من خيرك وسعادتك ، وسنكتب لك آية واحدة من كتاب اللَّه ؛ عسى اللَّه أن يُيَسِّرَ هدايتك ، وطالما كاتبناك لترجع إلى وطنك ، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[١] [النساء : ٢٩] .

صَلَفٌ وغُـرُورٌ حَتَّى النِّهَايَـةِ

«المهدي يزحف إلى العاصمة[٢] ، وجيوشه المُظَفَّرَةُ تهتف مُهَلِّلَةً ، ولكنه - أي المهدي - لا يريد حربًا ، إنه يريد أن يدخل المدينة صلحًا ، فكتب إلى «غوردون» في اللحظات الأخيرة قائلًا : «لولا مراعاة حسم دماء المسلمين ؛ لضربت صفحًا عن مخاطبتك ، فسلم تسلم أنت ومن معك ، وقد نصحتك وأنصحك ، وإلا فالحرب بعد ذلك»[٣] .

فكتب إليه «غوردون» قائلًا : «لست أبالي بك ولا بجيوشك ، سترى ما يحل بك ؛ ففيَّ الكفاءة لأن أُعَرِّفَكَ قدرك ، ولا تَغُرَّنَّكَ كثرَةُ أنصارك»[٤] .

وأقبل التاسع من ربيع الآخر سنة **١٣٠٢هـ** ، الموافق **٢٦** من يناير **١٨٨٥م** ، فأمر «غوردون» أن تُعْزَفَ موسيقى الجيش ، وكأنما أحس الرجل بِدُنُوِّ أجله ، فأراد أن يسمع أغنية الوداع ، ولكن الجيش الذي يريد أن تُعزف موسيقاه لا يقدر أفراده على التنفس ، لقد أجهدهم الحصار ، والجوع ، واليأس ، وأصبح الموت أمنية يتمناها الكثيرون من أفراد هذا الجيش...

ما هي نهاية كل هذا ؟ لقد وجه «غوردون» هذا السؤال إلى نفسه ، إنها ولا

---

(١) «منشورات الإمام المهدي» ، (٢/ ٢٥١ ، ٢٥٣) .

(٢) كان جوردون قد طلب إرسال حملة عسكرية ؛ للقضاء على حركة المهدي ، فجهزت بريطانيا الحملة ، وأرسلتها إلى السودان ، ولكن المهدي سارع إلى مهاجمة الخرطوم قبل وصول الحملة ؛ «الموسوعة الحركية» ، (١/ ٢٣١) .

(٣) «جغرافية وتاريخ السودان» ، ص(٨٤٧) ، نقلًا عن «الأصول الفكرية» ص(٢٠٥) .

(٤) «المصدر السابق» .

محالة قدرٌ مكتوب في سِجِلِّ الأزل أن الخرطوم سَتُؤْخَذُ عَنْوَةً ، ولكنني لن أُنَالَ حيًّا ، ثم أمر بوضع الديناميت في أقبية القصر ، كي يُنْسَفَ بمن فيه إذا لزم الأمر ، ولكنَّ الانتحار جريمة ، إنها أكبر هزيمة يتعرض لها بطل ، وقد كان «غوردون» في نظر نفسه بطل الأبطال ، فكيف ينهزم ؟!

لقد انهارت قِلَاع الظلم ، وسقطت الحصون في يد الأنصار حصنًا بعد حصن ، وتلاشى كل أثر للمقاومة في صفوف العدو ، وحانت اللحظة الرهيبة بين غوردون وضحاياه في ساحة القصر .

كان «غوردون» واقفًا عند رأس السلم بثيابه العسكرية ، وما كاد يرى جموعَ الأنصار متجهةً نحوه ؛ حتى صاح فيهم قائلًا[(١)] :

- «أين محمد أحمد» ؟

إن «غوردون» لم تفارقه كبرياؤه حتى هذه اللحظة ، وهو موقف شجاع لا يُلَامُ عليه في الحقيقة .

- «يَا مَلْعُونُ ، هذا يومك !» .

وقذف أحد المهاجمين بحربة لتستقرَّ في الصدر ، وسقط القائد الذي لا يقهر مُضَرَّجًا بدمائه على سُلَّمِ القصر[(٢)] .

وكانت نهاية فصلٍ من فصول المأساة التي تعرض لها الإسلام في القرن التاسعَ عشرَ ، وبداية فصل جديد من فصول تلك الغارة التي شُنَّتْ على الإسلام والمسلمين في كل أرض وقطر ؛ فقد تناولت الصحف في إنجلترا وأوربا مأساة الخرطوم بالتعليق والوصف ، واتسمت لهجتها بالغضب ، والتهديد ، والعنف ،

---

(١) «جغرافية وتاريخ السودان» ص(٨٦٧) ، نقلًا عن «الأصول الفكرية» ، ص(٢٠٦) .

(٢) وكان ذلك في ٢٦ يناير ١٨٨٥م ، وحزَّ أتباع المهدي رأس «جوردون» ، وحملوها على حربة ، وبعثوا به إلى المهدي ، الذي كان يأمل إلقاء القبض عليه حيًّا ؛ ليبادل به «أحمد عرابي» الذي أجبر على مغادرة مصر إلى المنفى . انظر : «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٣١٥/١) .

وَحَرَّضَتْ حُكُومَاتِهَا على العمل ، والأخذ بالثأر .

وكان يومًا حزينًا في لندن ؛ فقد مات مَن أسمَوْه : «شهيد المسيحية» البطل ، وتوقفت ساعة (بج بن) عن العمل ، وكانت الملكة فكتوريا - كما يصف سكرتيرها - في حالة فظيعة :

كانت تَهمُّ بالخروج حين تلقت برقية «غوردون» فخرجت إلى مسكني على مسافة ربع ميل ، وسارت إلى حجرتي شاحبةً تَرْتَجِفُ ، وقالت لزوجتي - التي جزعت لمرآها - : «فات الآوان»...

أجل ، فات الآوان ، وتحرر السودان ، ورفرفت أعلام المهدية فوق ربوعه في كل مكان...[1] .

لقد كان سقوط الخرطوم بين يدي المهدي آنذاك إيذانًا بانتهاء العهد العثماني على السودان ، وانقاد السودان كله للمهدي من يومها ، ولم يَبْقَ له منافس .

وآثر المهدي المنتَصِرُ ألَّا يسكن مساكن الذين ظلموا في الخرطوم ، فسار بناقته من «أبي سعد» إلى «أم درمان» ، وحيث حطت رحالها بنى مسكنه ومسجده ، متيمِّنًا بذلك بما فعله الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم -[2] ، وسَمَّى أم درمان «البقعة المباركة» ، وجعلها عاصمة الدولة المهدية[3] .

ومضى المهدي في تأسيس دعائم دولته الوليدة ، فأقام في المنطقة التي امتد إليها نفوذه نظامًا إسلاميًّا ، طَبَّقَ تعاليم الإسلام في جميع نواحي الحياة ، فَعَين قضاةً من صفوة العلماء الأتقياء ، ونوابًا عنه في الأقاليم ، ممن يثق بصلاحهم وعلمهم ، وعهد إليهم مباشرة القضاء ، والأحكام ، والفصل بين الناس ، ونظم الشئون المالية ، وعين جباة لجمع الزكاة ، وقَسَّمَ الغنائم كما تقضي الشريعة الإسلامية ، وجعل بيت المال موردًا لرزق المسلمين ، يُعْطَى كل واحد منهم

---

(١) «الأصول الفكرية» ص(٢٠٥- ٢٠٧) بتصرف .

(٢) «ندوة الفكر الإسلامي المعاصر» ص(٣٦٥) .

(٣) «نفسه» ص(٣٩٢) .

بمقدار حاجته هو وعائلته، ولم يتقيد بمذهب خاصٍ في أحكامه، ولكن ادَّعى الاجتهاد، وطَرَحَ العملَ بالمذاهب الأربعة، وقال: «إن مذهبه هو الكتاب والسنة، والتوكل على اللَّه»، وكان قضاته يرجعون إلى ما كان عليه المسلمون في حياتهم الأولى، ثم أرسل إلى خديوي مصر يدعوه إلى تطبيق أحكام الإسلام، وعدم اتخاذ الكافرين أولياء(١).

مِن المَهدِيِّ السُّودَانِيِّ إلى خديوي مصر

«من العبدالمعتصم باللَّه محمد المهدي بن عبداللَّه إلى والي مصر:

لا يخفى على من نَوَّرَ اللَّه بصيرته، وشَرَحَ صدره، أن الدين الذي يكون المتمسك به ناجيًا عند اللَّه هو دين الإسلام، الذي جاء به نبينا محمد - صلى اللَّه عليه وسلم -، ونزل به القرآن من الملك العلّام، قال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقال - تعالى -: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وما سوى ذلك من الأديان فضلال يدعو إليه الشيطان حزبَهُ ليكونوا من أصحاب السعير.

ومن منحه اللَّه عقلًا يوازي به بين الخبيث والطيب، لا ينبغي له أن يُصَرِّفَهُ إلا فيما ينتج خلاصه عند اللَّه يوم تزل الأقدام، ويشيب الطفل، ويشتد الزحام، وإلا كان أسوأ حالًا من البهائم؛ حيث أضاع حكمة تركيب العقل فيه، ولا سبيل إلى السلامة عند اللَّه إلا باتباع دينه، وإحياء سنة نبيه وأمته، وإماتة ما حدث من البدع والضلال، والإنابة إليه - تعالى - في كل الأحوال، وقد تأكد ذلك في هذا الزمان، الذي عم الفساد فيه سائر البلدان؛ فإن دسائس أهل الكفر التي أدخلوها على أهل الإسلام، وضلالاتهم التي مَكَّنوها من قلوب الأنام، قد أفضت إلى

---

(١) انظر: «الموسوعة الحركية» (١/٢٣٣، ٢٣٤).

اندراس الدين ، وعَطَّلَتْ أحكام الكتاب والسنة بيقين ، فصارت شعائر الإسلام غريبة بين الأنام ، وتراكمت الظلمات وانتشرت البدع ، وأبيحت محارم الإسلام ، واشتد الكرب على أهل الإيمان ، فصار القابض على دينه كالقابض على الجمر ؛ لتراكم البغي والعدوان .

فعند ذلك أظهرني اللَّه طِبْقَ الوعد الصادق رحمةً لعباده ؛ لأُنقذهم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ، وأَدُلَّهم إلى اللَّه على هدى منه وتبيان ، وطَوَّقَني بالخلافة الكبرى على المهدية ، وخَلَعَ عَليَّ حُلَلَهَا البهيةَ ، وبَشَّرَنِي سيد الوجود - صلى اللَّه عليه وسلم - بالنصر على كل من يعاديني ، ولو كان الثَّقَلَيْنِ ، وبأن من يقصدني بعداوة يخذله اللَّه في الدارين ، وقَلَّدَنِي سيف النصر ، وأيدني بقذف الرعب في قلوب أعدائي يسعى أمامي أربعين ميلًا ، وأخبرني بأني أملك جميع الأرض ، وبأن من شك في مهديتي ؛ فقد كفر باللَّه ورسوله ، ونفسُه ومالُه غنيمةٌ للمسلمين ، وبأن اللَّه قد أيدني بالملائكة الكرام ، وبالجن أحياءً وأمواتًا . وهكذا من البشارات والعجائب التي يطول شرحها ، وكل ذلك بحضرة الملائكة المقربين ، والخلفاء الأربعة ، والخضِر - عليه السلام - وما كنت أترقب هذا الأمر لنفسي ، ولا سألت اللَّه إياه ، بل كنت أسأله أن يجعلني مُعِينًا لمن يقوم به ، فلما أراد اللَّه ، وحتم الأمر عليَّ من سيد الأكوان ، قُمْتُ بأعباء هذه الدعوة ، واعتصمت باللَّه ، وتوكلتُ عليه ، وأخبرتُ الحكمدارية بأني المهدي المنتظر ، وقد كان بها محمد رءوف ، وما تركت لأهلها في إيضاح هذا الأمر شيئًا .

وأنا في انتظار الأخبار ، وتسليم الأمر للَّه الواحد القهَّار ، فما كان منهم إلا أن ضربوا عما أخبرتهم به صَفْحًا ، وطووا عن قبوله كَشْحًا ، وبادروني بالمحاربة من غير روية ولا تثبت في هذا الأمر الديني ، الذي جئتهم به من خير البرية ، فأيدني اللَّه عليهم كما وعدني ، وهكذا صارت جيوشك تأتيني ثلة بعد ثلة ، وأقدم لهم الإنذارات ولم تنفعهم ، واللَّه يؤيدني ، وينصرني عليهم كما وعدني ، ويقطع دابرهم ، إلى أن قَلَّتْ حيلتك ، وتلاشي أمرك ، فَسَلَّمْتَ أمرَ أمة محمد -

صلى اللَّه عليه وسلم - لأعداء اللَّه الإنجليز ، وأحللتَ لهم دماءَهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، فجاء الإنجليز بكبرهم وخيلائهم ، واعتمادهم على غير اللَّه ، فلما سول الشيطان لهم ، واستولى على إدراك «غوردونهم» بالخرطوم ، وأَيِسْتُ من هداية أهله ، وعَلِمْتُ أن تكْرَار الإنذارات لا ينفعهم ، وحقت عليهم كلمة العذاب ، وصاروا مثل من قال اللَّه- تعالى- في شأنهم : ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة : ٦] ، عجل اللَّه بفتحه ، وإهلاك من فيه ، وأحرقت النار أجسادهم عيانًا ؛ كالذين من قبلهم ؛ إظهارًا للحقيقة ، وتعجيلًا للعقوبة ، وصدق عليهم قوله- تعالى- : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام : ٤٤] .

ثم أنذرت الإنجليز ، فلووا رءوسهم ، فوجهتُ إليهم طائفة من الأنصار ، فَقَذَف اللَّه في قلوبهم الرعب ، فولوا هاربين ، بعد أن أهلك اللَّه منهم من أهلكه ، وشتت شملهم ، وهذا كله غير خاف عليك ، ولا زال حزب اللَّه مُقْتَفِيًا أثر باقيهم ، وعن قريب يُحلُّ اللَّه من الدمار ما يكون عبرة لمن اعتبر . هذا ، وإن المؤمن المُصَدِّقَ بوعد اللَّه لا يرى لجميع ما في الحياة الدنيا من الفانيات قيمة ، ولا يأسف على ما فاته من ملكها الذي مآله إلى الزوال ، وعظيم النكال ، وإنما يكون مطمح نظره إلى ما عند اللَّه من النوال ، في دار الكرامة والإفضال ؛ فإن الدنيا لو بقيت للأول ، لم تنتقل للآخر ، ومن هنا تعلم أن هذا الملك لم يصل إليك إلا بموتِ أو عزلِ من كان قبلك ، وهو خارجٌ من يدِكَ بمثل ما صار إليك !

وحيث كان الأمر كذلك ، فلا ينبغي لك- إن كنت ترجو من اللَّه نعيم دار الأبد- أن تأسف على ما فاتك من الدنيا ، ولو كان الدنيا بحذافيرها ؛ فَدَقِّقِ النظر ، واجمع عليك فكرك ، وتدارك نفسك ، وَاسْعَ فيما يُنَجِّيكَ عند ربك ، إذا تمثلت بين يديه ، وسألك عما جرى منك ، وسَلِّم الأمْرَ إليه تَسْلَمْ .

وما كان يحسن منك أن تتخذ الكافرين أولياء من دون اللَّه ، وتستعين بهم على سفك دماء أمة محمد - صلى اللَّه عليه وسلم - .

ألم تسمع قول اللَّه - تعالى - : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة : ٥١] ، وقوله - تعالى - : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، وقوله - تعالى - : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة : ١] ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران : ١٠٠] .

فإن كنت ممن ينظر بعين بصيرته ، ولا يُؤْثِرُ متاع الدنيا الخسيس على نعيم آخرته ؛ فاعتبر بذلك ، وبادر إلى النجاة والسلامةِ المُعْتَبَرَةِ ، وهي سلامة الإيمان ، ونَزِّهْ نفسك من أن تكون في أسر أعداء اللَّه دائمًا ، ولا تُهْلِكْ من كان معك من أمةِ محمد - صلى اللَّه عليه وسلم - ، واغْسِلْ ما جرى منك بدموع الندم ، ولا تَكْتَرِثْ بجاه الدنيا الفاني ، ولا بمُلِكها الزائل ؛ فإن للَّه دارًا خيرًا منها ، وقد أَعَدَّهَا لعباده المتواضعين ، وإياك والركونَ إلى علماء السوء الذين أسكرهم حُبُّ الجاه والمال ، حتى اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فَيُهْلِكُوكَ ؛ كما أهلكوا مَنْ قبلك ، ولا تَغْتَرَّ بقوة حصن بلدك ، وكثرة أسلحتك ، وعُدَدِك الظاهرية ، ومظاهرةِ دولِ أهلِ الكفر لك ؛ فإنها لن تغني عنك من اللَّه شيئًا ، وكم أهلك قبلك من الملوكِ أهْلِ الحصونِ المنيعة ، ومن هو أشد منك قوة ، وأكثر جمعًا ، لَمَّا بَغَوْا وعَتَوْا في الأرض مفسدين .

وليكن في علمك أن أمرنا هذا ديني مبنيٌّ على هدًى من اللَّه ، ونورٍ من رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - ، ومؤيد من عند اللَّه بجنود ظاهرة ، وباطنية ، وما قصدنا منه إلا إحياء الدين ، وإظهار آثار الأنبياء والمرسلين ، ولا نريد مع ذلك ملكًا ، ولا جاهًا ، ولا مالًا ، فإن نوَّر اللَّه بصيرتك ، وخالفت النفس الأمارة بالسوء ، وقَبِلْتَ هدينا هذا ، وأنبت إلى اللَّه بنية خالصة ، فعليك أمان اللَّه ، وأمان رسوله ، وأماننا ، وما بيننا وبينك إلا المحبة الخالصة لوجهه -

تعالى - ، ونكون جميعًا يدًا واحدة على إقامة الدين ، وإخراج أعداء اللَّه من بلاد المسلمين ، وقطع دابرهم ، واستئصالهم إلى أن ينيبوا ، ويسلموا .

وقد حررتُ لك هذا الكتاب ، وأنا بالخرطوم شفقةً عليك ، وحرصًا على هدايتك ، فأرجو اللَّه أن يشرح صدرك لقبوله ، ويدلك على صلاحك ، ورشادك في الدارين ، وها أنا قادم إلى جهتك بجنود اللَّه عن قريب - إن شاء اللَّه - تعالى - ؛ فإن أمر السودان قد انتهى ، فإن بادرتني بالتسليم لأمر المهدية ، والإنابة إلى اللَّه رب البرية ، فقد حزت السعادة الأبدية ، وأمِنت على نفسك ، ومالك ، وعرضك ، أنت وكافة من يجيب دعوتنا معك ، وإن أبيت بعد هذا إلا الإعراض عن طريق الفلاح والرشاد ، فإنما عليك إثمك ، وإثم من معك ، ولابد من وقوعك في قبضتنا ، ولو كنت في بروج مشيدة ، وهذا إنذار مني إليك ، وفيه الكفاية لمن أدركته العناية ، والسلام على من اتبع الهدى»[1] .

❁ ❁ ❁

(١) «منشورات الإمام المهدي» (٢/٢٧٧) .

أَصداءُ الدَّعوَة المَهدِيَّةِ خَارِجَ السُّودَانِ

لا شَكَّ أن انتصارات الثورةِ المهدية على الحكم التركي المصري، وما أفرزته من مقاومة القوى الاستعمارية؛ قد أحدث دويًّا عظيمًا في كثير من الأقطار الإسلامية، ولعل خير ما يعكس هذا الصدى ما جاء على لسان الخليفة «عبداللَّه» في رسالة «لحياتو بن سعيد» حفيد «عثمان بن فودي» في «نيجيريا» بتاريخ ١٤ صفر ١٣٠٣هـ، ١٢ فبراير ١٨٨٦م: «وقد حضر بطرفنا بعد انتقال المهدية أمة من الناس من الجهات النائية: البعض من الهند.. وبخارى، ومكة المكرمة، ومن بني تميم، ومن الحبشة وتونس»، ويضيف في رسالة أخرى: «ومن إستنبول والجبرتة، وكلهم قد أخذوا البيعة عنا، واندرجوا في سلك الأصحاب، وصاروا من أنصار الدين، والبعض قد كملت تربيته، وتنور قلبه، وحررنا المكاتبات إليه، وإلى أهالي جهته؛ لدعوته إلى اللَّه، ووجهنا إليهم رسلًا من طرفنا».

بدأ تطلع «المهدي» للخروج بالدعوة من إطارها المحلي إلى رحاب العالم بعد فتح الأبيض مباشرة؛ فقد جاء في منشور بتاريخ ١٠ ربيع الأول ١٣٠٠ هـ- ١٩ يناير ١٨٨٣م، أن الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم -: قد بشَّر «المهدي» بأنه سيصلي في مسجد «بربر»، ثم المسجد الحرام بمكة، وفي مساجد المدينة المنورة، ومصر، وبيت المقدس، وبغداد، والكوفة، وفي هذه البشرى حَثٌّ المهدي على ضرورة نَشْرِ دعوته على نطاق عالمي(١).

---

(١) فمِن ثَمَّ «ربطت المهدية السودانية كيان إمارتها الإسلامية بمبدإ الجهاد ربطًا قدريًّا إلى حد أن بقعتها في «قدير» كما سبق الذكر؛ كانت هي مركز «البيعة الأولى» بينما كان مركز «البيعة الكبرى» حسبما بشرت به المهدية هو «مكة المكرمة»، ومن ثَمَّ، فإن بقعة المهدية بمعنى عاصمتها لن تثبت وتستقر، وإنما ستنتقل مع المد الجهادي على الطريق الواصل بين قدير ومكة، كما أن النصر على طول هذا الطريق قوامه دعامات أساسية تتمثل في الاستيلاء على الخرطوم، ثم القاهرة، ودمشق، إلى =

من «الأبيض» بدأ المهدي بمحاولة استقطاب بعض الزعماء للانخراط في الدعوة ؛ مثل سلطان ودَّاي، «ومحمد المهدي السنوسي»، «وحياتو بن سعيد»[١].

وواصل الخليفة «عبداللَّه» اهتمام «المهدي» بأواسط بلاد السودان، فخاطب سلاطين تلك المنطقة، وعين بعض من استجابوا عُمَّالًا له، كما استعمل الأنصار من أبناء البلاد الأخرى في نشر الدعوة، وقد وجدت الدعوة استجابة كبيرة في شمال نيجيريا.

ولم تقف اتصالات المهدي على أواسط بلاد السودان، وليبيا، بل شملت بلاد المغرب الأقصى، وجاءت المبادرة من بعض المغاربة القاطنين في مصر، ممن سمعوا بدعوة «المهدي»، وآمنوا بها، ثم أرسل المهدي إلى والي فارس، وخاطب أهل مراكش؛ للانخراط في دعوته، وحثهم على الجهاد في سبيل اللَّه.

وأما السَّنوسي، فلم يُقِرَّ لمحمد أحمد بالمهدية، بل تجاهل الرد عليه، وعدَّ ادِّعاءه المهدية تخريفًا[٢]، وأما «حياتو بن سعيد» حفيد الشيخ «عثمان دنفديو»؛ فأجابه بالرسالة التالية:

«إلى سيدنا، وقدوتنا، ووسيلتنا إلى ربنا، خليفة رب العالمين[٣]، ونجل سيد الأولين والآخرين، ورحمة اللَّه المهداة للمؤمنين، والحجة الواضحة على المنكرين، وسيفه المسلول على الكافرين، ناشر العدل بأقصى البلاد على رغم أنوف الظالمين، الذي ننتظره كانتظار «شوال»[٤] من الصائمين، سيدنا محمد

= الوصول إلى مكة». اهـ. من «إمارة الإسلام المهدية» ص (٣٠٣).

(١) انظر: «ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر» ص(٣٩٤، ٣٩٥).

(٢) انظر: ص(٣٧١)، وما بعدها.

(٣) انظر حكم إطلاق هذا اللفظ وما يشبهه في «معجم المناهي اللفظية» ص (١٥٦- ١٥٩).

(٤) لعله يعني عيد الفطر أول شوال.

المهدي المنتظر ابن السيد عبدالله الحسني، وابن ساداتنا إلى سيد الوجود - صلى الله عليه وسلم -، وعليهم أبرك تحية، وأطيب سلام بغاية رضا، وأعلى إكرام.

وبعد: فقد وصلنا كتابك الكريم، وتلقيناه بأسرع ترحيب، وأيقن تسليم، وقد رَوِينا به بعد ظمإٍ، وحيينا به بعد موت، واهتدينا به بعد ضلالة، وقمنا على بصيرة قائلين بلسان الحال والمقال: الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لِنَهتديَ لولا أن هدانا الله.

لقد جئت يا سيدي بالحق، وزهقت الباطل، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦].

وقد أتيتَنا بما سيجعل الله به كلمةَ الذين كفروا السفلى، وكلمةُ الله هي العليا، فآمنا بك مخلصين، ومنقادين لك ظاهرًا وباطنًا، وبايعناك على كتاب الله، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، معتقدين، بل موقنين، أنَّ يَدَكَ الكريمة نائبة عن يَدَيِ الحق التي فوق أيدينا - إن شاء الله تعالى -، وتركنا كل ما نحن فيه؛ توفيةً لما عاهدتنا، راغبين القرب منك في الدنيا والآخرة، ولو كنا ظالمين، وإن متنا على يبعتك، فللَّه الحمد والشكر على هذه النعمة التي لا نعمة فوقها، وقد رأينا الكرامات، وصدقنا، ووقفنا على الآيات، واعتبرنا، وأطعنا الأمر.

وها نحن يا سيدي مهاجرون إلى الله ورسوله، وإليك، وأرجو أن نكون أنصار الله ورسوله، وأنصارك - إلى أن يقول -: وما خرجت من بيتي وأهلي - يا سيدي، وخليفة ربي - إلا لكثرة ذنوبي، وسوء أخلاقي، راجيًا لرحمة ربي، قاصدًا بيته، وقبر نبيه، لعله برحمته الواسعة أن يغيثني بلقائك، وما أقمت في ذي البلاد إلا لانتظارك، وقد بايعتُك أنا ووالدي، وجميع من تعلق بي قبل ظهورك الحَسَنِيِّ، وشأننا مع شأنك معلومٌ عندنا، سيما قد

أوصانا جَدنا الشيخ عثمان بن فودي - رضي اللَّه عنه - بالهجرة إليك، ونصرتك، ومعيتك إذا ظهرت، ونحن معك قلبًا وقالَبًا في نصر دين اللَّه، وسنة رسول اللَّه - إن شاء اللَّه -، إلا من سبق عليه القول، والعياذ باللَّه»[1].

أقام المهدي في «أم درمان» يجمع الجموع، ويجند الجنود؛ لأجل التغلب على الديار المصرية، وأرسل مكاتيب من طرفه للخديوي، والسلطان عبدالحميد، وملكة إنكلترة يشعرهم بدولته، ومقر سلطنته، وضَرَبَ النقود[2].

وأصدر بعض المنشوات يبين فيها كيفية أداء الوضوء، والصلاة، والمناجاة، وتناول فيها بعض القضايا الاجتماعية؛ كالمساواة بين الغني والفقير، فألزم أنصاره لبس الجبة المرقعة، ومنع النساء من لبس الحلي، وأمر البدو بحلق شعر الرأس، ودعا إلى تخفيض نفقات الزواج، وإبطال الغناء والرقص، ومنع البكاء وراء الميت، وأبطل السحر، وكتابة الأحجبة، وحَرَّم زيارة أضرحة الأولياء، وشرب الخمر، وتعاطي التبغ، ونهي عن خروج النساء إلا لحاجة، وحثهن على طاعة أزواجهن، وستر أنفسهن، وقضى بعقوبة من تقف حاسرة الرأس تعزيرًا.

وفي عهد الخليفة عبداللَّه طبق نظام قضاء المظالم، وعرف نظام الحسبة الذي يعتمد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحث الناس على أداء الشعائر، وشدَّد على صلاة الجماعة لبَثِّ روح الوَحدة والإخاء بين أتباعه[3].

وأقام المهدي حكومة أحيا فيها أجهزة خلافة الراشدين؛ من بيتِ مالٍ، ودارٍ للقضاء، وقام بجمع الزكاة، وجبي العشور، وتوزيع الفيء، والغنيمة، على أساس شرعي، ثم إنه قَسَّمَ وِحدات الجيش، أو راياته، على نمط

(١) «منشورات المهدية»، ص(٣٣٤).

(٢) «الأعلام»، للزركلي، (٦/٢٠).

(٣) «ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر» ص(٣٩٣، ٣٩٤)، بتصرف.

إسلامي ، وأصبح هو على رأس الدولة ؛ باعتباره خليفة رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - ، يليه خلفاؤه الأربعة ، وعماله ، وأمراء الجيش ، وغيرهم من العمال الذين رتبت وظائفهم على نهج إسلامي .

لم يُعَمَّرِ المهدي طويلًا بعد فتح الخرطوم ، فقد دخل في خلوة ، وداهمه المرض[١] ، وقضى نحبه في «أم درمان» في التاسع من رمضان ١٣٠٢هـ ، الموافق ٢٢ يونيو ١٨٨٥م ، وعمره إحدى وأربعون سنة ، ودُفِنَ في المكان الذي قُبِضَ فيه[٢] ، وكان قد أوصى بالخلافة من بعده لعبداللَّه التعايشي .

وقد حيَّرت وفاته بعض الرؤوس ، وشكَّكت في مهديته[٣] .

❁ ❁ ❁

(١) «الموسوعة الميسرة» ص(٣٦٥) ، ويبدو أن سبب وفاته «الالتهاب السحائي الشوكي» ، وقيل: «حمى التيفود» .

(٢) «نفسه» ، (٣١٥/١) .

(٣) «الخصومة» ص(٢٣٩) .

الخليفة عبدالله التعايشي على خُطى المهدي

«مات المهدي تاركًا الإمارة المهدية في مهب الريح ، وكان موته المفاجئ صدمة عنيفة للأنصار ، لا سيما وأن المهدي كان يمثل الإمامة الدينية للمهدية ، وكان من الممكن أن تتأثر الإمارة بفقد المهدي . .

غير أن الزعامة الدينية التي تعكسها الإمامة المهدية أضفاها المهدي أيضًا على نظام الخلافة ، ودعَّم من هذه الزعامة بالعهد بكثير من سلطاته إلى الخليفة عبدالله إلى حد أن صار الأخير بحقٍّ نائبه وخليفته ، بمعنى الرجل الثاني في الإدارة المهدية بعد المهدي ، كذلك كما رأينا ، عمل المهدي على منح خليفته كل التأييد - إداريًا ودينيًا - إلى حد إضفاء لقب «خليفة الصديق» ومقامه عليه ، وتأكيد ذلك بما عهد إليه من سلطات عليا في إدارة بقعته المركزية ، بل شغل دوره في إمامة المهدية أثناء اعتكاف المهدي ، وقد مات المهدي في شهر رمضان أثناء اعتكافه ، أي أن الخليفة كان يشغل مركز خليفة «الإمام المهدي» بالفعل قبل وفاة المهدي مباشرة ، ولم توجد بموته فجوة في هذا الصدد»[1] .

«وقد قدر التعايشي التأثير الذي سيحصل للناس بموت المهدي ، واحتاط لذلك ، فوزع منشورًا في جميع البلاد بأن المهدي قد مات ، وأنه قام في الأمر بعده ، وقال : (إن موت المهدي إنما يزيدنا احتقارًا لهذه الدنيا ، وحبًّا للموت في سبيل الله) ، وأمر رفيقيه الخليفتين والأشراف أهل بيت المهدي فوزعوا منشورًا صرحوا فيه بمبايعتهم له ، وحَثُّوا الناسَ على الاقتداء بهم ، وقالوا : (إن المهدي ليلة وفاته حصلت له « حضرة » ظهر له فيها الشيخ القرشي ، ومعه جمع من الأولياء ، فقالوا له : إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد استعجل انتقالك إلى الدار الآخرة ، فاجعل لك وكيلًا من خلفائك يقوم بالأمر ، فقال المهدي :

(١) «إمارة الإسلام المهدية» ص (١٤١) .

(أوكلت الخليفة عبدالله) فاتفقت كلمتنا عليه »[١] .

ظهرت المنشورات الأولى الصادرة من الخليفة إلى عموم الأنصار في إطار استند أساسًا على سيرة المهدي ، والتأكيد عليها بروايات من عنده ، وعلى حد قوله لأنصاره : « ... ومع ما أنتم عليه من حسن الانقياد والتشمير في نصرة دين رب العباد ؛ فسأذكر لكم بعض ما حصل لي من التأييد الإلهي في حياته عليه السلام ، ليزداد يقينكم ، وتطمئن قلوبكم ، فمن ذلك أنه عليه السلام قد حضر عندي ذات يوم في آخر شهر اللَّه رجب سنة تاريخه ، ومعه خلفاؤه - - رضي اللَّه عنهم - - وبعضًا من الأصحاب الصادقين ، ثم شرع في المذاكرة ، وفي أثناء ذلك قال عليه السلام : إن جميع الأسرار الإلهية قد اجتمعت في الباء ونقطها ، وخَطَّها - عليه السلام - في الأرض بأصبعه الشريف ، ثم قال عليه السلام : وما دام أن اللَّه جعل ذلك الحرف في واحد من البشر ، فقد صار محلًّا للسر الإلهي ، فسأله بعض الإخوان الصادقين في ذلك المجلس عن البشر الذي جعله اللَّه محلًّا للسر الإلهي ، فأشار إلى العبدالفقير ، وقال عليه السلام : ذلك خليفة الصديق هذا ، فنظر إليَّ الأصحاب ، فوجدوا الباء بنقطتها في خدي الأيمن ، وهي موجودة الآن ، وعند حضوركم لهذا الطرف ستروها إن شاء اللَّه تعالى ، ومن ذلك أيضًا أني في ليلة الاثنين التي انتقل فيها المهدي عليه السلام ؛ أرى - وأنا بين اليقظة والنوم - يدًا من نور ساطعة مُدَّت إليَّ من السماء ، وأخذت بيدي اليمنى ، وبايعتني على تأييد الدين ، وبشرت في تلك الليلة بأمور عجيبة لم أذكرها الآن . وهكذا من الإشارات ، ويكفي المؤمن ما حصل من إشارات المهدي عليه السلام التي صرح بها في حق العبدالفقير في كثير من منشوراته ، ولعل كثيرًا منها لا يخفى عليكم ... وتعلموا أن المد الإلهي الذي أيد اللَّه به مهديه عليه السلام لم يزل باقيًا ولم ينقطع بانتقال المهدي عليه السلام للدار

---

(١) «نفس المرجع» ص (١٠٨) ، نقلًا من «تاريخ السودان» لشقير ص (٣٩٢) .

الآخرة ، فلازال عزرائيل عليه السلام حامل راية النصر ، ولا زال المصطفى صلى... مقدم الجيش ، وكذلك إمداد اللَّه تعالى للمؤمنين بملايكته وأوليائه لم ينقطع ، كما أن سيف النصر بيد العبدللَّه آيل إليه من المهدي عليه السلام ، بمقتضى حضرة نبوية في حياته عليه السلام ، وكذا عمامة الخليفة الرابع ، كما هو مدروك عند الأصحاب ، وغير ذلك مما لا تحيط به الدفاتر ، فافهموا ذلك أيها الأحباب ، وشمروا فيما أنتم بصدده عن القيام بأمر الدين من غير تزلزل ... لا سيما وقد ندبتم لهذا الأمر من خليفة رسول اللَّه صلى ... وقد أخذ عليكم العهود والمواثيق على طاعته»[1] .

ونظرًا لعوامل عدة توقف التوسع المهدي بعد موت المهدي ، وصار العمل العسكري ضد حركات التمرد بديلًا مؤقتًا للنشاط الجهادي المهدوي ، نص عليه المهدي نفسه في منشوراته عندما قال : « ... فمِن بعدِ قَتْلِ الكفرة ؛ فعلى حسب الإشارات النبوية نرجع إلى كل من خالف أمرنا واختار الدنيا ، فنقتله ، وننفذ فيه إشارته - صلى اللَّه عليه وسلم - ونحيي دين اللَّه »[2] .

وسرعان ما فزع الخليفة عند حصول أول أزمة إلى دعوى الاستناد إلى حضرة الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - ، والخضِر ، وأضاف إليها - بالطبع - المهدي .

وحينما شعر الخليفة عبداللَّه بخطر الأتراك والإنكليز ، وشاع خبر استعدادهم للعودة إلى دنقلة ؛ اجتهد في تعبئة الدعاية المهدية من أجل الوصول بالحماس الجهادي إلى ذروته ، لكن الخليفة وُوجه بموقف مغاير من الأنصار المجاهدين في حصار سنار ، فقد وجد الخليفة اتجاه هؤلاء الأنصار إلى استيطان سنار ، ولم تفلح معهم منشورات الدعوة للجهاد في الشمال ، وكان أن أصدر في النهاية أوامره بهدم سنار وتخريبها .

---

(١) نفس المرجع ص (١٤٦- ١٤٧) ، وفي السياق ركاكة ولحن!
(٢) «نفسه» ص (٣٠٩) .

ظهرت هذه الأوامر في نفس إطار المهدوية الذي سبق الحديث عنه باستفاضة : « حيث إن التأكيد من عدم سكنى سنار تأكد من النبي عليه الصلاة والسلام ، ومن المهدي عليه السلام ، والخضِر عليه السلام ، والوعد بأن من يموت فيها خرج من صحبة المهدي عليه السلام ، نظرًا لذلك قد كان حررنا المكاتبات للأحباب بالحضور ... »(١) .

لقد حَلَّ الخضر عليه السلام - كمصدر لإلهام الخليفة محلَّ الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - مصدر إلهام المهدي ، بل لم يتردد الخليفة في ذكر الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - ضمن الحاضرين في « حضراته » .

وصار الخليفة - تبعًا لذلك - هو مصدر التشريع في عهده ، معتمدًا في ذلك على تفسير المهدي للشريعة الإسلامية ، وعلى تفسيره الخاص للمسائل التي لم يسبق للمهدي البت فيها بحكم ما ، وكثيرًا ما كان القضاة يرفعون التماسهم يطلبون مدَّهم بصور الأحكام الجديدة(٢) .

❁ ❁ ❁

(١) انظر : «إمارة الإسلام المهدية» ص (٢٠٢) .

(٢) «نفس المرجع» ص (٣٦٤- ٣٦٥) .

خِلَافَةُ التَّعَايشِيِّ ونِهَايَةُ الحَرَكَةِ المَهدِيَةِ

قاد الحركة المهدية بعد مؤسسها « عبدُ اللَّه التعايشي » ، وسار على نهجه ، فكتب إلى الخليفة السلطان « عبدالحميد » وأهالي نجد والحجاز[١] ، وإلى سلاطين غرب السودان ، ونجح في بعض حروبه مع الحبشة ، إلا أنه آثر أن يكرس جهده لمواجهة الخطر الوافد من الشمال[٢] .

اعتزم التعايشي غزو مصر تحقيقًا لأحلام سلفه ، وتوجهت حملة لغزو مصر ، يقودها رجل من كبار قواده هو « عبدالرحمن النجومي » ، وهو من الجعليين ، وقد انتصر المصريون على النجومي في توشكى[٣] .

كونت بريطانيا جيشًا إنكليزيًا - مصريًا بالاتفاق مع الخديوي «عباس حلمي الثاني» عام ١٨٩٦م ، وضعته تحت قيادة الجنرال «كتشنر» البريطاني ، وكان الجيش مسلحًا ببنادق سريعة الطلقات ، ورصاصات متفجرة ، وأحدث ما أنتجته المصانع الحربية البريطانية من مدفعية ، وقام سلاح المهندسين الإنكليزي بإنشاء خطوط سكة حديد ؛ ليربط جنوب مصر بشمال السودان ، وتم إنزال سفن مدرعة في النيل ، ومدفعية عائمة ؛ لضرب الأهالي والبيوت في السودان[٤] .

وفي ٨ أبريل ١٨٩٨م ، وبين المتمة وأم درمان التقت قوات «كتشنر» مع قوات «التعايشي» يقودها «محمد أحمد» و«عثمان دقنة »، وحصدت المدافع

---

(١) وذلك في شوال ١٣٠٣هـ / يوليو ١٨٨٦م حيث كتب إلى عدد من قبائل الحجاز يحرضها على الجهاد ، وسمي الخليفة عبد اللَّه زعيم قبيلة الأحامدة عاملًا له على قبائل الحجاز ، كما عين الأمير «عبد اللَّه بن فيصل بن سعود» الذي أبدى حماسه للمهدية عاملًا على نجد ، ولكن صمت المصادر عن تلك الاتصالات يوحي بالشك في مصداقيتها ، أو أن نتائجها العملية لم تكن كبيرة . انظر : «ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر » ، ص(٣٩٥) .

(٢) «ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر » ، ص(٣٩٦) .

(٣) «أطلس تاريخ الإسلام» ، ص(٣٣٨) .

(٤) «العذاب الذي لاقاه المسلمون على أيدي الغرب» ص(١٤٨) .

الإنكليزية القواتِ السودانيةَ في معركة «كرري» التي تعرف - أيضًا - بمعركة «أم درمان»[(١)] ، وفيها قُتل أحدَ عَشَرَ ألفًا من الأنصار ، وجُرح ستةَ عشرَ ألفًا[(٢)] ، في مقابل ثمانية وأربعين قتيلًا فقط ، و(٣٨٢) جريحًا من القوات الأنجلو - مصرية ، وفي مواجهة هذه الهزيمة الفادحة ، وفَشَلِ الخليفة في حث الأنصار على الصمود في بقعة المهدية بأم درمان ؛ انسحب من عاصمته في اتجاه «كردفان» ، وبأمر من «كتشنر» أخرج رجالُه رفات المهدي من ضريحه ، وقاموا بحرقها ودفن الجمجمة فقط في وادي حلفا[(٣)] .

وقيل : إنه - أي كتشنر - نبش قبر المهدي ، وبعثر هيكله ، وبعث بجمجمته إلى المتحف البريطاني[(٤)] انتقامًا لمقتل «جوردون»[(٥)] .

* **ويذكر العميد «كامل الشرقاوي» أنه :**

في ٢ سبتمبر ١٨٩٨م اقترب جيش «كتشنر» من أم درمان عاصمة المهديين ، وهناك وقعت مذابح فريدة من نوعها في تاريخ الحروب في ذلك الوقت ، حيث فتحت القوات البريطانية الرشاشات بطريقة وحشية على جنود المهدي ، فقتلت

(١) وفي معركة «أم درمان» هذه كان «ونستون تشرشل» مراسلًا حربيًّا مع الجيش البريطاني ، انظر : «الأصول الفكرية» ، ص(٩) .
(٢) «أطلس تاريخ الإسلام» ، ص(٣٣٧) .
(٣) «إمارة السودان المهدية» ص (٤٢٠) .
(٤) تمامًا كما فعل الفرنسيون مع «سليمان الحلبي» - رحمه اللَّه - الذي قتل «كليبر» ، ثم حوكم بمقتضى «العدالة» الفرنسية ، وصدر الحكم بأن تحرق يده اليمنى ، وهو حي ، وهي متصلة بجسمه ، وبعده يقيد ، ويوضع فوق الخازوق ، ثم توضع يده اليمنى فوق فحم ملتهب لتُشْوى وهو ينظر ، ويبقى على الخازوق لحين تأكل رِمَّتَه الطيور ، وقد تم تنفيذ هذا الحكم الوحشي الذي يليق «بالحضارة» الغربية المتوحشة فوق «تل العقارب» في ١٧ يونيو ١٨٠٠م ، ثم احتفظ الفرنسيون بهيكله العظمي ، وأودعوه مُتْحَفَ حديقة الحيوانات والنباتات في باريس ، كما حفظوا جمجمته في غرفة التشريح بمدرسة الطب بباريس . انظر : «ودخلت الخيل الأزهر» ص(٣٤٩، ٣٥٩) ؛ و«الأعلام» ، للزركلي ، (٣/١٣٣) .
(٥) «العذاب الذي لاقاه المسلمون على أيدي الغرب» ص (١٤٨ ، ١٤٩) ، وانظر : «الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني» ، ص(٢٣٨) ، «الموسوعة الميسرة» (١/٣١٥) .

عشرين ألف جندي ، وقفوا يصدون الرصاص بصدورهم بقصد منع تسليم وطنهم السودان إلى الإنكليز الذين استولوا على أم درمان[١] .

وفي ٢٤ نوفمبر في موقع « أم دويكرات » بالقرب من «كوستي» حاليًا انتصرت الأسلحة النارية من جديد على الخليفة وأنصاره ، ووجد جسمانه مع جسمان كل من الخليفة علي ، وأحمد فضيل على فروة الصلاة ، ووجد ابنه عثمان شيخ الدين جريحًا حيث مات بعد سنة متأثرًا بجراحه في سجن رشيد ، فانتهت بذلك نهائيًا دولة عبدالله التعايشي ، وانقضى بها عهد إمارة الإسلام المهدية بالسودان ، ومع ذلك ظل لذكراها أنصار عديدون نسجوا أكثر من حدث بارز في السنوات التالية ، وأعادوا تشكيل تنظيمهم في إطارٍ أقربَ إلى الطريقة الدينية قبل أن يتطوروا به إلى تنظيم ديني سياسي باسم « حزب الأمة السوداني » ، ويتطور غيرهم بأصل الفكرة المهدية ذاتها ، ويقيموا عليها أكثر من تنظيم باسم الإسلام[٢] .

هكذا تم القضاء على الدولة المهدية ، ودخل « كتشنر » وقواته الخرطوم ، واستقر فيها حاكمًا ، وبدأ عصر جديد في تاريخ السودان[٣] .

---

(١) «نفس المصدر» ص (١٤٩) .

(٢) «إمارة الإسلام المهدية» ص (٤٢٠) .

(٣) «أطلس تاريخ الإسلام» ، ص(٣٣٧) . ومن الجدير بالذكر أن المهدي السوداني كان له ولد يُدْعَى : «عبد الرحمن بن محمد أحمد المهدي» (١٨٨٥ - ١٩٥٦م) ، ولد في أم درمان ، وتلقى تعليمًا دينيًا ، وعندما شبَّ سعي لتنظيم المهدية بعد أن انفرط عِقدها ، وصار في عام ١٩١٤م زعيمًا روحيًا للأنصار ، وفي عام ١٩١٩م بعثت به الحكومة ؛ لتهنئة ملك بريطانيا بانتصار الحلفاء ، حيث قام بتقديم سيف والده هدية للملك ، الذي قَبَّله ثم أعاده إلى «عبد الرحمن» طالبًا منه أن يحتفظ به لديه نيابة عن الملك ، وليدافع به عن الإمبراطورية ، وقد شكل هذا اعترافًا ضمنيًا بالطائفة ، واعترافًا بزعامته لها ، وقد أنشأ «عبد الرحمن» أيام الاستعمار الإنكليزي على السودان «حزب الأمة» ، وهو حزب المهدية السياسي ، والذي يرأس الجناحَ الأقوى من أجنحته الثلاثة اليوم «الصادق بن الصديق بن عبد الرحمن بن محمد أحمد بن عبد الله المهدي» زعيم المهدية المعاصرة . انظر : «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» ، (٣١٦/١) .

مَوقِفُ الحَرَكَةِ السَّنُوسِيَّـةِ مِن المَهدِيِّ السُّودانِـي

عاصر المهديُّ السوداني الزعيمَ الثاني للحركة السنوسية : «محمدًا المهدي ابن الإمام محمد بن علي السنوسي الكبير» .

وُلد «محمد المهدي» في الجبل الأخضر في ليبيا ، في ذي القَعدة ١٢٦٠هـ ، ولما قدم المبشِّر بولادته على ابن السنوسي حكى لهم حكاية ، قال : «كان رجل يخرز طبلًا ، فمر به جماعة ، وهو يخرز ، قالوا له : ماذا تفعل ؟ قال : إذا يبس تسمعون صوته» . وقال «أسميناه المهدي ؛ ليحوز- إن شاء اللَّه- أنواع الهداية ، ونرجو اللَّه أن يجعله مهديًّا»[١] .

وعندما توفي الإمام ابن السَّنُوسي - رحمه اللَّه - في صفر ١٢٧٦هـ ، بويع ابنه «محمد المهدي» (ت ١٣٢٠هـ) ، وهو ابن ست عشرة سنة ، وفي عهده نمت الحركة السنوسية نموًّا مدهشًا ، ودخلت عدة قبائل إفريقية في الإسلام ، وتوطد سلطان الحركة في قلب الصحراء الكبرى ، وارتجفت أوربة منها ، وشلَّت حركة المنظماتِ التنصيرية[٢] .

بَيـنَ المَهـدِيِّ السُّودَانِـيِّ والمَهـدِيِّ السَّنُوسِـيِّ

سمع «محمد أحمد» بما حققته السنوسية من نجاح فائق ، وانتصار عظيم ، وتوسع كبير في الصحراء الكبرى ، وفي القبائل الليبية ، فرغب بضم هذه الحركة إليه ، فأرسل «محمد أحمد» في عام ١٣٠٠هـ رسالة إلى «محمد المهدي السنوسي» هاك نصَّها :

«من عبدربه الفقير إليه محمد المهدي بن السيد عبداللَّه إلى حبيبه في اللَّه

(١) «الحركة السنوسية في ليبيا» ، للدكتور علي محمد الصلابي - حفظه اللَّه - ، (٢/ ١٥ ، ١٦) .

(٢) انظر : «نفس المصدر» ، ص(٢٠- ٤٤) .

الخليفة محمد المهدي بن الولي السنوسي ، كان اللَّه في عونه ، آمين . فيا أيها الحبيب القريب ، الواقف على سنة النبي الأديب ، المُرَقِّي العباد إلى مقام التقريب ، لا يخفاكم تغير الزمن ، وترك السنن ، ولا يرضى بذلك ذوو الإيمان والفطن ، بل يترك لذلك الأهل والوطن ؛ لإقامة الدين والسنن ، ولا يتوانى عن ذلك لكون غيرة المؤمن على الإسلام تجبره .

واعلم يا حبيبي : قد كنا ننتظرك ، ومن معنا من الأعوان ننتظرك ؛ لإقامة الدين قبل حصول المهدية للعبدالذليل ، وقد كاتبناك لما سمعنا باستقامتك ودعايتك إلى اللَّه على السنة النبوية ، وتأهبك لإحياء الدين بأن نصير إليك ونجتمع معك ، ولم تَرُدَّ لنا المكاتبة ، وأظن ذلك من عدم وصولها إليكم ، حتى إني ذاكرت جميع من اجتمعت معه من أهل الدين والشيوخ والأمراء ، فأبوا ذلك ؛ لهوان الدين عندهم ، وتمكن حب الوطن والحياة من قلوبهم ، وقلة توحيدهم ، حتى بايعني الضعفاء على الفرار بالدين ، وإقامته على ما يطلب رب العالمين ، وقنعت نفوس من بايعناه من الحياة الدنيا ؛ لما يرون للدين من الممات ، ولا زال المساكين الذين لم يبالوا في اللَّه بما فاتهم من المحبوب المشتهى يزدادون ، وفيما عند اللَّه يرغبون ، حتى هجمت المهدية الكبرى من اللَّه ورسوله على العبدالحقير - واللَّه هو الفاعل المختار الذي هو على كل شيء قدير - فأخبرني سيد الوجود - صلى اللَّه عليه وسلم - بأني المهدي المنتظر ، وخَلَّفني - عليه الصلاة والسلام - بالجلوس على كرسيه مرارًا بحضرة الخلفاء الأربعة ، والأقطاب ، والخضِر - عليه السلام - وقلدني سيفه - صلى اللَّه عليه وسلم - بحضرة الخلفاء ، والأولياء ، والأقطاب ، والملائكة المقربين ، والخضر - عليه السلام - وأُعلمت أنه لا يُنْصَرُ عَلَيَّ أحدٌ بعد إتياني سيف النصر من حضرته - صلى اللَّه عليه وسلم - .

ثم أخبرني - صلى اللَّه عليه وسلم - : أن اللَّه جعل لك على المهدية علامة ، وهي الخال على خدك الأيمن ، وجعل لي علامة أخرى : تخرج راية من نور

تكون معي ساعة الحرب يحملها عزرائيل - عليه السلام - فيثبت اللَّه بها قلوب أصحابي، وينزل الرعب في قلوب أعدائي، فلا يلقاني أحد بعداوة إلا خذله اللَّه - تعالى - ثم قال - صلى اللَّه عليه وسلم - : إنك مخلوق من نور عنان قلبي، فمن له السعادة صدَّقَ بأني المهدي المنتظر، ولكن اللَّه جعل في قلوب الذين يحبون الجاه والمال النفاق، فلا يصدقون ولا ينقادون للحق ؛ حرصًا على جاههم، قال - صلى اللَّه عليه وسلم - : «الجَاهُ والمَالُ يُنبتان النِّفَاقَ فِي القَلْبِ، كَمَا يُنْبِتُ المَاءُ البَقْلَ»(١).

ولما حصل لي يا حبيبي، من اللَّه ورسوله أمر الخلافة الكبرى أمرني سيد الوجود - صلى اللَّه عليه وسلم - بالهجرة إلى جبل بالغرب يقال له : «قدير»، وأمرني أن أكاتب بها جميع المكلفين أمرًا عامًّا، فكاتبت الأمراء والمشايخ، فأنكر الأشقياء، وصدق الصديقون الذين لم يبالوا بما لَقَوْه من المكروه، وما فاتهم من المحبوب المشتهى، بل ناظرون إلى وعده - سبحانه وتعالى - بقوله : ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص : ٨٣]، مع أن أولئك المنكرين يزعمون أنهم يعلمون أن الأمر للَّه.

وقد أراد اللَّه المهدية المنتظرة، واختارها لعبده الحقير الذليل محمد المهدي بن عبداللَّه، ولازال التأييد يزداد من اللَّه ورسوله، وأنت منا على بال، حتى جاءتنا الأخبار فيك من النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - أنك من الوزراء لي، ثم لازلنا ننتظرك حتى أعلمنا الخضر - عليه السلام - بأحوالكم، وما أنتم عليه، ثم حصلت حضرة عظيمة عيَّن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - فيها خلفاء أصحابه من أصحابي، فأجلس أحد أصحابي على كرسي أبي بكر الصديق، وأحدهم على كرسي عمر، وأوقف كرسي عثمان، فقال : هذا الكرسي لابن السنوسي،

---

(١) قال الحافظ العراقي : «لم أجده هكذا»، وانظر : «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» استخراج محمود الحداد، الأرقام (٣١٠١)، (٢٠١١)، (٢٩٨٣).

وأجلس أحد أصحابي على كرسي «علي» - رضوان اللَّه عليهم أجمعين .

وما زالت روحانياتك تحضر معنا في بعض الحضرات مع أصحابي» .

«... وأخبرني سيد الوجود - صلى اللَّه عليه وسلم - ، بأن من شك في مهديتي فقد كفر باللَّه ورسوله ، كررها - صلى اللَّه عليه وسلم - ثلاث مرات ، وحرضني - صلى اللَّه عليه وسلم - على قتال الترك المخالفين المنكرين مهديتي ، ومن اتبعهم على مخالفتي وجهادهم ، وسماهم كفارًا ، بل هم أشد كفرًا ؛ لأنهم ساعون في إطفاء نور اللَّه ، وأخبرني - صلى اللَّه عليه وسلم - مبشرًا بأن أصحابي كأصحابه ، وأن عوامهم لهم رتبة كرتبة الشيخ عبدالقادر الجيلاني ، وهذا الفضل بشرط الاتباع ظاهرًا وباطنًا ، واللَّه ذو الفضل العظيم .

هذا وإن جميع ما أخبرتك به من خلافتي بالمهدية وخلافه ، فقد أخبرني به سيد الوجود - صلى اللَّه عليه وسلم - يقظة[1] في حال الصحة ، لا بنوم ، ولا بجذب ، ولا سُكر ، ولا جنون ، بل متصف بصفات العقل ، أقفو أثر رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - بالأمر به ، والنهي فيما نهى عنه ، وليكن معلومك أني من نسل رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - ، فأبي حَسَنِيٌّ من جهة أبيه ، وأمه كذلك من جهة أمها ، وأبوها عباسي ، والعلم للَّه ؛ إن لي نسبة إلى الحسين - رضي اللَّه عنه - .

وأخبرك أن اللَّه فتح على يدنا كثيرًا من البلاد ، وانقاد لنا كثير من العباد ، ممن كانوا تحت حكومة الترك ، فإذا بلغك جوابي هذا ، إما أن تجاهد في جهاتك إلى مصر ونواحيها إن لم يسلموا ، وإما أن تهاجر إلينا ، ولكن الهجرة

---

(١) وهذه «هلوسة بصرية وسمعية» بلا شك ، يصدق عليها قول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه - : «وكل من قال إنه رأى نبيًّا بعين رأسه ؛ فما رأى إلا خيالًا» اهـ . من «الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ص (١٣٨) .

أحب إلينا كما علمت فضل الهجرة من زيادة الثواب والمقابلة إن تيسرت، وعلى كل حال ترد إلينا منك الإفادة بما يصير إليه عزمك من جهاد أو هجرة، ومثلك تكفيه الإشارة، والسلام»[١].

رد «السنوسي» على «محمد أحمد»:

«... **إنني لم أبلغ منزلة الغبار الذي ثار في أنف فرس عثمان - رضي الله عنه - في إحدى غزواته مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولا جواب عندي على هذا الكتاب**»، ثم أمر الرسولَ بالعودة من حيث جاء، وأوصى ملك واداي بأن لا يحرك ساكنًا مع المتمهدي، بل إذا جاءه محاربًا يحاربه[٢].

ولم يؤمن المهدي السنوسي؛ ولا علماء الحركة السنوسية بمهدية «محمد أحمد السوداني»، وقاوم أتباع الحركة السنوسية في السودان الغربي نفوذ ثورة «محمد أحمد السوداني»، ويذكر «محمد الطيب الأشهب» أن سلطان «برقو» أرسل للمهدي السنوسي يستوضحه: ماذا يكون موقفه من التعايشي الذي طلب مؤازرته، فكان رد المهدي:

«إنه إنما يُعْنىٰ بالدعوة إلى إصلاح الدين سلمًا لا حربًا، بينما تنفر الملة التي يراد إحياؤها نفورًا عظيمًا؛ بل وتشتد ثورتها ضد الدماء التي يهدرها، والجرائم التي يرتكبها في السودان»[٣].

وقد قامت الممالك في السودان الغربي «تشاد» بمحاربة التعايشي خليفة «محمد أحمد السوداني»، وحَدَّت من انتشار حركته[٤].

---

(١) «منشورات المهدية» ص (٧٠- ٧٥) باختصار، وتاريخ الرسالة: ٥ رجب ١٣٠٠هـ، ١٣ مايو ١٨٨٣م.

(٢) «الحركة السنوسية في ليبيا»، (٤٧/٢).

(٣) «الحركة السنوسية» (٤٨/٢)، نقلًا عن «المهدي السنوسي»، لمحمد الطيب الأشهب ص (٥٨)، وانظر: «الخصومة» ص(٣٥٣- ٣٥٥).

(٤) «نفسه» (٤٨/٢).

التعليقُ على موقف السنوسية من «محمد أحمد»

إن رفض علماء الحركة السنوسية - وعلى رأسهم المهدي السنوسي نفسه - لفكرة مهدية «محمد أحمد السوداني» ، واعتبارهم إياها نوعًا من التخريف هو موقف ليس بغريب عليهم ، بل متوقع منهم ؛ لأنهم كانوا في عافية من شطحات صوفية المتمهدي السوداني التي لا يقرها الشرع الشريف ، بل ينكرها أشد الإنكار ويحكم بكذبها ، وهذا هو الفرق بين من يدعو إلى اللَّه «على بصيرة»[1] ، وبين من يغرق حتى أذنيه في خرافات الصوفية ، وخيالاتهم الفاسدة .

إن المهدي السوداني حين حاول في أول اتصال بينه وبين الحركة السنوسية أن يفرض عليها السيطرة والتبعية كان قد طرق البابَ خطأً ، ولو كان مدخله قول اللَّه - تعالى - : ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ الآية [الأنفال : ٧٢] ، فربما اختلف الموقف ، ولكنه لم يدرك أنه يتحدث - هذه المرة - مع قومٍ لا ينطلي عليهم هُلاسُ الصوفية وهَذَيانُهم ، فرأوا أن يضربوا عنها صفحًا ، ولما تكررت المراسلة تلقى المهدي السوداني ذلك الرد الموجع .

دَفْـــعُ شُبهَـــةٍ

قد يعزو قائل نفور المهدي السنوسي من السوداني إلى أنه رآه «منافسًا» له في دعوى المهدية ، خاصة وأنه نُسِب إلى أتباعه أنهم كانوا يعتقدون فيه أنه المهدي المنتظر .

والجواب : أن هذه فرية بلا مرية :

- فإطلاق وصف «المهدي» على «محمدٍ السنوسي» ، إنما هو من الإطلاق

---

(١) والحركة السنوسية كان لها إيجابيات ، وسياسة منهجية دعوية حكيمة ، واهتمام بالعلم الشرعي ، واللغة العربية كما يعكس ذلك أدبياتها ، لكنها لا تزال بحاجة إلى دراسة جادة منصفة ، تجلي حقائقها في ضوء المنهج السلفي ، وتبرز الدروس والعبر من تجربتها .

العام، وليس الاصطلاحي كما قدمنا[١]، وقد أوضح ذلك بجلاء والده الإمام «محمد بن علي السنوسي» - رحمه اللَّه تعالى - كما تقدم[٢].

- بل إن المهدي السنوسي نفسه كان ينكر ذلك، وينفي هذا القول بشدة، يقول الدكتور محمد الصَّلَّابي - حفظه اللَّه تعالى - :

«إن التهمة الموجهة للحركة السنوسية بأن أتباعها يعتقدون في الإمام محمد المهدي السَّنُوسي أنه هو المهدي المنتظر تهمة باطلة، رفضها الإمام محمد المهدي، وعارضها، وأبى الموافقة على القول بها، ولما سئل الملك محمد إدريس[٣] بن محمد المهدي السنوسي (ت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م) - رحمهما اللَّه - عن رأي أبيه في قول بعض أتباع الطريقة بمهدويته؛ أجاب: «كان كلما سمع هذا القول نفاه بشدة، وأبدًا لم يعتقد به»[٤].

وفي هذا أبلغ رد على ما حكاه السيد «محمد رشيد رضا» - رحمه اللَّه تعالى - حين كتب: «ويقال: إن السَّنُوسية يعتقدون أن شيخهم المهدي السَّنُوسي هو الإمام المنتظر، ومنهم من يقول: إنه اختفى، وقد بلغنا أنهم كانوا إذا سئلوا عن موته؛ يقولون: «الحي يموت»، ولا يقولون: إنه قد مات»[٥].

فلو صح أن عوامَّ من السنوسيين غَلَوْا - بجهلهم - في إمامهم، فكان ماذا ؟! وأيهما يقدم: «تصريح» صاحب الشأن بنفي هذه التهمة، أم «تعريض» أتباع مجهولين مغمورين إن صح عنهم هذا «البلاغ» ؟!

❁ ❁ ❁

---

(١) راجع ص(٣٠ - ٣٢)، (١٥٦، ١٥٧، ٢٠٨).

(٢) راجع ص(٣٧١).

(٣) جاء في ترجمته - رحمه اللَّه - في «تتمة الأعلام للزركلي» (٢/٣٢٢): «وكان يرفض أي قانون وضعي أو دولي يخالف الشريعة». اهـ. ولا غرو؛ فهذا الشبل من ذاك الأسد.

(٤) «الحركة السنوسية في ليبيا» (٢/٥٦).

(٥) «تفسير المنار» (٩/٥٠١).

المساجلات العلمية
بين المهدي السوداني وعلماء عصره

تصدى بعض علماء السودان المعاصرين للمهدي السوداني لدعاواه، وكتبوا يردونها:

١- فمنهم: شاكر الغزي مفتي استئناف السودان، وكان بالخرطوم عند قيام المهدية، وقد قُتل يوم فتحها.

وهي أول رسالة تصدر من بين رسائل علماء الخرطوم في «بطلان دعوى محمد أحمد المتمهدي»، قال فيها: «لما كان ما ادعاه (محمد أحمد) من المهدية بعيدًا عن الصدق بالكلية، وصدَّقه في مُدَّعاه جهلة العوام والأوباش الطغام، جمعت هذه الرسالة في نصحهم وإرشادهم من هذه الضلالة»[(١)].

وكان مما دحض به دعواه المهدية: «أن أوصاف (محمد أحمد) تباين أوصاف المنتظر، ومن ذلك أنه لا يشبه الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الخِلقة لاختلاف الشكل واللون، ولا في الخُلُق لأنه يقتل المسلمين، ويستبيح دماءهم»[(٢)]. اهـ.

ومن أدق ما وصف به الغزي أحوال «محمد أحمد» ما جاء في قوله:

«فيا أيها المسلمون، أنشدكم الله تعالى في دينكم، لا تغيروه بوساوس (محمد أحمد) الشيطانية، وهذياناته النفسية»[(٣)]. اهـ.

٢- ومنهم: السيد أحمد بن إسماعيل الأزهري[(٤)]، ورسالته في ذلك

---

(١) «الخصومة في مهدية السودان» ص(٢٧٠).

(٢) «نفسه» ص(٢٧٢).

(٣) «نفسه» ص(٤٢٩).

(٤) وحفيده إسماعيل الأزهري سياسي مشهور، كان أول رئيس وزراء للسودان المستقل، كما في «الخصومة» ص(٢٧٦).

تسمى : «النصيحة العامة لأهل الإسلام عن مخالفة الحكام ، والخروج عن طاعة الإمام» . وقد ذكر دواعي تأليفها ، نذكر منها :

«تدارك نفسه والناس من اتباع وساوس (محمد أحمد) الشيطانية، وتسويلاته النفسية مما يوقع في الهلاك ، وما تحقق عنده بعد وصوله الخرطوم من اتساع البلوى في البلاد ، والخسائر في الأرواح والأموال» .

وقد ركز في نقده على تخلف صفات المهدي ؛ ولا سيما الجسمانية عن (محمد أحمد) ، وكذا عدم انطباق أفعال المهدي على سيرته ، وكان مما قال :

«إنه لم يقع فتح الكنوز ، وإلغاء الجزية من الناس ، وحثي المال حثيًا لمن يريده ، بل الأمر بعكس ذلك ، والناس في بلوى من القحط والضيق .

- إن الروايات ذكرت أن المهدي من آل البيت ، وأنه يملك سبع سنين ، وأنه يملأ الأرض عدلًا ، وأنه يخرج مع عيسى فيساعده على قتل الدجال ، وأنه يصلي بعيسى ، وأن النداء يعم ، وينفتح فم الإحاطة بظهوره ، وأن الناس يفعلون بالقول ما يفعله غيرهم بالفعل ، فيفتحون القسطنطينية بالتسبيح والتقديس» ، ثم يقول : «إن كل ذلك لم يقع» .

ثم قال : «يتكلم عن رؤيته للنبي - صلى اللّه عليه وسلم - يقظة ، وتخليفه مهديًّا على يده ، وأخذه الأحكام منه ، وينتهي إلى أن ذلك لا يؤخذ به ، ولا تقبل به الأحكام ، وقد نص أكابر العلماء على أن الولي يناط به حكم الظاهر ، فكيف إن ارتكب أمرًا مخالفًا لظاهر الشرع ، خصوصًا إن أدى إلى سفك الدماء ، وتلف الأموال؟

وقد نص أكابر الصوفية على أن الكشف أقسام ، وأن بعضه يكون خاليًا[1] ، فكيف العمل به مع إيقاعه في المحظور؟!

وكذا ينفي ترتبَ أحكامٍ على الرؤية ، وينفي عن الولي ارتكاب المخالفة ، ثم

---

(١) كذا بالأصل ، ولعلها : خيالًا .

يوحي بأن رؤيته للنبي - صلى اللَّه عليه وسلم - مجرد خيال .

١٣- يعترض على تكفيره مخالفيه ، لأن ذلك لا يقول به أحد ، لأن المهدية ليست بنبوة ورسالة ، وإنما غايتها خلافة ، «فإنكار أصل المهدي ، والشك فيه لا يوجب كفرًا ، بمعنى الخروج عن الإسلام» .

وحاصل ما ينتهي إليه الأزهري أن : «الإمام الخليفة موجود الآن ، ودولته منتظمة مؤيدة بوزرائه ، وجميع أهل الإسلام يخطبون باسمه في المنابر ، والخروج عليه حرام» ، يقول : «مع أن أوصافه التي انعقدت بيعته عليها من أهل الحل والعقد باقية لم تزل عنه... والذي يخرج عنه يكون باغيًا ومحاربًا لله ورسوله - صلى اللَّه عليه وسلم - ، وساعيًا بالفساد ، وتجوز مقاتلته ورده ، وإقامة حد الشريعة فيه» .

هذا من جانب تحريم الخروج ، أما من جانب مهدية (محمد أحمد) ، فإنه لم يأت بحجة عقلية ، وقد دل الاحتكام إلى العلامات الواردة عن المنتظر في المصادر الإسلامية ومقارنتها بأوصاف (محمد أحمد) وأحواله أنه بعيد عنها» . اهـ[١] .

٣- ورد شيخُ «محمد أحمد» السابق «محمد شريف نور الدائم» عليه في قصيدة بلغت (٣٢٤) بيتًا ، وفيها تحامل شديد[٢] .

٤- وممن كتب في إبطال المهدية الشيخ «الأمين بن محمد المحجوب الضرير» وكتابه : «هدى المستهدي إلى بيان المهدي والمتمهدي» ، قال في مقدمته :

«إنه بالنظر إلى ادعاء الكثيرين المهدية ، وقيام المهدية في السودان ، وما ترتب عليها من خراب ، ولسؤال الكثيرين ، أراد أن يضع رسالة كاشفة للحق المبين..» ، وهو يقول : «إن سبب الضلال واتباع المهدي هو أن العامة

---

(١) «نفسه» ص(٢٧٧- ٢٧٩) .

(٢) «نفسه» ص(٤٧٢-٤٨٨) ، وراجع ص(٣٠٤) .

لا يعرفون كُنْه المهدية ، فينساقون بغير دراية ، وهو لذلك يريد إرشادهم» .

وقد نفى المهدية عن كل من ادعاها - بما فيهم «محمد أحمد» - «إذ ليس أحدهم يبلغ درجة أمثل المقلِّدين - دع عنك المجتهد» ، مع أنه يُشترط في المهدي خاصة أن يكون مجتهدًا .

وقال الأمين : «أما القول بأن المهدي يأخذ الأحكام من الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - يقظة أو في المنام ، فذلك إن أمكنه في خاصة نفسه ، ولكنه بعيد عن أن تثبت به الأحكام التي يجريها كرهًا على الخاص والعام» .

وانتهى إلى أن «المهدي بعيد عن أن يكون المهدي المنتظر ، بل هو خارج على الإمام القائم» .

وأنكر على المهدي دعواه رؤية النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - يفظة ، فقال : «أما رؤيته - صلى اللَّه عليه وسلم - في اليقظة بعد موته ، فقد استشهد بالمواهب نقلًا عن السخاوي الذي قال بأنه لم يَرْدِ ذلك عن أحد من الصحابة ولا عمن بعدهم ، وقد اشتد حزن فاطمة على أبيها ، ولم تره ، وذكر بعض حكايات الصالحين يحتملها في المنام ، وأفاد - نقلًا عن آخر - : أن ما يحصل لهم يكون في حال غيبة حِسٍّ ، وغموض طرف ، لورود حال لا تكاد تضبطها العبارة ، ومؤدى كل ما يقول أنه قد «تبين أن دعوى رؤيته يقظة حدثت بعد القرون الفاضلة ، ومعلوم أنها لو كانت تقع ، ويُعمل بما يلوح منها شرعًا ، لوقعت لأكابر الصحابة عند الاحتياج إليها ، وقد أهمهم أمر الخلافة حتى قدموه على دفنه ، واختلفوا فيه اختلافًا شديدًا ، ولم يدع أحد منهم قولًا صدر منه بعد موته قبل مواراة ذاته الشريفة ، فكيف يركن إلى مقالة تحدث بعد هؤلاء الأخيار الذين عَدَّلهم النبي المختار؟ وكيف تثبت تولية شخص على هذه الأمة بما لم تثبت به إمامة الصديق ولا غيره من الأئمة؟»[1] .

---

(١) «نفسه» ص(٢٨٦) .

٥- وألف علماء الخرطوم رسالة أنكروا فيها على المهدي أشياء :

- **منها** : تجاوزه لحدود المجتهد وشروطه ، إذ تصدى لمهمته دون أن يستوفي شروط المجتهد ، وقالوا : «وليس إمامكم بالغًا درجة الاجتهاد ، إذ لا يعرف شيئًا من علومه الستة الموقوف الاجتهاد على إتقانها» .

- **ومنها** : تكفيره من لا يؤمن به ، وعدوانه على الأنفس والأموال[(١)] .

٦- ورد علماء الأزهر على أمر المهدي بقتال الترك وأنهم كفار ، وأن أموال من حاربه وأولادهم غنيمة ، وقالوا : «إن ذلك تهور تمجه الأسماع ، وتزجه الطباع ، ويُغضب اللَّهَ ورسولَه ، ويبلغ به الشيطان مأموله ، لمخالفته لأصول الشريعة وفروعها ، ومباينته لنصوص أئمة المسلمين وجموعها» .

وهنا يروون أحاديث ومرويات عن الغزالي في منع تكفير المسلم ، ثم يستنكرون استباحة دماء المسلمين «المصلين المقرين بالتوحيد» ، ثم ينتقلون إلى تكفيره للمنكرين لمهديته ، وكفر من عاداه ، وخذلان محاربه في الدارين ، وأن ماله وأولاده غنيمة ، ويقولون : إن هذه «دعوى لا دليل عليها ، ولا يثبت مطلوبه من قتال الترك الذين قام دليل المشاهدة على إسلامهم ، ولا يغير ذلك أن يكون إخباره يقظة أو منامًا» .

ثم يستطردون في أحكام ما يرد في الحُلْم من أمور ، وآخر نقاطهم الآيات والأحاديث التي يستشهد بها المهدي ، فيقولون : «ما ذكره من الآيات والأحاديث مُروِّجًا به دعواه محرف عن مواضعه ، مورَدٌ غيرَ موارده» .

ثم يختمون الفتوى بالمرغوب منها ، وهو : «فيلزم كلَّ ذي لب سليم ، وعقل قويم ، وصراط مستقيم ، الحذرُ من خزعبلاته هذه ، وبذل الجهد في مجانبته ، وتحصين القلب عن الميل إلى شيء من أقواله وأفعاله ، فإنها ليست من الدين في شيء ، بل يجب على كل مسلم إطفاء هذه الفتنة ، ومنعه عن إراقة دماء المسلمين

---

(١) انظر «الخصومة» ص(٣١٣-٣١٦) .

بغير حق، وصده عن ذلك بأي طريق»[١].

٧- وأصدر الشيخ محمد الأنبابي الشافعي- الذي تولى مشيخة الأزهر- فتوى بحق المهدي السوداني، ذهب فيها إلى أن «حال (محمد أحمد) لا يطابق ما في الأحاديث والآثار الواردة في المهدي المنتظر».

ثم مال إلى أمور يذكرها المهدي، ويسقطها على مخالفيه: «فدعواه عن الترك وزوال ملكهم على يده وكفرهم غير متحقق، بحكم أن الأتراك مسلمون، ويقيمون ما على المسلمين من شعائر، ودعواه بكفر من يشك في مهديته، وخذلان من عاداه، واستباحة دماء الناس وأموالهم وأولادهم مخالف للشريعة، وإخبار النبي بعد وفاته لا يثبت به حكم شرعي، سواء كان في يقظة أو نوم، وهذا الادعاء نفسه من قبيل تعمد الكذب على النبي إن كان يقظة، لعدم جواز إخبار النبي بما هو من الكبائر، ودعواه بعلامة الخال لا تفيد إلا مع العلامات الأخرى فضلًا عن أن الخال في كثير من الناس، وخروج الراية لا يفيد، وإن صح، لأن الخارق قد يقع على غير النبي والولي، بل وقد يقع من الفاسد لاستدراجه، وكون النبي أجلسه على الكرسي، وأمره بالتجهيز للقتال لا يعول عليهما، ثم إن الأمر بقتال المسلمين لا يقبل منه لانتفاء المهدية، وعدم قبول أخذه من الرسول»[٢] اهـ.

❁ ❁ ❁

(١) «الخصومة» ص(٣٢٣).

(٢) «نفسه» ص(٣٢٤، ٣٢٥).

تهافت ردود المهدي وأنصاره على كتابات علماء عصره

- كلف المهدي «الحسن سعد العبادي»، و«الحسين إبراهيم زهرا» بالرد على العلماء المعارضين[١].

- وركب «الحسن» متن الشطط حين ادعى أن المهدي يشبه الرسول - صلى الله عليه وسلم - في خَلقه ولونه مع أن المهدي شديد الاسمرار[٢].

- دافع «الحسين زهرا» عن تكفير من ينكر مهدية السوداني في كتابه «الآيات البينات في ظهور مهدي آخر الزمان وغاية الغايات»، و«الحسن العبادي» في كتابه «الأنوار السنية الماحية لظلام المنكرين على الحضرة المهدية»[٣].

وذهب «الحسين زهرا» إلى أن القياس ينبغي أن يكون بالمهدي، إذ طالما ثبت باليقين أنه المهدي؛ فما تحقق من العلامات والشروط يؤخذ به، وما لم يتحقق يسقط من الاعتبار، أي: بدلًا من أن نحدد مهدية المهدي بالشروط والعلامات الواردة نحدد الشروط بحال المهدي[٤].

- ورد «يوسف أحمد محمد عوض السيد» - وقد آمن بالمهدي ولم يره - في «الأجوبة المسكتة» على بعض المآخذ على المهدي:

١- فردًّا على قول المخالف: إن بيعة المهدي تكون بين الركن والمقام، قال: البيعة العامة للمهدي تكون بالمغرب، أما البيعة بين الركن والمقام فبيعة خاصة بالخواص، أي في مكة اتفاقًا مع الأحاديث المشهورة، وهذا تخريج

---

(١) «الخصومة» ص(٢٩٩، ٣٠٠).

(٢) «نفسه» ص(٣٠٣).

(٣) «نفسه» ص(٩٣).

(٤) «نفسه» ص(٣٩)، وهذا منطق معكوس، يقلب الأمور رأسًا على عقب، ومغالطة سافرة تحول «الدعوى» إلى «دليل»، و«الدليل» إلى «دعوى»، فالله المستعان.

ليوسف لم يسبقه إليه أحد ، والعبادي وزهرا يقولان : «إن هذه البيعة قادمة عندما يفتح المهدي مكة ، وبها تتم المهدية الكبرى» . وقال الأنصار بعد وفاة المهدي في رسائلهم أيضًا : إنها تتم على يد خلفائه .

٢- وردًا على كون المهدي لم يملك الأرض ، أجاب بأن ذلك من إطلاق الكل على الجزء .

٣- وردًا على كون المهدي قال إنه يصلي في كل المساجد ، أجاب : بأن الولي يتصور بصور متعددة ، ويصلي حيث أراد .

٤- ظهور المهدي في (أبا) ، مع أن المتواتر (؟!) ظهوره في المغرب الأقصى !

الرد : الجزيرة (أبا) التي ظهر فيها المهدي مغرب أقصى بالنسبة لمكة والمدينة ، وهذا هو نفس ما عليه العبادي .

٥- السؤال عن خلفاء المهدي وتتابعهم في الحكم :

الرد : رابع الخلفاء هو السنوسي ، والخلافة وراثة النبي ، وليس المراد أن الخلفاء يحكمون ، والخليفة الحلو ، والخليفة شريف لم يحكما مع الخليفة عبد الله .

٦- كسر قبة المهدي على يد كتشنر لا يقدح في المهدي ، ولا يتهدم به ، والمهم ليس البناء ، وإنما ما منحه للناس من الشجاعة والتوحيد ، وإرشاد العباد إلى طاعة الرب المجيد ، وما أدخلهم فيه من رتبة الشهادة التي هي فوق كل رتبة من رتب الصالحين» ، وهذا الجواب لا بأس به .

٧- ماذا يقول عن إمامة المهدي لعيسى في الصلاة كما في بعض الأحاديث ؟

الرد : تجوز إمامته ، ويجوز أنها تمت .

٨- المَلَك الذي ينادي مشيرًا إلى المهدي كما في الحديث (؟) .

الرد : النداء في القلوب ، والناس لا يرون الملائكة ، وقد اتبعوا المهدي اتباعًا للنداء الذي وقع من الملك .

٩- ماذا يقول عن النعم التي قيل إنها تعم في زمن المهدي ؟

الرد: النعمة في الشهادة، وليست في الأكل والشرب)[١].

لقد رفض المهدي السوداني الشروط والعلامات الواردة في المهدي المنتظر باعتبار أنها موضوعة ومتناقضة، ثم زاد الطين بِلَّة، وأمعن في المراوغة والمغالطة، بأن زعم أن الروايات الواردة في صفة المهدي تقيد قدرة الله تعالى القادر على أن يبعث المهدي متى يشاء، وأينما يريد، وكيفما يختار[٢].

وقد عبر المهدي عن سخطه على نقد العلماء في خطابه إلى أهل الأبيض حينما حل بجوارها بقوله: «ولا تغتروا بالخطب التي ألفها في ذمنا وتكذيبنا علماء السوء، كأحمد بن إسماعيل الولي، وحسين مجدي، والمفتي شاكر، ومحمد ولد حتيك، وولد الدليل، وأمثالهم ممن وقع في عرضنا، فهؤلاء ممن أدخل الله في قلوبهم النفاق بحب المال والجاه، وقال - صلى اللَّه عليه وسلم -: (حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل)، وجاء في الأثر: (إذا رأيتم العالم يحب الدنيا، فاتهموه على دينكم)، وجاء في بعض الكتب الإلهية: (لا تسأل عني عالمًا أسكره حب الدنيا، فيصدك عن طريق محبتي، أولئك قطاع الطريق على عبادي)، ولا يخفى عليكم أن العلماء[٣] ينكرون كثيرًا من أمور المهدي لأنه ليس على معتقدهم الذي يظنونه، ولأنه يخالف مذاهبهم» إلخ[٤].

تنبيه:

لا يخفى تهافت هذه الردود، لكونها مبنية على مبدأ: «عنزة، ولو طارت»[٥]، ولأنها غاية في الضعف والركاكة أهملنا تعقبها، والرد عليها.

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

(١) «نفسه» ص(٣٧٥، ٣٧٦).

(٢) انظر الرد على استدلاله بعموم قدرة الله تعالى في «أُصول بلا أُصول» ص(١٤١ - ١٤٤).

(٣) وهذه اللهجة العدوانية في حق العلماء تشي بحالة الجفاء لمطلق «العلماء»، وأنه وقف في جانبٍ مجانبٍ ومصادمٍ للعلم وأهله.

(٤) «نفسه» ص(٢٩٩).

(٥) انظر شرحه بهامش ص(٤٥٩، ٤٦٠).

مِن أَصْداءِ حَركة المَهدِي السُّوداني

(٢٠) حركة المهدي الصومالي المُلَّا محمد بن عبدالله حسن[1]

كان لحركة المهدي السوداني صدى عميق في العالم الإسلامي ؛ فقد أحدثت في القلوب هزة عنيفة ، وكشفت القناع عن بريطانيا ؛ فلم تعد في نظر المسلمين قوة مخيفة ، بل ظهر للعالم أنها دخان من غير نار ، فهب المسلمون في كل مكان ينادون بالجهاد والثورة ضد الاستعمار ، حدث هذا في «بخارى» ، و«أفغانستان» ، و«الهند»[2] ، وأواسط آسيا ، والصين ، وجزائر الهند الشرقية ، وإفريقيا الشمالية ، وفي الصومال ، حيث كانت مقسمة بين بريطانيا ، وفرنسا ، وإيطاليا ، والحبشة ، وحيث كان التناحر والتنافر بين شيوخ قبائلها ، اندلعت ثورة قادها المجاهد الفذ «المهدي الصومالي» «محمد بن عبدالله حسن» الذي زلزل الأرض من تحت أقدام الاستعمار لمدة ربع قرن من الزمان في ظروف دولية صعبة ، وأحوال داخلية ممزقة ، وبأسلحة قديمة وقليلة .

حفظ « محمد بن عبدالله » القرآن الكريم في سن مبكرة ، وتتلمذ على شيوخ الدِّين والعلم ، ولما بلغ سنه خمسًا وعشرين سنة ؛ رحل إلى مكة المكرمة ، ليستكمل تلقي العلم على أيدي علماء الحرمين الشريفين ، وحين عاد إلى الصومال التقى بشيخه «محمد صالح السوداني» الذي حدثه عن مهدي السودان وجهاده ، وكذا أخبار الثورة العرابية ، فتأجج في قلبه جذوة الجهاد

(١) هذا الفصل مختصر بتصرف من «الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني» ، ص(٢٥٨- ٢٦٥) .

(٢) ولقد نُشر في «العروة الوثقى» ص(٢٠٨ ، ٢٠٩) : «لقد أخذ الاعتقاد بـ «محمد أحمد» سبيلًا في قلوب الهنديين ، حتى كتب إلينا أحد أصدقائنا في «لاهور» أن «محمد أحمد» لو كان دجالًا لأوجبت علينا الضرورة أن نعتقده مهديًا ، وألا نفرط في شيء مما يؤيده» . «الأصول الفكرية» ص(٢٦٧) .

وكراهية الظلم والقهر.

كان بليغًا مؤثرًا قوي الشخصية، كبير الهمة، استطاع أن يوحد أكثر القبائل الصومالية، ويجمعهم على الجهاد بالرماح، والسيوف، والبنادق القليلة.

وحانت له الفرصة حين أرسلت بريطانيا أربع حملات عسكرية مجهزة، فقضى عليها المهدي الصومالي واحدة إثر واحدة، ثم توحدت ضده بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والحبشة، فحارب في هذه الجبهات جميعًا، غير عابئ بالتضحيات التي يتعرض لها؛ إنه منطق الإيمان، ومنطق الإيمان لا يضع في حسبانه قيمة للخسران والربح؛ ذلك شأن التجار والسماسرة من أدعياء الحرية والفكر، إنها إحدى الحسنيين: الشهادة أو النصر.

وكما فعل «غوردون» مع المهدي السوداني حين كتب إليه قائلًا: «إني قادم إليك بجنود أقطع بهم أنفاسك»؛ فقد أرسل الجنرال «كوفل» القائد العام للقوات البريطانية هذه الرسالة إلى «الملا»: «سننسفك نسفًا إذا لم ترجع عن غيك، وإذا لم تخمد ثورتك الجنونية، واعلم أن حكومة صاحبة الجلالة عظيمة جدًّا، ولا يستطيع مجنون مثلك أن ينال منها شيئًا، فارجع عما أنت فيه، وعد إلى صوابك قبل أن تقع المصيبة عليك، وتندم على أعمالك السيئة».

وقد رد عليه المهدي الصومالي قائلًا: «من السيد محمد بن عبدالله حسن قائد القوات الإسلامية الصومالية، إلى الجنرال كوفل قائد الشيطان:

قد اطلعت على رسالتك، وفهمت منها جميع أغراضك الدنيئة، وأغراض حكومتك الوضيعة، واعلم أن قواتكم التي تفاخرون بها لا تساوي لدي شيئًا، وأعلمك - أيضًا - أنكم إذا كنتم تحاربونني بقواتكم الهائلة الكثيرة العدد، فإني أقاتلكم بنيتي الصالحة، وبإيماني القوي، وبعزيمتي التي لا تعرف الملل،

ومهما تكن الظروف لن أستسلم لك، وأكون للشرك عبدًا»[١].

لقد طار صواب الاستعمار البريطاني بعد هذا الرد الحاسم، وبدأ الجنرال «كوفل» يجمع قواته؛ لخوض معركة فاصلة مع هذا الأبي الثائر.

إن مأساة «غوردون» تتكرر هذه المرة مع الجنرال «كوفل»، والغرور الذي أدى إلى مصرعه في الخرطوم يقود خَلَفَه على أرض الصومال إلى المصير نفسه.

لقد بدأت المعركة، وسقط الجنرال المغرور تحت سنابك خيول المجاهدين وأقدامهم.

وكان وقع هذه الهزيمة كوقع سابقتها في الخرطوم أليمًا ومريرًا ومفزعًا، ومن ثم حاولت بريطانيا إغراءه بأن تعترف به ملكًا متوجًا على الصومال كله مقابل وقف القتال وإلقاء السلاح.

وأعاد التاريخ نفسه، فقد أمر رجاله برد الهدايا التي بعث بها إليه نائب الملكة في الهند، ثم خاطب رئيس الوفد: «إنني لم أفكر في يوم من الأيام أن أكون ملكًا، ولم يكن ذلك هدفي لا في الحاضر، ولا في المستقبل، لكن هدفي الوحيد هو أن أطرد الاستعمار من بلادي، وأعيد إليها حقوقها المغتصبة، وأطهرها من النفاق والشرك، ولست أبالي بعد ذلك أن أحيا أو أموت»[٢].

لقد كان في جهاده بطلًا، وكان تاريخ حياته بالبطولة حافلًا، إلى أن قتل في إحدى المعارك شهيدًا- إن شاء الله-.

❁ ❁ ❁

(١) «الأصول الفكرية»، ص(٤٦)، نقلًا عن «مهدي الصومال» للدكتور / محمد المعتصم سيد، ص(٤٦).

(٢) «نفس المصدر» ص(٥٠).

تَقوِيمٌ عَامٌّ لِحَرَكَةِ المَهدِيِّ السُّودَانِيِّ

من خلال السرد السابق لأحداث الحركة المهدية نستطيع أن نُخضع مقولات المهدي السوداني وممارساته «لفحص» شرعي كامل ؛ فنستخلص العبر والدروس ، ونزيد رصيدنا من «فقه التاريخ» ؛ كي نستفيد منه في المستقبل ، فلا نُلدغ من جُحْر واحدٍ مرتين :

اقْرَءُوا التَّارِيخَ إِذْ فِيهِ العِبَرْ   ضَلَّ قَوْمٌ لَيْسَ يَدْرُونَ الخَبَرْ

وفي هذا الفصل نحاول استنباط خصائص دعوة المهدي السوداني ، ونتعرف على إيجابياتها وسلبياتها ، ولكننا نقرر - بادئ ذي بدء - أننا لا نستطيع أن نصوغ موقفنا من هذه الحركة بناءً على التسليم بدعاوى المهدي وتهويشاته ؛ ليس فقط لأن الواقع كشف كذبها ؛ بل لأن الأصول الشرعية تثبت - منذ البداية - فساد منهجه الذي قفز فوق الضوابط العلمية ، وعبث بالثوابت المصونة ، وزاحم المرجعية الشرعية بمصادره المفتراة ، وكل من يحترم هذه المرجعية كان يستطيع الجزم بفساد دعاواه الكاذبة ، حتى قبل أن يكذبها الواقع[(١)] ، وهذا هو الفرق بين النظرة الموضوعية الملتزمة بصيانة مصادر التلقي من العبث ، وبين النظرة العاطفية التي تستفزها بُداآت الأمور ، وتبهرها بعض الإنجازات الإيجابية إلى الحد الذي يُحِلُّ لأصحابها أن يغضوا الطرف عن عدوان المبتدع على أصول الشريعة المعصومة ، ويتجاوزوا عن تجاوزه حدود اللَّه - تعالى[(٢)] .

وما أصدق ما قال بعض السلف : «إن الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم ، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل» ، فالعقل فوق العاطفة ، وكما قال الشاعر :

الرأي قبل شجاعة الشجعانِ   هو أول وهي المحل الثاني

وعن حذيفة - رضي اللَّه عنه - أنه ذكر فتنة ، فقال : «تُشَبَّهُ مُقبلةً ، وتُبَيَّنُ مدبرة»[(٣)] .

---

(١) انظر «رد معاصري المهدي السوداني عليه» ص(٣٧٨ - ٣٨٣) .

(٢) انظر : «حرمة أهل العلم» للمؤلف ، ص(٣٨٦- ٣٨٩) .

(٣) «المصنف» لابن أبي شيبة (٢٠/١٥) ، وانظر شرحها في «لسان العرب» (٥٠٣/١٣- ٥٠٣) ، =

الحركة المهدية حلقة من حلقات الصـراع بين الإسـلام والصليبيـة

إن التفسير الصحيح الوحيد للتاريخ أنه صراع بين الإيمان والكفر، منذ طرأ الشرك على البشرية؛ إلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، ولقد مثلت حركة المهدي السوداني حلقة من حلقات هذا الصراع بغض النظر عن المؤاخذات على هذه الحركة، يقول الدكتور عبدالودود شلبي - حفظه اللَّه -:

«وسواء أكان «محمد أحمد» هو «المهدي» أم لم يكن؛ فلن يغض ذلك من قيمة الرجل الذي فجر في السودان أكبر ثورة إسلامية في القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي».

لقد بدأ ثورته ببضعة رجال مسلحين بالحراب والعصي، ولكن مقدرته الفائقة في إلهاب الجماهير، وإشعال نيران الجهاد والحماس، مكنته من هزيمة الحكومة في كل معركة خاضتها ضده، واستطاع - وهو الصوفي البسيط - أن يقهر خمسة جنرالات من أقوى دولة أوربية، كان من بينهم أشهر القادة البريطانيين، لقد استثمر المهدي الدينَ استثمارًا مثاليًّا، ومزج بينه وبين الحياة مزجًا رائعًا، فالإسلام هو الذي قاوم، والإسلام هو الذي جاهد، والإسلام هو الذي انتصر في النهاية على التعصب والصليبية.

ومنذ وطئ الاستعمار أرض الإسلام، كان من أهم أهدافه سحق هذه العقيدة، أو عزلها عن الحياة والحركة، أو تشويهها على أيدي المبشرين والمرتزقة؛ لأنه يعلم يقينًا أن الإسلام إباء، يرفض الذل، وقوة تحتقر الضعف،

= و«بصائر في الفتن» - للمؤلف - ص(١٤، ١٥، ٣٧، ٥٢).

وثورة على كل مظاهر الاستعمار والاستبداد والظلم»[١] .

«إن الإسلام هو الذي حمى الوطن الإسلامي في الشرق من هجمات التتار ، ومن هجمات الصليبيين على السواء ، ولو انتصر الصليبيون في الشرق كما انتصروا قديمًا في الأندلس ، أو كما انتصر اليهود حديثًا في فلسطين ، ما بقيت قومية عربية ، ولا جنس عربي ، ولا وطن عربي ، والأندلس قديمًا ، وفلسطين حديثًا كلاهما شاهد على أنه حين يطرد الإسلام من أرض ، فإنه لا تبقى فيها لغة ولا قومية بعد اقتلاع الجذر الأصيل .

والإسلام هو الذي كافح في الجزائر مائة وثلاثين سنة ، وهو الذي استبقى أرومة[٢] العروبة ، حتى بعد أن تحطمت مقوماتها الممثلة في اللغة والثقافة ، هنالك قام الإسلام - وحده - في الضمير يكافح الغزاة ، ويستعلي عليهم ، ولا يحني رأسه لهم ، وبهذا - وحده - بقيت روح المقاومة في الجزائر حتى أذكتها من جديد الحركة الإسلامية بقيادة «عبدالحميد بن باديس » ، فأضاءت شعلتها من جديد ، وهذه الحقيقة يعرفها جيدًا الفرنسيون والصليبيون .

والإسلام هو الذي كافح في برقة ، وطرابلس ضد الغزو الإيطالي ، وفي أربطة السنوسية وزواياها ، نمت بذور المقاومة ، ومنها انبثق جهاد (عمر المختار) الباسل النبيل» .

والإسلام هو الذي هَبَّ في مراكش ، حين أرادت فرنسا سَنَّ قانون يعود بقبائل البربر إلى عقائدهم التي كانوا عليها قبل الإسلام ، وفصلهم عن إخوانهم المسلمين في الشمال ، وكانت هذه المحاولة هي الشرارة التي أشعلت في الفرنسيين النار .

---

(١) «الأصول الفكرية» ص(٢٤٦، ٢٤٧) .

(٢) الأروم ، والأرومة : أصل الشجرة ، واستُعملت للحَسَب ؛ يقال : «هو طيب الأرومة» : كريم الأصل .

والإسلام هو الذي كافح في الهند - قبل التقسيم - وكان المسلمون - دون غيرهم - هم أبطال الجهاد ضد الاستعمار والبريطانيين.

لقد كافح الإسلام لأن عنصر القوة كامن في طبيعته، كامن في بساطته ووضوحه، وشموله، كامن في الاستعلاء عن العبودية للعباد بالعبودية للّه رب العباد، وفي رفض التلقي إلا منه، ورفض الخضوع إلا له.

ومن أجل هذه الخصائص في الإسلام يحاربه أعداؤه هذه الحرب المنكرة؛ لأنه يقف لهم في الطريق، يعوقهم عن أهدافهم الاستعمارية الاستغلالية؛ كما يعوقهم عن الطغيان، والتأله في الأرض.

ومن أجل هذه الخصائص يطلقون عليه حملات القمع والإبادة، ويتربصون به الدوائر في كل ناحية، ويفزعهم ويرعبهم قيام أية حركة تحمل لواءه، أو ترفع شعاره، أو تنادي بالعودة إلى شرائعه وأحكامه»(١).

ولقد كانت حركة مهدي السودان- برغم ما يشوبها من تصورات خاصة- حركة أرعبت دول الاستعمار، وحركت فيهم كوامن الفزع والخوف، وأرقت ليالي مطامعهم السود، فحاصوا حيصة(٢) حمر الوحش إلى النار والسيف.

*** يقول الدكتور / عثمان سيد أحمد إسماعيل:**

«ما الحصاد الحقيقي لهذه الحركة التي ما كانت إلا كلمح البصر في عداد التاريخ؟ إن المهدي وُلد عام ١٢٦٠، وبدأ دعوته عام ١٢٩٨، وتوفي عام ١٣٠٢هـ. عمره كله حوالي ٤٢ عامًا، وعمر دعوته التي حقق فيها كل تلك الانتصارات، والتي لم تكن تعني أي شيء أقل من هزيمة الإمبراطورية البريطانية ولو إلى حين؛ لم يزد عن خمس سنوات، وكانت تمثل انتصارًا للمقاومة الفكرية

---

(١) «المستقبل لهذا الدين» ص(١٣١- ١٣٥) بتصرف.

(٢) يقال حَاصَ القوم: جالوا جولةً يطلبون الفِرار والمهرب.

والدينية والعسكرية على الهجمة الصليبية الاستعمارية على بلاد الإسلام، وبلاد العالم الثالث كلها، وكان لأحداثها صداها في تاريخ مقاومة الاستعمار والصليبية على نطاق العالم الإسلامي كله على وجه الخصوص، وإذا كنا قد أشرنا من قبل إلى الصلة بين المهدي وبين حركة «دان فودي» بغرب إفريقيا فإن آثار حركة المهدية شملت نيجيريا وتشاد وبرنو وبلاد حوض النيل ومصر والصومال والحبشة وحتى إندونيسيا»(١).

❁ ❁ ❁

(١) «حركتا الشيخ عثمان بن محمد بن فودي والشيخ محمد أحمد بن عبد اللَّه المهدي وآثارهما» ضمن «ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر» ص(٣٦٥)، وانظر: «الخصومة في مهدي السودان» ص(٥٠، ٥٤، ٥٥، ١٢٣).

آثار الحركة المهدية على السودان

* **يقول الدكتور / عثمان سيد أحمد إسماعيل :**

بالنسبة للسودان كانت المهدية - بلا شك - الحركة التي وحدت بلاد السودان توحيدًا إيجابيًّا - بعد أن مدت التركية المصرية سلطانها عليها - اعتمادًا على ما كان قد بدأ من الداخل سياسيًّا وجغرافيًّا ، والمهدية هي التي نجحت في أن تبني على بقايا الممالك والسلطنات والمجموعات القبلية المسلمة وغيرها - في سنار ، وفي الغرب والشرق وفي جنوب السودان - كيانًا سياسيًّا تحت راية المهدي ، كيانًا وقف مدافعًا عن عقيدته وأرضه ضد أعتى الإمبراطوريات في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، **هذامن زاوية المقاومة ضد الصليبية والاستعمار .**

كما ان حركة المهدية من هذه الزاوية كانت الذكرى الملهمة الحية في ضمير الشعب المسلم وغير المسلم في بلاد سودان وادي النيل ، التي جعلته يقاوم الاستعمار بالدم والكلمة والشعار إلى أن أزاله اللَّه .

أما من زاوية الإسلام فإن حركة المهدي كانت حركة توحيد وتجديد في جوهرها ومرماها ، والمهدية هي التي نشرت لواء الشريعة على أرض سودان وادي النيل ، من شماله وحتىَ جنوبه ، وإن ما تم في السودان الآن من تطبيق للشريعة إنما هو سير على درب بدأه «محمد أحمد بن عبداللَّه المهدي» ، ولقد كانت حركته في سيرتها وسيرها سريعة موفقة في تحريك قبائل السودان المختلفة للانصهار والتمازج والاختلاط تحت راية الإسلام ، وفي روح الجهاد .

ولقد خلَّف المهدي - عليه رضوان اللَّه - من المنشورات والرسائل والأدعية الدينية وحسن السيرة وعطر الذكرى ما يؤكد عمق علمه وصدق توجهه وصفاء نفسه وحِدَّةَ عقله . وإن آثار تعاليمه التي لا تزال تنتشر بين أنصاره وغيرهم من

المسلمين بالسودان تميزهم بالكثير الخَيِّرِ بين المسلمين . كما أن المهدية كفكر وواقع كانت السبب المباشر في إذكاء روح التأليف شعرًا ونثرًا ورَجْزًا ورسائل وكتبًا ، وإن مجموعة « منشورات المهدي » وراتبه تشكل مع كل هذا ثورة ضخمة لا تزال تنتظر الدراسة العميقة الواعية الهادفة . وإن عمل المهدية في تاريخ بلاد سودان وادي النيل ، بل في تاريخ وادي النيل كله ، وبلاد حوض النيل كلها أكبر من أن تحصره مقالة عابرة ، أو بحث متعجل مثل هذا »[١] . اهـ .

*** ويقول الدكتور / يوسف فضل حسن :**

«ولقد أدى انتصار الثورة[٢] المهدية على العهد التركي المصري إلى تحول كبير في المجتمع السوداني ، فبينما اهتم العهد الأول- وهو نظام مدني- باستغلال موارد البلاد دون التفات كبير لمصلحة الفرد ، ركز الإمام المهدي على تربية الفرد على نمط إسلامي بحسبانه العنصر الأساسي في بناء المجتمع المسلم وإقامة الدولة السلفية»[٣] . اهـ .

❁ ❁ ❁

---

(١) «نفسه» ص(٣٦٥، ٣٦٦) ، وانظر التحفظات على حركة المهدي ص (٢١١- ٢٤٨) .

(٢) يشيع في الدراسات حول «المهدية السودانية» أوصاف لها مثل (الحركة) و(الثورة)، وهما وصفان خارجيان من عندنا، أما المهدي وأتباعه فكانوا يسمونها باسمٍ يعبر عن جوهرها ولبها، وهو (الدعوة)، كذلك ألفاظ (الدولة)، و(الاستقلال)، و(التحرير)، لم تكن من مفردات المهدي وأتباعه، لأن المهدية كانت لجمع كلمة المسلمين تحت رايتها ، ولم يكن من أبعادها مفهوم السودان كوطن- انظر: «الخصومة» ص(١٢٩).

(٣) «الحركة المهدية السنوسية» ضمن «ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر» ص(٣٩٤) ، وفي وصف دولة المهدي بالسلفية تجاوز ، إلا أن توصف بأنها كان فيها ملامح سلفية كما يأتي- إن شاء الله- ص(٤٠٥ - ٤٣٢).

مقومات نجاح حركة المهدي السوداني «كثورة»

أولًا: شخصية الداعية:

فقد توفرت صفات الزعامة للمهدي، إلى جانب نسبه الشريف، وورعه، وزهده، واستعلائه على متاع الدنيا وزخرفها، وثباته على خشن العيش في مطعمه وملبسه حتى بعد أن كثرت لديه الأموال والغنائم، وكان يتحرج أن يمد يده إلى مال فيه شبهة[1]، وكان يثور على كل منكر رآه مهما كانت منزلة صاحبه، فقد أنكر ما رآه في بيت شيخ له حين شاهد الرقص والغناء والإسراف في إنفاق المال في حفل ختان ولده، وفارق شيخه.

وكان وديع النفس، كريم الخلال، مخلصًا في دعوته، قوي الإيمان باللَّه، لا يبالي الموت في سبيل عقيدته، وبهذا الإيمان تمكن - على قلة أتباعه - أن يهزم الجنود المدربين والمجهزين بالأعتدة الحربية في كثير من المعارك.

وكان يهتم بتزكية نفسه عن طريق الخلوة، والأخذ بحظه من العزلة عن الخلق، ومجاهدة النفس، ومع ذلك كان يخالط الناس ويعلمهم ويربيهم، مما ساهم في إيجاد قاعدة شعبية عريضة مهيأة لقبول دعوته ومناصرتها.

أما في ساحة الحرب فقد برزت شخصيته القيادية المتميزة، التي امتزجت فيها سمات القيادة الروحية والقيادة الحربية، **يقول الدكتور عبد الودود شلبي - حفظه اللَّه - في هذا الصدد**:

«إن المهدي لم يكن - فقط - صوفيًّا وفقيهًا، كان فوق ذلك كله قائدًا حربيًّا قديرًا، وقد عرف كيف يمزج بين هذه المواهب جميعًا - في ساحة الحرب - ويستخلص منها المثل الذي يجعل الليل ضياءً ونورًا، ويملأ قلوب أنصاره ثقة وأملًا «فقد ذهب إليه جماعة، وقالوا له: يا سيدي، يقول الناس إن الترك

---

(١) راجع ص (٣٠٠)، وما بعدها.

قصدوا مدينة الأبيض ليستأصلوا من فيها ، ويحوزوا النساء والذرية ، حتى شاع الخبر في الناس ، وأُرجِفوا بسبب ذلك ، فالتفت المهدي ، وقال : أيها الناس ، أنصتوا ، ثم بصق في كفه اليسرى وقال : أي شيء هذا ؟ قالوا : بصاق يا سيدي . ثم طرحه على الأرض فشربته في الحال ، ثم قال للناس : هل ترون لهذا البصاق أثرًا ؟ فقالوا له : لا . فقال : نحن كالأرض والترك كالبصاق ! ثم قال : إذا طار طائر فأين ينزل ؟ فقالوا له : على الأرض ، فقال لهم : إن الترك كالطائر ونحن كالأرض ! أيها الناس اثبتوا واطمئنوا ، وأنزلوا رواحِلكم ، واستريحوا ، فإن الترك لا قدرة لهم مع قدرة اللَّه ...» .

[وإذا كان - ولا بد - في القيادة الصحيحة الناجحة من توفر عنصري الإيمان والقدوة ، فقد كان المهدي غنيًّا عن التعريف بهذين العنصرين الأساسيين في القيادة ، لم يكن يجامل أحدًا على حساب هذه الحقيقة ، وقد أدان - وهو على فراش الموت - أقاربه بسبب تصرفاتهم السيئة ، وقد حدث بعد وصول الإنجليز إلى دنقلة ، أن قبضوا على جماعة من أقارب المهدي ، وقالوا لهم : «... اكتبوا مِن عندكم كتابًا إلى المهدي ليرسل لنا أهالينا المأسورين عنده ، ونحن نطلقكم بعد حضور أهالينا » ، وقد كتب أقارب المهدي كتابًا أخبروه فيه بما حصل لهم ، وبما رغبه الإنجليز منهم ، فأرسل المهدي إلى أقاربه يقول لهم :

«ليس لنا بكم حاجة ، لأنكم ظلمتم أنفسكم ، فلا فرق بينكم وبين الإنجليز عندنا ! ومعاذ اللَّه أن نرتكب ما لا ينبغي لنا بعد قوله - تعالى - : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

وإن كان نظركم إلى القرابة ، فهذه الآية تكفيكم فاصِلًا عنا ، وفيما حكاه اللَّه عن نوح وابنه ، وإبراهيم وأبيه ، مَقْنَعٌ لأولي الألباب ، وحاصل الأمر أننا لا نجيبكم لما طلبتم ، ولا نشفق عليكم فيما يجري عليكم من الكفار... وقد كنا سابقًا كاتبناكم بالهجرة إلينا فما هاجرتم ، ورغبتم في مناولة الجِيَفِ ، ومن أراد

أنْ يأخذ من الجِيَفِ ؛ فليصبر على عض الكلاب !] .

إن المهدي هنا قائد ينظر بعين المصلحة العامة ، لا القرابة الخاصة ، فلو أنه وهن أمام أقاربه الذين آثروا العافية على الجهاد معه ، لسقطت كل حُججه التي يُدين بها المتخلفين عنه ، وانفض من حوله أولئك الذين يعانقون الموت بإشارة بسيطة منه ، الدعوة هنا فوق كل شيء ، والعلاقة الوحيدة بينه وبين الناس هي علاقة الإيمان بهذه الدعوة ، وإيثارها على كل صلة ، وفي ضربه المثل لأقاربه بقصة نوح وابنه ، أبلغ درس وعظة][(١)] .

ثانيًا: حركتُه الدؤوب في أنحاء السودان ؛ داعيًا إلى اللَّه - عز وجل - وثَّقت صلته بالقبائل المنتشرة فيها ، وبالمريدين من أتباعه ، بجانب اطلاعه على أحوال الناس ومعاناتهم ، ومعاينته ظلم الولاة والحاكم ، وانفعاله بذلك .

ثالثًا: وضوح مفهوم «الدولة الإسلامية» في تصوره، وأن الإسلام دين ودولة ، وإدراكه وظيفة الدولة الإسلامية في حراسة الدين ، وسياسة الدنيا بالدين ، حتى اقترن ميلاد دولته ببناء مسجد ، ومصنع للذخيرة ، إلى جانب إنشاء مؤسسات الدولة ودواوينها ، والقيام بإصلاحات اجتماعية شاملة .

«لقد تمكن المهدي من أن يقيم بناءً واضح المعالم، ملتزمًا الدقة في العموميات والجزئيات ، ومحددًا المرامي والوسائل ، ومطبقًا في أرض الواقع ، ومدعمًا بأدبيات هائلة بَزَّ بها كل أصحاب الدعوات[(٢)] ، فجاء البناء كاملًا فريدًا ، متميزًا عن المهديات الأخرى»[(٣)] . اهـ.

رابعًا: وعيه بكيد أعداء الإسلام، وعدم انخداعه بحيلهم ووعودهم المعسولة ؛ كما يعكس ذلك موقفُه من « جوردون » .

---

(١) «الأصول الفكرية» ص(١٨٩- ١٩١) .

(٢) يعني أدعياء المهدية .

(٣) «الخصومة في مهدية السودان» ص(٢١٨) .

خامسًا: وضوح قضية «الولاء والبراء» في عقيدته، ويبين ذلك رسالتُه إلى الخديوي توفيق محذرًا إياه من موالاة الإنكليز، وفي ضمن بعض رسائله يقول لأتباعه: «ولا تجاوروا من ترك الجهاد، أو فعل منكرًا من المنكرات».

سادسًا: اهتمامه بتربية أتباعه، وتزكية نفوسهم، فقد غرس فيهم الزهد في الدنيا، والتضحية بالنفس والمال في سبيل اللَّه، والبعد عن الآثام، فلا خمر تُشرب، ولا غَواية ترتكب، ولا لهو، ولا كذب، ولا حسد، وضرب لهم من نفسه أمثالًا لكل ما دعاهم إليه، وكانت الخلوة والمسجدَ والاجتماعات العامة هي وسيلته في الدعوة إلى هذه الفضائل.

وكان قوام تربيته إياهم الزهد والتقشف، وخفض الجناح لبعضهم البعض، وأن يساوي كل منهم أخاه في الفراش والأكل حتى الأمراء، كلهم على حد سواء، إلا في الأمر والنهي.

سابعًا: طبيعة الأوضاع الخارجية والداخلية في السودان، وشعور الناس بالظلم والقهر كما أسلفنا، كان له دور فعال في تحريك السودانيين للتمرد على هذه الأوضاع والالتفاف حول «محمد أحمد المهدي» قائدًا ثائرًا، ولو لم يكن هو المهدي المنتظر.

ثامنًا: العَقِيدَةُ القِتَالِيَّةُ:

ولقد كانت «العقيدة القتالية» لدى المهدي وأتباعه على السواء هي السر وراء انتصاراته المدهشة، فهذه العقيدة هي التي أدت دور غرفة الوقود في محرك السيارة، وربطت بين القائد وجنده بأقوى رباط، ودفعتهم دفعًا إلى الأمام لإنجاز الأهداف اللائقة بمنصب «المهدي المنتظر»، الذي يحفه التأييد الإلهي، ويتلقى أوامره- في زعمه- من الرسول -صلى اللَّه عليه وسلم- مباشرة، وتنصره الملائكة، الأمر الذي أشعل جذوة الحماس في قلوبهم، واستنفرهم للجهاد بحماس منقطع النظير، وبروح معنوية عالية.

لقد كان للمهدي القدرة على أن يلهب مستمعه، فلا يزال يروِّح على «الفحم» حتى يلهبه، فإذا جليسه يرى بعد الجلسة راحته في السير لا في الركوب، في الحركة لا في السكون، في الخروج لا في القعود.

لقد دعاهم المهدي أولًا إلى الهجرة، فلبوا نداءه من كل حَدَبٍ وصَوْبٍ، ثم حَرَّضهم على الجهاد فنفروا إليه زُرافاتٍ ووِحدانًا، **يقول الدكتور / عبد الودود شلبي - حفظه اللَّه تعالى -**:

«لقد بدأت الهجرة، وكانت استجابة الناس لها سريعة وواسعة، فقد شرع الناس في تعدية النساء والأطفال إلى جهة الغرب، وتركوا غالب ما معهم من الأمتعة والأموال، وكانت نفوسهم راضية رغبة فيما أعده[1] اللَّه.

لقد صار المهدي في مأمن من الحكومة، وأصبح له جيش يتلهف شوقًا إلى الجنة، وأصبح الموت في الجهاد أملًا وأغنية حلوة، وقد جَرَّ رجلٌ صديقَه إلى المحكمة؛ لأنه تمنى له الحياة طويلة! فتركُ الجهاد بعد ذلك؛ إما جهل بقدرة اللَّه، أو كفر بآيات اللَّه، أو جهل بعظيم ما عند اللَّه، أو معرفة[2] بخسة الدنيا، مع أن الأجل مؤقت معلوم، وإذا تم الأجل المعلوم، ومات الإنسان عند انقضاء أجله في الجهاد، فله من الخير ما لا يحصى كما هو معلوم، وإذا فر وترك الجهاد لا يزيد عمره، ولا يزول عنه المكتوب، بل من فر وترك الجهاد وتخلف عن أمر اللَّه بالجهاد يُميته اللَّه أشنعَ ميتة، حسرتها تدوم، ولو كانت هذه الميتة بإقبال في الجهاد، لنال ما نال مع عدم الإحساس بألم الموت».

«فيا أحبابي ويا أصحابي: إن اللَّه غني عن عباده، ولو شاء أمرًا أبرمه وقضاه من غير واسطة أحد، وقد أهلك القرون السالفة، وأهل الأعصار الماضية الذين عصوا أنبياءهم بغير جهاد أحد، ولكن لعنايته - سبحانه - بهذه الأمة، وليكسبوا

(١) كذا، ولعلها: عند.

(٢) كذا، ولعله: أو عدم معرفة.

المزايا الدائمة، اختار أن يقهر أعداءه - سبحانه - على أيديهم، ويصفي قلوبهم بذلك، ويختبر إيمانهم وعدمه هنالك، فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

واعلموا أن اللَّه لا يخلف وعده، فمن كان مؤمنًا مصدقًا بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، وذلك أن من استُشْهِدَ من المؤمنين أراه اللَّه خزي أعدائه في الآخرة، بعد أن أكرمه اللَّه بما ناله في سبيل اللَّه، وأراه أن المؤمنين إخوانه في الدنيا بَعْدُ منصورون، وإن حصلت للكفار دولة في بعض الأحيان؛ فهي لاستدراجهم، ولكمال الخزي بهم، فإن اللَّه عالم بهم، وبيده تقلباتهم وتصرفاتهم، وهو خاذلهم كما أوعدهم بذلك في أكثر من آية، ووعد المؤمنين بالنصر في أكثر من آية؛ فمنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣]، فمن ذلك يعلم المؤمن يقينًا أنه إذا حصلت للكافرين دولة في بعض الأحيان؛ فإنما هي استدراج، وذلك لا يدوم، وإنما العاقبة للمتقين».

«واعملوا أيها الأحباب: أن في الجهاد تصفية الإيمان، والفوز بحسن رضا الرحمن، واعلموا أنه لابد من اختبار التوحيد والإيمان، وتجرد الصافين والصادقين بالامتحان، فيظهر عند ذلك ما كان منطويًا في سريرة العبدمن الخلوص لِلَّه والخسران، فعند المصائب تتضح الأحوال.

وقد حكى لي بعض الإخوان أنه كان في خلاء يذكر الرحمن فأتى إليه ذيب فحضر في باله أنه لا يخلص إلا بطلوع الفجر، أو إدراك أحد من الإخوان، فتدراكه عند ذلك نور الإيمان، فصرف عنه طائف الشيطان، فقال في نفسه: إنه لا ينجيني إلا اللَّه الواحد الديَّان، فرسى على حقيقة ما في قلبه من التوحيد والإيمان، فخلصه اللَّه - تعالى - مما يخاف بتوحيد الرحمن، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]».

«فافهموا يا أهل الإيمان، واعلموا أن المدافع والرصاص اختبار لأهل الإخلاص، وكذلك قعقعة السيوف والسنان، وجميع ما يقع في الحروب وغيرها من المصاعب والشنآن، فمن تحقق بالتوحيد علم أن بواطنها وتحركاتها بيد الرحمن، ومن أبعده اللَّه أضلّه الشيطان؛ فزاغ عن توحيد اللَّه، وخاف من تصرفات العدو في الميدان، وغاب قلبه عن التحقق بأن ملكوت كل شيء بيد اللَّه من جميع الأكوان، وقد حكى بعض الإخوان أنه زاغ من رصاصة، وتذكر توحيد اللَّه، وقيامه بكل شيء، فاعتدل وهجم على الأعداء بقوة صدق الإيمان حتى فرغت الحرابة فرأى عجبًا من إكرام اللَّه للقائمين بنصرة دين الرحمن، فانظروا هذا مع قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]».

«وإذا كان الأمر كذلك، فيتعين على كل عاقل أن يتوجه لجهاد أعداء اللَّه؛ حتى يخرجوا إلى الإسلام من أديانهم، أو تسلب نفوسهم من أبدانهم، فجيوش ذوي العناد مُدْبِرَةٌ مُدَمَّرَةٌ، وإن كانت بعقولهم مُقَدَّمَةً ومُدَبَّرَةً، وعزمات رجال الضلال مؤنثة مصغرة، وإن كانت ذواتهم مذكرة مكبرة! ألا ترى أن اللَّه - تعالى - جعل كل مسلم يغلب منهم اثنين؟ كما قرر - سبحانه - أن للذكر مثلَ حظ الأنثيين!».

هذه الكلمات البسيطة في تعبيرها، كانت تشق طريقها إلى قلوب السودانيين، فيندفعون سراعًا إلى الموت، طلبًا للشهادة، وأملًا في الجنة، حتى إن أحدهم كان ينزل عن فرسه، ويقاتل راجلًا، ويتضاربون بالسكاكين للزحمة والالتحام الحاصل بين الفريقين حتى يسقط المسلم والكافر على الأرض جميعًا فنجد رِجل المسلم على رأس الكافر! والعمامة حول البرنيطة! والبرنطية حول العمامة! وكان بعضهم يوصي بعضًا فيقول: «إن أُصِبتُ قبل أن أتمكن من الوصول والدخول في وسط العدو؛ فَجُرُّوا برجلي حتى تُلقوني وسط العدو، لعلي أتشفى في أعداء اللَّه، ولو بضربة في آخر رمق مني، فأستريح من شؤم الدنيا».

ولم تتخلف المرأة السودانية عن القيام بدور في هذا الجهاد الذي شاركت

فيه الرجل ، وكثيرًا ما قامت النساء بدور مع الرجال في حملات المهدي ، فقد كانت النساء السودانيات الجالسات يتسولن في شوارع الخرطوم جاسوسات لحساب المهدي ، وهن اللواتي كشفن ضعف دفاع «غوردون» حول المدينة ، وتسللن ؛ ليخبرن المهدي بذلك ، وساعدنه على احتلالها ، **ويقول محمد أحمد محجوب- الرئيس الأسبق لوزراء السودان-** : لقد حضرت جدتي لأمي إحدى المعارك مع جدي- وكان قائدًا في جيش المهدي- وهي تحمل على ذراعيها طفلة في الثانية من عمرها ، نعست الطفلة التي قدر لها أن تكون أمي ، وإذا برصاصة تكشط كتف الأم ، وتقطع نصف أذن الطفلة ، ولو أن الرصاصة كانت أعلى نصف بوصة لما كنتم تقرءون هذا الكتاب اليوم» . اهـ[1] .

ومن هذا نرى أن المهدي السوداني قائد لم يضيعه أتباعه ، فما أحراه وأحراهم ، بقول القائل :

رِجَالٌ دُعَاةٌ لا يفُلُّ عزيمَهُم تهكمُ جَبَّارٍ وَلَا كَيْدُ مَاكِرِ
إِذَا قَال مُرُّوا في الشِّتَاءِ تَسَارَعُوا وإن جاء حرٌّ لَمْ يُخَفْ شهْرُ ناجِرِ[2]

❁ ❁ ❁

(١) «الأصول الفكرية» ص(١٨٥- ١٨٩) .

(٢) الناجر : كل شهر من شهور الصيف .

هَل تَأثَّرَ المَهدِيُّ السُّودَانِيُّ بِالدَّعوَةِ الوَهَّابِيَّةِ ؟

لقد كانت الحركة الوهابية - كما يقول محمد إقبال - : «أول نبضات الحياة في الإسلام الحديث ، وقد كانت هذه الحركة مصدر إلهام بصفة مباشرة أو غير مباشرة لمعظم الحركات الإسلامية الكبرى في آسيا وإفريقيا» . اهـ[(١)] .

ومِن ثَمَّ لهج بعض الباحثين بالأثر القوي الذي أحدثته الحركة الوهابية في حركة المهدي السوداني ، واستندوا في تدعيم رأيهم ببعض ملامح التوافق بين الحركتين[(٢)] .

وذهبوا إلى أن «المهدي» إنما انتظم في سلك الصوفية ؛ لأنه لم يجد أمامه مصدرًا للتعلم سوى المدرسة الصوفية ، لكن حينما واتته الفرصة ، ومكَّنه اللَّه في الأرض :

- نهى عن التوسل بالأولياء ، والتمسح بالأضرحة .
- واعتبر اللجوء إلى غير اللَّه - تعالى - والحلف به شركًا في العبودية .
- وألغى المذاهب الفقهية ، وأبطل الطرق الصوفية باعتبارها مصدر تفريق وتمزيق للجماعة المسلمة .
- وأعلن أن الكتاب والسنة هما المصدر الوحيد للعقيدة والشريعة .

وهاك نقولًا تبيِّن ذلك كله:

ففي دعوته إلى توحيد اللَّه - تعالى - بالتوجه والدعاء والعبادة يقول المهدي السوداني : «من كان يوحد اللَّه ، ويرجو لقاء اللَّه ؛ لا يميل إلى شيء دونه ، ويكون ممن خسر دنياه وآخرته ؛ لأن اللَّه هو المحيي والمميت والرزاق والمقيت ، فمن نسب إلى غيره عطاء أو منعًا ، أو نفعًا أو ضَرًّا ، فقد ظلم بوضع

(١) «تجديد الفكر الديني في الإسلام» ص(١٧٧) ، ط . القاهرة .

(٢) انظر : «الموسوعة الميسرة» (٣١٩/١- ٣٢٠) ، و«الموسوعة الحركية» (٢٣٤/١) ، و«ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر» ص(٣٨٩) ، (٣٩٤) ، (٣٩٧) .

الشيء في غير موضعه، ونسب نعمة لغير من لم ينعم، ونسب ضرًّا لغير من لم يضر»[١]، «وكل من نظر إلى شيء دون اللَّه، واعتقد من قلبه أنه ينفع أو يضر؛ فقد أشرك في الحقيقة، إذ إن كل ما سوى اللَّه باطل؛ لأنه لا قوام له بنفسه، فكيف يقوم به غيره؟»[٢]. اهـ.

وقال في أحد منشوراته: «لا تستغيثوا بأحدٍ دون اللَّه، ولا تطلبوا أحدًا دون اللَّه ولو نبيًّا رسولًا أو مَلَكًا، فجميع الأنبياء والمرسلين دَعَوْا إلى وحدانية اللَّه، فلا تتوهموا وتنسبوا إلى رجل صالح شيئًا، أو تطلبوا منه شيئًا». اهـ[٣].

وقال- أيضًا-: «اعلموا أن العظمة للَّه، فلا تحلفوا بشيء دون اللَّه، فيجري الحلف في غير موضعه، وفي الحديث: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ». اهـ[٤].

وفي إحدى غزواته التقى المهدي بشخص يُسَمَّى عبدالنبي فغيَّر اسمه إلى عبدالباري[٥].

وسئل المهدي عن حكم الدين في التمائم التي تستعمل للاستعاذة من السقم، والعين، ونحوه، فقال: «هذا ليس مذهبنا، وإنما مذهبنا التوكل على اللَّه، حيث إنه النافع والضار، وناصية كل شيء بيده، بل لا يخرج عن قدرته فلتة خاطر ولا لفتة ناظر، فينبغي لمن كان تابعًا لنا أن يسلك طريقنا، ويتوكل على اللَّه وحده، ولا يلتفت إلى غيرٍ لا وجود له». اهـ[٦].

وأمر المهدي بإلغاء لقب «درويش»، وهدد كل من يستعمله بمئة جلدة؛ «لأن من نفذ قلبه إلى ما عند اللَّه من الخير، وترك ما في الدنيا من الضير، لا

---

(١) «منشورات المهدية» ص(٣٠)، ولا يستقيم السياق إلا بحذف «لم» في الموضعين.
(٢) «نفس المصدر» ص(٢٩).
(٣) «نفسه» ص(٤٦).
(٤) «منشورات الإمام المهدي» (١/ ٤٦، ٤٧).
(٥) «سعادة المستهدي» ص(١٩١)، نقلًا عن «الأصول الفكرية» ص(٢١٩).
(٦) «الأصول الفكرية» ص(٢١٩، ٢٢٠).

يسمى درويشًا ، وإنما يسمى عاقلًا ومدركًا وبصيرًا وناصرًا لدين اللَّه ؛ حيث إنه وافق إرادة اللَّه ، وترك ما لا يريده ، وذلك لنور البصيرة ، فلزم من سمي مثل هذا بالدرويش - الذي هو ذاهب العقل - التعزيزُ والجلد»(١) .

* وأعلن الخليفة عبداللَّه التعايشي - باسم المهدي - إلغاء المذاهب ، والطرق الصوفية ؛ حتى لا يبقى إلا الدين الخالص .

يقول التعايشي : «ومعلوم أنه - أي المهدي - على نور من ربه ، وتأييد من رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- ، وموعود أن يرفع المذاهب ، ويطهر الأرض من الخلاف ، ويعمل بالسنة ؛ حتى لا يبقى إلا الدين الخالص ، بحيث لو كان رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- موجودًا ؛ لأقره على جميع أفعاله» . اهـ(٢) .

ويقول «نعوم شقير» في «تاريخه» : «كان أساس تعاليمه - أي المهدي - أن يعيد الدين إلى ما كان عليه في أول الإسلام ، وقد رفع المذاهب الأربعة ، وتفرد بمذهب اجتهادي خاص به ، ومنع الناس من زيارة قبب (أضرحة) الأولياء التي كانوا يزورونها قبل المهدية»(٣) .

أما عن كيفية انتقال هذه التأثيرات السلفية إلى المهدية السودانية ، فقد قطع هؤلاء الباحثون شوطًا بعيدًا لمحاولة «استنتاج» هذه الكيفية ، بطريقة لا تخلو من التكلف ؛ فقد ذهب البعض إلى أنه من المحتمل «أن يكون الحجاج السودانيون تحملوا هذه الأفكار السلفية ، ونقلوها إلى السودان بعد عودتهم من مكة ، أو أن يكون ذلك قد تم بوساطة الحركة السنوسية التي انتشرت زواياها وفروعها في أنحاء السودان بكثرة»(٤) .

---

(١) «منشورات المهدية» ص(٢٩٧) .

(٢) «الأصول الفكرية» ص(٢٢٤) .

(٣) انظر : «نفس المصدر» ص(٢٣١) .

(٤) «نفسه» ، ص(٢١٤) .

* **يقول الدكتور يوسف فضل حسن :**

«تؤكد المصادر أن الإمام المهدي نشأ في كنف الطريقة الصوفية ، وعلى نهجها حقق مكانته في المجتمع قبل أن يفصح عن دعوته ، ومع أن المصادر لا تشير إلى أن الإمام المهدي قد زار الحرمين الشريفين ، أو أنه تأثر مباشرة بفكر الشيخ «محمد بن عبدالوهاب» عن طريق تلاميذه أو مؤلفاته ، إلا أن محصلة دعوة الإمام المهدي ترجح أن الإمام المهدي ، وإن لم يتصل بفكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب مباشرة ، فإنه ربما قرأ عنه أو سمع ، ولا غرابة أن يصل عالم في سعة علم الإمام المهدي ، وعمق دراسته للقرآن الكريم والسنة الشريفة ، وقوة عارضته في الاستنباط ، أن يصل إلى نهج يماثل نهج الشيخ «محمد بن عبدالوهاب» ، أو الإمام «الشوكاني» (١١٧٢/١٢٥٠هـ- ١٧٥٨/١٨٣٤م) .

إن النمط الذي اختاره « محمد أحمد المهدي » لإعلان دعوته القائم على فكرة «المهدي المنتظر» أقرب إلى فكرة المتصوفة منه إلى تعاليم الشيخ «محمد بن عبدالوهاب» ، ولكن الدراسة التفصيلية لبرنامجه الإصلاحي تؤكد أن جوهر دعوته أقرب إلى دعوة التوحيد»[١] .

التعقيب:

إن القول بأن المهدي السوداني تأثر بالدعوة الوهابية التجديدية قول لا يخلو من مسامحة ؛ لأن محاكمة دعوة ما إنما تنبني على أصول منهجها ومرجعيتها ، ولا جدال أن «مصادر التلقي» عند المهدي السوداني قد اختلط فيها الحق بالباطل ، والهدى بالضلال ، ولن تجدي محاولة التمسح بالحركة الوهابية السلفية المشرقة في ستر عيوب المنهج الصوفي المنحرف الذي اختطه المهدي السوداني .

إذن فماذا عن الملامح السلفية التي سبق ذكرها في دعوة المهدي السوداني ؟

---

(١) «ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر» ص(٣٨٩) .

نقول : إن هذه الملامح ليست بالضرورة راجعة إلى تأثره بالدعوة الوهابية ، ولكنها جزء من الجانب المشرق في دعوة المهدي السوداني النابع من الأدلة الشرعية الدالة على حقائق التوحيد ، وإن تبني هذه المبادئ التوحيدية ليس حكرًا على الوهابية ولا غيرها ؛ لكونها جوهر الإسلام الصافي ، ودلالة العقل السليم ، والفطرة المستقيمة .

ومَثَلُ حركة المهدي السوداني في ذلك كمثل دعوة الشيخ «محمد عبده» ومدرسته المسماة بالإصلاحية ، فمع كونها اعتزالية النزعة ، إلا أنها توافقت مع الدعوة السلفية في بعض الملامح المشرقة[1] .

❁ ❁ ❁

مقارنة بين « المهدية السودانية » و« الوهابية »

يقول الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم :

«وقد تباين المهدي في خطه عن خط الإمام محمد بن عبد الوهاب ، إذ إن هذا دخل في حلف مع إمارة آل سعود ، واعتمد على قوتهم في مناصرة دعوته ، فيما اعتمد المهدي في مناصرة دعوته على القوة الجماهيرية التي حرَّكها ، والدولة التي أقامها . فالوجهة هنا واحدة عقدًا وقوة ، والوجهة هناك شقان : شق الفكر ، وشق السيف . ولكن تجربة السعودية نجحت في تواصل الحلف ، ومشاركة الأسرتين ، حتى أصبحت الوجهة واحدة بعقيدتها ودولتها .

ثم إن حركة ابن عبد الوهاب نجحت في خلق مدرسة فكرية أساسها السلفية القائمة على نقاء العقيدة ، ومدَّت أثرها بشكل أوسع في أنحاء العالم الإسلامي ، وهذا بعكس المهدية التي لم تخلق مدرسة فكرية للتباين بينها وبين تيار العلماء»[2] .

---

(١) انظر : «الانحرافات العقدية والعلمية» (٢/ ٣٥٧- ٣٧٩) ، و«خواطر حول الوهابية» للمؤلف ص(١١-١٣) .

(٢) «الخصومة في مهدية السودان» ص(٢١٧) .

المَهدِيُّ السُّودَانـيُّ في المِيزَانِ السَّلَفِيِّ

إذا تجاوزنا عن « تمحور » المهدي السوداني حول إثبات مهديته، وقلنا إن حركته توافق حركة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في هدفها الشريف الذي هو : التمكين لدين اللَّه في الأرض، وتجديد شباب الإسلام، وإصلاح حال الأمة، فهل هذا يكفي؟

إننا إذا أردنا محاكمة منصفة وعادلة لأي حركة فلابد أن يتم ذلك بمحاكمة كُلٍّ من الغاية والوسيلة معًا، المقصد والمنهج معًا، أما الاقتصار على نبل الغاية، وصحة القصد، وسلامة الشعار، مع غض الطرف عن الانحراف المنهجي، والقفز فوق المعايير العلمية الدقيقة انسياقًا وراء العاطفة الجياشة، والحماس المتدفق؛ فإنه يجني أول ما يجني على الحقيقة ذاتها، ويُبقي الأمة عرضةً لأن تُلْدَغَ من نفس الجُحْر مرات ومرات ما دامت لا تستوعب دروسَ التاريخ وعِبرَ الماضي، ويتحقق فينا قول القائل : ما تعلمناه من التاريخ هو أننا لم نتعلم!

والسؤال الآن : هل يكفي في اعتبارِ حركةٍ ما حركةً تجديدية إصلاحيةً أن ترفع «شعار الكتاب والسنة» ؟

الجواب : لا، حتى يُقَيَّدَ ذلك بقَيْدٍ لازم، فنقول : «الكتاب والسنة بفهم الصحابة - رضي اللَّه عنهم - ومن تبعهم بإحسان»؛ وذلك لأن الفِرَقَ الضالة من خوارج ومعتزلة وشيعة ومرجئة وقَدَرية وغيرها لا تزال في كل عصر ومصر ترفع هذا الشعار المطلق دون أن تقيده بهذا القيد المهم، وبالتالي تقع في الانحرافات التي تخرجها من الفرقة الناجية إلى الفرق النارية.

إذن إعلان المهدي السوداني أن «**الكتاب والسنة هما المصدر الوحيد للعقيدة والشريعة**»، ليس مما يُفرح به، حتى يُضم إليه هذا الضابطُ : «**بفهم السلف الصالح**» الذي يسد على الأمة أبواب الانحراف.

ولأن المهدي السوداني لم يفعل ذلك ؛ تورط في انحرافات منهجية خطيرة لا يشفع له فيها - عند منتقديه - حسنُ قصده ، وسلامة نيته ، ولا إنجازاته العملية التي سبق الإشارة إليها .

فمن هذه الانحرافات:

١- ادعاؤه أنه المهدي المنتظر[١] مع عدم انطباق كل صفات المهدي الحقيقي عليه:

- تباين صفات المهدي السوداني الجسدية مع صفات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبخاصة لون البشرة[٢] .

- فالمهدي يملك سبع سنين ، والسوداني عاش بعد ادعائه المهدية أربع سنوات ، من ١٢٩٨هـ إلى ١٣٠٢هـ (١٨٨١م إلى ١٨٨٥م) .

- والمهدي ينعم الناس في عهده نعمة لم يعهدوا مثلها ، وينتشر الرخاء ، ويحثو المال بيديه حثوًا ، وهذا لم يحدث في عهد السوداني .

- والمهدي الحقيقي يصلي عيسى - عليه السلام - أول نزوله - خلفه .

- والمهدي يملك الأرض ، ويملؤها قسطًا وعدلًا ، والسوداني عاش ومات داخل وطنه[٣] .

---

(١) ولذلك كان يسقط كل مدعٍ للمهدية قبله ، ومن يدعيها مستقبلًا - «الخصومة» ص(١٤١)، وراجع ص(٣٨٤) .

(٢) راجع ص(٣٨)، وانظر : «الخصومة» ص(١٩٥) .

(٣) ومن المؤسف أن الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم ، وهو متخصص في دراسة المهدية السودانية ، قال :
«ونسأل سؤالًا مهمًا : هل كان (محمد أحمد) هو المهدي حقيقة؟
وهو سؤال مشروع ؛ لأن قضية (محمد أحمد) مطروحة بالقبول والرفض ، وهو غير مشروع ؛ لأن مردَّ أمر المهدية إلى القلب لا إلى العقل ، وشأنها في ذلك شأن العقائد الدينية كلها ، وليس من سبيل للمؤرخ إلى أن يقطع فيها بالصحة والفساد . . .
ونحن من موقع المؤرخ لا نقطع بمهدية الرجل ولا ننفيها ؛ لأننا لا نستطيع أن ندلل على أمر هو من شأن القلب والإيمان ، ولكننا نحكم في حدود علم المؤرخ ، ونقول : إنه كان مقتنعًا في قرارة نفسه بأنه المهدي المنتظر ، وأنه مستوفٍ لكل شروطه» . انتهى كلامه من «الخصومة» ص(١٨٧) . =

٢- ادعاء التلقي المباشر عن ربِّ العزة - جل جلاله -:

فقد ترقى من ادعاء السند النبوي لدعاواه إلى ادعاء السند الإلهي المباشر ، حيث قال في المنشور المؤرخ في ٦ شوال ١٣٠١هـ الموافق ٩ يوليو ١٨٨٤م : «... أيها الإخوان حصل أمر عظيم في المهدية ، وهو أنه في نصف الليل أني جالس مستقبل القبلة ، ولست بنايم نومًا خفيفًا ولا ثقيلًا بل صاحي أتم الصحوة ، فسمعت مِن قِبَل الحق جل جلاله : السلام عليكم ، فعند ذلك فهمت أنه ليس بملَك ولا رسول ، لأني سمعته بجميع بدني ، وبلا حرف ، ولا صوت ، ولا جهة من الجهات ، ولا مكان من الأماكن ، ولا بالجارحة للمعلومية ، ولا يوصف بالسر ولا بالجهر ، ولا بالقرب ولا بالبعد ، ومحال لا يكيف هذا أمر الخلافة من اللَّه ورسوله للإمام المهدي عليه السلام ، وعلى أن عزرائيل يحمل راية النور ، وإيثار ما عنده والحنين إلى لقايه ، والتصديق بوعده الذي لم يعهد مثله في الدنيا مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فأرَّختُ ذلك فوجدته في ليلة الثلاثة الموافق ٦ شوال ١٣٠١ . . »[(١)].

ففي هذا المنشور ، وصلت مكانة المهدي إلى حد إلقاء اللَّه سبحانه وتعالى السلام عليه بنفسه من غير وسيط ، أي أن التأييد الإلهي الذي يلقاه في دعوته يضعه في مرتبة خاصة تجعل من الاتصال الإلهي المباشر أمرًا طبيعيًّا في دعوته . فخلافته « ليست كخلافة الخلفاء السابقين » ، إنما هي خلافة مماثلة للدور الذي من أجله أرسل اللَّه رسوله ، وهو إظهار الدين الإسلامي ، ولهذه الخلافة

= ولا شك أن هذا كلام متهافت متناقض ، ينبئ عن ضعف حظ قائله من العلم الشرعي ، وفيه هروب انسحابي من المواجهة العلمية المنهجية ، وقوله : «إن العقائد الدينية مردها إلى القلب لا إلى العقل» واضح البطلان ، ولعله متأثر فيه بمفكري الغرب ، وقوله : «إنه كان مقتنعًا في قرارة نفسه بأنه المهدي المنتظر» ؛ نقول : وكذلك كان كثير من المتمهدين ومدعي النبوة الذين زُين لهم سوء عملهم فرأوه حسنًا ، وانظر ص(٤١٩) ، (٤٤٥) ، وما بعدها .

(١) «إمارة الإسلام المهدية» ص (٧٢) .

تشريعاتها الخاصة بها المستمدة من الإلهام الإلهي ، والتي لا يحق نقضها ، بل يجب الاقتياد بها من جانب جميع المؤمنين وفي مقدمتهم رسول اللَّه نفسه ، ما دام لا يملك غير تنفيذ الإرادة الإلهية التي قام بإبلاغها شخصيًّا للمهدي ، فقد « ... جاءت الأخبار من رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - أن معي مَلَكَ الإلهام من اللَّه يسددني ويعينني ، فمِن هذا الخبر النبوي علمتُ أن الذي يلهمني اللَّه به بواسطة ملك الإلهام لو كان رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - حاضرًا لفعله ، وقد ورد لي مرارًا الخصوصية التي كانت له - صلى اللَّه عليه وسلم - في نسائه مع التوصية منه - صلى اللَّه عليه وسلم - أن تنزل نسائي كمنزلة نسائه - صلى اللَّه عليه وسلم - ، ولما أهديت إليَّ النساء مع الوارد لي من رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - فيهن ، أخذني خجل من ربي سبحانه في أمرهن وأنا في ذلك ، فجاء في سلام سمعته بجميع جسدي من غير حرف ولا صوت ولا سر ولا جهر ولا بعد ولا قرب ولا أقدر تكييف شيء منه ، فدلني على أسرار كثيرة . . وكل ذلك بحول اللَّه وفضله ، لا بشغف في النساء ، ولا أبرئ نفسي إلا أن يزكيني ربي ، وعِلْمُ حالي عند ربي ، وأعلم أن ظن المؤمنين بي حسن ، ولكن لخوف دخول الشيطان على من ضعف قلبه مع العلم أن خلافتي لرسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - لا كخلافة السابقين ... »[(١)] .

٣- دعواه التلقي المباشر عن رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - في اليقظة :

إن أخطر ما ادَّعاه المهدي السوداني أنه نسب أقواله إلى النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - ، فهو لا يفعل شيئًا إلا بأمره ، ولا يصدر حكمًا إلا بإذنه ، وقد كان أساس مهديته قائمًا على هذه الصلة ، ولم تكن نبوءاته إلا إخبارًا بما يقول : « إنه سمعه من الرسول أو بلغه » ، فإذا ثبت بالدليل والواقع أن هذه التنبؤات لم

(١) « نفسه » ص (٧٣) .

تصدق ، وأن هذه التوقعات لم تتحقق ، أصبح الأساس الذي قامت عليه مهديته منهارًا .

وقد قامت الأدلة على استحالة التلقي عن رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - مباشرة في حال اليقظة بعد موته استحالة شرعية(١) ، وأثبتت الوقائع الحسية أن رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - لم يخاطب المهدي بما ادَّعاه ، وأن عامة ما ادَّعاه المهدي السوداني ، ونسبه إلى رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - لم يتحقق منه شيء ، وهاك أمثلةً من تنبؤاته التي لم يتحقق منها شيء :

- فقد ذكر أن رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - «أمر - في حضرة من حضرات المهدي المزعومة - عزرائيل قائلًا :

- «من هذه الليلة اصحب المهدي ، لا تفارقه» . وهذه الليلة المذكورة - التي حصلت فيها هذه الحضرة - غرة شعبان ١٢٩٨هـ ليلة الأربعاء ، ثم تلا لنا - أي النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - جميع الأحوال إلى دخول مكة ، ومنازعة أهلها ومبايعة الضعفاء والغرباء أولًا ، ثم مبايعة الشريف ملك مكة وجميع أشرافها معه»(٢)

- **وقال في رسالته إلى الخديوي** : «وبشرني سيد الوجود - صلى اللَّه عليه وسلم - بالنصر على كل من يعاديني ، ولو كان الثقلين ، وبأن من يقصدني بعداوة يخذله اللَّه في الدارين ، وقلدني سيف النصر ، وأخبرني بأني أملك جميع الأرض ، وها أنا قادم إلى جهتك بجنود اللَّه عن قريب - إن شاء اللَّه تعالى - ولابد من وقوعك في قبضتنا ، ولو كنت في بروج مشيدة»(٣) .

- وادَّعى في رسالته إلى المهدي السنوسي أن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم -

(١) راجع كتاب : «أُصول بلا أُصول» للمؤلف ص(١٣٧) .

(٢) «منشورات المهدي» ص(١٨) .

(٣) «منشورات الإمام المهدي» (٢/٢٧٧) باختصار .

أخبره أنه من وزرائه، وأنه أوقف كرسيَّ عثمان - رضي اللَّه عنه -، وقال: «هذا الكرسي لابن السنوسي»[١].

- وبعد فتح «الأُبَيِّض» ادعى أن الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - بشره بأنه سيصلي في مسجد «بربر»، ثم المسجد الحرام بمكة، وفي مساجد المدينة المنورة، ومصر، وبيت المقدس، وبغداد، والكوفة[٢].

ولم يقتصر المهدي على توظيف دعوى التلقي المباشر عن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - في مجرد التعبئة المعنوية لأتباعه، ولكنه وظفها دومًا لتعيد إلى حركته توازنها إذا زلزلتها - أو كادت - الأزمات[٣].

٤- إلزامه الناس بدعاواه الزائفة، بل تكفيرهم وقتالهم عليها:

وهنا مكمن الخطر الحقيقي في دعوى المهدي السوداني؛ لأن ادعاء المهدية بمجرده، وادعاء التلقي عن رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - مباشرة يترتب عليهما ضرر لازم لصاحبه، أما أن يُلزم الناس بهما إلزامًا، ويعاقبهم على رفض دعواه بالتكفير أولًا، ثم بمقاتلتهم عليها ثانيًا، فهذا هو العبث

(١) «منشورات المهدية» ص(٧٣).

(٢) «ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر» ص(٣٩٥).

(٣) كما حصل في موقعة «الجمعة» (٢٤ شوال ١٢٩٩هـ / ٨ سبتمبر ١٨٨٢م) حيث هاجم جيش المهدي «الأبيض»، لكنه مُني بخسارة فادحة بسبب تفوق القوات الحكومية المحصنة والمقاتِلة بسلاح ناري مميز، وقتل فيها حوالي عشرة آلاف نفس، منهم اثنان من إخوة المهدي، وأخ للخليفة عبد اللَّه، و«قاضي الإسلام» أحمد جبارة، وكانت الهزيمة أول صدمة في حياة المهدي المنتصر، «وللحظة تعلق مستقبل الثورة، ونجد الإشارات على ذلك في كتب المهدي، ففي منشور إنذار منه إلى «الصفي محمد بن الحاج» في ١١ جماد الأول ١٣٠٠هـ / ١٩ فبراير ١٨٨٣م يقول المهدي: «.. وأنت حبيبي لازم تنبه أهل كابه فإنه قد ورد خبر من النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - أن كثيرًا منهم قد شكوا في المهدية بعد قتال الجمعة، ولموجب ذلك صارت هجرتهم مردودة، وما قُبل إلا من قطع الشك في المهدية، ولم يأخذ تقبله في دين اللَّه ما فاته من المال، فالآن فليتلافوا ما فاتهم، وليتوبوا، ويصححوا إيمانهم، وليعرضوا عما أخذ بقلوبهم، والسلام» اهـ. من «إمارة الإسلام المهدية» ص (٧٩- ٨٠).

بشريعة اللَّه ، والعدوان على حرمات المسلمين المعصومين في أبشع صورة .

وحين قال رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - : «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ»[(١)] ؛ فإنما كان يعني تحذير الذين يتقولون عليه - صلى اللَّه عليه وسلم - ما لم يقل ؛ لأن في هذا تحريفًا للدين ، وعبثًا بالمصدر الثاني للتشريع بعد كتاب اللَّه - عز وجل - لأن السنة حجة شرعية مستقلة .

«وقد قسم المهدي العالم إلى قسمين : قسم يؤمن بمهديته ، وقسم ينكرها ، والذين يؤمنون هم المسلمون ، والذين ينكرون كفار ، حتى وإن نطقوا بالشهادتين ، وأدوا فرائض الإسلام»[(٢)] .

« فالكافر عند المهدي : من أنكر مهديته أيًا كانت خلفيته إسلامًا أو غيره ، وعلامة الإسلام هي بيعته ، أي أن أمة الإسلام محصورة في أتباعه»[(٣)] .

*** يقول المهدي ضمن رسالته إلى يوسف حسن الشلالي[(٤)] ومن معه :**

« ... أما قولكم : إنا قتلنا العسكر غدرًا في الوقعتين قبل أن يحاربونا ؛ فهذا كذب صريح ، لأنهم في الوقعتين ابتدأونا بالمحاربة والضرب بالسلاح حتى حاربناهم ، وقتلناهم ، وقولكم : إن الحكومة أرسلتهم ليقفوا على ما عندنا من الأدلة ، باطل ضرورة أن الحكومة لو أرادت المراجعة والاطلاع على ما عندنا

---

(١) رواه البخاري (٣/١٦٠) ، ومسلم (٤) في المقدمة ، والترمذي (٢٦٦٤) .

(٢) «الخصومة في مهدية السودان» ص(٢٠٣) .

(٣) «نفسه» ص(١٨٨) .

(٤) يوسف حسن الشلالي : كان لواء في الجيش المصري ، من قبيلة الكنوز النوبية ، ولد في المنقرة قرب المُقرن (بالخرطوم) ، وقد شغل منصب نائب مدير إقليم الرهد في مديرية خط الاستواء في حوالي (٨/ ١٨٧٦) ، وقد نشط في مقاومة ثورة سليمان بن الزبير في جنوب دارفور (٩/ ١٨٧٨) ، وكوفئ على ذلك بترقيته إلى رتبة لواء ١٨٧٩ ، وعندما علمت الحكومة بهزيمة ومقتل راشد بك إيمان على يد الأنصار في جبل قدير بتلال النوبا في ديسمبر ١٨٨١ أعدت حملة من ٤ آلاف جندي تحت قيادة الشلالي حيث لاقت أيضًا حتفها على يد الأنصار ، وكان من بين القتلى الشلالي نفسه . «إمارة الإسلامي المهدية» ص (١٧٩) .

من البراهين لأرسلت الصلحاء والعلماء أهل المذاكرة والدراية بهذا الشأن ، ولم ترسل العساكر الأغبياء ، وتعطيهم الأسلحة ، وقولكم : إنا قتلنا جملة من المسلمين المتوطنين بهذا المكان ظلمًا وعدوانًا باطل ، لأنا ما قتلنا إلا أهل الجردة بعد أن كذبونا وحاربونا ، وقد أخبرنا النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - .. وأخبر جميع أهل الكشف بأن من شك في مهديتنا ، وأنكر ، وخالف ؛ فهو كافر ، ودمه هدر ، وماله غنيمة ، فحاربناهم لأجل ذلك ، وقتلناهم ، وبعد ذلك لما انقاد باقيهم لحكمنا ؛ رجعنا لهم جميع أمتعتهم التي بأيدي أصحابنا رفقًا بهم ، مع أنها حلال لنا ... » .

«**وقولكم** : إن الذين قتلناهم من العساكر مسلمون ومتبعون ما جاء به الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - ، ونُسأل عن دمائهم بين يدي اللَّه - تعالى - باطل ؛ لأن القطب الدرديري قد نص في باب المحاربة على أن أمراء مصر وجميع عساكرهم وأتباعهم محاربون لأخذ أموال المسلمين منهم كرهًا ؛ فيجوز قتلهم ، على أن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - أمرنا صريحًا بقتال الترك ، وأخبرنا بأنهم كفار ؛ لمخالفتهم لأمر الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - باتباعنا ، وإرادتهم إطفاء نور اللَّه - تعالى - الذي أراد به إظهار عدله ، فكيف نُسأل عنهم بعد هذا؟!»[1] .

وجاء في واحدة من أولى رسائله إلى الحاكم التركي رءوف باشا : «وبعد : فعلى مقتضى المكاتبة فالأمر المطلوب كشفه أن دعائي الخلقَ على تقويم السنة ، والهجرة بالدين مما عليه الطباع الزمنية ، أمر من سيّد الوجود - صلى اللَّه عليه وسلم - فمن تبع صار من المقربين الفائزين ، ومن خالفه خذله اللَّه في الدارين ، وصده بقدرته ، أما المواعظ للمؤمنين فهي مُبَيَّنة ، فمن لم يصدق طهره السيف ،

(١) «منشورات المهدية» ص(٣١١، ٣١٢) ، وانظر ما ادعاه من أنه كُشف له يوم القيامة مخاصمته لمن قتله من الأتراك ، وأن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - شهد له بأنه أنذرهم لكنهم سمعوا قول علمائهم . . . إلخ بهامش رقم (١) ص(٤٢٧) .

وليكن المعلوم أنه أتاني من الحضرتين- حضرة النبوة وحضرة الأقطاب- سيف ، وأُعلمت أنه لا يُنصر عَلَي مَن معه أحدٌ ، ومن أتانا بالعداوة يأخذْه اللَّه ؛ إما بالخسف ، أو بالغرق ، وذلك إعلام منه - صلى اللَّه عليه وسلم -[١] .

وقال في بيان إعلان مهديته : «... وقد أخبر - صلى اللَّه عليه وسلم - مرارًا أن من شك في مهديتي كفر باللَّه ورسوله ، وأن من عاداني كافر ، وأن من حاربني يُخذلْ في الدارين ، وأمواله وأولاده غنيمة للمسلمين»[٢] .

لقد كان من آثار هذه المغالطات فرض الوصاية على «الجن والإنس» فرضًا ، يقول المهدي ضمن رسالته إلى الشلالي :

«وقولكم : قم واحضر عندنا ، وتوجه بنا إلى محل الهَدْى : مكة المشرفة ، فاعلموا أن توجهنا إنما يكون بأمر رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - في الوقت الذي يريده اللَّه ، ولسنا تحت أمركم ، بل أنتم ومن فوقكم تحت أمرنا ، وأنا ولي الأمر الآن على سائر الإنس والجان» . اهـ[٣] .

وقال مخاطبًا محمد بك أبو السعود : «... وأنا ولي الأمر الذي تجب طاعته على جميع الأمة المحمدية» . اهـ[٤] .

بل إنه حاول فرض هذه الوصاية - بناءً على مزاعمه وادعاءاته - حتى على الحركات الإسلامية المعاصرة له ، ولعل أوضح دليل على ذلك أسلوبه في مخاطبة محمدٍ المهدي السنوسي ، ومحاول جَرِّه إلى متابعته قسرًا ، وقد سبق

---

(١) «نفس المرجع» ص(٣٠٨، ٣٠٩) .

(٢) راجع ص (٣٣٥) .

(٣) «منشورات المهدية» ص(٣١٤) ، ويلاحظ أن المهدي كان «يحرص على أن يتجنب ذكر الحج ، أو الدعوة إليه ؛ لأنه كان يؤمن بأن الجهاد أولى وأهم من الحج ، وقد تفادى المهدي أن ينص على هذا في رسائله ، ونراه هنا يتخلص من طلب الشلالي دون أن يوافق أو يعارض فكرة الحج ، أو يوضح موقعها من دعوته» . اهـ . من حاشية محقق «منشورات المهدية» ، الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم ، هامش ص(٣١٤) .

(٤) راجع ص (٣٣٨) .

بيان ذلك ؛ وكيف استخف السنوسي بمزاعمه، وأهمل الرد عليه[١].

لقد كان يهون الأمر لو أن هذا «الهُلاس» كان محصورًا في دائرة «الصوفي المجذوب الهائم»، لكن الأمر يختلف تمامًا إذا انسحبت خيالاتُه إلى عامة الناس، فتصبح تشريعًا يُفرَض بقوة السيف، فهذا ما لا يمكن إقراره ؛ لأن «ذوق الصوفي المجذوب» في مثل هذه الحالة يحصل له وهو في حالة غير طبيعية، بل غير سوية، الأمر الذي يجعله غير صالح ؛ لأن يُخاطَب به المقيدون بالنواميس الطبيعية.

٥- جاء في حضرة التنصيب في سياق ذكر علامات مهديته:

«. . . **والعلامة الثالثة**: أنه مخلوق من نور عَنان قلب الرسول، وهذا دليل الطهر والنقاء والاصطفاء، وقال: إن الرسول أخرج قلبه، ووزنه بجبل أُحد، فوجده أثقل من الجبل، ثم أعاده إلى موضعه، فأصبح قلبه صافيًا نقيًّا». اهـ[٢].

٦- **جاء في «الموسوعة الميسرة»**: «أن المهدي السوداني «نسب إلى نفسه العصمة، وذكر بأنه معصوم نظرًا لامتداد النور الأعظم فيه من قِبَل خالق الكون إلى يوم القيامة»[٣].

فلو صح هذا عنه ؛ فلا يبعد أن يكون المهدي السوداني قد تأثر بالصورة التي رسمها ابن عربي عن المهدي في قوله:

«والمهدي لا يخطئ ؛ لأنه يقفو أثر رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم -، والإمام- أي المهدي- يتعين عليه عِلْمُ ما يكون بطريق التنزيل الإلهي، فما يحكم المهدي إلا بما يلقي إليه الملك من عند اللَّه الذي بعثه إليه ليسدده، فعرفنا

---

(١) راجع ص (٣٧٥)، وما بعدها.

(٢) نقلًا عن «الخصومة في مهدية السودان» ص(٢٠٠)، وفي «منشورات المهدية»: «ثم قال - أي رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم -: إنك مخلوق من نور عنان قلبي». اهـ. ص(٢٦).

(٣) «الموسوعة الميسرة» (٣١٨/١).

بذلك أنه معصوم، ولا يخطئ، ولا معنى للمعصوم في الحكم إلا أنه لا يخطئ»[١].

وابن عربي بدوره متأثر في تصوره عن المهدي بمفاهيم الشيعة عن أئمتهم، ومهديهم المزعوم.

وقال التعايشي في سياق كلام له عن المهدي: «ومعلوم أنه على نور من ربه، وتأييد من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وموعود أن يرفع المذاهب، ويطهر الأرض من الخلاف، ويعمل بالسنة، حتى لا يبقى إلا الدين الخالص، **بحيث لو كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موجودًا لأقره على جميع أفعاله**». اهـ.

ولا أدري ما الذي أحوج التعايشي إلى هذه الشرطية ما دام مهديه يتلقى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مباشرة ؟!

والأسوأ من هذا كله غلو المهدي في صديقه التعايشي إلى حَدٍّ يفوق الوصف[٢] إذ يقول مشيرًا إلى عصمته: «إن الخليفة عبدالله هو مني، وأنا منه، وقد أشار إليه سيد الوجود - صلى الله عليه وسلم -؛ فتأدبوا معه كتأدبكم معي، وسلموا له ظاهرًا وباطنًا كتسليمكم لي، وصدقوه في قوله، ولا تتهموه في فعله، فجميع ما يفعله بأمر النبي - صلى الله عليه وسلم -، أو بإذن منا، لا بمجرد اجتهاد منه، بل هو نائب عنه في تنفيذ أمره - صلى الله عليه وسلم -، والقضاء بإشارته، فإن فعله بكم، وحكمه فيكم بحسب ذلك.

واعلموا يقينًا أن قضاءه فيكم، هو قضاء رسول الله - صلى الله عليه

---

(١) انظر: ص(٤٢٥).

(٢) وقد حدث انقسام «الأُبَيِّض» الخطير بسبب هذه المكانة التي شغلها الخليفة من غير أن تكون له عراقة النسب التي كانت لغيره من كبار رجال الأنصار، انظر: «إمارة الإسلام المهدية» ص (٩٣)، و«الخصومة» ص(٢٤٣، ٢٤٧).

وسلم - كما قال - تعالى - : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

فمن كان في صدره حرج لأجل حكمه ؛ فذلك لعدم إيمانه وخروجه من الدين بسبب غفلته ، وذلك بشاهد قوله - تعالى - : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء : ٦٥] . ولا شك في شرك من استنكف عن حكم اللّٰه ، وحكم رسوله ، سيما بقوله - صلى اللّٰه عليه وسلم - : «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الخَفِيُّ» ، مع أنه خليفة الصديق ، وأول المصدقين في المهدية ، فانظروا لمكانة الصديق عند اللّٰه ورسوله بنص القرآن ، وانظروا لمن أورثه اللّٰه مكانة الصديق بالباطن - بالخضر - عليه السلام - فهو - مسدد مؤيد من اللّٰه ورسوله ، ويد من أيادي اللّٰه لنصرة دينه بإشارة سيد الوجود - صلى اللّٰه عليه وسلم - ، فحيث فهمتم ذلك ؛ فالتكلم في حقه يُورِث الوبال والخِذلان وسلب الإيمان .

واعلموا أن جميع أفعاله ، وأحكامه محمولة على الصواب ؛ لأنه أوتي الحكمة وفصل الخطاب... ولو كان حكمه على قتل نفس منكم أو سلب أموالكم ، فلا تعترضوا عليه ، ومن تكلم في حقه - **ولو بالكلام النفسي** - فقد خسر الدنيا والآخرة ! ويُخشى عليه من الموت على سوء الخاتمة - والعياذ باللّٰه - لأنه خليفة الصديق الذي قال اللّٰه في حقه : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ ، وقال - صلى اللّٰه عليه وسلم - : «مَا طَلَعَت شَمْسٌ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ» . وحيث علمتم ذلك ، فهو بمنزلته الآن ؛ لأن أصحابنا كأصحاب رسول اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - .

والمذكور خليفتنا في الدين ، وخلافته بأمر من النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - ، فمن كان منكم مؤمنًا باللّٰه واليوم الآخر ، ومصدقًا بمهديتي ، فليسلم للخليفة عبداللّٰه ظاهرًا وباطنًا ، وإذا رأيتم منه أمرًا مخالفًا في الظاهر ؛ فاحملوه على التفويض بعلم اللّٰه ، والتأويل الحسن .

وإنما أنذرتكم بهذا رحمة بكم، وشفقة عليكم، وليبلغ الشاهد منكم الغائب...

وإن الخليفة هو قائد جيوش المسلمين، وخليفتنا، والنائب عنا في جميع أمور الدين، وإياكم والوسوسة في حقه، وظن السوء به، وعدم الامتثال إليه في قوله، والمشاجرة له أو لأحكامه، ومن عاد فينتقم اللَّه منه، ويسلطه عليه.

وهذا بيان أمر اللَّه ورسوله، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

وقد أتانا خبر من الخضر - عليه السلام- أن الأولياء اجتمعوا في بيت المقدس يقولون: الحمد للَّه الذي أظهر المهدي، وجعل عبداللَّه وزيره!

ثم وجد- أي الخضر- اجتماع الشياطين، وهم يقولون: كان عيشنا بالغش والخداع، والمكر والكذب، فأتى المهدي، وقطع علينا عيشنا، ولولا أن عبداللَّه وزير له، وكان الخليفة غيره؛ لكُنا نجد في المهدية دخولًا!»[1].

٧- مَلَامِحُ الصُّوفِيَّةِ المُنحَرِفَةِ في مَنهَجِ المَهدِيِّ السُّودَانِيِّ:

لقد نشأ المهدي السوداني وترعرع في كنف المنهج الصوفي الذي تشبع به المجتمع السوداني، وكان سِمَتَهُ الغالبة، وسلك الطريقة السمانية، ولم يكن صوفيًّا معتادًا، بل رأسًا وشيخ طريقة، وقد تغلغل الفكر الصوفي في وجدانه وشكَّل هويته، وهاك بعض مظاهره:

- كانت مصادر التلقي عند المهدي انعكاسًا لصوفيته المنحرفة؛ كالكشف، والإلهام، والرؤى المنامية، والحضرات الصوفية التي يحضرها- بزعمه- الأولياء والأقطاب والأبدال، بل الرسول -صلى اللَّه عليه وسلم- والخلفاء الأربعة، ناهيك عما سبق الإشارة إليه من دعواه التلقي المباشر عن

(١) «منشورات المهدية» ص(٦٦- ٩٦)، و«منشورات الإمام المهدي» (١/ ٣٠) وما بعدها.

رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم -، بل عن اللَّه تعالى بالإلهام[١].

- أعلن المهدي حظرًا على تبادل الكتب إلا كتب الأصول ؛ كالمصحف الشريف، و«الصحيحين»، وغيرهما مما أجازه ؛ كـ«إحياء علوم الدين» للغزالي، الذي يعد دستور الفكر الصوفي[٢].

- تبنى المهدي فكرة القطبية التي يزعم الصوفية أن الكون مرتكز عليها، وأنها جوهر الكون، وعليها يدور، وأنها أساس السعادة[٣].

- عَكَسَ كلام خليفته التعايشي في عصمته، وكلام المهدي في حق التعايشي الصورة الصوفية النموذجية في علاقة المريد بشيخه، بالتسليم المطلق له، وأن يكون بين يديه كالميت بين يدي من يغسله[٤].

لقد كان المهدي ابنًا بارًّا بالصوفية، فهي التي فتحت له باب المهدية، ومنحته جواز المرور إليها، وبذلت له الأدلة والأسانيد، وكان لكتب ابن عربي[٥] الأثر البليغ في رسم صورة المهدي التي تقمصها، وتوحد معها، واستلهم منها خططه وأفكاره.

---

(١) انظر : ص (٢١٤)، وما بعدها.

(٢) وهكذا يعكس «الجفاء» بل «العداء» التقليدي بين الصوفية والعلم، وهو أشهر من أن ندلل عليه.

(٣) ولما تحركت الحكومة ؛ لضرب المهدية في جزيرة «أبا»، كتب المهدي خمس رايات رفع عليها شعار «لا إله إلا اللَّه، محمد رسول اللَّه»، وعلى أربعة منها كتب على كل واحدة منها اسم واحد من الأقطاب الأربعة المتصوفة، وهم الجيلاني، والرفاعي، والدسوقي، والبدوي، وكتب على الخامسة : «محمد المهدي خليفة رسول اللَّه». اهـ. من «الموسوعة الميسرة» (٣١٧/١)، وانظر : «إمارة الإسلام المهدية» ص (١٠٢).

وقال في أحد أوائل بياناته : «. . . وأخبرني سيد الوجود - صلى اللَّه عليه وسلم - بأني المهدي المنتظر، وخلَّفني - عليه الصلاة والسلام - بالجلوس على كرسيه مرارًا، بحضرة الخلفاء الأربعة، والأقطاب، والخضر - عليه السلام . . .» إلى أن يقول : «وفي ساحة الحرب يحضر معهم سيد الوجود - صلى اللَّه عليه وسلم - بذاته الكريمة، وكذلك الخلفاء الأربعة، والأقطاب، والخضر - عليه السلام -». اهـ. من «منشورات المهدية» ص(٢٤).

(٤) انظر : ص (٣٠١، ٣٠٢).

(٥) لقد أسهب ابن عربي في الحديث عن المهدي المنتظر، وصبغه بصبغة صوفية، حيث جعله قطبًا =

تَأَثُّرُ المَهدِيِّ السُّودَانِـيِّ بِافتِـرَاءَاتِ ابنِ عَرَبِيٍّ

لقد خلط ابن عربي خصائص وصفات المهدي التي وردت في السنة الصحيحة، بتلك التي وردت في الأحاديث الضعيفة، وأضاف إليهما أكاذيب فاحشة استمدها من «مصدر ثالث»، فكان هذا الخليط هو الأساس الذي بنى عليه المهدي السوداني دعواه، وهاك بعض هذه الأوصاف «الدخيلة» على السنة الشريفة من كلام ابن عربي[1]:

- فمن ذلك قوله: «إن لهذا الخليفة مَلَكًا يسدده من حيث لا يراه؛ أي ملك الإلهام».

- وقوله: إنه «يرفع المذاهب من الأرض، أعداؤه مقلدة العلماء؛ لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهب إليه أئمتهم».

- وقوله: «يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف إلهي، فشهداؤه خير الشهداء، وأمناؤه خير الأمناء».

- وقوله: «يعرف من الله- علم الغيب- قدر ما تحتاج إليه مرتبته؛ لأنه خليفة مُسَدَّد».

- وقوله: «يفهم منطق الحيوان، ويسري عدله على الإنس والجان، من أسرار علم وزرائه الذين استوزرهم الله له، وهم- أي الوزراء أو الخلفاء- على أقدام رجال من الصحابة، صدقوا ما عاهدوا الله عليه».

= صوفيًا، وراجت مؤلفاته التي حوت الحديث عن المهدي مثل: «الفتوحات المكية»، و«عنقاء مُغْرِب» في السودان، إلى جانب كتاب «لواقح الأنوار في طبقات الأخيار» للشعراني، وقد تأثر بهذه الكتب المهدي السوداني، والمهدي الجونبوري في «الهند»، حتى قال بعض الباحثين: إن ابن عربي مَهَّد- بهذه الكتب- الطريق للقادياني والجونبوري، خاصة في فكرة «ختم الولاية»، و«نبوة الأولياء»، وانظر: «فرق الهند» ص(٣٠٦- ٣١٢، ٣١٣).

(١) كما وردت في «الفتوحات المكية» (٣/٣٢٧- ٣٣٥)، وليكن منك على ذُكْرٍ قول ابن عربي في شأن «فتوحاته» هذه: «إنما الحق يُملي لنا على لسان مَلَك الإلهام جميع ما نسطره». اهـ. (٢٨٧/١).

- وقوله : «وهو أعلم الخلق باللَّه ، ولا يكون في زمانه ، ولا بعد زمانه أعلم باللَّه منه ، فهو والقرآن أخوان ، كما أن السيف والمهدي أخوان ، والمهدي حجة اللَّه على أهل زمانه ، وهي درجة الأنبياء» .

- وقوله : «والمهدي لا يخطئ ؛ لأنه يقفو أثر رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - ، والإمام - أي المهدي - يتعين عليه عِلم ما يكون بطريق التنزيل الإلهي ، فما يحكم المهدي إلا بما يلقي إليه المَلك من عند اللَّه الذي بعثه إليه ؛ ليسدده ، فعرفنا بذلك أنه معصوم ، ولا يخطئ ، ولا معنى للمعصوم في الحكم إلا أنه لا يخطئ» .

إن هذه الافتراءات تفوح منها رائحة مميزة يدركها كل خبير بالمذهب الشيعي الرافضي ، فقد استمدها ابن عربي من «أكذب» الفرق الضالة الشيعة الرافضة[1] ، وكانت كتب ابن عربي «القنطرة» التي عبرت عليها الأفكار الشيعية إلى العقول الصوفية .

ولقد تكلف المهدي السوداني ، وأرهق نفسه ، وأرهق معها الآخرين ، في محاولة تقمص هذا التصور الغريب لشخصية المهدي التي رسمت ملامحَها كتاباتُ ابنِ عربي ، وإنَّ تقبله افتراءات ابن عربي يزعزع - بل يزلزل - الثقة في المستوى العلمي الذي بلغه المهدي السوداني ، ويكشف أنه «متواضع» إلى حدٍّ كبير ، ويجعله أدنى من مستوى رجل من عوام أهل السنة ؛ لأن هذا العامي لم يتورط في كبيرة القول على اللَّه بغير علمٍ ، كما يجسد لنا خطر الفكر الصوفي الدخيل على الإسلام ، وكيف أن «احتكار» الصوفية لمنابع التعليم والتربية في البيئة السودانية المنغلقة على نفسها في ذلك الوقت يكمن وراء انحصار المهدي السوداني في دائرة تأثيرها ، وحرمانه من تأثير حركات إسلامية معاصرة له مارست دورًا تجديديًا حقيقيًا وعميقًا أعني حركة شيخ الإسلام محمد بن

(١) انظر كتابي «فقه أشراط الساعة» ص(١٦٧ - ١٧٦) لتقف على رسوخ الرافضة في رذيلة الكذب وقول الزور .

عبدالوهاب - رحمه اللَّه - ، ثم الحركات التي نسجت على منواله ، ومشت على دربه .

- **فإن قال قائل** : إذا كان المهدي السوداني صوفيًّا لحمًا ودمًا ، فلماذا إذن ألغى الطرق الصوفية ؟

فالجواب - والعلم عند اللَّه تعالى - :

أن هذا لا يعني بالضرورة تخليه عن «الفكر» الصوفي ، وانحيازه إلى منهج أهل الحديث ، أهل الحق ، أهل السنة والجماعة ، فإن هذه الخطوة كانت «تكتيكية» ولم تكن «استراتيجية» ، بمعنى أن مقصوده كان توحيد الطرق المتعددة في طريقته المتفردة ، كي تدور الحركة حول قطب واحد ، لا أقطاب متعددة ، متنافرة ، ولا شك أن طريقته المتفردة هي الطريقة الصوفية التي يدين لها بالولاء ، وينطلق من مفاهيمها ، ويحترم مرجعيتها ، وعلى أساسها بنى دعواه المهدية وغيرها من الدعاوى والمجازفات(١) .

لقد ظل الأساس الصوفي الذي قامت عليه دعوته ملازمًا له طول حياته ، وبقي كامنًا في عقله ووجدانه إلى آخر عمره(٢) ، وكان يلجأ إليه أحيانًا في محاجة أعدائه وخصومه كما تفصح عنه مكاتباته ومواقفه .

ولم يثبت بصورة حاسمة أنه تخلى أو تراجع أو تبرأ من ضلالات الصوفية ، وهو - وإن كان رفع شعار «الكتاب والسنة» فقط لا غير - فقد كان لسان حاله يقول : «الكتاب والسنة بفهم الصوفية» ، وكيف يتخلى عن هذا المنهج الصوفي وهو أساس دعوته وجوهرها ، فإننا لو خلعنا عن دعوته الملامح الصوفية ؛ «كالتلقي عن الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - مباشرة يقظةً ، وتنصيبه إياه مهديًّا ، وحكمه أن من خالف مهديته فقد كفر ، واستناده إلى الكشف والإلهام ....» إلى آخر ما ذكرناه سابقًا ؛ لبقيت دعواه المهدية خواءً ، ولانهارت مهديته من أساسها ،

---

(١) انظر : «الخصومة» ص(٢٠٣ ، ٢٠٤) .

(٢) انظر : «الأصول الفكرية» ص(١٥٨) .

وصار - من هذه الحيثية - كغيره من مدعي المهدية سواءً بسواء .

٨- مَوقِفُهُ مِنَ الخِلَافِ الفِقهِيِّ والمَذَاهِبِ الفِقهِيَّةِ :

بما أن المهدي كان - في زعمه - يتصل برسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - مباشرة ، ويتلقى عنه ، ويتحدث باسمه ؛ كقوله : «أخبرني سيد الوجود - صلى اللَّه عليه وسلم -» ، وقوله : «إن أمرنا ناشئ عن إلهام صائب مع المشورة المسنونة»[(١)] ؛ فإنه كان يرى في نفسه أنه في وضع يُمَكِّنُه من استنباط الأحكام ، ومن ثم لم يتقيد بمذهب خاص في أحكامه ، كما أهدر أي اجتهادٍ آخر يخالف آراءه ، وطرح العمل بالمذاهب الأربعة ، وقد سئل مرة : «معلوم أن المذاهب

(١) «أصدر المهدي أحكامه في الموضوعات المختلفة معتمدًا في ذلك على مقتطفات من الآيات والأحاديث النبوية مما يتفق مع أحكامه ، ومعتمدًا أيضًا على أوامر الرسول له في الرؤى الإلهامية المختلفة التي كان يعلنها في منشوراته من حين لآخر ، ومؤيدًا آراءه كذلك بالأقوال المأثورة للصحابة وأقطاب المتصوفين : « . . . إني لا أفعل شيئًا إلا بأمر النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - ، أو ملك الإلهام مأذونًا من النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - . . لكن لا يخفى عزيز علمكم أن العلماء ينكرون من أمور المهدي ، لأنه ليس على معتقدهم الذي يظنونه ، وأنه يخالف مذاهبهم ، فلمهديتي من اللَّه دلايل ، من شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، ومنها ينبئكم بعد معلوميته عن المهدي للعلماء اختلاف الروايات وكثرة الأقوال عن أهل الكشف ، والمعلوم أن من علمه اللَّه في أزله لا يكون على هذه الروايات الكثيرة ، وقد وردت فيه أحاديث منها المقطوع والموضوع والضعيف ، بل الحديث الصحيح ينسخه الحديث الصحيح ، كما أن الآيات تنسخها الآيات ، والتصديق بأمر المهدية صعب ، لا يتوقف له إلا من أدركه اللَّه بسابق سعادة ، لأنه لا يهتدي إلى معرفته حقيقة إلا الأولياء العارفون الذين لم يحجبوا عن رؤية نبيهم - صلى اللَّه عليه وسلم - . . . » .
كان المهدي هو المصدر الوحيد لتفسير الشريعة الإسلامية وأحكامها ، لذلك صار هو أيضًا مصدر القانون في المهدية ، ولا سبيل إلى نقض أحكامه ، وجاء تفسير موقف المعارضين بقوله :
« . . . وقد كَشَفَ لي يوم القيامة (يقصد الرسول) أن الترك الذين قتلتهم شَكَوْا للحق عز وجل ، وقالوا : يا إلهنا ويا مولانا الإمام المهدي قتلنا من غير إنذار ، فأقول : يا رب أنذرتهم ، وأعلمتهم ، فلم يقبلوا قولي ، وتبعوا قول علمائهم ، وصالوا علينا ، وحضر على ذلك شاهد سيد الوجود - صلى اللَّه عليه وسلم - ، وقال لهم : ذنبكم عليكم الإمام المهدي أعلمكم ، وأنذركم ، فما قبلتم له ، وسمعتم قول علمايكم ، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ، وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين ، وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين . . . » اهـ «الإمارة الإسلامية المهدية» ص (٣٦٣، ٣٦٤) .

أربعة : الحنفي ، والشافعي ، والمالكي ، والحنبلي ، فما مذهب المهدي ؟ » فقال : « هؤلاء الأئمة - جزاهم اللَّه - دَرَّجوا الناس ، ووصلوا إلينا ، فجزاهم اللَّه خيرًا ، فهم رجال ونحن رجال ، ولو أدركونا لاتبعونا[١] ، وإن مذهبنا هو الكتاب والسنة والتوكل على اللَّه ، وقد طرحنا العمل بالمذاهب ورأي المشايخ »[٢] .

هكذا - وبجرة قلم - أبطل المهدي العمل بالمذاهب ! وأحل محلَّها مذهبه الخاص به ، وهذه من أشنع مجازفاته ، التي يتجلى فيها مفهومه السطحي لقضية الخلاف الفقهي ، ومبلغه من علم الشريعة ، ولا يبعد أن يكون قد تأثر في ذلك بقول ابن عربي في شأن المهدي : « يرفع المذاهب من الأرض ... أعداؤه مقلدة العلماء ؛ لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهب إليه أئمتهم ... وهو أعلم الخلق باللَّه ... ولا يكون في زمانه ، ولا بعد زمانه أعلم باللَّه منه ... والمهدي حجة على أهل زمانه . . وهي درجة الأنبياء » . اهـ[٣] .

وابن عربي نفسه يسد علينا باب الاستفسار عن مستنده في هذه الدعاوى ؛ لأنه ادعى أن ما يكتبه ليس عن روية وفكر ، وإنما هو نفثٌ روعي على يد « مَلَكِ الإلهام » ، من إملاءٍ إلهي ، وإلقاء رباني ، أو نفث روحاني ، يقول ابن عربي : « إن ترتيب « الفتوحات المكية » لم يكن لي من اختيار ، ولا عن نظر فكري ، وإنما الحق يملي لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره » . اهـ[٤] .

ويقول - أيضًا - : « إني رأيت رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - في مبشِّرة أُريتها في العشر الأواخر من المحرم سنة ٦٢٧هـ بدمشق ، وبيده كتاب ، فقال : هذا كتاب « فصوص الحكم » ، خذه واخرج به إلى الناس » . اهـ[٥] .

---

(١) وانظر : « الخصومة » ص(٢٠٤ ، ٢٠٥) .

(٢) انظر : « ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر » ص(٣٩٣) .

(٣) « الفتوحات المكية » (٣/٣٢٨) .

(٤) « نفس المرجع » (١/٢٨٧) .

(٥) انظر : « الأصول الفكرية » ص(١٤٥) .

كذلك يوصد المهدي نفسه في وجهنا باب الاستفسار عن مؤهِّلاته العلمية التي رَقَّته إلى منزلة إمام الأئمة المجتهد المطلق الذي يقلده أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، فضلًا عمن عداهم؛ لأن المؤهل الوحيد له هو: دعوى الإلهام، والتلقي المباشر عن المعصوم - صلى اللَّه عليه وسلم -، إذن ليس لنا أن نتساءل عن حظه من علوم الحديث والفقه والتفسير وأصول الفقه... إلى آخر هذه العلوم الضرورية للاجتهاد؛ لأنه هكذا - وبضربة حظ - نال علمًا وهبيًّا يغنيه عن «قال، وحدثنا»، ويحميه من أن يحاسَبَ: «من أين لك هذا؟».

إن هذا فعل «الحواة» المهرة، وليس فعل أئمة الهدى!

ينبغي أن تُقَوَّمَ هذه الحركة على أساس العلم الصحيح، لا على أساس دعاواه ومجازفاته؛ لأننا - وببساطة - نقطع بأنه ليس المهدي المنتظر طبقًا للأدلة الشرعية والحسية والواقعية، وما ادعاه وهوَّش به وهدَّد من لا يقر بمهديته المزيفة كَلَا شيء عند العالم المحقق، والناقد البصير، وإنما ينطلي على ضعاف العقول، وخفافيش البصائر.

أما هؤلاء الذين غضوا الطرف عن تجاوزات المهدي ومغالطاته، وسلطوا الضوء على إنجازاته وخاصة في محاربة الإنكليز، وامتدحوا منهجه بأنه «كان سلفيًّا متأثرًا بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب»، وادَّعوا أن من أدلة سلفيته المزعومة أنه أبطل العمل بالمذاهب الفقهية، وفتح باب الاجتهاد في الدين؛ **فقد أخطئوا من طريقين**:

الأول: أنه حين ألغى المذاهب الفقهية الأربعة أبدلها بمذهبه الشخصي المُحْدَثِ تحت ستار القرآن والسنة بفهمه هو، أو تحت ستار دعوى الإلهام، ليس هذا فحسب، بل إنه خلع رتبة الإمام المعصوم على صاحبه التعايشي، الذي لم يكن له حظ يذكر من العلم الشريف، بل قيل: إنه كان يشتغل بالسحر والتنجيم[1]، **وغلا فيه حتى قال في حقه**:

(١) كما في «الأصول الفكرية» ص(١٥٤)، هامش رقم (٨١).

«... فجميع ما يفعله بأمر النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - ، أو بإذن منا ، لا بمجرد اجتهاد منه ، بل هو نائب عنه في تنفيذ أمره - صلى اللَّه عليه وسلم - ، والقضاء بإشارته... واعلموا يقينًا أن قضاءه فيكم ، هو قضاء رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم -... فمن كان في صدره حرج لأجل حكمه ؛ فذلك لعدم إيمانه ، وخروجه من الدين بسبب غفلته» إلى أن قال : «... فحيث فهمتم ذلك ؛ فالتكلم في حقه يورث الوبال والخِذلان وسلب الإيمان ، واعلموا أن جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب ؛ لأنه أوتي الحكمة وفصل الخطاب... ولو كان حكمه على قتل نفسٍ منكم ، أو سلب أموالكم ، فلا تعترضوا عليه ، ومن تكلم في حقه ، ولو بالكلام النفسي ؛ فقد خسر الدنيا والآخرة ، ويُخشى عليه من الموت على سوء الخاتمة ، والعياذ باللَّه» . اهـ[1] . مختصرًا .

إذن فدعوته إلى إلغاء العمل بالمذاهب ليست مما يُفرح به ، ولأن يبقى مقلدًا محصورًا في اجتهادات المذاهب المحررة ، خير وأسلم وأهون من أن يستبدل بها مذهبه المبني على دعوى الكشف والإلهام ، لا يَخْطِمُه خِطام ، ولا يَزُمُّه زِمام ، ولا يحكمه لجام .

الثاني : أن من الخطإ الربطَ بين رفض المذاهب الفقهية وجحودها وبين السلفية ، فالسلفية الحقة تعرِف للأئمة قدرهم ، وتنهل من علمهم ، ولا تتعصب لأحد منهم ، ولا ترى بأسًا في التمذهب بأحد المذاهب الفقهية ، وإنما البأس في تقديم أقوال الرجال على قول الصادق المصدوق - صلى اللَّه عليه وسلم - ، وإن أئمة المذاهب هم أنفسهم من أئمة أهل السنة والجماعة ، وحراس منهجم ، تجمعهم راية واحدة في الأصول ، وإن اختلفوا في الفروع ، وقد تواترت النقول عنهم في وجوب اتباع الدليل من الكتاب والسنة ، ونبذ أقوالهم إذا خالفتهما .

وليس أدل على ما ذكرنا من أن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وسائر

---

(١) راجع هامش ص(٣٢٨) .

علماء الدعوة الوهابية المباركة كانوا حنابلة على مذهب الإمام أحمد- رحمه اللَّه تعالى- ، والشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يدَّعِ الاجتهاد ، ولا دعا أحدًا إلى تقليده ، قال الشيخ عبداللَّه ابن الشيخ محمد في رسالته التي كتبها لما دخلوا مكة سنة ١٢١٨هـ :

«ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ، ولا أحد لدينا يدَّعِيها ، إلا أننا في بعض المسائل إذا صح لنا نصٌّ جلي من كتاب أو سنة غيرُ منسوخ ولا مُخَصَّصٍ ولا معارَضٍ بأقوى منه ، وقال به أحد من الأئمة الأربعة ؛ أخذنا به ، وتركنا المذهب ، كإرث الجد والإخوة ، فإنا نقدم الجد بالإرث ، وإن خالف مذهب الحنابلة» .

وقال أيضًا- رحمه اللَّه- :

«ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض ، فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد ، وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم في بعض المسائل مخالفين للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه»[1] .

٩- اجتِهَادَاتُهُ الفِقهِيَّةُ الغَرِيبَةُ، وإلزَامُهُ النَّاسَ بِهَا:

إن اجتهاد المهدي[2] ليس الاجتهاد الذي تنصرف إليه الأذهان عند إطلاق هذه الكلمة ، إنه اجتهاد من نوع خاص ، إنه اجتهاد يخدم ثورته ، ويدعم دولته قبل أي شيء آخر ، وأسوأ ما في الأمر أنه حَجَرَ على الناس ، وألزمهم إلزامًا باختياراته التي نسبها إلى النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - ، بل تهدد وتوعد من يخالفه ، كما مرت أمثلة ذلك مرارًا .

جاء في منشور «حياة الدين الكبرى» الصادر في ذي الحجة سنة ١٣٠١هـ

---

(١) «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» د . صالح العبود ، ص(٢٢١) .

(٢) اعلم أنه كان يرفض أن يوصف بالاجتهاد، بل بحكم تلقيه - في زعمه - عن الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - مباشرة، فإن أحكامه تكتسب العصمة من الخطأ، ويسقط عنه الاجتهاد بالرأي- انظر: «الخصومة» ص(٨٤).

قوله لأنصاره :

«والذي ينقذكم من الهلاك ، ويورثكم عظيم المكانة عند اللَّه ، هو أن تتركوا معارفكم السابقة ، وتصغوا لدلالتي بأذن واعية حيث وجب عليكم ذلك ، ولزمكم الانقياد لي ، والخروج عما عندكم» . اهـ[(١)] .

يقول الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم :

«المهدي يتخذ الأحكام التي كانت سوف تصدر من الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - إزاء النوازل إذا عرضت عليه، وأحكامه لذلك أحكام لا يأتيها الباطل من أي وجه . .

وإذا كانت أحكامه من الرسول، وبالإلهام، وعن طريق مَلَك، فإنه ليس مجتهدًا ، والحكم الوارد من الرسول هو الحكم الحق ، أما حكم المجتهد فقابل للصواب والخطأ ؛ لأنه اجتهاد بشري .

والمهدي ليس إمامَ - أي مجدد - القرن ؛ لأن إمام القرن مجتهد أصلًا . . . وهو ليس مصلحًا ؛ لأن المصلح أيضًا مجتهد .

وهو ليس صاحب الوقت، وليس قطبًا ولا غوثًا ؛ لأنه فوق هاتين الصفتين ، والعامي من أتباعه في رتبة القطب والغوث ، وهو أيضًا أعلى من ختم الولاية ؛ لأن المهدية فوق الولاية»[(٢)] .

١٠- ومما أخذ على المهدي السوداني ، وعُدَّ أكبر نقطة ضعف فيه ؛ الجهل بالعالم الخارجي ، وعدم إدراك ما يدور فيه ، مما أثر في تقديره لحجم قوة عدوه، وإلمامه بالحركات الإصلاحية والتيارات السياسية والاجتماعية في العالم الإسلامي[(٣)] .

❁ ❁ ❁

---

(١) «منشورات المهدية» ص(٤٨) .

(٢) «الخصومة» ص(١٩٨ ، ١٩٩) .

(٣) «نفسه» ص(١٥٧) .

ومِن مُدَّعي المهدية :

(٢١) مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللَّهِ القَحطَانِيُّ (ت ١٤٠٠هـ)

الذي قاد المجموعة المسلحة التي استولت على الحرم المكي الشريف في مستهل عام ١٤٠٠هـ حيث أغلقوا أبواب المسجد أثناء تأدية المصلين صلاة الفجر ، وبمجرد انصراف الإمام من الصلاة صاح صائحهم : «اللَّه أكبر... ظهر المهدي» ، ثم أخذوا يذيعون بيانات من مكبر الصوت فيها ما ظنوه أدلة على أن زعيمهم هو «المهدي المنتظر» ، وادَّعوا انطباق الصفات الواردة في الأحاديث عليه ، ثم استندوا إلى زعم تواتر رؤى منامية تؤكد ما قالوه[1] ، وقاموا بمبايعته بين الركن والمقام ، وإذا بالجميع يفاجَئون بالطلقات النارية تُتبادل داخلَ المسجد وخارجه ، وتتصاعد الفتنة حين تحلق الطائرات فوق الحرم لتقصف المآذن التي تحصن بها هؤلاء المسلحون ، وتدور المعارك العنيفة أيامًا متوالية تزلزل فيها البلد الأمين ، وتزلزلت معه قلوب المؤمنين في شتى أرجاء المعمورة غضبًا على كل من انتهك حرمة البلد الحرام ، والشهر الحرام ، والمسجد الحرام ، والدم الحرام ، ويستمر القتال والإلحاد في الحرم ، حتى ينتهي باستسلام بقايا أولئك

---

(١) راجع كتابي «أصول بلا أصول» ص(٢٤)، وقد قال العلامة ابن باز - رحمه اللَّه - إبان تلك الفتنة : «أما اعتماد المنامات في إثبات كون فلان هو المهدي ، فهو مخالف للأدلة الشرعية ، وللإجماع أهل العلم والإيمان ؛ لأن المرائي مهما كثرت لا يجوز الاعتماد عليها في خلاف ما ثبت به الشرع المطهر ؛ لأن اللَّه - سبحانه - أكمل لنبينا محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ولأمته الدين ، وأتم عليهم النعمة قبل وفاته - عليه الصلاة والسلام - ثم إن المهدي قد أخبر النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - أنه يحكم بالشرع المطهر ، فكيف يجوز له ولأتباعه انتهاك حرمة المسجد الحرام ، وحرمة المسلمين ، وحمل السلاح عليهم بغير حق؟» . اهـ . «جريدة عكاظ» ، ١٨ من المحرم ١٤٠٠هـ.
ونضيف أن الأمور الكونية القدرية - ومنها أشراط الساعة - واقعة لا محالة ، ولم يكلفنا اللَّه - عزَّ وجلَّ - بإيجادها ، وتعوُّذُ رجل بطائفةٍ في البيت ، وبيعته بين الركن والمقام من الجائز عقلًا أن يقعا بتدبير من البشر ، كما أن المرائي المنامية يمكن أن تصدر عن حديث نفس أو وساوس شيطانية ، إن المهدي الحقيقي تصنعه المهدية التي كتب اللَّه له ، ولا يصطنع هو المهدية .

المتأولين الذين شُبِّه عليهم، وظنوا أن زعيمهم هو المهدي الذي جاءت فيه الرواية[١]، بعد أن قُتل مهديهم، ونُشرت صورةُ جثته.

فإلى اللَّه المشتكى من علم ناقص، وتأويل مُضِل، وعاطفة هوجاء، وإهدارٍ للاعتبار بالأشباه والنظائر في التاريخ القريب والبعيد[٢]، واستبداد بالرأي بمعزل[٣]

---

(١) قال ابن سعد في «الطبقات»: أخبرنا الواقدي، قال: سمعت مالك بن أنس يقول: خرج محمد بن عجلان مع محمد بن عبد اللَّه بن حسن حين خرج بالمدينة، فلما قُتل محمد بن عبد اللَّه، وولي جعفر بن سليمان بن علي المدينة بعث إلى محمد بن عجلان، فأُتي به، فبكَّته، وكلمه كلامًا شديدًا، وقال: «خرجتَ مع الكذاب»، فلم يتكلم محمد بن عجلان بكلمة إلا أنه يحرك شفتيه بشيء لا يُدْرَى ما هو؟ فيُظَن أنه يدعو، فقام جعفر بن سليمان - من فقهاء أهل المدينة - وأشرافُهم، فقالوا: (أصلح اللَّه الأمير! محمد بن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدها، وإنما شُبِّهَ عليه، وظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية)، فلم يزالوا يطلبون إليه حتى تركه». اهـ. وانظر: «الوسيط في أدباء شنقيط» ص (٣٥، ٣٨)، و«المختار المصون من أعلام القرون» (١٨٨٦/٣).

(٢) فما من شك أن القوم لو استنطقوا هذا التاريخ لأخبرهم عن كثيرٍ سبقوهم في هذا الطريق، ولَكَبَحَ جماحَهم حصادُ فتن مدعي المهدية، وما أكثرهم!.

(٣) قال عمر بن عبد العزيز - رحمه اللَّه تعالى -: «إذا رأيت قومًا يتناجَوْنَ في دينهم بشيء دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة». رواه اللالكائي في «أصول الاعتقاد» (١٣٥/١)، (٢٥١)، ففي مثل هذه الفتنة لو نوقشت المسألة في وَضَح النهار وفي الهواء الطلق؛ لسارع العلماء بتذكيرهم بالأحاديث الصحيحة الصريحة في النهي عن حمل السلاح في الحرم، أو ربما وعظوهم بما روى حفص ابن غياث قال: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد اللَّه، إن الناس قد أكثروا في المهدي، فما تقول فيه؟ قال: «إن مَرَّ على بابك، فلا تكن منه في شيء حتى يجتمع الناس عليه». رواه أبو نعيم في «الحلية» (٣١/٧).

أو ربما أشاروا عليهم أن يصعد مهديهم المزعوم فوق سطح الحرم الشريف، فإن قُتل بان أنه ليس المهدي الحقيقي الذي سيملك سبع سنين، وعُصمت الدماء التي أريقت، ولهذا «الاختبار» لحقيقة مدعي المهدية أصل في حديثين شريفين:

الأول: وهو من أعلام نبوته - صلى اللَّه عليه وسلم -، فعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: «لما فتحت خيبر أُهديت لرسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - شاةٌ فيها سم، فقال رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم -: «اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ مِنَ اليَهُودِ هَهُنَا»، فسألهم النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - عن أشياء، ثم قال لهم: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُم عَنْهُ؟» قالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال: «هَلْ جَعَلْتُمْ في هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟» فقالوا: نعم، فقال: «فَمَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟» فقالوا: أردنا إن كنت كاذبًا أن نستريح منك، وإن كنت نبيًّا لم يضرَّك». رواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٨٢٦)، =

عن مشورة أهل العلم والإيمان ؛ افتئاتًا على أخص خصائص الموقعين عن رب العالمين ، أعني : الإفتاء في النوازل الكبرى ، والتبصر في الفتن التي إذا أقبلت عرفها كل عالم ، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل .

ويا أسفا على «سلفية» مزعومة تنساق وراء التقليد الأعمى ، وتحذو حذو الصوفية ، فتنصاع لمنهجهم السقيم في تغييب بصيرة النقل والعقل باقتياد الناس عبر «المنامات» كأنها وحي مُنزل ، ولو أدى بهم ذلك إلى فتح ذريعة تلك الفتنة العظمى ، التي انتُهِكت فيها حرمات بعضُها أعظم من بعض :

أولها: حرمة البلد الأمين، وبيتِ اللَّه الحرام:

الذي قال فيه - تبارك وتعالى - : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران : ٩٦، ٩٧] ، أي : ومَن دخله ، فأمنوه .

وأقسم به - سبحانه - فقال عزَّ مِن قائل - : ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد : ١] ، وقال - تعالى - : ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين : ٣] .

ورفع شأنه ، واختاره على سائر بلاد الأرض ، وحرَّمه بنفسه - جل وعلا - ، فقال : ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ [النمل : ٩١] .

وعن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - : قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- : «إِنَّ هذا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضَ ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا

= والبخاري (٤/٦٦) ، ومسلم (٢١٩٠) ، وانظر «سنن أبي داود» (٤٥١٠) .

والثاني : أنه كان بالمدينة رجل يهودي يُدعى ابن صياد ، وكان شبيهًا بالدجال في كثير من صفاته ، وكان - صلى اللَّه عليه وسلم - متشككًا في أمره ، حيث لم ينزل عليه وحي بذلك ، وكان عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - يجزم بأنه المسيح الدجال ، وكذلك ابن عمر ، ولما لقيه النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - ، قال عمر - رضي اللَّه عنه - : «ذرني يا رسول اللَّه أضرب عنقه» ، فقال له رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - : «إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ لَا يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ في قَتْلِهِ» . رواه مسلم في صحيحة (٤/٢٢٤٤) ، (٢٩٣٠) .

سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١) الحديث .

وعن أبي شريح العدوى - رضي اللَّه عنه - قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَمًا ، وَلَا يَعْضِدَ فِيهَا شجرةً ، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقتالِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - ، فَقُولُوا لَهُ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ ، لِيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»(٢) .

وعن جابر - رضي اللَّه عنه - قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «لَا يَحِلُّ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَحْمِلَ السِّلَاحَ بِمَكَّةَ»(٣) .

ولقد توعد - تبارك وتعالي - كلَّ من يُلْحِدُ في حَرَمِهِ بأشد العذاب ، فقال - جل وعلا - : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج : ٢٥] .

وعن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - : قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ : مُلْحِدٌ في الحَرَمِ ، وَمُبْتَغٍ في الإِسْلَامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ ؛ لِيُهْرِيقَ دَمَهُ»(٤) .

وقال ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - لعبد اللَّه بن الزبير - رضي اللَّه عنهما - : «يا بن الزبير ! إياك والإلحاد في حرم اللَّه - تعالى - ، فإني سمعت رسول اللَّه -

---

(١) رواه البخاري (٤/٤٠) في الحج ، باب لا ينفر صيد الحرم ، وباب فضل الحرم ، وفي الجنائز والبيوع والمغازى ، ومسلم (١٣٥٣) ، في الحج ، باب تحريم مكة وصيدها ، والنسائي (٥/ ٢٠٣ ، ٢٠٤) ، في الحج باب حرمة مكة ، وباب تحريم القتال فيها ، وباب النهي أن ينفر صيد الحرم .

(٢) رواه البخاري (١/ ١٩٧ ، ١٩٨- فتح) في العلم ، باب ليبلغ الشاهد الغائب ، وفي الحج ، وفي المغازي ، ومسلم (١٣٤٥) في الحج ، باب تحريم مكة وصيدها ، والترمذي (٨٠٩) في الحج ، باب ما جاء في حرمة مكة ، ورقم (١٤٠٦) في الديات ، باب ما جاء في حكم دية القتيل في القصاص والعفو ، والنسائي (٥/ ٢٠٥ ، ٢٠٦) في المناسك ، باب تحريم القتال في مكة .

(٣) رواه مسلم (١٣٥٦) في الحج ، باب النهي عن حمل السلاح بمكة بلا حاجة .

(٤) رواه البخاري (١٢/ ١٨٥ ، ١٨٦) في الديات ، باب من طلب دم امرئ بغير حق .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - يقول : «إِنَّهُ سَيُلْحِدُ فِيهِ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، لَوْ تُوزَنُ ذُنُوبُهُ بِذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ لَرَجَحَتْ ، فَلْتَنْظُرْ ، لَا تَكُنْهُ»(١) .

وقال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «الكَبَائِرُ تِسْعٌ» الحديث ، وفي آخره : «وَاسْتِحْلَالُ الْبَيْتِ الحَرَام ، قِبْلَتِكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا» وفي رواية : «وَإِلْحَادٌ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ قِبْلَتِكُمْ» الحديث(٢) .

وثانيها : حُرمة الشهر الحرام :

الذي قال فيه - تعالى - : ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ﴾ [التوبة : ٣٦] ؛ هي ذو القَعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجبُ مُضَر ، ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ ؛ أي : في هذه الأشهر خاصة لما لها من مزية ، وإن كان الظلم غير جائز في غيرها ، وقيل : «لا تظلموا فيهن أنفسكم بارتكاب الذنوب ؛ لأن اللَّه إذا عَظَّم شيئًا من جهة واحدة ، صارت له حرمة واحدة ، وإذا عظَّمه من جهتين ، صارت حرمته متعددة ، فيضاعف فيه العقاب ، كما يضاعف الثواب حسب نوع العمل»(٣)

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» : «رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح» . اهـ . (٢٨٤/٣) ؛ وقال الشيخ أحمد شاكر في «تحقيق المسند» (٦٢٠٠) : «إسناده صحيح» .

(٢) رواه من حديث عبيد اللَّه بن عمير عن أبيه - رضي اللَّه عنه - : أبو داود (٢٨٧٥) في الوصايا ، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم ، وفي سنده عبد الحميد بن سنان لم يوثِّقه غير ابن حبان ، وقال البخاري : «في حديثه نظر» ، وكذا رواه الطحاوي في «المشكل» (٣٨٣/١) ، والحاكم (٥٩/١) ، (٢٥٩/٤) ، والبيهقي (٣/ ٤٠٨ ، ٤٠٩) ، وأما رواية : «وَإِلْحَادٌ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ قِبْلَتِكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا» ، فأخرجها البيهقي من طريق أيوب عن طيسلة بن علي عن ابن عمر ؛ وأيوب بن عتبة قال فيه الحافظ : «وهو ضعيف ، وقد اختُلِفَ عليه فيه» . اهـ . من «تلخيص الحبير» (١٠١/٢) ، وطيسلة بن علي ذكره ابن حبان في «الثقات» (٩٩/١) ، وبقية رجاله ثقات ، وانظر : «إرواء الغليل» (١٥٤/٣-١٥٦) .

(٣) «الجامع لأحام القرآن» للقرطبي (١٣٤/٨) ، وانظر : «حرمة أهل العلم» للمؤلف ص (٩) .

وثالثها: حرمة دماء المسلمين:

عن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - : قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ في فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرامًا»(١).

وعن أبي الدرداء - رضي اللَّه عنه - قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «لَا يَزَالُ المُؤْمِنُ مُعْنِقًا(٢) صَالِحًا، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا، فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ(٣)»(٤).

وعن عبداللَّه بن عمرو - رضي اللَّه عنهما - قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِم»(٥).

وفي رواية: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ».

وعن عبادة بن الصامت - رضي اللَّه عنه - قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا فَاغْتَبَطَ(٦) بِقَتْلِهِ،

---

(١) رواه البخاري (١٢/١٦٥) في الديات، في فاتحته، وزاد بعده: وقال ابن عمر: «إن من وَرَطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفكَ الدم الحرام بغير حِلِّهِ».

(٢) المُعْنِق: الطويل العنق، الذي له سوابق في الخير، والإعناق: ضرب من السير سريع وسيع؛ والمراد به: خِفَّة الظهر من الآثام، يعني: أنه يسير سير المخفّ.

(٣) بَلَّح: أعيا، وانقطع.

(٤) رواه أبو داود (٤٢٧٠) في الفتن، باب في تعظيم قتل المؤمن، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥٧٠).

(٥) رواه الترمذي (١٣٩٥) في الديات، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن، والنسائي (٧/ ٨٢، ٨٣) في تحريم الدم، باب تعظيم الدم، وقال الترمذي: «وقد روي موقوفًا عليه، وهو أصح». اهـ. (٤/١٦)، وانظر: «غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام» ص (٢٥٣).
والرواية الثانية أخرجها ابن ماجه (٢٦١٩) من حديث البراء - رضي اللَّه عنه -، وصححه الألباني - رحمه اللَّه - في «صحيح الجامع» (٥/١٦) (٤٩٥٤).

(٦) اغتبط: سُرَّ، وفرح، قال يحيى بن يحيى الغسَّاني عن قوله: «اغتبط بقتله»، قال: «الذين يقاتلون في الفتنة، فَيَقْتُل أحدُهم، فيرى أنه على هدى، لا يستغفر اللَّه»؛ يعني: من ذلك، وذلك بخلاف ما إذا حزن لقتله، وندم عليه. وجاء في «معالم السنن» للخطابي بلفظ: «فَاعْتَبَطَ»، أي: قتله ظلمًا، لا عن قصاص، يقال: عَبَطْتُ الناقة واعتبطتها: إذا نحرتها من غير داءٍ، أو آفةٍ تكون بها. وانظر: =

لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا[١]، ولا عَدْلًا »[٢].

وعن أبي بكرة - رضي اللَّه عنه - قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «إِذَا شَهَرَ المُسْلِمُ عَلَى أَخِيهِ سِلَاحًا ، فَلَا تَزَالُ مَلَائِكَةُ اللَّهِ تَلْعَنُهُ ، حَتَّى يَشِيمَهُ[٣] عنه »[٤].

وعن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : «يَجِيءُ المَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ ، وَأَوْدَاجُهُ[٥] تَشْخُبُ[٦] دَمًا ، فَيَقُولُ : (يَا رَبِّ ! سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي ؟) حَتَّى يُدْنِيَهُ[٧] مِنَ الْعَرْشِ »[٨].

وعن نافع قال : «كان ابن عمر يسلِّم على الخشبية[٩] والخوارج ، وهم يقتتلون ، وقال : من قال : حيَّ على الصلاة ، أجبتُه ، ومن قال : حيَّ على قتل أخيك المسلم ، وأخذِ ماله ، فلا »[١٠].

وعن عاصم : أن مروان قال لابن عمر - يعني : بعد موت يزيد - : «هلم يدك نبايعك ، فإنك سيدُ العرب وابنُ سيدِها» ، قال : «كيف أصنع بأهل المشرق ؟» ،

= «جامع الأصول» (١٠/٢٠٧ ، ٢٠٨) ، وقيل : اعتبط : صَبَّ دمه صبًّا .

(١) الصرف : النفل ، وقيل : التوبة ، والعدل : الفرض ، وقيل : الفدية .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٧٠) في الفتن ، باب في تعظيم قتل المؤمن ، وانظره في صحيح أبي داود (٣/ ٨٠٤) ، (٣٥٨٩) .

(٣) أي : يخفيه ، وذلك بوضعه في غِمْده .

(٤) عزاه في «الجامع الصغير» إلى البزار ، وحسنه الألباني ؛ انظر : «صحيح الجامع» (١/٢٣٣) ، (٦٤٨) .

(٥) الوَدَجانِ : عِرقان في العنق ، إن قُطعا نزف حتى يموت .

(٦) تنزف بغزارة .

(٧) يُقَرِّبه .

(٨) أخرجه النسائي في تحريم الدم (٧/٨٥) ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٨٧) .

(٩) الخشبية : هم أصحاب المختار بن أبي عبيد .

(١٠) «سير أعلام النبلاء» (٣/٢٢٨) .

قال: «نضربهم حتى يبايعوا»، قال: «واللَّه ما أحب أنها دانت لي سبعين سنة، وأنه قُتِل في سيفي رجل واحد»[١].

وقال سلام بن مسكين: سمعت الحسن يقول: «لما كان من أمر الناس ما كان زمن الفتنة، أتوا ابن عمر، فقالوا: أنت سيد الناس وابن سيدهم، والناس بك راضون، اخرج نبايعك، فقال: لا واللَّه لا يُهراقُ فِيَّ محجمةٌ من دم ولا في سببي ما كان فِيَّ روح»[٢].

وقال أبو نضرة: «دخل أبو سعيد يوم الحَرَّة غارًا، فدخل عليه فيه رجل، ثم خرج، فقال لرجل من أهل الشام: أدلك على رجل تقتله؟ فلما انتهى الشاميُّ إلي باب الغار، وفي عنق أبي سعيد السيف، قال لأبي سعيد: اخرج، قال: لا أخرج، وإن تدخلْ أقتلْك، فدخل الشاميُّ عليه، فوضع أبو سعيد السيف، وقال: بُؤْ بإثمي وإثمك، وكنْ من أصحاب النار! قال: أنت أبو سعيدٍ الخُدري؟ قال: نعم، قال: فاستغفر لي، غفر اللَّه لك»[٣].

وقال نافع: «أتى رجل ابن عمر، فقال: يا أبا عبدالرحمن، ما يحملك على أن تحج عامًا، وتعتمر عامًا، وتترك الجهاد؟ فقال: بُني الإسلام على خمس: إيمانٍ باللَّه ورسوله، وصلاةِ الخمس، وصيامِ رمضان، وأداءِ الزكاة، وحَج البيت، فقال: يا أبا عبدالرحمن، ألا تسمع قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات: ٩]، فقال: لَأَن أعتبر[٤] بهذه الآية فلا أقاتل أحبُّ إليَّ من أن أعتبر[٤] بالآية التي يقول فيها: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣]، فقال: ألا ترى أن اللَّه يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، قال: قد فعلنا على عهد

---

(١) «نفس المرجع» (٣/٢١٦).

(٢) «نفسه» (٣/٢٢٦).

(٣) «نفسه» (٣/١٧٠).

(٤) الظاهر أنها «أُعَيَّرَ» في الموضعين، واللَّه أعلم.

رسول اللَّه – صلى اللَّه عليه وسلم – إذ كان الإسلام قليلًا ، وكان الرجل يُفتن في دينه ؛ إما أن يقتلوه ، وإما أن يسترقُّوه ، حتى كثر الإسلام ، فلم تكن فتنة ، قال : فلما رأى أنه لا يوافقه ، قال : فما قولك في عثمانَ وعليٍّ ؟ قال : أما عثمان فكان اللَّه عفا عنه ، وكرهتم أن يعفوَ اللَّهُ عنه ، وأما عليٌّ فابنُ عَمِّ رسولِ اللَّه – صلى اللَّه عليه وسلم – وخَتَنُهُ(١) ، وأشار بيده : هذا بيته حيث ترون»(٢) .

ورابعها: تحريم ترويع المسلم:

فقد قال – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ – : «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا»(٣) .

وخامسها: تعطيل ذكر اللَّه والأذان والصلاة والطواف والسعي، وإحصار المعتمرين، في أشرف بيوت اللَّه، وأحب بلاد اللَّه إلى اللَّه ورسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ(٤) :

لقد انتهكوا هذه الحرمات ، ونسوا أن المهدي حق المهدي لا يستفتح ظهوره بمثل هذه الفتنة العظمى ، ثم لم يبخل الشيطان بأن يستثمر الموقف إلى أقصي مدى ممكن ، فإذا به ينفث في صدور ضحاياه – كعادته – : «أن المهدي قد فَرَّ من خلال سرداب سفلي في الحرم ، وأنه سيعود يومًا ما ، ليملأ الأرض عدلًا

(١) الخَتَن : الصهر .

(٢) «نفسه» (٣/٢٢٨، ٢٢٩) .

(٣) رواه الإمام أحمد (٥/٣٦٢) ، وأبو داود (٥٠٠٤) في الأدب ، باب من يأخذ الشيء على المزاح ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلي ، قال : حدثنا أصحاب محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ – «أنهم كانوا يسيرون مع رسول اللَّه – صلى اللَّه عليه وسلم – ، فنام رجل منهم ، فانطلق بعضهم إلى حبل معه ، ففزع ، فقال رسول اللَّه – صلى اللَّه عليه وسلم – . . . فذكره» ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥٣٤) .

(٤) ويبلغ مجموع أوقات الأذان والإقامة والصلاة التي عُطِّلَتْ منذ بداية تلك الفتنة اثنين وثمانين وقت صلاة بدأت بظهر الثلاثاء الأول من المحرم ١٤٠٠هـ، وانتهت بعصر الخميس السابع عشر من المحرم نفسه .

وقسطًا بعد أن مُلِئَتْ ظلمًا وجورًا ، فانتظِروه » ، تمامًا كما فعل من قبل مع الشيعة وأمثالهم .

لقد انقضت تلك المأساة التي أُطلِق عيها بحقٍّ « جريمة العصر » ، ولكن الجرح لا يزال ينزف من قلوب المسلمين ، وتتحسر أفئدة كل من عاصروا تلك المحنة ، وعاينوا تلك الأحداث الأليمة ، ولسان حال كل منهم يقول : ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾[1] [مريم : ٢٣] .

وصدق رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ - : « وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ » ، وقد كان ، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون .

❁ ❁ ❁

(١) انظر : « الجامع لأحكام القرآن » القرطبي (٩/ ٢٦٩) ، (١١/ ٩٢) .

الفصل الثالث

ضَوابِطُ الحُكمِ عَلَى مُدَّعِي المَهدِيَّةِ

أو :

«كيف نميِّزُ المهديَّ من المتمهديِّ؟»

ضَوَابِطُ الحُكمِ عَلَى مُدَّعِي المَهدِيَّـةِ

«شِدَّة الفَحصِ بَراءَةٌ مِن الخَدِيعَةِ»[(١)]

الدنيا دار امتحان، والآخرة دار ظهور النتائج، فكلُّ سالكٍ طريقًا تخفى عليه عاقبته؛ ومن ثَمَّ وجب التحري الشديد عند نقطة تقاطع الطرق، للتأكد من أن هذا الطريق بعينه هو الذي يقود إلى الهدف، ومما يؤكد وجوب هذا التحري أننا نعيش في الدنيا مرة واحدة، فهي إذن فرصتنا الوحيدة للمراجعة والاستدراك، قبل أن تحل الآجال، ولاتَ ساعةَ مندم:

ستعلم حين ينكشف الغُبَارُ جوادٌ تحت رِجلِكَ أَمْ حِمَارُ

إن كثيرًا من الناس يقتحمون الفتن، ويهجمون عليها، ويقولون: «ما نريد إلا الخير»، وكم من مريد للخير لا يبلغه! وكم مِن حَسَن النية لا يشفع له حسن نيته! وإن النار مأهولة بكثير ممن حَسُنَتْ نياتُهم.

جاء في تفسير قوله - تعالى -: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ الآية [الكهف: ١١٠]: العمل الصالح: أخلصُهُ وأصوبُهُ، فإن كان العمل صوابًا لكنه غير خالص، أو خالصًا لكنه غير صائب، فإنه لا يُقْبَلُ.

ونحن هنا لا نناقش الإخلاص؛ لأننا لا نَطَّلِعُ عليه، وإنما نناقش «الصواب» بأن نحاكم السلوك الظاهر إلى كتاب الله - عز وجل - وسنةِ رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

إن «المُخْلِصَ» غير معصوم من أن يخطئَ أو يَضِلَّ، وكم اصطاد الشيطان كثيرًا من الضحايا «بشبكة» الإخلاص! وليس أدلَّ على ذلك من سيرة الخوارج الذين اجتهدوا في العبادة بصورة مبهرة، حتى قال فيهم النبي - صلى الله عليه

(١) من «الإعلام بمناقب الإسلام» لأبي الحسن محمد بن يوسف العامري (ت٣٨١هـ) ص(١٧٩).

وسلم - : «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ القُرْآنَ ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ ، وَيَقْرَءُونَ القُرْآنَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ ، وَهُوَ عَلَيْهِمْ ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ(١) ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، لَوْ يَعْلَمُ الجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ - صلى اللَّه عليه وسلم - ، لَاتَّكَلُوا عَنِ العَمَلِ»... الحديثَ(٢) .

وهم الذين قال فيهم ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - : «فدخلتُ على قوم لم أَرَ قَطُّ أشدَّ منهم اجتهادًا ؛ جِباهُهُم قَرِحَةٌ من السجود ، وأياديهم كأنها ثَفِنُ(٣) الإبل ، وعليهم قُمُص مُرَحَّضَة(٤) مُشَمِّرين ، مُسَهَّمَة(٥) وجوههم من السهر(٦)» ، ومع ذلك كله وصفهم النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - بأنهم : «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» ، وقال - صلى اللَّه عليه وسلم - : «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ»(٧) .

ولقد تورط كثير من الناس في فِتَنٍ أشعل نارَها مُدَّعُو المهدية ؛ لأن عاطفتهم رَكِبَت عقولَهم ، وحماستهم أخضعت فكرهم ؛ ومن هنا مسَّت الحاجة إلى محاولة استنباط ضوابط تحكم موقفنا مِن كل مَن يدعي المهدية مستقبلًا ، أو تُدَّعى له ، حتى نضع النقاط على الحروف ، مستهدين في ذلك باستقراء تجارب

---

(١) التراقي : جمع ترقُوة ؛ وهو العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق ؛ والمراد عدم انتفاعهم بالعبادة .

(٢) رواه مسلم (١٠٦٦) ، وأبو داود (٤٧٦٨) .

(٣) ثَفِن : جمع ثَفِنَة ، وتجمع أيضًا على ثَفِنات ، وهي : ما وَلِيَ الأرضَ من كل ذاتِ أربع إذا بَرَكت ، كالرُّكبتين وغيرهما ، ويحصُل فيه غِلظ من أَثَر البروك ، كما في «النهاية» (١/٢١٥) ، والمراد في الحديث أن أيديهم قد غلظت من طول السجود .

(٤) مرحضة : مغسولة .

(٥) مُسَهَّمة : ضامرة .

(٦) «تلبيس إبليس» ص(١٢٥) .

(٧) رواه مسلم (١٠٦٤) .

التاريخَيْنِ البعيد والقريب، متحررين من ضغوط «الاستعجال».

وليس في وضع هذه الضوابط قتلٌ للآمال، ولا وأد للطموحات، ولكنها تجذبنا إلى الواقع لنحسن تقديره، ونعرف كيف ننطلق منه لأخذ الأسباب التي تحقق لنا هذه الطموحات؛ إذ لا يليق بالمسلم أن ينساق وراء الأماني؛ فالسماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، وسنن اللَّه لا تحابي أحدًا، ومن نُصرة الدين أن تُحْتَرَمَ سننُ اللَّه في الكون.

إن «المهدي» شخص واحد لا يتكرر، والتصديق بمدعي المهدية يستلزم التكذيب بالمهدي الحقيقي، ومن ثم وجب الفحص والتحري قبل قبول دعوى المهدية، ومن لوازم هذا الفحص محاولة استقراء أحوال مدعي المهدية، واستنباط ضوابط تضبط تعاملنا مع مدعي المهدية، وكيف نميز الصادقَ من الكاذب، **وفيما يلي محاولة لحصر هذه الضوابط:**

الضَّـابِطُ الأَوَّلُ:

يجب التفريق في مسألة المهدي بين تصديق خبر الصادق المصدوق - صلى اللَّه عليه وسلم - بشأن المهدي[1] - وهذا واجب على كل مسلم -، وبين الحكم على فلانٍ بأنه المهدي على سبيل التعيين - وهذا غير مُلزِم لكل مسلم -، إلا أن يأتي دليل قاطع على تعيينه.

الضَّابِـطُ الثَّانِـي:

جميعُ علامات المهدي إنما تُعرف من خلال أخبار الوحي المعصوم إلى النبي - صلى اللَّه عليه وسلم -، ولا حُجَّةَ في أي مصدر آخرَ، سواء أكان الأحاديث والآثارَ الضعيفةَ والموضوعة[2]، أو الرؤى المنامية، أو الكشف، أو

---

(١) راجع ص (٢٧ - ٣٠).

(٢) ومن الصفات الواردة في الأحاديث الضعيفة: =

= أ- أنه من ولد العباس ، وأن لونه لون عربي ، وجسمه جسم إسرائيلي ، وأن في خده الأيمن خالًا ، وأنه يقاتل على السُّنَّة ؛ كما قاتل النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - على الوحي .
ومنها حديث : «مَنْ أَنْكَرَ خُرُوجَ المَهْدِيِّ ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» ، وهو موضوع ؛ كما في «الموسوعة في أحاديث المهدي» ، ص(٨٣- ٨٦) .
ب- ومِنها : ما نُسِبَ إلى ابن سيرين ؛ من أن المهدي خيرٌ من أبي بكر وعمر - رضي اللَّه عنهما - ، وذهب السيوطي - رحمه اللَّه - إلى تأويل هذا الأثر على ما أُوِّلَ عليه حديث : «بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» ؛ لشدة الفتن في زمان المهدي ، وتمالؤ الروم بأسرها عليه ، ومحاصرة الدجال له ، وليس المراد بهذا التفضيل الراجع إلى زيادة الثواب ، والرتبة عند اللَّه ؛ فالأحاديث الصحيحة ، والإجماع على أن أبا بكر ، وعمر أفضل الخلق بعد النبيين والمرسلين» . اهـ . من «الحاوي» (١٥٣/٢) .
وقال ابن حجر الهيتمي - رحمه اللَّه - : «ما جاء عن ابن سيرين : أن المهدي خيرٌ من أبي بكر وعمر ، قد كاد يفضل على بعض الأنبياء ، وصح عنه : (لا يفضل عليه أبو بكر وعمر) ، وهو - وإن كان أخف من الأول - إلا أنه يجب تأويلهما بصرائح الأحاديث ، وقيام الإجماع على أنهما أفضل منه ، بل وأفضلُ بقيةِ الأربعة ، بل الصحابة ، خلافًا لما شَذَّ به (ابن عبد البر) أن يكون فيمن بعد الصحابة أفضل منهم ؛ وكأن ابن سيرين أراد بقوله :
«كاد أن يفضل على بعض الأنبياء» أنه يؤم عيسى ، وللإمام فَضْلٌ ما على المأموم ؛ من حيث التبعية ، لكن - في الحقيقة - ليس هذا الفضل له ، بل لنبينا - صلى اللَّه عليه وسلم - ؛ لأن ائتمامه به علامةٌ على نزوله بشريعة نبينا ، واتباعه له» . اهـ . من «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» ، ص(٧١ ، ٧٢) .

وقال السفاريني - رحمه اللَّه - : «جاء عن ابن سيرين أن المهدي خير من أبي بكر وعمر ؛ قد كاد يفضل على الأنبياء» ، وجاء عنه - أيضًا - : لا يفضل عليه أبو بكر وعمر ، وهو - وإن كان أخف من الأول - ، فليس بصحيح ؛ فإن الأمة مجتمعةٌ على أفضليتهما عليه ، بل وعلى جميع الصحابة ؛ خِلَافًا للرافضة - خذلهم اللَّه تعالى - ، بل غيرهما من الصحابة أفضل من المهدي» . اهـ . من «لوامع الأنوار البهية» (٨٤/٢) .

ومما يُبطل هذا الزعم ما صَحَّ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - ، قال : «كنت مع رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - ، إذ طلع أبو بكر وعمر ، فقال رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - : «هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، مِنَ الأَوَّلِينَ ، وَالآخِرِينَ ، إِلَّا النَّبِيِّينَ ، والمُرْسَلِينَ ، يَا عَلِيُّ : لَا تُخْبِرْهُمَا» . «صحيح سنن الترمذي» (٢٨٩٧) ، (٢٠١/٣) .
وقال شيخ الإسلام - رحمه اللَّه تعالى - :
« . . . وصار بعض الناس يَدَّعِي أن في المتأخرين مَنْ يكون أفضل في العلم باللَّه من أبي بكر ، وعمر ، والمهاجرين ، والأنصار ، إلى أمثال هذه المقالات التي يطول وصفها ، مما هو باطلٌ =

....

= بالكتاب والسنة والإجماع». اهـ. من «مجموع الفتاوى» (٢٦٧/١٣).
وقال أيضًا - رحمه الله تعالى - في سياق بيانه أن كل من سوى الأنبياء، دونهم: «فإن اللَّه جَعَلَ الذين أنعم عليهم أربعة: النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فغايةُ مَن بعدَ النبيِّ أن يكونَ صِدِّيقًا؛ كما كان خير هذه الأمة بعد نبيها صِدِّيقًا؛ ولهذا كانت غاية مريم ذلك في قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ الآية [المائدة: ٧٥]، فإن اللَّه ذكر ذلك في بيان غاية فضلها؛ دفعًا لغُلُوِّ النصارى فيها؛ كما يقال لمن ادَّعَى في رجل أنه مِلِكٌ من الملوك، أَوْ غَنِيٌّ من الأغنياء، ونحو ذلك، فيُقال: «ما هو إلا رئيس قرية، أو صاحب بستان»، فيذكر غاية ما لَهُ من الرياسة، والمال، فلو كان للمسيح مرتبة فوق الرسالة؛ أَوْلَها مرتبة فوق الصديقية، لَذُكِرَتْ..».
إلى أن قال - رحمه اللَّه -: «ثم نقول: بل أول الأولياء في هذه الأمة، وسابقهم هو أفضلهم؛ فإن أفضل الأمة خاتم الأنبياء، وأفضل الأولياء سابقهم إلى خاتم الأنبياء؛ وذلك لأن الولي مستفيد من النبي، وتابع له؛ فكلما قرب من النبي كان أفضل، وكلما بعد عنه كان بالعكس، بخلاف خاتم الأنبياء؛ فإن استفادته إنما هي من اللَّه، فليس في تأخره زمانًا ما يُوجِبُ تأخر مرتبته، بل قد يجمع اللَّه له ما فرَّقه في غيره من الأنبياء، فهذا الأمر الذي ذكرناه من أن السابقين من الأولياء هم خيرهم، هو الذي دل عليه الكتاب، والسنن المتواترة، وإجماع السلف، ويتصل بهذا ظَنُّ طوائفَ أن من المتأخرين من قد يكون أَفْضَلَ من أفاضل الصحابة، ويوجد هذا في المنتسبين إلى العلم، وإلى العبادة، وإلى الجهاد، والإمارة، والملك». اهـ. من «مجموع الفتاوى» (٣٦٤/١١- ٣٦٦).
ومِنَ الصِّفَاتِ المُفْتَرَاةِ مِنَ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ:
جـ- ادِّعَاءُ أنه معصومٌ لا يخطئ.
د- ادعاء أن المهدي، والسيف أخوان، وأنه «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب تسعة أعشار الناس»، وروى المجلسي عن أبي عبد اللَّه: «لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج، لأحب أكثرهم ألا يروه؛ مما يقتل من الناس، حتى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل محمد، ولو كان من آل محمدٍ، لَرَحِمَ».
هـ- ادعاء أن أكثر من يقتلهم هم العرب؛ فسوف «يضع فيهم السيف، والذبح»، ويبدو أن مصدر هذه الفرية هو نفسه مصدر دعوى أن أمير المؤمنين عليًّا - رضي اللَّه عنه - قال: «إن اللَّه خلَّصه - أي كسرى - من النار؛ وإن النار محرمةٌ عليه»!
و- ادعاء أنه سوف يهدمُ المسجد الحرام، والمسجد النبوي، وأن الحجر الأسود سينقل إلى الكوفة.
ز- ادعاء أنه يقيم حكم داود، وسليمان، ولا يُسأَلُ بينة، وأنه يبايع الناس على كتابٍ جديد. انظر: «للَّه.. ثم للتاريخ» ص(١٠٥، ١١٤)، وراجع ص(٢١٤ - ٢١٨).

الإلهام، أو ادعاء لُقيا النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - يقظةً بعد وفاته، أو لقيا الخَضِرِ- عليه السلام- أو الأولياء... إلخ.

الضَّابِـطُ الثَّالِـثُ:

لَمَّا كان المهدي مجددًا من المجددين؛ لزم أن يكون مستقيمًا على مِنهاج النبوة، متمسكًا بالعقيدة السلفية، بريئًا من البدع الردية، وإلا فإن فاقد الشيء لا يعطيه، فإذا كان مدعي المهدية منتسبًا إلى إحدى الفرق الضالة الزائغة عن أهل السنة والجماعة؛ فإنه ينادي على نفسه بالكذب والتدليس، وإذا كان العلماء قد نبذوا من فرَّط في أدبٍ من الآداب، فكيف بمن انحرف في أصول الدين؟

قال أبو يزيد: «قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شَهَرَ نفسه بالوَلاية». وكان رجلًا مقصودًا مشهورًا بالزهد- فمضينا إليه، فلما خرج من بيته ودخل المسجد، رمى ببصاقه تجاه القبلة؛ فانصرف أبو يزيد، ولم يسلم عليه، وقال: «هذا غير مأمون على آداب رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم -، فكيف يكون مأمونًا على ما يدعيه؟».

الضَّابِطُ الرَّابِـعُ:

ليس في الأحاديث الثابتة ما يدل على أن المهدي سوف يطالب الناس بالإقرار بمهديته، أو يمتحنهم على ذلك ويقهرهم، فضلًا عن تكفيرهم، واستباحة دمائهم.

إن ادِّعاء أن المهدي سوف يُلْزِمُ الناسَ بالإيمان بمهديته، وأن من شك في مَهْدِيَّتِهِ فقد كَفَرَ، فيه إضافة إلى الدين ما ليس منه، ومعلوم أن الدين اكتمل فلا يَقْبَلُ الزيادة، قال- تعالى-: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾، أضف إلى ذلك ما يترتب على هذا الافتراء من انتهاك الحرمات، والفساد في الأرض على يد مُدَّعِي المهدية ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

إن المهدي الحقيقيَّ لا «يتمحور» حول إِثْبَاتِ مهديته للآخرين، واعترافهم بها، ولا يُضِيفُ إلى شَهَادَتَي الحَقِّ الشهادة بأن «محمد بن عبدالله مهدي الله»، ولا يقول: «فإن شهدوا بمهديتي، فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم»، وإلا أراق دماءهم، وسبى نساءهم، وسلب أموالهم، كما فعل ابن تومرت[1]، والسوداني، والجونبوري، وغيرهم.

وليس التصديق بعين المهدي أو شخصه من أركان الدين كما هو الحال مع الأنبياء- عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام-.

قال العلَّامة حمود التويجري- رحمه الله تعالى-: «إن المهدي لا يطلب الأمر لنفسه ابتداءً مدعيًا أنه المهدي، كما يفعل ذلك المدعون للمهدية كَذِبًا وزورًا، وإنما يأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كارهٌ، فيبايعونه، ثم يُسَمِّيهِ الناس بعد ذلك بالمهدي؛ لما يرون من صلاحه، وعدله، وإزالته للجور والظلم». اهـ[2].

---

(١) الذي قال في حق المهدي: «فالعلم به واجب، والسمع والطاعة له واجب، واتباعه والاقتداء بأفعاله واجب، والإيمان به والتصديق به واجب على الكافة، والتسليم له واجب، والرضا بحكمه واجب، والانقياد لكل ما قضى واجب، والرجوع إلى علمه واجب، واتباع سبيله واجب، والاستمساك بأمره حتم، ورفع الأمور إليه بالكلية لازم»، بل يصرح بأن طاعته والاستسلام له، إن هي إلا طاعة الله، ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، ثم يقول: «هو أعلمهم بالله، وأقربهم إلى الله؛ به قامت السماوات والأرض، وبه كُشِفت الظلمات، وبه تُدْفَعُ الأباطيل، وبه تظهر المعارف، وبموافقته تُنَالُ السعادة، وبطاعته تُنالُ البركات».
أما أولئك الذين تسوّل لهم أنفسهم مخالفة المهدي ومعارضته، أو الشك في أمره، فويلٌ لهم؛ لقد توعدهم ابن تومرت بالشر، والنكال، وزعم أن من ناوأ المهدي: «فقد تقمع في الردي، وليس له التطرق إلى النجاة»، ثم إن «أمر المهدي حتم، ومن خالفه يُقتل، لا دفع في هذا لدافع، ولا حيلة فيه لزائغ». إلى أن يقول: «إن الإيمان بالمهدي واجب، وإن من شك فيه كافر، وإنه معصومٌ فيما دعا إليه من الحق، لا يجوز عليه الخطأ فيه». اهـ. من «دولة الإسلام في الأندلس»، بتصرف (٤/٢٠٨- ٢١٠).

(٢) «الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر» ص(٣٠٢)، وانظر: هنا ص(٤٥٣ - ٤٥٥)، و«فقه أشراط الساعة» للمؤلف ص(٣١٤ - ٣١٦).

الضَّابِطُ الخَامِسُ:

إن علامات المهدي المُبَشَّرِ به نوعان :

الأوَّل : أمارات مُتَشَابِهَةٌ :

وهي الصفات المشتبهة المشتركة القابلة للتَّكْرَارِ في غير المهدي الحقيقي ، فيمكن أن يتصف بها بعض الناس فعلًا[(١)] ، أو يتكلَّف الاتصاف بها ، وإخراجَها في قالَب مسرحي[(٢)] ، أو يَدَّعِي ذلك كذبًا وزورًا[(٣)] ، وهذه العلامات - وإن اجتمعت كلها في شخص ما - ؛ فإنَّها لا تكفي لإثبات أنه صادق في دعواه المهدية ، حتى ينضمَّ إليها :

النوعُ الثاني ؛ وهو الأدلة المحكمة القاطعة بأن فلانًا بعينه هو المهدي المنتظر ، وهي العلامات غير القابلة للتَّكرار مع غير المهدي الحقيقي ، ولا يستطيع مدعي المهدية أن يفتعلها ، أو يتكلف إيجادها ، أو يدعي أنها وقعت بالفعل ، وهي : نزول عيسى - عليه السلام - في زمانه من السماء ، واجتماعه به ، وصلاته - عليه السلام - أول نزوله - خلف المهدي ، ثم قتله الدجالَ[(٤)] .

---

(١) كأن يكون من آل البيت ؛ واسمه محمد بن عبد الله ؛ وهي التسمية الغالبة على مُدَّعِي المهدية ، أو يكون إمامًا عادلًا جوادًا ؛ كعمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - .

(٢) كما فعل محمد بن يوسف الجونبوري الذي غَيَّرَ اسم أبيه إلى عبد الله ، واسم أمه إلى آمنة ، وأشاعهما في الناس ، وإمعانًا في التكلف تَوَجَّهَ إلى «خراسان» ، ولعله ذهب إلى «خراسان» ؛ ليرجع منها إلى الهند بالرايات السود ، حتى ينطبق عليه الحديث المروي في ذلك ، لكن حالت دون ذلك موانع ، فمات وهو ينتظر دخولها ، انظر : «فرق الهند» ، ص(٢٩٩) .

وقال ابن كثير في محمد بن عبد الله المهدي ابن المنصور العباسي : «وإنما لقب بالمَهْدِيِّ رجاءَ أن يكون الموعود به في الأحاديث ، فلم يكن به ، وإن اشتركا في الاسم ؛ فقد افترقا في الفعل» . اهـ . من «البداية والنهاية» (١٠/١٥١) ، وراجع ص(٢١٢)، (٢٢٠)، (٣٠٥)، (٣٢٦)، (٣٨٤)، (٤٣٣)، (٤٥٨).

(٣) كما ادعى المهدي الملحد عبيد الله بن ميمون القداح الانتساب إلى أهل البيت بالكذب ، والزور ، مع أن جده كان يهوديًا من بيت مَجُوسِيٍّ ، وكذلك ادَّعى هذا النسبَ ابنُ تومرت .

(٤) ومن العلامات المُحْكَمَةِ أن يُخسَف بالجيش بالبيداء إذا صَحَّ أنه يقصد المهدي ، راجع : ص(٤٩ - ٥٣) ، وانظر : «السلسلة الصحيحة» رقم (١٣٥٥) .

قال البرزنجي - رحمه اللَّه - : «ومن العلامات التي يُعرَفُ بها المهدي أنه يجتمع بعيسى ابن مريم - عليه السلام - ويصلي عيسى خلفه»[(١)] . اهـ .

وقال الشيخ حمود بن عبد اللَّه التويجري - رحمه اللَّه تعالى - : «من ادَّعى من المفتونين أنه المهديُّ المنتظر ، ولم يخرج الدجال في زمانه ، فإنه دجَّال كذَّاب ، وكذلك من ادَّعى أنه المسيح ابن مريم ، ولم يكن الدجَّال قد خَرَجَ قبله ، فإنه دَجَّال كاذب ، وللمسيح ابن مريم علامتان لا تكونان لغيره من الناس ؛ إِحْدَاهُمَا : أنه يقتل الدجَّال كما تواترت بذلك الأحاديث .

والثَّانِيَةُ : أنه لا يحل لكافرٍ يَجِدُ ريح نَفَسِه إلا مات ، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طَرْفُه[(٢)] ، وفي هاتين العلامتين قَطْعٌ لأطماع كل دَجَّال يدَّعي أنه المسيح ابن مريم»[(٣)] . اهـ .

ومن هنا نقول : إنه لا يمكن القطع بأن فلانًا بعينه هو «المهدي» حتى تجتمع فيه جميع الصفات المذكورة في الأحاديث ، ولا يكفي اجتماع الصفات المتشابهة وحدها ، حتى تنضم إليها المحكمة .

الضَّابِطُ السَّادِسُ:

يَجِبُ نبذ الصورة الأسطورية الغالية التي خلعها على المهدي بعضُ الفرق الضالَّة ، وبعضُ مدعي المهديةِ ، ونخصُّ بالذكر الرافضة ، وغلاة الصوفية ، والوضَّاعين الكذَّابين ، كما يلزم الاقتصار على الصورة الواقعية لشخصيته كما أخبر بها من لا ينطق عن الهوى -صلى اللَّه عليه وسلم- ، والذي وصف المهديَّ بأنه : «رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي» ، «رجُلٌ مِنَّا» ، «خَلِيفَةٌ مِنْ خُلَفَائِكُمْ» ، «أَمِيرُهُمُ المَهْدِيُّ» ، «إِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ» ... إلى آخر صفاته التي تبرئه من غلو

---

(١) «الإشاعة» ص(٩١) .

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧) ، (٤/٢٢٥٣) .

(٣) «إقامة البرهان في الرد على من أنكر المهدي والدجال» .

الضالين، وإفراط الدجَّالِينَ، وتثبت أنه- في الحقيقة- إمامٌ عادل، وخليفةٌ راشد، ومجدِّد لشباب الدين، والمجدد قد يُعَمَّرُ طويلًا، وينجز مهامه التجديدية، ثم يموت دون أن يدور بِخَلَدِهِ أنه مجدد[١]، وكذلك كان يمكن أن يقال في حق المهدي سواء بسواء: «إنه قد يعيش ويموت دون أن يقطع بأنه المهدي»، لولا وجود العلامات المُحكمة القاطعة التي تجزم بصحة مهديته مما تقدم ذكره في «الضابط الخامس».

إن قطبَ الرَّحَى، ومحط الأنظار في سيرة المهدي، إنجازاته الواقعية العملية في خدمة الدين والأمة، قبل «لقبه»، وهذا ما فهمناه من حال علماء السلف الذين شَكُّوا أن «فلانًا» هو المهدي؛ بناءً على كونه إمامًا عادلًا، وبناءً على ما لمسوه وعاينوه من إنجازاته على أرض الواقع[٢].

يقول الشيخ عبد المحسن العباد- حفظه الله تعالى-: «المهدي عند أهل السنة لا يعدو كونه إمامًا من أئمة المسلمين، الذين ينشرون العدل، ويُطَبِّقُونَ شَرِيعةَ الإسلام، يُوَلَدُ في آخر الزمان[٣]، ويتولى إمرةَ المسلمين، ويكون خروج

---

(١) راجع «الضابط الرابع» ص(٤٥٠، ٤٥١).

(٢) مثال ذلك ما قال حكيم بن سعد: لما قام سليمان- أي ابن عبد الملك الأموي- **فأظهر ما أظهر**، قلت لأبي يحيى: «هذا المهدي الذي يُذكر؟» قال: «لا».
ومثله قول وهب بن منبه: «إن كان في هذه الأمة مهدي؛ فهو عمر بن عبد العزيز»، وكذا قال سعيد بن المسيب، ومحمد بن علي فيه: «هو المهدي»، وقال إبراهيم بن ميسرة لطاووس: «عمر بن عبد العزيز المهدي؟»، قال: «كان مهديًّا، وليس بذاك المهدي».
وقال خالد بن سُمَيْر في حق موسى بن طلحة بن عبيد الله: «وكان في زمانه يُرَوْنَ أنه المهدي»، راجع: ص(٢١٠)، فتراهم عوَّلوا على الأعمال، دون «التمحور» حول الإقرار بمهديته، وحَمْل الناس عليها، وتحويلها إلى هدف مقصود لذاته، فكان الحديث عمن ظنوه مهديًّا عابرًا دون جلبة، ولا ضوضاء.

(٣) هذا- والله تعالى أعلم-؛ احترازٌ من قول الرافضة في شأن مهديهم الخرافي، وإن تعجب فعجبٌ ما نقله الشعراني عن الشيخ حسن العراقي: أنه اجتمع بالمهدي الحق، وسأله عن عمره، فقال له المهدي: «ولدت في أواخر المئتين من الهجرة، وعمري ست مائة سنة، وأنا من ولد الإمام =

الدجَّال، ونزول عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - من السماء في زمانه، وهو غير معصوم»[١]... إلخ.

ويقول الدكتور عبد الودود شلبي - حفظه اللَّه تعالى - : «إنه ليس ضروريًّا أن يعلن الرجل المختار لهذه المهمة عن نفسه.. الأنبياء والرسل هم الذين يعلنون عن دعوتهم؛ لأن من طبيعة «النبوة» الإعلان والإنذار، حتى لا تكون للناس على اللَّه حجة، وطبيعة «المهدية» تختلف عن طبيعة النبوة، فالمهدية تجديد، وإحياء، وحركة، وقد لا يعرف المرشح لهذه المهدية أنه المهدي نفسه.

إن العالم سيشاهد رجلًا تمثلت فيه صفات الكمال الخلقي، وزعيمًا تجسدت فيه آمال البعث والإصلاح الديني، وقائدًا تَمَيَّز بصفاتٍ نادرةٍ قَلَّمَا تجتمع في شخص عادي، وعلى ضوء ما يقوم به هذا الإمامُ الجليلُ من عملٍ، وبقدر ما يحققه للإسلام من عزة، وبالمقارنة بين عصره وبين ما كان قبله من فساد، وطغيان، وظلم، وما تحقق على يديه وفي عصره من إصلاح، وصلاح، وعدل، يعرف الناس أنه الرجل المنتظر، والمهدي الذي يعم عدله جميع البشر»[٢]. اهـ.

❁ ❁ ❁

= الحسن العسكري»، قال الشعراني: «هكذا أخبرني، واللَّه أعلم بحقيقة الحال»، انظر: «لطائف المنن والأخلاق» ص(٤٨٩، ٤٩٠)، وصرح في موضع آخر بأنه سأل الكُمَّلَ من مشايخ التصوف، فأجابوا بنفس ما قاله المهدي المزعوم سواء بسواء، واللَّه المستعان على ما يصفون، انظر: «الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية» (١/٤، ٥)، (١٣٩/٢) مطبوع على هامش «طبقات الصوفية»، للشعراني.

(١) «الرد على من كذب بالأحاديث الواردة في المهدي» ص(٨، ٩).

(٢) «الأصول الفكرية» ص(٢٣٨)، وراجع أيضًا كلام المودودي - رحمه اللَّه - في نفس المعنى، في كتابي: «فقه أشراط الساعة» ص(٣١٤ - ٣١٦).

تنبيهات

الأول :

قد يدعي المهديةَ بعضُ الصالحين الذين تنطبق عليهم بعض صفات المهدي «المتشابهة» ، كما حصل من محمد بن عبد اللَّه بن الحسن الملقب بالنفس الزكية ، قال ابن كثير - رحمه اللَّه - : «تلقب بالمهدي طمعًا أن يكون هو المذكور في الأحاديث ، فلم يكن به ، ولا تَمَّ له ما رجاه ، ولا ما تمناه ، فإنا للَّه»(١) .

الثَّاني :

أن اللَّه - سبحانه وتعالى - ينصب الأدلة الواضحة على بطلان وزيف دعاوى المدَّعين ، لكنها قد لا تظهر إلا لأُولِي العلم الذين اختصهم اللَّه - سبحانه - بالبصيرة في الدين ، ولا تكاد تجد مُدَّعِيًا للمهدية إلا ويكون اللَّه - سبحانه - قد هيَّأ له من أهل العلم ، من ينقض دعواه ، ويكشف زيفه .

وأحيانًا يكون بطلان دعواه ظاهرًا للعيان ؛ إذ لا يستند إلى دليل سوى الهذيان ، ولا يدعي دعوى إلا ويبطلها البرهان ، وقد يبلغ جهله إلى حد الاستدلال بنفس الدعوى ، مع أن الدعوى يُستدل لها ، ولا يستدل بها(٢) .

---

(١) راجع ص(٢١٢) .

(٢) ومن أمثلة ذلك أن الجونبوري قال في تفسير قوله تعالى : ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود : ١٧] : «أنا أسمع من اللَّه - سبحانه وتعالى - مباشرة بدون واسطة ، يقول : إن هذه الآية نزلت في شأنك» . اهـ . من «فرق الهند» ص(٢٤٦) .

ولما سأل علماء «هرات» الجونبوري : على أي أساس تدعي المهدية لنفسك ؟ قال : «أنا لا أدعيها من عند نفسي ، بل أدعيها بأمر من اللَّه سبحانه وتعالى» . اهـ . من «فرق الهند» ص(٢٤٦) . وسئل «الجونبوري» : إن اسم أبي المهدي «عبد اللَّه» ، وأنت ابن «سيد خان» . فأجاب قائلًا : =

الثَّالِث :

قد يحاول أعداء الإسلام استغلال فكرة المهدية للتوصل إلى مآربهم الخبيثة ، ومقاصدهم الشريرة بأمَّة الإسلام ، كما فعل اليهودي الزنديق المتمسلم عبدالله بن سبأ[(١)] ، والمهدي الملحد عبيد الله بن ميمون القدَّاح[(٢)] ، وعلي محمد الشيرازي (ت١٨٥٠م) ، الذي ادَّعى أنه «باب المهدي المنتظر» ، ثم ترقى فادعى أنه «المهدي» نفسه ، ثم قرر - موافقةً لطائفته - نسخ دين الإسلام ، وشيوع المرأة ، والمال ، وإلغاء التكاليف ، وكان يسانده ، ويسلحه الإنكليز ، والروس ، وبعد إعدامه سنة ١٢٦٦هـ ، ادَّعَى «حسين علي» الملقب ببهاء الله إلغاء الأديان ، وأنه هو مظهر الله الحقيقي ، وأن جميع الأنبياء إنما جاءوا ليبشروا به[(٣)] ، ومن المعلوم أن البهائية كانت عميلة للإنكليز والروس ، وربيبة للصهيونية العالمية .

ومن هذا الصنف «غلام أحمد القادياني» الذي ادَّعى أنه المجدِّد ، ثم المهدي ، ثم المسيح الموعود ، ثم النبي المستقل[(٤)] ، وكان للإنكليز دور ضالع في نصرته وتأييد دعوته .

= «أليس الله بقادر على أن يبعث ابن سيد خان مهديًا ؟» .
وأجاب مرة ثانية : «اسألوا الله لماذا بعث ابن سيد خان مهديًا» .
وقال مرة ثالثة : «اذهبوا فقاتلوا الله - تعالى - لماذا بعث ابن سيد خان» . اهـ . من «فرق الهند» ص(٣٠٢) .

(١) راجع ص(١٩٨ ، ١٩٩) .

(٢) راجع ص(٢٢١ - ٢٢٥) .

(٣) انظر : «فرق معاصرة» (٤٠٩/١) وما بعدها ، و«الموسوعة الميسرة» (٤١٢/١) وما بعدها ، و«البهائية» ، للشيخ محب الدين الخطيب ، و«البابية ، والبهائية» ، للشيخ إحسان إلهي ظهير .

(٤) انظر : «فرق معاصرة» ، (٤٨٣/٢) ، و«الموسوعة الميسرة» (٤١٩/١) ، و«القاديانية» لإحسان إلهي ظهير ، و«طائفة القاديانية» للشيخ محمد الخضر حسين - رحمه الله تعالى - .

الرَّابـع :

لُوحِظَ في بعض حالات ادِّعاء المهدية وجود شخصية أخرى إلى جوار المتمهدي تدعمه ؛ كعبدالمؤمن مع ابن تومرت ، والتعايشي مع السوداني ، أو تؤثر عليه وتوجهه ، وتسيطر عليه(١) ، كما حصل من المُلَّا حسين البشروئي مع علي محمد الشيرازي(٢) ، وكما فعل جُهَيْمَان العتيبي مع مُحَمَّد بن عبداللَّه القحطاني .

الخَامس :

من خلال استقراء أحوال مدعي المهدية ، أمكن رصدُ بعضِ حالاتٍ يبدو أن أصحابها كانوا مضطربين نفسيًّا(٣) .

---

(١) وربما تبادل الاثنان هذاءاتهما ؛ نتيجة «عدوى» نفسية تنتقل بالإيحاء ، فتسمى عندئذ : جنون الاثنين Folie á Deux .

(٢) علي بن محمد الشيرازي مهدي البهائية ؛ الذي زيَّن له الأمر المُلَّا حسين البشروئي ، يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل - رحمه اللَّه - مُعَلِّقًا على طبيعة الشخصيتين : «كلا الأحمقين كان الصيد الذي يتمنى أن يُصاد ، لا أن ينجو من الشَّرَك ، فعثر كلاهما بمن يصطاده ؛ عثر البشروئي بالشاب الذي غلبته المراهقة على أمره ، وبمن يضع اللقمة في جوفه ، والكلمة في فمه ، والخِنجر في يده ، وعثر الشاب بالشيخ الذي كان ينوء تحت ثقل عبوديته لأطماعه ، وكلاهما ظن في صاحبه أنه صيده الذي دار في الغاب طويلًا يبحث عنه ، وكلاهما خنع ذليلًا لهذا الظن ، فَلْتَلْتَهِم النار الهشيم ؛ وليؤجج الهشيمُ النار التي تلتهمه» . اهـ . من «البهائية تاريخها وعقيدتها» ص(٨٩ ، ٩٠) . وفيه أنه لما طُلِبَ من «المهدي» حُجَّةٌ تؤيد دعواه كانت الحجة : قوله : «آية المهدي أنه يكتب تفسيرًا لسورة يوسف» ، وأخرجه من ثوبه - وقد أعدَّه مقدمًا - وهنا : «خرَّ البشروئي ساجدًا معلنًا في صراحة أن هذا المراهق هو المهدي المنتظر ، والقائم صاحب الزمان» . اهـ . من السابق ، ص(٩١) بتصرف .

(٣) ولا شك أن الانتباه المبكر لمثل هذه الحالات يقي الأمة شرًّا كثيرًا ، ولعل أقرب الاضطرابات لمثل هذه الحالات «الاضطراب الضلالي» Delusional Disorder
من النوع المعروف بـ «العظمة الضلالية» Delusion of Grandeur
أو «هذاء البارانويا» المسمى «جنون العظمة» ؛ حيث يحتفظ المريض بالتفكير المنطقي ، وتبقى الشخصية متماسكة ، ومنتظمة نسبيًّا ، وعلى اتصال - لا بأس به - بالواقع ، ولا يصاحبها =

فهذا « تمرتاش بن النوين » : «خَفَّ عقله ؛ فزعم أنه المهدي»[١] .

و«أحمد بن عبدالله الملثم» : «حصل له انحرافُ مزاجٍ ، فادَّعى في سنة (٦٨٩هـ) دَعاوى عريضة»... إلخ ، وذُكِرَ أنهم «حبسوه عند المجانين»[٢] .

وربما وُصف بعضهم - اعتذارًا عن دعواه المهدية[٣] - أنه كان «في حالة جَذْب»[٤] أو «في غلبة الحال ، ولكنه تاب عن ذلك القول في حالة الصحو والإفاقة ، كغيره من الصوفية»[٥] .

- وجاء في سيرة «نظام الدين السندي» أنه ادَّعى أنه المهدي الموعود ، «وشاع ذلك الأمر وذَاعَ ، فَوُضِعَ في البيمارستان القيمري بالصالحية مدة ، وسكن عن التخليط ، وقلل من التخبيط ، فأمر القاضي بإخراجه»[٦] ... إلخ .

السَّادِس :

يُلَاحَظُ أن مكابرة حقائق الواقع على طريقة «عنزة ولو طارت»[٧] ، قاسم

= اضطرابات عقلية أخرى ، ولا يحدث تغير في السلوك العام إلا بقدر ما توحي به الأوهام ، والهذيانات ؛ فالذي يلفت النظر - هنا - هو أن المريض قد يبدو سليمًا من ناحية قدرته على الاستدلال والمحاجة ، غير أنه يؤسس استدلالاته على اعتقادات زائفة أو فاسدة ، ومقدمات باطلة .

(١) راجع : ص(٢٧٠) .

(٢) راجع : ص(٢٧٠، ٢٧١) .

(٣) راجع : ص(٣٣٧) ، (٣٧٨) .

(٤) انظر : «الكشف عن حقيقة الصوفية» ، ص(٦٨٠) وما بعدها .

(٥) راجع : ص(٤٢٨) ، ومثله ما جاء في اعتذار «أبي الكلام آزاد» عن دعاوى «الجونبوري» المتمهدي بأنها قد تكون (صدرت عنه في حال «السُّكر» ، و«الاستغراق» ، و«غلبة الأحوال» ؛ فهي إذن تُغْتَفَر) ، كما نقله عنه في «فرق الهند» هامش ص(٢٨٩) ، مع أن الجونبوري قال : إنه تلقى أمر المهدية عن الله - تعالى - مباشرة بدون واسطة !! وقال : «وفى هذا الوقت أنا صحيح ؛ ليس بي مرض ، وعاقل ؛ ليس بى جنون ، ومتنبه ؛ ليس بي غفلة ، ولا إغماء ، ومتأهل ؛ لست بأعزب (؟!) يأتيني رزقي من عند الله تعالى ، ولا أحتاج إلى أحد ، ولا أطلب الملك» ؛ كما نقله عنه في «فرق الهند» ص(٢٣٨، ٢٣٩) ، وراجع ص(٤١٩) .

(٦) «المختار المصون من أعلام القرون» (١١٧٣/٢) .

(٧) يُضرب مثلًا في هذا السياق ؛ وأصله أن رجلين كانا يمشيان في الصحراء ، فأبصرا شيئًا في الأفق ، =

مشتركٌ بين كثير من أتباع المُتَمَهْدِيِّينَ ؛ الأمر الذي يعكس تلاعبَ الشيطان بهم ، فبمجرد أن يُقْتَلَ مهديهم أو يموت - دون أن يملك سبع سنين - يَعُزُّ على الشيطان أن تنحسم فتنته بموته - كما هو المفترض - ، فَيُوحِيَ إلى أتباعه أنه لم يمت ، ثم هم مُغْرَمُونَ - مع ذلك - بادعاء حتمية رجعته ليملأ الأرض عدلًا .

- فابن سبأ ادَّعى مهديةَ أمير المؤمنين عليٍّ - رضي اللَّه عنه - ، فلما قِيلَ له : «إن عليًّا قد قُتِلَ» ؛ قال : «إن جئتمونا بدماغه في صُرَّة لم نصدق بموته ؛ لا يموت حتى ينزل من السماء ، ويملك الأرض بحذافيرها» ، وزعم أن الذي قُتِلَ : شيطانٌ تصور في صورة علي ، وأنه صَعِدَ إلى السماء ، وأن الرَّعْدَ صوته ، والبرقَ تَبَسُّمُهُ[1] .

- وادعت فرقة من الكيسانية أن «محمد ابن الحنفية» حي لم يمت ، وأنه في جبل رَضْوي ... إلى آخر تُرَّهَاتِهِمْ[2] .

- وادعى بعض الجارودية أن «النفس الزكية» حيٌّ لم يُقْتَلْ ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلًا ، في حين زعم «المحمدية» أنه في جبل « حاجر » من ناحية نجد... إلخ[3] .

السَّـابـع :

لا تشفع الجوانِبُ الإيجابية التي أنجزها بعض مُدَّعِي المهدية[4] في أن يُتجاوز - عند تقويم حركاتهم - عن أخطائهم المنهجية ، وتجاوزاتهم للحدود الشرعية ، فقد لُوحِظَ أنَّ بعض الباحثين يطلق لسانه في مدحهم ، والثناء عليهم ،

= فقال أحدهما : هو عنزة ، وقال الآخر : إنه طائر ، فلم يلبث حتى طار عاليًا ، فقال الثاني : ألم أقل لك إنه طائر ؟ فأجابه الأول : «عنزة» ولو طارت !

(١) راجع : ص(١٩٨) .

(٢) راجع : ص(٢٠٦) .

(٣) راجع : ص(٢١٢) ، وانظر : ص(٢٨٠) ، (٤٤١ ، ٤٤٢) .

(٤) كابن تومرت ، والسوداني ، والجونبوري ، وغيرهم .

غَاضًا طرفه عن هذه السلبيات الجسيمة[١]، وهذا خروج عن منهج السلفِ في التحذير من أهل البدع، والتنفير من مناهجهم.

❁ ❁ ❁

---

(١) إما بأن يضرب صفحًا عن ذكر السلبيات بالكلية؛ كما فعل «فتحي يكن» مع المهدي السوداني في كتابه «الموسوعة الحركية» (١/٢٢٩- ٢٣٥)، أو بأن ينظم بعضهم في سلك المصلحين، كما زعم الدكتور «عبد المجيد النجار» في كتابه «تجربة الإصلاح في حركة المهدي ابن تومرت»، ومما يؤسف له أن يدرج «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» الكتاب المشار إليه ضمن سلسلة «حركات الإصلاح ومناهج التغيير»؛ انظر: «دولة الموحدين» ص(٧٠، ٣٧٣).
ومنهم من بهرته إنجازات بعض المتمهديين حتى عشا بصره عن رؤية مثالبهم الفظيعة؛ كما حَكَى عنهم الشيخ «مسعود عالم الندوي» في سياق قوله: «فلا نعرف رجلًا من بين العلماء تصدى لمقاومة تيار الزندقة والإلحاد، وانبرى لمقارعة فتن البدع، وتتبع الشهوات، والأهواء غير «السيد محمد المهدي الجونبوري»، الذي ادعى أنه مهدي آخر الزمان، فالتبس أمره على الناس، وأصبح العلماء، والمؤرخون من معاصريه، والذين جاءوا من بعده في شأنه على قسمين بين مادح، وقادح؛ قسم يتجنب الحكم، والقطع بشيء في شأنه، ويفوض أمره إلى الله تعالى؛ وذلك لما جاء به، وأتباعُه من مساع جليلة، وجهود مثمرة متتابعة لإصلاح ما فسد من تعاليم الدين، ومقاومة ما فشا في المسلمين من التهافت على البدع، والمنكرات . . .، وقسم لم يَتَحَرَّج في تكفير «السيد محمد» وأتباعه، ولم يدخر وسعًا في استئصال شأفتهم». اهـ. من «فرق الهند» ص(٢٩٠، ٢٩١).
وهذا «أبو الكلام آزاد» (ت ١٩٥٨م) يكيل المدح لهم، ويطري عليهم، ويصم العلماء الذين قاموا ضدهم بعلماء الدنيا، وعبيدها، وفقهاء السوء، و«يهود هذه الأمة»، ويفصل الكلام في بيان مناقب الدعاة المهدويين، وأعمالهم الجليلة، ثم يعتذر عن الجونبوري في عقائده، وأقواله بأنها جاءت إما عن غلو معتقديه، وإما صدرت عنه في حال «السُّكْر»، و«الاستغراق»، و«غلبة الأحوال»؛ فهي - إذن - تغتفر؛ كما نقله عنه في «فرق الهند» ص(٢٨٩).

لا صوت يعلو فوق صوت العقيدة

« أهـلُ السنـــة :
إن قعدت بهم أعمالُهم ؛
قـامت بهم عقيـــدتُهم .
وأهـل البدعـــة :
إن قامت بهم أعمالُهم ؛
قعدت بهم عقيدتُهم » .

ولأن الشيء يذكر بالشيء ، أحسب أن من المناسب - في هذا الصدد - أن نختم الكلام في هذا الضابط الخطير باقتباس كلام للعالِم الرباني السيد أبي الحسن الندوي - تغمده الله بواسع رحمته - كتبه في معرض استنكار موقف بعض الإسلاميين الذين انبهروا بثورة الخوميني الرافضية العنصرية بمجرد أن لوَّح لهم براية إسلامية في زعمه ، ورفضوا الإصغاء إلى أي صوت يحذرهم من عقيدة الرجل ، وأنها أبعد ما تكون عن الإسلام ، بل هَبُّوا ولسان حالهم يقول : « لا صوت يعلو فوق صوت الثورة .. حتى صوت العقيدة »(١) ، قال - رحمه الله - :

(الإمام الخميني ، أنصاره والمعجبون به ، وصرف أنظارهم عن العقيدة :

إن هاتين الفكرتين للإمام الخميني (فكرته عن الإمامة والأئمة ، وتوجيه الطعن والتهم الموجهة إلى الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - لم يعد أمرًا

---

(١) وقد تكرر هذا الانبهار مع «خميني العرب حسن نصر» ، فراجع المحاضرات الصوتية الآتية للمؤلف :
١- حزب الله الرافضي ، وحِصان طروادة .
٢- الحاج «محمد هتلر» .
٣- «قامت ، وقعدت» .
٤- حوار الطرش .
٥- كلمة التوحيد أصل توحيد الكلمة .

خافيًا ، بل إن رسائله هذه قد وُزعت في إيران وخارجها بعدد هائل يبلغ مئات الآلاف ، وبناءً على ذلك ، فقد كان من المتوقع أن دعوته سوف لا تنال قبولًا وإعجابًا في طبقة المسلمين السنيين - وهي الكثرة الغالبة في المسلمين - بل تُرفض رفضًا باتًّا ، خصوصًا بعد ما ثبت زيفُ معتقداته وأساسه ونقضه لعقيدة التوحيد الأساسية للأمة الإسلامية ، وعقيدة المشاركة في النبوة ، التي هي النتيجة الحتمية المنطقية لتعريف الإمامة وامتيازات الأئمة ، وبعد ما تحقق طعنه وتجريحه لشخصيات الصحابة الكرام - رضي الله عنهم- ، الذين يحتلون أرفع محل في قلوب المسلمين بعد رسول الله - صلى اللّه عليه وسلم - في الحب والتعظيم ، وكان عهد حكمهم أمثل عهد وأفضل نموذج للحياة لا في تاريخ الإسلام فقط ، بل في التاريخ الإنساني في العالم كله ، في ضوء التاريخ الموثوق به ، وعلى إجماع مِن شهادة المؤرخين المسلمين وغير المسلمين ، كان من المتوقع أن لا يعتبر الإمام الخميني - بعد ذلك كله- حامل لواء الثورة الإسلامية، ومؤسس الحكومة الإسلامية ومنشئها ، والقائد المثالي لدى المسلمين السنيين على أقل تقدير ، ولكن الذي يبعث على الأسف والاستغراب أن بعض أوساط المسلمين التي تحمل لواء الفكر الإسلامي، وتتمنى للإسلام الازدهار والغلبة وتدعو إليه ، أحلته محل «الإمام المنتظر» ، وأبدت له من الإعجاب والحب ما بلغ إلى حدود العصبية حيث لا تحتمل كلمة انتقاد له في أي حال ، ولقد بلغت بنا التجربة والمشاهدة إلى تقدير أمرين :

أهمية العقيدة في الإسلام، والنتائج الخطيرة لصرف النظر عنها:

١- لم يعد مقياس المدح والذم والانتقاد والتقريظ في أوساط كثيرة ، هو الكتاب والسنة ، وأسوة السلف ، وصحة العقائد والمذهب ، بل إن إقامة حكومة مطلقة باسم الإسلام والفوز بالقوة ، أو توجيه تحدٍّ إلى معسكر غربي وإحداث العراقيل في طريقه ، يكفي لمن يتولى ذلك أن يكون قائدًا محبوبًا ومثاليًا .

٢- تفقد العقيدة أهميتها لدى جيلنا الجديد المثقف إلى حد خطير جدًّا ،

وذلك واقع يبعث على القلق والاضطراب ، فإن العقيدة هي الخط الفاصل بين دعوات الأنبياء ومقاصد مجهوداتهم وعواملها ، وبين دعوات غيرهم ومقاصد جهودهم ، تلك العقيدة التي لا يرضى الأنبياء وخلفاؤهم بالمساومة أو التفاهم عليها بأكبر ثمن ، إن مقياس الرفض والقبول والاستحسان والاستهجان ، وشروط الفصل والوصل عندهم هي العقيدة ، وهذا الدين الذي لا يزال موجودًا بصورته الأصيلة - على الرغم من ضعف المسلمين- إنما هو مدين في بقائه واستمراره للاستقامة والصلابة والحمية والغيرة في شأن العقيدة ، فإن حملة الدين ودعاته لم يستسلموا في هذا المجال أمام أي قوة أو جبروت أو امبراطورية واسعة ، ولم يرضوا بالسكوت على عقيدة أو دعوى خاطئة فضلًا عن أن يكونوا قد قبلوها أو وافقوا عليها لمصلحة دنيوية للإسلام والمسلمين ، أو طمعًا في التفادي من خلاف وشقاق .

إن صمود الإمام أحمد بن حنبل (ت : ٢٤١هـ) ومقاومته وصبره على ضرب السياط ، وآلام التعذيب في السجن ، مِن أجل إنكاره على عقيدة خلق القرآن تجاه حاكمين مسلمين ، بل إزاء حاكمين من أكبر حكام ذلك العصر ، وهما الخليفة مأمون الرشيد بن هارون الرشيد ، والخليفة المعتصم بن هارون الرشيد ، وكذلك معارضة الإمام أحمد الفاروقي السرهندي - رحمه الله - المعروف بمجدد الألف الثاني في الهند (ت١٠٣٤هـ) لأعظم إمبراطور في عصره ، وهو الإمبراطور «أكبر» ضد عقيدته بالألف الثاني ، ودعوى الإمامة والاجتهاد ووحدة الأديان التي نادى بها ، ثم استمرار الإمام على ذلك وإصراره عليه إلى عهد «جهانكير» ، حتى تغير مجرى الحكومة المغولية ، مثالان للاستقامة والصلابة في العقيدة والغيرة عليها ، وإلا فإن تاريخ الإسلام زاخر بحكايات رائعة لكلمة حق عند سلطان جائر ، والعمل بحديث : «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» ، إن هذا السلطان الجائر قد يكون ملكًا شخصيًّا ، وقد يكون الرأي العام ، وأحيانًا «الشهرة العامة» ، وأخرى انتصارات مغرية ، ودعاوى

مدوية، ويشهد التاريخ والتجربة أن المواقف الأخيرة أكثر ابتلاءً ومحنة.

الواقع أن تعاليم الإسلام الحقيقية، والعقيدة السليمة الصحيحة؛ هما النهران اللذان لا يتغير مجراهما في أي حال، ولا يغور ماؤهما في أي حين، أما القوى السياسية، والثورات الطارئة، ووجود الحكومات ونهايتها، والدعوات والتحركات، كلها بمثابة الأمواج التي تنشأ وتتلاشى، إذا كان النهر جاريًا نحو الوجهة الصحيحة، ويكون الماء صافيًا جاريًا فلا خطر عليه، ولكن العقيدة إذا تسلل إليها الفساد، فمعنى ذلك أن النهر قد تغير عن مجراه الصحيح، وحل فيه الماء العكر محل الماء الصافي، لذلك فإنه لا يجوز الخضوع أمام دعوة أو حركة، وأمام أي ازدهار أو تقدم لبلد، وأمام أي إصلاح جزئي لمجتمع، أو دعاوى ووعود بإصلاح فساد يتظاهر بها أحد، مع فساد العقيدة، ووجود الزيغ والضلال، إنها حقيقة يكمن وراءها سر بقاء الملة وصيانة الدين، وهي الحقيقة التي تقلق علماء كل عصر، وحفظة الشريعة والسنة في كل زمان، وترغمهم في بعض الأحيان على أداء مسؤوليتهم التي لا تحمد عاقبتها، وإلى ذلك يشير الحديث الشريف:

«يحمل هذا العلمَ مِن كل خَلف عدولُه، ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويل الجاهلين»[١].

العوامل النفسية والسياسية للسحر والتأثير:

مِن أجل ذلك الانتصار الذي أحرزه الإمام الخميني على إمبراطورية الشاه محمد رضا البهلوي، ومِن جراء تلك الثورة التي حدثت في المجتمع الإيراني بشكل خاص، وإخفاق أمريكا في بعض المراحل التي هي أكبر قوة في العالم اليوم، وما شاع من روايات الحماس والتفاني في الشباب الإيراني، مع تذمر طبقة كبيرة من الشباب المسلم في العالم الإسلامي من ذلك الانحطاط الخلقي

(١) انظر تخريجه في «فقه أشراط الساعة» للمؤلف ص(١٠٢).

والديني والأوضاع السيئة، ومواضع الضعف التي تسود على عدة دولة مسلمة وعربية، وأصبحت شعارًا لها، وإعجاب هذه الطبقة من الشباب بكل ما يصادفونه من شهامة وطموح ومغامرة يقترن بها اسم الإسلام، من جراء هذه الأسباب كلها، ينال منهم الإمام الخميني إعجابًا يشبه ما قد ناله من الإعجاب فيما مضى «كمال أتاتورك»، وفي أوساط القوميين العرب «جمال عبد الناصر»، ولا يزال قادة وحكام يتمتعون بإعجاب بعض الأوساط، ممن ينكرون السنة علنًا وجهارًا، ويستهزؤون بالحديث النبوي الشريف، ويدعون إلى الأخذ بالحضارة الغربية جملة وتفصيلًا، ويحملون أفكار الشيوعية.

ولكن الخميني ينال من هذا الإعجاب والقبول قسطًا كبيرًا، نظرًا إلى ما يتجلى فيه من لون ديني، وقد بلغ أمر الإعجاب بهؤلاء المعجبين إلى حد أنه إذا أثير موضوع العقيدة، وأشير إلى ما أجمعت عليه الأمة، وعُرِض هذا المقياس، لم يطيقوا سماعه، وكادوا يفقدون اتزانهم، ويبلغون في الإسفاف والكراهية، والغيظ إلى حد الابتذال، إن هذه الظاهرة تبعث على قلق شديد نظرًا إلى مستقبل الدين وروح الإسلام.

وهذا الإشفاق الذي يستند إلى تجاربَ عمليةٍ، ودراساتٍ شخصية، اضْطَرَّنا إلى كتابة هذه السطور.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]. والحمد لله رب العالمين)[1] اهـ.

❁ ❁ ❁

---

(١) «صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم - صلى الله عليه وسلم - بين السنة والشيعة الإمامية» ص(١١٩ - ١٢٥).

الخَـاتِمَـــةُ

نَسْأَلُ اللَّهَ حُسْنَهَا إِذَا بَلَغَتِ الرُّوحُ المُنْتَهَى

دونك- أخي المسلم- هذا المجموعَ الذي لم آلُ جهدًا في ترتيبه ، وتنسيقه، فَأَحْسِنْ بِجَامِعِهِ الظَّنَّ ، وإن كان قاصرًا ليس من أهل هذا الفن ، وقد عرض عليك بضاعته، فلك غُنْمه ، وعليه غُرْمُهُ ، ولك صفوه ، وعليه عهدته وهفوه ؛ فلا يعدم منك أحد الأمرين : إِمْسَاكًا بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ تَسْرِيحًا بِإِحْسَانٍ.

يا ناظرًا فيما عُنيتُ بجمعه عذرًا فإن أخا الفضيلة يَعذرُ
علمًا بأن المرء لو بلغ المدى في العمر لاقى الموتَ وهْوَ مُقصِّرُ
فإذا ظفرت بزلةٍ فافتح لها بابَ التجاوزِ فالتجاوزُ أجدرُ

ورحم اللَّه عبدًا بلغه الحق فانصاع ، ولم يَعْدُهُ إلى التكذيب ، والابتداع ، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

اللهم اجعل عملي صالحًا ، واجعله لوجهك خالصًا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا .

اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، واجعل خير أيامي يوم ألقاك .

اللهم أبرم لهذه الأمة أمرَ رُشْدٍ، تُعزُّ فيه أهلَ طاعتِك ، وتتوبُ فيه علىٰ أهلُ معصيتِك .

اللهم ، ونسألك بأن لك الحمدَ ، لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك له ، المنانُ ، يا بديعَ السماواتِ والأرضِ ، يا ذا الجلالِ والإكرام ، يا حي يا قيوم ، أن تجنبنا مضلاتِ الفتن ، وتعصِمَنا من المِحَن ، وأن تميتنا على السنن ، وتغفر

لنا ذنوبنا التي جنيناها في السر والعلن ، إنك قريب مجيب .

لَكَ الحَمْدُ كَم مِنْ كُرْبَةٍ قد كَشَفْتَهَا   بِنُورٍ مِنَ اللُّطْفِ الْخَفِيِّ تَجَلَّتِ
لَكَ الحَمْدُ فَاكْشِفْ كُرْبَةَ الْحَشْرِ إنْ دَجَتْ   بِنُورٍ مِنَ الغُفْرانِ والرَّحْمَةِ الَّتِي

وإلى هنا وقف القلم، وأستغفر اللَّه من الزلل ، في القول والعمل، لي ولوالدي، ولسائر المسلمين ، وصلى اللَّه ، وسلم ، وبارك على عبده ورسوله الأمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

❁ ❁ ❁

الفهـــارس العـــامـــة

أولًا : فهرس أطراف الأحاديث

(ي)

❁ ❁ ❁

ثانيًا : فهرس أطراف الآثار والأقوال

(ق)

(ك)

(ل)

ثالثًا : فهــرس المراجــع

(أ)

١- **أبجد العلوم** - طبعة عبد الخالق القدوسي - ط . أولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - صديق بن حسن بن علي البخاري القنوجي .

٢- **إتحاف الجماعة** - حمود التويجري - ط٢ - ١٤١٤هـ - دار الصميعي - الرياض .

٣- **إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين** - محمد بن محمد الحسني الزبيدي - دار الفكر - بيروت .

٤- **أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله** - د . علي أحمد السالوس - ط . أولى - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م - دار الثقافة - الدوحة - قطر .

٥- **الأثر السياسي للعلماء في دولة المرابطين** - دار الأندلس الخضراء - جدة - ط . أولى - ١٤٢٠هـ - محمد محمود عبد الله بن بيَّه .

٦- **الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر** - مكتبة دار العليان الحديثة - بريدة - ط . ثانية ١٤٠٦هـ - حمود بن عبد الله التويجري .

٧- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان** - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ط . أولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - علاء الدين علي بن بلبان الفارسي .

٨- **الإحكام في أصول الأحكام** - مطبعة العاصمة - القاهرة - ط . الثانية - أبو محمد علي بن حزم الأندلسي .

٩- **أخبار الآحاد حجة في العمل والاعتقاد** - د . الطبلاوي محمود سعد - كلية التربية - جامعة الملك سعود .

١٠- **أخبار الآحاد في الحديث النبوي** - دار طيبة - الرياض - ط . أولى - ١٤٠٨هـ - عبد الله بن جبرين .

١١- **الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد** - سليم الهلالي - دار الصحابة - بيروت - ط . أولى ١٤٠٨هـ .

١٢- **الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة** . -طبعة الحسيني - ط . أولى - نشر علي رحمي - محمد صديق حسن خان .
١٣- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** - المكتب الإسلامي - بيروت - ط . أولى ١٣٩٩هـ - محمد ناصر الدين الألباني .
١٤- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** - أبو عمر يوسف بن عبد البر - تحقيق البجاوي - مطبعة نهضة مصر - الفجالة - القاهرة .
١٥- **الإسلام في القرن العشرين** - عباس محمود العقاد .
١٦- **الإشاعة لأشراط الساعة** - مكتبة المشهد الحسيني - القاهرة - محمد بن رسول الحسيني البرزنجي .
١٧- **إصلاح المساجد من البدع والعوائد** - المكتب الإسلامي - بيروت - محمد جمال الدين القاسمي .
١٨- **أصول بلا أصول** - دار ابن الجوزي - ط . أولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م - محمد ابن إسماعيل المقدم .
١٩- **الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته** - دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٩م - د . عبد الودود شلبي .
٢٠- **أصول الكافي بشرحه الشافي** - مطبعة النعمان - النجف - ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م - أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني - شرح وتعليق عبد الحسين بن عبد الله المظفر .
٢١- **أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية** - د . ناصر القفاري - دار الرضا - الجيزة - ط . الثالثة - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
٢٢- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** - مطبعة المدني - القاهرة - محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي .
٢٣- **أطلس تاريخ الإسلام** - الزهراء للإعلام العربي - القاهرة - ط . أولى ١٤٠٧هـ - د . حسين مؤنس .

٢٤- **الاعتصام** - دار عمر بن الخطاب - الإسكندرية - أبو إسحاق الشاطبي .
٢٥- **أعذب الموارد في تخريج جمع الفوائد** - المدينة المنورة - عبد الله هاشم اليماني المدني .
٢٦- **الأعلام** - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - ط . السابعة - ١٩٨٦م - خير الدين الزركلي .
٢٧- **الإعلام بمناقب الإسلام** - أبو الحسن العامري - مركز نشر دانشكاهي - طهران - تحقيق د . أحمد عبد الحميد غراب .
٢٨- **أعلام المغرب العربي** - عبد الوهاب منصور - المطبعة الملكية - الرباط - المغرب - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
٢٩- **إعلام الموقعين عن رب العالمين** - القاهرة - تحقيق عبد الرحمن الوكيل - الإمام ابن قيم الجوزية .
٣٠- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان** - مصطفى البابي الحلبي - ١٣٨١هـ - ابن قيم الجوزية .
٣١- **الأغاني** . - دار إحياء التراث العربي - أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني .
٣٢- **أفريقيا يراد لها أن تموت جوعًا** - دار الوفاء - المنصورة - ط . ثالثة - ١٤١١هـ . د . جمال عبد الهادي ، د . وفاء جمعة .
٣٣- **إقامة البرهان في الرد على من أنكر المهدي والدجال** - مكتبة المعارف - الرياض - ١٤٠٥هـ - حمود بن عبد الله التويجري .
٣٤- **إمارة الإسلام « المهدية » في السودان** - دار المعارف - القاهرة - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - د . إبراهيم شحاتة حسن .
٣٥- **الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل** - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م . محمد السيد الجليند .

٣٦- **الإمام الذي لم يُوفَّ حقه أحمد بن عرفان** - أبو الحسن الندوي - دار الاعتصام - القاهرة - ط . ثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٣٧- **الإمام المهدي محمد أحمد بن عبد الله** - د . محمد سعيد القدَّال - دار الجيل - بيروت .

٣٨- **الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين** - دار طيبة - مكة المكرمة - الطبعة الثانية - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م - علي بن بخيت الزهراني .

(ب)

٣٩- **البابية والبهائية وأهدافهما في دعوى النبوة والرد عليهما** - أحمد بن حجر آل بوطامي - مطابع قطر الوطنية - الدوحة - قطر - ١٤٠٤هـ .

٤٠- **الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث** - محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة - الطبعة الثالثة - تحقيق أحمد شاكر - ابن كثير القرشي .

٤١- **الباعث على إنكار البدع والحوادث** - مطبعة النهضة الحديثة - مكة المكرمة - ط . ثانية - ١٤٠١هـ - أبو شامة محمد بن عبد الرحمن .

٤٢- **البحر المحيط** - طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت - ط . ثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م - بدر الدين الزركشي .

٤٣- **بدائع التفسير** - دار ابن الجوزي - الدمام - السعودية - ط . أولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - ابن قيم الجوزية .

٤٤- **البداية والنهاية** - نشر مكتبة المعارف - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٩م - ابن كثير القرشي .

٤٥- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** - دار المعرفة - بيروت - لبنان - محمد بن علي الشوكاني .

٤٦- **بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود** - د . عبد الله الجميلي - ط . الرابعة - ١٤٢٣هـ .

٤٧- **بصائر في الفتن** - محمد بن إسماعيل المقدم - الدار العالمية للنشر والتوزيع - ط . ثانية ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

٤٨- **البهائية** - محب الدين الخطيب - ط . ثالثة - ١٣٩٧هـ - المكتبة السلفية - القاهرة .

٤٩- **البهائية** - تاريخها وعقيدتها ، وصلتها بالباطنية والصهيونية - دار المدني - القاهرة - ط . ثانية - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م - عبد الرحمن الوكيل .

(ت)

٥٠- **التاج الجامع للأصول** - عيسى البابي الحلبي - ط . الرابعة - ١٩٦٤م - منصور علي ناصف .

٥١- **التاريخ الإسلامي** - محمود شاكر - ط . الثالثة - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق .

٥٢- **التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)** - المكتب الإسلامي - بيروت - ط . ثانية - ١٤٠٧هـ - محمود شاكر .

٥٣- **تاريخ بغداد « أو مدينة السلام »** - دار الكتب العلمية - بيروت - الخطيب البغدادي .

٥٤- **تاريخ الجزيرة العربية فى عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب** - دار ومكتبة الهلال - بيروت -ط . الثالثة - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م - حسين خلف الشيخ خزعل .

٥٥- **تاريخ الخلفاء** - القاهرة - ١٩٥٩م - عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

٥٦- **تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته** - نعوم شقير - القاهرة - ١٩٥٣م .

٥٧- **التاريخ الكبير** - محمد بن إسماعيل البخاري - دار الكتب العلمية - بيروت - بإشراف د . محمد عبد المعيد خان .

٥٨- **التبيان في أقسام القرآن** - مكتبة القاهرة - القاهرة - ابن قيم الجوزية .
٥٩- **تتمة الأعلام للزركلي** - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - ط . أولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م - محمد خير رمضان يوسف .
٦٠- **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي** - الفجالة الجديدة - ط . الثانية - ١٣٨٥هـ - أبو العلى محمد بن عبد الرحيم المباركفوري .
٦١- **التحفة الندية في الفتنة العرابية** - الروضة الثقافية - ط . أولى ١٤٢١هـ - أحمد سعيد نونو .
٦٢- **تحقيق مشكاة المصابيح للتبريزي** - المكتب الإسلامي - بيروت - ط . الثانية - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - محمد ناصر الدين الألباني .
٦٣- **تخريج أحاديث إحياء علوم الدين** للعراقي ، وابن السبكي ، والزبيدي - استخراج محمود الحداد ، دار العاصمة - الرياض - ط . أولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
٦٤- **تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي** - المكتب الإسلامي - دمشق - محمد ناصر الدين الألباني .
٦٥- **تدريب الراوي شرح تقريب النواوي** - مطبعة السعادة - مصر - ١٣٨٦هـ - جلال الدين السيوطي .
٦٦- **تذكرة الحفاظ** - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٧٤هـ - شمس الدين الذهبي .
٦٧- **التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي** - دار عمار - عمان - الأردن - ط . الأولى - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - محمد البنداري .
٦٨- **التعالم وأثره على الفكر والكتاب** - بكر بن عبد الله أبو زيد - دار الراية - ط . أولى ١٤٠٨هـ - الرياض .
٦٩- **تفسير القرآن العظيم** - دار الشعب - القاهرة - ابن كثير القرشي .
٧٠- **تفسير المنار** - محمد رشيد رضا - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٢م .

٧١- **التقريب والتيسير (مع شرحه : تدريب النواوي)** - مطبعة السعادة بمصر - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي .

٧٢- **التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح** - مطبعة العاصمة - القاهرة - ط . الأولى ١٣٨٩هـ - زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي .

٧٣- **تلبيس إبليس** - مكتبة المدني - جدَّة - ١٤٠٣هـ - أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي .

٧٤- **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير** - مكتبة الكليات الأزهرية - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر الشافعي .

٧٥- **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع** - مكتبة المثنى - بغداد - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م - أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي الشافعي - تعليق محمد زاهد الكوثري .

٧٦- **تهذيب التهذيب** - دار صادر - بيروت - لبنان - ابن حجر العسقلاني .

٧٧- **تهذيب سنن أبي داود** - المكتبة السلفية - المدينة المنورة - ط . الثانية ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م - ابن قيم الجوزية - تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان .

٧٨- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط . ثانية ١٤٠٣هـ - جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي - تحقيق بشار عواد معروف .

٧٩- **توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار** - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ - محمد بن إسماعيل الصنعاني .

(ث)

٨٠- **الثقات** - ابن حبان - ط . أولى ١٣٩٣هـ - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الهند .

(ج)

٨١- **جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ** - دار الفكر - بيروت - ط . ثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - تحقيق عبد القادر الأرناؤط - ابن الأثير الجزري .
٨٢- **جامع بيان العلم وفضله** - دار ابن الجوزي - الدمام - السعودية - ط . أولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م - تحقيق أبي الأشبال الزهيري - أبو عمر يوسف بن عبد البر .
٨٣- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** - طبعة الحلبي - محمد بن جرير الطبري .
٨٤- **الجامع الصغير من حديث البشير النذير** - جلال الدين السيوطي - ط . مصطفى البابي الحلبي - القاهرة .
٨٥- **الجامع لأحكام القرآن** - دار الكاتب العربي - القاهرة - ١٣٨٦هـ - أبو عبد الله القرطبي .
٨٦- **جنوب السودان وصناعة التآمر ضد ديار المسلمين** - مكتبة السنة - القاهرة - ١٩٩٣م - د . عبد العظيم الديب .

(ح)

٨٧- **الحاوي للفتاوى** - مطبعة الشيخ منير - ١٣٥٣هـ - جلال الدين السيوطي .
٨٨- **الحجة في بيان المحجة** - إسماعيل بن محمد الأصبهاني - دار الراية - الرياض - ط . أولى ١٤١١هـ .
٨٩- **حجية السنة** - دار القرآن الكريم - بيروت - ط . الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م - عبد الغني عبد الخالق .
٩٠- **الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام** - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت .
٩١- **الحركة السنوسية في ليبيا** - دار البيارق - عَمَّان - الأردن - ط . أولى ١٤٢٠هـ - د . علي محمد محمد الصلابي .

٩٢- **حركة النفس الزكية** - دار الأرقم - الكويت - ط . أولى ١٤٠٤هـ - د. محمد سليمان العبدة .
٩٣- **حرمة أهل العلم** - محمد بن إسماعيل المقدم - دار العقيدة للتراث - الإسكندرية - ط . أولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٩٤- **حزام المواجهة : حرب التنصير في أفريقيا** - دار الذخائر - الدمام - ط . أولى ١٤١٤هـ - جبر الله عمر الأمين - ومدبولي إسماعيل عثمان .
٩٥- **الحكومة الإسلامية** - منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى - روح الله الخميني .
٩٦- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** - مطبعة السعادة - مصر - ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م - أبو نعيم الأصبهاني .

(خ)

٩٧- **خبر الواحد وحجيته** - د . أحمد بن محمود الشنقيطي - طباعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ط . أولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٩٨- **خراب الكعبة** - مكتبة ابن تيمية - الكويت - ط . أولى ١٤٠٨هـ - محمد بن إبراهيم الشيباني .
٩٩- **الخصومة في مهدية السودان** - مركز أبو سليم للدراسات - ط . أولى - الخرطوم - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م - د . محمد إبراهيم أبو سليم .
١٠٠- **الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية** - ط . ثالثة ١٤٠٩هـ - محب الدين الخطيب - تعليق محمد مال الله .
١٠١- **خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال** - صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي - مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ، بيروت - ط . ثالثة ١٣٩٩هـ .
١٠٢- **خواطر دينية** - الجزء الثاني - مكتبة القاهرة - ط . أولى - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م - عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري .

١٠٣- **خواطر حول الوهابية** - محمد بن إسماعيل المقدم - دار التوحيد للتراث - الإسكندرية - ط . أولى - ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

١٠٤- **الخيانة هزمت عرابي**- الهيئة العامة للكتاب - ١٩٨٩م- عادل أحمد سركين .

١٠٥- **درء تعارض العقل والنقل** - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - تحقيق د . محمد رشاد سالم .

١٠٦- **الدُّرَّة المُضِيَّة في عقد الفرقة المرضية** - مطبعة المدني - القاهرة - محمد بن أحمد السفاريني .

١٠٧- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** - الحافظ جلال الدين السيوطي - دار المعرفة - بيروت - لبنان ، وطبعة دار هجر - القاهرة - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م - تحقيق د . عبد الله التركي .

١٠٨- **دفع الصائل على مشروعية الحجاب الكامل** - محمد بن إسماعيل المقدم - دار الإيمان - الإسكندرية - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

١٠٩- **دولة الإسلام في الأندلس** - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مكتبة الأسرة - ٢٠٠١م - محمد عبد الله عنان .

١١٠- **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط** - دار البيارق - عمان - الأردن - ط . أولى ١٤٢٠هـ - د . علي محمد محمد الصلابي .

١١١- **دولة الموحدين** - دار البيارق - الأردن - عمان - د . علي محمد محمد الصلابي .

(ذ)

١١٢- **الذيل على طبقات الحنابلة** - عبد الرحمن بن رجب الحنبلي - دار المعرفة - بيروت .

١١٣- **ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي** - أبو المحاسن الدمشقي - دار الكتب العلمية - بيروت .

(ر)

١١٤- **رجال الفكر والدعوة في الإسلام** - أبو الحسن الندوي - دار القلم - دمشق - ط . أولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

١١٥- **الرد على من ذهب إلى تصحيح علم الغيب من جهة الخط** - أبو الوليد محمد ابن رشد القرطبي - تخريج وتعليق مشهور حسن سلمان - دار ابن حزم - بيروت - ط . أولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

١١٦- **الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي** - مطابع الرشيد - المدينة المنورة - ١٤٠٢هـ - عبد المحسن بن حمد العباد .

١١٧- **الرد القويم على المجرم الأثيم** - دار العليان الحديثة - بريدة - السعودية - ط . ثانية - حمود بن عبد الله التويجري .

١١٨- **الرسالة** - القاهرة - تحقيق أحمد محمد شاكر - الإمام محمد بن إدريس الشافعي .

١١٩- **رسالة في حق المهدي** - مخطوط بمكتبة البلدية - الإسكندرية - علي بن سلطان القاري .

١٢٠- **رسالة في الرد على الرافضة**- دار المأمون للتراث - ١٤٠٠هـ - السعودية- محمد بن عبد الوهاب .

١٢١- **الرفع والتكميل في الجرح والتعديل** - دار لبنان - الطبعة الثانية - ١٣٨٩هـ- عبد الحي اللكنوي .

١٢٢- **الروح** - دار عمر بن الخطاب - الإسكندرية - ابن قيم الجوزية .

١٢٣- **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام** - دار الفكر - بيروت - أبو القاسم السهيلي .

(ز)

١٢٤- **زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم** - طبعة عيسى البابي الحلبي -

القاهرة - وطبعة دار الفكر - بيروت - ١٤٠١هـ - محمد حبيب الله الشنقيطي .
١٢٥- **الزواجر عن اقتراف الكبائر** - مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٣٩٠هـ - أحمد بن حجر الهيتمي .

(س)

١٢٦- **سلسلة الأحاديث الصحيحة ، وشيء من فقهها وفوائدها** - المكتب الإسلامي - دمشق - محمد ناصر الدين الألباني .
١٢٧- **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة** . - المكتب الإسلامي - دمشق - محمد ناصر الدين الألباني .
١٢٨- **السلفية وأعلامها في موريتانيا** - دار ابن حزم - بيروت - ط . أولى ١٤١٦هـ - الشيخ الطيب عمر بن الحسين .
١٢٩- **السنة** - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م - أبو بكر عمرو بن أبي عاصم - تحقيق محمد ناصر الدين الألباني .
١٣٠- **سنن ابن ماجه بحاشية السندي** - دار الفكر - الطبعة الثانية - محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني .
١٣١- **سنن أبي داود** - دار إحياء السنة النبوية - الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني .
١٣٢- **سنن الترمذي** - المكتبة الإسلامية - تحقيق أحمد محمد شاكر - أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي .
١٣٣- **سنن الدارقطني** - عالم الكتب - بيروت - علي بن عمر الدارقطني .
١٣٤- **سنن الدارمي** - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - بعناية محمد أحمد دهمان - عبد الله بن بهرام الدارمي .
١٣٥- **سنن النسائي** - دار الفكر بيروت - عن الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ - أبو عبد الرحمن النسائي .

١٣٦- **السنن الواردة في الفتن** - دار العاصمة - الرياض - ط . الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م - أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني .

١٣٧- **السودان بين يدي غوردون وكتشنر** - مطبعة جريدة المؤيد - القاهرة - ١٣٠٩هـ - إبراهيم فوزى .

١٣٨- **سيد البشر يتحدث عن المهدي المنتظر** - مطبعة المدني - القاهرة - حامد محمود ليمود .

١٣٩- **سير أعلام النبلاء** - مؤسسة الرسالة - بيروت - تحقيق شعيب الأرناؤوط - الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .

(ش)

١٤٠- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** - دار الكتب العلمية - بيروت - أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي .

١٤١- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** - دار طيبة - الرياض - السعودية - ١٤٠٢هـ - أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي - تحقيق د . أحمد سعد حمدان .

١٤٢- **شرح السنة** - دار السلف - الرياض - ط. ثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م - أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري.

١٤٣- **شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفا للقاضي عياض** - مطبعة المدني - العباسية - القاهرة - تحقيق الشيخ حسنين محمد مخلوف - الإمام نور الدين القاري .

١٤٤- **شرح العقيدة الطحاوية** - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م - علي بن أبي العز الدمشقي - تحقيق د . عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط .

١٤٥- **شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان** - مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - ط . ثانية ١٣٧٥هـ - ملا علي بن سلطان محمد القاري الحنفي .

١٤٦- **شرف أصحاب الحديث** - دار إحياء السنة النبوية - ١٩٧١م - أبو بكر أحمد ابن علي بن ثابت الخطيب البغدادي - تحقيق د . محمد سعيد خطيب أوغلي .

١٤٧- **شروط الأئمة الخمسة** - مكتبة عاطف - الأزهر - القاهرة - الحافظ أبو بكر محمد بن موسى الحازمي .

١٤٨- **الشريعة** - أبو بكر محمد بن الحسين الآجري - تحقيق الوليد بن محمد - مؤسسة قرطبة - القاهرة - ط . أولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

١٤٩- **الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى ﷺ** - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م - أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي .

١٥٠- **الشيعة وآل البيت** - إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان - الطبعة الثالثة - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - إحسان إلهي ظهير .

١٥١- **الشيعة والتشيع** : فرق وتاريخ - إحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان - ط . ثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

(ص)

١٥٢- **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)** - دار العلم للملايين - بيروت - ط . ثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - إسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطا .

١٥٣- **صحيح البخاري** - محمد بن إسماعيل البخاري - مطابع الشعب - القاهرة .

١٥٤- **صحيح الجامع الصغير وزيادته** - المكتب الإسلامي - دمشق - محمد ناصر الدين الألباني .

١٥٥- **صحيح سنن ابن ماجه** - المكتب الإسلامي - بيروت - ط . الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م - محمد ناصر الدين الألباني .

١٥٦- **صحيح سنن الترمذي** - المكتب الإسلامي - بيروت - ط . أولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م - محمد ناصر الدين الألباني .

١٥٧- **صحيح مسلم بشرح النووي** - يحيى بن شرف النووي - المطبعة المصرية ومكتبتها - القاهرة .

١٥٨- **الصحيح المسند من دلائل النبوة** - دار الأرقم - الكويت - ط . أولى ١٤٠٥هـ - مقبل بن هادي الوادعي .

١٥٩- **الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة** - القاهرة - ١٣٠٧هـ - أحمد بن حجر الهيتمي .

١٦٠- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** - دار العاصمة - الرياض - السعودية - ط . ثانية ١٤١٢هـ - ابن قيم الجوزية - تحقيق د . علي بن محمد الدخيل الله .

١٦١- **صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول ﷺ عند أهل السنة والشيعة** - أبو الحسن الندوي - دار الصحوة للنشر - القاهرة - ط . أولى - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .

١٦٢- **ضحى الإسلام** - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة العاشرة - أحمد أمين .

١٦٣- **الضعفاء الكبير** - العقيلي - طبعة عبد المعطي قلعجي - دار الكتب العلمية - ١٤٠٤هـ .

١٦٤- **الضعفاء الصغير** - محمد بن إسماعيل البخاري - تحقيق محمود إبراهيم زايد - نشر دار الوعي - حلب - ط . أولى ١٣٩٦هـ .

١٦٥- **ضعيف سنن ابن ماجه** - المكتب الإسلامي - بيروت - ط . أولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - محمد ناصر الدين الألباني .

(ط)

١٦٦- **طبقات الحفاظ** - دار الكتب العلمية - بيروت - جلال الدين السيوطي .

١٦٧- **طبقات الحنابلة** - دار المعرفة - بيروت - أبو الحسين محمد بن أبي يعلي .
١٦٨- **طبقات الشافعية الكبرى** - عبد الوهاب بن علي السبكي - تحقيق د . عبد الفتاح الحلو ، ود . محمود الطناحي - مطبعة عيسى الحلبي - ط . أولى ١٣٨٣هـ .
١٦٩- **طبقات الصوفية** - أبو عبد الرحمن السلمي - تحقيق نور الدين شريبة - ط . ثانية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م - مكتبة الخانجي - القاهرة .
١٧٠- **الطبقات الكبرى المسماة : لواقح الأنوار في طبقات الأخيار** - عبد الوهاب الشعراني .

(ع)

١٧١- **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي** - أبو بكر بن العربي - دار الوحي المحمدي - القاهرة .
١٧٢- **العالم والمتعلم** - مطبعة البلاغة - حلب - الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - أبو حنيفة النعمان .
١٧٣- **العذاب الذي لاقاه المسلمون على أيدي الغرب** - العميد كامل الشرقاوي .
١٧٤- **عجائب الآثار في التراجم والأخبار** - عبد الرحمن الجبرتي - دار الفارس - بيروت .
١٧٥- **عقائد الإمامية** - دار كتابخانة - طهران - إيران - محمد رضا المظفر .
١٧٦- **عقد الدرر في أخبار المنتظر** - مكتبة عالم الفكر - القاهرة - ط . الأولى ١٣٩٩هـ - يوسف بن يحيى المقدسي .
١٧٧- **عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى - عليه السلام** - مكتبة القاهرة - أبو الفضل الغماري .
١٧٨- **عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر** - مطابع الرشيد - المدينة المنورة ١٤٠٢هـ - عبد المحسن بن حمد العباد .

١٧٩- **عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية** - دار طيبة - الرياض - ١٤٠٥هـ - ط . أولى - أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي .

١٨٠- **عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي** - الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - ط . أولى - ١٤٠٨هـ - د . صالح العبود .

١٨١- **عكاظ (جريدة سعودية)** - عدد ١٨ من المحرم ١٤٠٠هـ .

١٨٢- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** - طبعة إدارة المطبعة المنيرية - القاهرة - بدر الدين محمود بن أحمد العيني .

١٨٣- **العواصم من القواصم** - أبو بكر بن العربي - تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب ، وتخريج محمود مهدي الاستانبولي - دار الكتب السلفية - القاهرة - ط . أولى - ١٤٠٥هـ .

١٨٤- **عون المعبود شرح سنن أبي داود** - مطبعة المجد - ط . الثانية - ١٣٨٩هـ - محمد شمس الحق آبادي .

(غ)

١٨٥- **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام** - محمد ناصر الدين الألباني .

(ف)

١٨٦- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** - مصطفى الحلبي سنة ١٣٧٨هـ ، السلفية سنة ١٣٨٠هـ - القاهرة - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .

١٨٧- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** - محمد بن علي الشوكاني - دار المعرفة - بيروت - لبنان .

١٨٨- **فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي** - نشر المكتبة السلفية - المدينة المنورة - ط . الثانية ١٣٨٨هـ - شمس الدين السخاوي .

١٨٩- **فتح المنعم حاشية على زاد المسلم** - محمد حبيب الله الشنقيطي - دار الفكر - بيروت - ١٤٠١هـ .

١٩٠- **الفتوحات المكية** - دار صادر - بيروت - محيي الدين بن عربي .

١٩١- **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان** - المكتب الإسلامي - بيروت- ط . رابعة - ١٣٩٧هـ - شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

١٩٢- **الفرق بين الفرق** - مكتبة دار التراث - القاهرة - عبد القاهر بن طاهر البغدادي .

١٩٣- **فرق الشيعة** - الحسن بن موسى النوبختي - دار الأضواء - بيروت - ط . ثانية ١٤٠٤هـ .

١٩٤- **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام** - مكتبة لينة - ط . أولى ١٤١٤هـ - غالب ابن علي عواجي .

١٩٥- **فرق الهند المنتسبة إلى الإسلام في القرن العاشر الهجري** - دار ابن الجوزي - ط . أولى ١٤٢٢هـ - د . محمد كبير أحمد شودري .

١٩٦- **الفصل في الملل والأهواء والنحل** - مكتبة السلام العالمية - القاهرة - الإمام ابن حزم الأندلسي .

١٩٧- **فصل المقال في رفع عيسى - عليه السلام - حيًّا ، وفي نزوله ، وقتله الدجال** - دار الطباعة المحمدية بالأزهر - القاهرة - الدكتور محمد خليل هراس .

١٩٨- **فقه أشراط الساعة** - محمد بن إسماعيل المقدم - ط . الدار العالمية - الإسكندرية - ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

١٩٩- **فقه التمكين عند دولة المرابطين** - دار البيارق - الأردن - عَمَّان - ١٩٩٨م - د . علي محمد محمد الصلابي .

٢٠٠- **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة** - المكتب الإسلامي - بيروت - ط . الثالثة - ١٤٠٢هـ - محمد بن علي الشوكاني - تحقيق عبد الرحمن المعلمي .

٢٠١- **فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي**- مصطفى محمد- ١٣٥٦هـ- عبد الرؤوف المناوي .

٢٠٢- **القاديانية دراسات وتحليل** - د . إحسان إلهي ظهير - دار المجدد - القاهرة - ط . أولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

٢٠٣- **قدوم كتائب الجهاد لغزو أهل الزندقة والإلحاد** - عبد العزيز بن فيصل الراجحي - دار الصميعي - الرياض - ط . أولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

٢٠٤- **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث** - عيسى البابي الحلبي - ط .الثانية - ١٣٨٠هـ - محمد جمال الدين القاسمي .

٢٠٥- **القول المختصر في علامات المهدي المنتظر** - مكتبة القرآن - بولاق - القاهرة - أبو العباس أحمد بن محمد بن حجر المكي الهيتمي .

(ك)

٢٠٦- **الكامل في التاريخ** - دار صادر - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٨٩م - عز الدين ابن الأثير .

٢٠٧- **كتب حذر منها العلماء** - دار الصميعي - الرياض - ط . أولى ١٤١٥هـ - مشهور بن حسن آل سلمان .

٢٠٨- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس** - مكتبة التراث الإسلامي - تعليق أحمد القلاش - إسماعيل بن محمد العجلوني .

٢٠٩- **الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ** - دار الصحابة - بيروت - ط . أولى ١٤٠٨هـ - محمود عبد الرءوف القاسم .

(ل)

٢١٠- **لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر** - السعودية - ١٤٠٠هـ - محمد علي الصابوني .

٢١١- **لسان العرب** - دار صادر - بيروت - أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الأفريقي المصري .
٢١٢- **لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق** - عالم الفكر - القاهرة - ط . ثانية - عبد الوهاب الشعراني .
٢١٣- **لله ... ثم للتاريخ** - مكتبة الإيمان - الإسكندرية - ١٤٢٢هـ - السيد حسين الموسوي .
٢١٤- **لمعة الاعتقاد** - دار وهدان للطباعة والنشر - الفجالة - القاهرة - موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي .
٢١٥- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية** - المكتب الإسلامي - بيروت ، ومكتبة أسامة - الرياض - ط . ثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - محمد بن أحمد السفاريني .

(م)

٢١٦- **ماذا تعرف عن القاديانية ؟** - محمد الخضر حسين، المودودي ، أبو الحسن الندوي - مكتبة الإمام البخاري - الإسماعيلية - مصر - ط . أولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
٢١٧- **المجروحين** - ابن حبان - نشر دار الوعي - حلب - ط . أولى - ١٣٩٦م .
٢١٨- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** - نور الدين الهيثمي - دار الكتاب ١٩٦٧م - طبعة القدسي .
٢١٩- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية** - مكتبة ابن تيمية - القاهرة - شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي .
٢٢٠- **المحلى** - أبو محمد علي بن أحمد بن حزم - المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .
٢٢١- **محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه** - مطبعة زمزم - الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م - مسعود الندوي .

٢٢٢- **محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة** - الرياض - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م - أبو مصعب سليمان بن صالح الخراشي .

٢٢٣- **المختار المصون من أعلام القرون** - دار الأندلس الخضراء - جُدَّة - السعودية - الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م - اختيارات محمد بن حسن بن عقيل موسى .

٢٢٤- **مختصر التذكرة للقرطبي** - مطبعة محمد علي صبيح بالأزهر - القاهرة - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م - عبد الوهاب الشعراني .

٢٢٥- **مختصر صحيح مسلم** - المكتب الإسلامي - بيروت - ط . الثالثة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م - الإمام عبد العظيم المنذري - تحقيق محمد ناصر الدين الألباني .

٢٢٦- **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية** - مطبعة المدني - القاهرة - اختصره الشيخ محمد بن الموصلي .

٢٢٧- **مختصر العلو للعلي الغفار** - محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - اختصار وتحقيق الألباني - المكتب الإسلامي - دمشق ، بيروت - ط . أولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٢٢٨- **مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية** - مطبعة المدني - العباسية - القاهرة - تحقيق محمد زهري النجار - محمد بن علي بن سلوم .

٢٢٩- **المخطط الإجرامي لإبادة أمة الإسلام تحت مسمى خروج الإمام المهدي** - منذر بن عبد الله الشريف - مكتبة عباد الرحمن ، ومكتبة العلوم والحكم - مصر - ط . أولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

٢٣٠- **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل** - طبعة المطبعة المنيرية بالقاهرة - طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠١هـ - عبد القادر بن بدران الدمشقي .

٢٣١- **مذاهب فكرية معاصرة** - د . محمود محمد مزروعة - ط . أولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م - دار الرضا - بني سويف - مصر .

٢٣٢- **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** - صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي - تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي - دار المعرفة - بيروت .

٢٣٣- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** - المطبعة الميمنية - القاهرة - ١٣٠٩هـ - علي بن سلطان القاري .

٢٣٤- **المسائل الماردينية** - شيخ الإسلام ابن تيمية - مطبعة أنصار السنة المحمدية - القاهرة - ١٣٦٧هـ - تحقيق محمد حامد الفقي .

٢٣٥- **المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة** - دار طيبة - الرياض - السعودية - ط . الأولى - ١٤١٢هـ - ١٩٩١م - عبد الإله بن سلمان الأحمدي .

٢٣٦- **المستدرك على الصحيحين مع تلخيص الحافظ الذهبي** . - دار الكتاب العربي - بيروت - الحاكم أبو عبد الله النيسابوري .

٢٣٧- **المستقبل لهذا الدين** - الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية - رقم (٤) - سيد قطب .

٢٣٨- **المسند** - دار المأمون للتراث - دمشق - ط . أولى - ١٤٠١هـ - أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي - تحقيق حسين سليم أسد .

٢٣٩- **المسند** - للإمام أحمد بن حنبل - المكتب الإسلامي - بيروت - ط . خامسة ١٤٠٥هـ - وطبعة دار المعارف بمصر - ط . رابعة بتحقيق أحمد شاكر- ، وطبعة مؤسسة الرسالة - ط. ثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .

٢٤٠- **المسودة** - آل تيمية - مطبعة المدني - القاهرة .

٢٤١- **مشكاة المصابيح** - للخطيب التبريزي - ط . ثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - تحقيق الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت .

٢٤٢- **مشكل الآثار** - دار صادر - بيروت - مصورة عن طبعة حيدر آباد - ١٣٣٣هـ - أبو جعفر الطحاوي .

٢٤٣- **مشكلات الأحاديث والتوفيق بين النصوص المتعارضة** - مطبعة الإمام - القلعة - القاهرة - جمع زكريا علي يوسف .

٢٤٤- **المصنف في الأحاديث والآثار** - تحقيق عامر العمري - جامعة مدراس - الأعظمي - الهند - الإمام عبد الله بن محمد بن أبي شيبة .

٢٤٥- **معالم السنن شرح سنن أبي داود** - أبو سليمان الخطابي البستي - تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي - دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٠هـ .

٢٤٦- **معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - صحابي كبير ، وملك مجاهد** - منير محمد الغضبان - ط . ثانية - ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م - دار القلم - دمشق .

٢٤٧- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** - دار الكتاب - المغرب - ط . السابعة - ١٩٧٨م - عبد الواحد بن علي المراكشي - تحقيق محمد العريان - ومحمد العلمي .

٢٤٨- **معجم البلدان** - دار صادر - بيروت - ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م - أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي .

٢٤٩- **المعجم الصغير** - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣هـ .

٢٥٠- **معجم المناهي اللفظية** - دار ابن الجوزي - الدمام - السعودية ١٤٠٩هـ - بكر بن عبد الله أبو زيد .

٢٥١- **المعجم الوسيط** - ط . الثالثة - مجمع اللغة العربية - إشراف عبد السلام هارون وآخرين .

٢٥٢- **المعرفة والتاريخ** - يعقوب بن سفيان الفسوي - تحقيق : د . أكرم العمري .

٢٥٣- **مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة** - جلال الدين السيوطي - المطبعة السلفية - روضة الفسطاط .

٢٥٤- **مقاتل الطالبين** - القاهرة - ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م - أبو الفرج الأصبهاني - تحقيق السيد أحمد صقر .

٢٥٥- **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة** - مكتبة الخانجي بمصر - القاهرة - ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م - شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي - تحقيق عبد الله محمد الصديقي .

٢٥٦- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط . ثانية - ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م - أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

٢٥٧- **مقالات الألباني** - دار أطلس - الرياض - ط . أولى - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م - جمعها نور الدين طالب .

٢٥٨- **مقدمة تاريخ ابن خلدون « كتاب : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر »** . - مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني - بيروت - ط . ثانية - ١٩٦١م - عبد الرحمن بن خلدون المغربي .

٢٥٩- **الملل والنحل** - مؤسسة الحلبي - القاهرة - تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني .

٢٦٠- **المنار** - مجلة علمية أدبية تهذيبة - مصر - السيد محمد رشيد رضا .

٢٦١- **المنار المنيف في الصحيح والضعيف (أو : نقد المنقول)** -طبعة الحرية ١٣٨٣هـ - طبعة الشام بتحقيق محمود مهدي استانبولي ، ومطبعة مكتب المطبوعات الإسلامية - ط . أولى - ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م - تحقيق عبد الفتاح أبو غدة - الإمام ابن قيم الجوزية .

٢٦٢- **مناقب الإمام أحمد بن حنبل** - أبو الفرج بن الجوزي - دار هجر - الجيزة - ط . ثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

٢٦٣- **المنتقى من منهاج الاعتدال** - المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة - ١٣٧٤هـ تعليق محب الدين الخطيب - شمس الدين الذهبي .

٢٦٤- **منشورات المهدية** - تحقيق الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم - ١٩٦٩م .

٢٦٥- **منهاج السلامة في ميزان القيامة** - ابن ناصر الدين الدمشقي - تحقيق مشعل المطيري - ط . أولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م - دار ابن حزم - بيروت .

٢٦٦- **منهاج السنة النبوية**- مكتبة ابن تيمية- القاهرة - ط . ثانية- ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م- شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - تحقيق د. محمد رشاد سالم.

٢٦٧- **المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد**- عبد الرحمن العليمي - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد- مطبعة المدني - القاهرة- ط. أولى - ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

٢٦٨- **من هو المهدي المنتظر ؟** - محمد نور الدين مربوبنجر المكي - ط . أولى - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - دار الحقيقة للإعلام الدولي - القاهرة .

٢٦٩- **المهدية في الإسلام** - دار الكتاب العربي - مصر - الطبعة الأولى - ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م - سعد محمد حسن .

٢٧٠- **المهدي المنتظر** - طبعة إسماعيل تمام - ١٩٧٨م - أبو الفضل الغماري .

٢٧١- **المهدي المنتظر بين التصور والتصديق** - دار مكتبة الحياة - بيروت - ط . الثانية - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م - محمد حسن آل ياسين .

٢٧٢- **المهدي المنتظر بين الحقيقة والخرافة** - دار العلوم للطباعة - القاهرة - ط . أولى - ١٤٠٠هـ - عبد القادر أحمد عطا .

٢٧٣- **المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة** - المكتبة المكية - مكة المكرمة - ط . أولى - ١٤٢٠هـ - د . عبد العليم عبد العظيم البستوي .

٢٧٤- **المهدي المنتظر في الميزان** - دار نشر الثقافة - الإسكندرية - عبد المعطي عبد المقصود .

٢٧٥- **المهدي المنتظر ومن ينتظرونه** - دار الفكر العربي - الطبعة الأولى - ١٩٨٠م - عبد الكريم الخطيب .

٢٧٦- **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان** - المطبعة السلفية - الروضة - الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة .
٢٧٧- **الموافقات** - دار ابن عفان -الخُبر - السعودية - ط . الأولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م - أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي - تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان .
٢٧٨- **الموسوعة الحركية** - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٠هـ - فتحي يكن .
٢٧٩- **موسوعة علم النفس والتحليل النفسي** - دار سعاد الصباح - الكويت - ط . أولى - ١٩٩٣م - د . فرج عبد القادر طه ، وآخرون .
٢٨٠- **الموسوعة الفقهية** - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت - ط . الثانية - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .
٢٨١- **الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة** - المكتبة المكية - مكة المكرمة - ط . أولى ١٤٢٠هـ - د . عبد العليم عبد العظيم البستوي .
٢٨٢- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة** - دار الندوة العالمية - الرياض - ط . ثالثة ١٤١٨هـ - إشراف د . مانع بن حماد الجهني .
٢٨٣- **الموطأ** - طبعة دار الشعب - القاهرة - الإمام مالك بن أنس - ترقيم وتعليق وتخريج محمد فؤاد عبد الباقي .
٢٨٤- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** - عيسى البابي الحلبي - القاهرة - تحقيق علي محمد البجاوي - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .

(ن)

٢٨٥- **ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر** - مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٧هـ .
٢٨٦- **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر** - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند - ط . الأولى - ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م - عبد الحي بن فخر الدين الحسني .

٢٨٧- **نزهة النظر شرح نخبة الفكر** - محمد علي صبيح - القاهرة - ط . الثالثة - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .

٢٨٨- **نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان** - دار إحياء السنة النبوية - الإسكندرية - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي .

٢٨٩- **نشر البنود على مراقي السعود** - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٩هـ - عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي .

٢٩٠- **نظم المتناثر من الحديث المتواتر** - دار المعارف - حلب - ١٣٢٨هـ - أبو عبد الله الكتاني .

٢٩١- **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب** - دار الفكر - بيروت - ١٩٨٦م - شهاب الدين أحمد بن محمد المقري - تحقيق يوسف البقاعي .

٢٩٢- **نهاية البداية والنهاية** - مكتبة النصر الحديثة - الرياض - ط . الأولى - ١٩٦٨م - ابن كثير الدمشقي .

٢٩٣- **النهاية في غريب الحديث والأثر** - طبعة دار الفكر - تحقيق الزاوي والطناحي - الإمام مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير .

٢٩٤- **نور الأبصار بحاشية إسعاف الراغبين للشيخ محمد الصبان** - طبع عبد السلام محمد شقرون - سيد الشبلنجي .

(هـ)

٢٩٥- **هذا عهد نبينا ﷺ إلينا (خبر الآحاد)** - مصطفى سلامة - مكتبة ابن حجر - مكة المكرمة .

(و)

٢٩٦- **وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة** - محمد ناصر الدين الألباني - طبعة الدار السلفية - الكويت .

٢٩٧- **ودخلت الخيل الأزهر** - الدار العلمية - بيروت - ط . أولى ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م - محمد جلال كشك .

٢٩٨- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** - دار الثقافة - بيروت - لبنان - شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان .

(ي)

٢٩٩- **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر** - عبد الحميد أحمد حفني - ١٣٦٩هـ - عبد الوهاب الشعراني .

❁ ❁ ❁

رابعًا : فهرس الموضوعات

تنبيهات عامة

الباب الأول

الفَصْلُ الأَوَّلُ

بعض الأحاديث الواردة في شأن المهدي

الفَصْلُ الثَّانِي

اهتمام العلماء بأحاديث المهدي

الفَصْلُ الثَّالِثُ

نُصوصُ أَهلِ العِلمِ في إِثبَاتِ حَقِيقَةِ المَهدِيِّ

الباب الثاني

شبه وجوابها

الفَصْلُ الأَوَّلُ

شبه علمية مصطنعة

الفَصْلُ الثَّانِي

شُبَهٌ عقلية سقيمة

الباب الثالث

الفصل الأول

ذِكرُ الاختِلَافِ فِي المَهدِيِّ، وَأَشهَرِ مَنِ ادَّعَى المَهدِيَّة أَوِ ادُّعِيَت لَهُ

فَصـــلٌ في «مهدي المغاربة»

١٢- محمد بن عبد الله بن تومرت البربري الهرغي

فصل

موقف غريب لابن خلدون

الفَصْلُ الثَّانِي

(٢٠) حركة المهدي السوداني

المســاجــلات العلميــة

بين المهدي السوداني وعلماء عصره

المَهدِيُّ السُّودَانـيُّ فِي المِيزَانِ السَّلَفِيِّ

تنبيهات

خامسًا: فهرس الفوائد

❁ ❁ ❁

• تم بحمد اللّه تعالى •